☆ احمد العشاق ☆
الاستاذ المحاضر
بكلية اللغة العربية بمراكش
وكاتم الشريعة بأكدير
شارع المدارس رقم 225 انزكان اكادير

محمد المختار السوسي

المعسول

بـ

١٥

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

من

الفصل الثانى

من

القسم الرابع

المختص بالاخذين من الزاوية الالفية من العلما، والرؤسا، والنبها،

المذكورون في هذا الجزء :

شيخنا سيدى سعيد التنانى العارف بالله
الفقيه سيدى أحمد بن محمد التامارووتى التنانى
سيدى الحسن التامارووتى التنانى • الشاب المعتبط
الفقيه سيدى أحمد بن مبارك التامارووتى
سيدى عبد الملك الشريف التيغانيمينى التنانى
سيدى الحسن السناح الشريف التنانى
سيدى الحسين بن سعيد التامكونسى التنانى العارف بالله
الفقيه سيدى عبد الله الزيكى القاضى
سيدى محمد بن عبد الله ولده العارف بالله
سيدى الحسن الزيكى الفقيه الصوفى
سيدى أحمد الامشيرى الزيكى
سيدى الحسين بن العربى الزيكى
الفقيه سيدى محمد الزيكى نزيل القاهرة بالخوز
سيدى حمو الخطـــابى
الرئيس الحاج الحسن الكيلولى الحاحى
سيدى محمد بن عمر التملى ثم الزنزمى الحاحى
سيدى الحسين الكزميرى الحاحى
الاديب سيدى محمد بن على السويرى
القاضى سيدى مسعود الشياظمى
العلامة سيدى عبد القادر بن العربى السباعى
سيدى بلعيد التيزكينى
سيدى أحمد الدمنـــاتى
سيدى محمد بن على التادلى نزيل الجديدة
سيدى الحاج ادريس الورزازى القاضى
سيدى الحاج العربى برادة الفاسى
سيدى عباس التادلى القـــاضى
سيدى البوسوئى الحمرى
العلامة سيدى عياد الكدالى الرحمانى
العلامة سيدى محمد بن عبد القادر الكدالى الرحمانى

شيخنا سيدي سعيد التناني

١١ - ١٢٨٠ هـ = ١٠ - ١١ - ١٣٤٣ هـ

نسبـــه :

سعيد بن محمد بن احمد أوسن .

الآن أيها اليراع ، أريد أن تمدني بكل ما كنت أعهده منك من سحر البيان ولباب الفصاحة . وخالص البلاغة . فانني الآن ازاء مقام عظيم . لايليق به الا بيان وفصاحة وبلاغة يبلغ كل منها المبلغ الذى يوالى مرتبة الاعجاز أو يتصل بمرتبة الاعجاز نفسها .

لهذا اليوم أدخرك أيها اليراع الكاتب ، فارتى كل ما تستطيعه من وشى ونمنمة يأخذان بالابصار . ويجلوان أفكار الناظرين . فكما انه لاعطر بعد عروس وكما أنه لاشرب بعد رى . فكذلك لا أتوقف عليك بعد اليوم ، كما أتوقف عليك فى هذا اليوم الذى أجلس فيه لالج حرم مقام شيخى ومربى : سيدى سعيد التنانى الذى به وحده بعد فضل الله وتوفيقه نلت ما نلت من أدب غض . يقف ازاءه الناس طرائق قددا . فمنهم من يقول ان صاحبه من نياش الرموس . ومنهم من يقول أنه من فتاحى الكنوز . يختلفان بعدمايتفقان على أنه شىء جديد غير مالوف عند كثير من ادبائنا السوسيين الى الآن . وهو نثر مرسل محدث . بعد ان لم يولف عندهم الى السجع وحده . حتى ان كل نثر غيرمسجوع لاينظر اليه عندهم باستحسان

ان أنس لاأنس تلك الايام التى كان يستنهضنى فيها استاذى هذا الى الادب . ويحثحثنى فيها على الجد والاكباب . حتى أحوز قصب السبق ، وانال مرتبة الشفوف . ويقول لى فيما يقول : انك لو اتقنت علم الاولين والآخرين ثم لم تكن اديبا . فلا يكون لك وجه عند الالفيين . لكن ان أتيتهم بالادب وجليت فيه ، فانك ستنال من بينهم مكانة مع ما يتيسر لك بعد من العلوم الاخرى وان لم تكن الا ضئيلة . فان قطب العلوم عندهم انما هو الادب وحده . فمن حرمه من بينهم . فقد حرم ما يتحل به . وان اتقن ما سطره الاولون والآخرون . وهى كلمة حق برهنت عن فكرة القوم .

كان رحمه الله أول من حثني الى جمع كل ما يصدر مني من القطع والقصائد والآثار الادبية • كيفما كانت • فقال : لاتفرط في كل مايتيسر لك نظمه • ولا تحقرن مما أتاك شيئا • فاجمع كل ذلك في صوان • ودعه والتاريخ ، فسيأتيك حين تشتهي أنت بنفسك مراجعته نزهة من النزه • فيدخل عليك بهجة وسرورا • ثم ترجع على ما كان فاسدا منه بالاصلاح ، فصلحه فيبقى لك أثرا • تشحذ به ما دمت حيا • وتذكر به ان كنت من المرموسين ويترحم به عليك اخلافك ان قدر لك أن تكون لك اخلاف •

افلا يكون هذا السيد الذي يدفعني هكذا الى مقام الادب دائما ويلهبني باسواط النائيب ان أرى مني كسلا أو تأخرا • أولى الناس بأداء حقه اليوم، في هذا الكتاب الذي هو أول كتاب أدبي سوسي عام • سيقدم للقراء كثمرة ناضجة من الادب السوسي الذي أخوض فيه • منذ عقدين من السنين • فمن هو اولى بأن أشيد بذكره من سيدي سعيد التناني هذا الذي كان لي ابا لانها • ومرشدا مشفقا • وناصحا رؤوفا • ياخذ بيدي كلما زللت • ويهضني كلما عثرت • ويجعل بين عيني المثل العليا التي يريد مني أن احذيها دائما في مستقبل حياتي التي سأمضيها فيها قدما •

من هو أولى بأن أشيد بذكره ممن كان وانا لا أزال صغيرا يتحفني بما يدخل علي اذ ذاك سرورا أخالني به ممن يطيرون في الآفاق بأجنحة خفاقة لايطول عنها أفق • ولا يبعد عنها منحى •

من هو اولى بأن أشيد بذكره ممن كان يحبأ لي دائما اذ أنا في المدرسة الثانوية • ما كان يعينني به • كلما أبت من دارنا الى المدرسة ، فيثما اهل لايعطونني من الدراهم الا نحو ربع ريال ، اذا هو يعطيني ثلاث ريالات او اربعا • حتى اذا كان غائبا عن الزاوية ، فان ذلك مخبوء لي عند مؤذن الزاوية اتوصل به مقسطا في كل اياب من هناك وأي قارىء لايقدر — ان كان تربى في مثل بيئتي — قدر هذه الاعانات — وهي اذذاك كثيرة — وتلك التنشيطات • وتلك التوجيهات في ذلك الطور من الحياة • خصوصا : ان نشأ يتيما مثل ، تحت نظر والدة لاتملك من متاع الدنيا لاكثيرا ولا قليلا• وهي الوحيدة التي يمكن لي أن التجىء اليها في كل ما احتاج اليه •

من هو اولى بأن أشيد بذكره ممن كان يصبر لجفائي • ويحلم امام ما اقابله به بعض الفينات متى كان الشيطان يلتقم عقلي ، فيؤججه نار غضب فائور عليه • وهو ينصحني ويؤنبني حين يرى مني عدم احترامي لمن هم اكبر مني • حتى انني لاأزال استحضر انني ملت يوما عليه بكلام خال من الادب • وتناولت في يدي فهرا (١) لأهوي به عليه ، وهو متربع رابض•

١) الفهر بكسر فسكون : حجر ملء اليد • كالذي يتيمم به •

لم تتحرك منه شعرة ، ولا يعلو وجهه الا النور الوهاج • ثم لايزال يوالى على من نصائحه على رغم أنفى • فلم يبال أمام ما يؤديه نحوى من الحقوق ان رضيت او غضبت •

من هو أولى بأن أشيد بذكره ممن غرس فى نفسى كيف يعتل ذو علم بعلمه ووكيف يحسب نفسه فى عالم غير هذا العالم الجاهل • فلا ازال اتذكر انه قال يوما لبعض اخوتى أمامى : احترموا فلانا ، فانه عالمكم • ولا تجعلوه خادما مقتنويا (١) فلا خير فى قوم لايحترم فيهم ذو علم • ولا خير فيمن يمتهن بينهم من هو وحده ذو معارف • يقول ذلك لهم مباسطة فى صفة جد • ولكن ذلك يفعل فى نفسى الافاعيل • وينفخ فيها الروح الوثابة التى تريثنى اننى ممن يمت الى الملأ الأعلى • ثم بعد أن يقوم من كانوا جالسين • يقول لى بدورى أيضا : ليس المقصود منك أنك عالم اليوم • وانما انت فى الحقيقة مستعجل فى أمورك فقل أن تمس اناء الا هرقت ما فيه أو كسرته • ومثلك لايكون ممن يزاولون الخدمة • فهكذا يفتا من نفسى ذلك التعاظم الكاذب الذى كان يداخلنى حين يقول لى بين اخوتى ما يقول، وهكذا يضع الادوية بمقياس مع مراعاة الاحوال • فمتى ادى دواء وظيفته، يزيله ويضع مكانه دواء آخر • فعل طبيب نطاسى خبير •

هذا مع انه رحمه الله صادق كل الصدق فى اننى لااكاد أمس اناء الا كسرته • ولا شيئا مائعا الا ارقته • حتى الدواة التى اكتب منها ، قفلها يمضى وقت الا وانا أقلبها من غير شعور • لان التأنى لايتخلل مزاولاتى طبيعة جبلت عليها (ولا تبديل لخلق الله) وكم سررت يوم ملكت القلم المحبر الذى لا احتاج معه الى دواة عن يمينى • أتوقى دائما اراقتها •

استاذي سعيد

اعلن أمام التاريخ : انك انت أول من هدانى الى سواء السبيل الذى أسلكه اليوم رافع الرأس ، أشم العرنين • فقد كنت تذيقنى من حلاوة العلم أولا ثم التصوف ثانيا ، وتحكى لى ما كان جرى لك فى اول سلوكك طريقهما • حتى جعلتنى أومن بالعلم وبالتصوف الايمان الاعمى الذى يمد يده لقائده ولا يسأله الى أين ، حتى اوشك ان يقلب حبهما على طبعى • بل كاد التصوف يغمر منى طبيعة العلوم • ويكسف عنى نجوم المعارف ، فكدت اقع فى بحره غريقا • لولا أن تداركتنى ايضا يااستاذى من جديد

١) المقنوى : بفتح الميم والتاء ، وكسر الواو وتشديد الياء : الخادم ، قال عمر بن كلثوم فى معلقته متى كنا لامك مقنويا

واريني ان ما انا فيه من مزاولة العلوم • هو الذي فيّ استعداده ، وان التصوف على طريق السير والسلوك لاينجح فيه الا من كان له فيه مصابرة ومرابطة • وانني لست هناك ، للملل الذي سرعان ما يستولي علي • ثم لما قلت لك سنة ١٣٣٧ هـ وانا أرسب في ذلك البحر وانت تتشلني منه ، او لم يكفني من العلوم ماتيسر • ان كانت بركتك يا أستاذي معي حاضرة ؟ فعلت لي ان التصوف نفسه يتسع عند صاحبه بمقدار ما تتسع هذه العلوم عنده ، كالبرحى • فبمقدار كبرها • تكبر لهوتها (١) ثم صارحتني مصارحة • قل أن تصدر الا من أمثالك ، اذ قلت : ان مقصودي فيك أن تكون عالم العلماء ، لا عالم الفقراء • والا فانني على ضؤولة ما عندي من المعلومات صرت عالم الفقراء • أو اقنع لك بمقامي أنا الذي لا أزال أندم كل الندم ، ولا ابرح أتحسر كل التحسر حين لم يتيسر لي اتمام معلوماتي كما اريد • فقد كنت نويت ان أحل بـ (مراكش) حتى أتفوق على نوابغها، ثم احل بفاس حتى أكون رأس عليتها • ثم التحق بمصر حتى أكون أعلم الناس فيها • فهذا اليوم ما أحبه لك حين حرمته من نفسي ، ثم انقضت الجلسة وقد انقلبت رأسا على عقب ، وحور رابي بك • من الاهتمام بالتصوف الى الاهتمام بتحصيل المعارف ، كأنما كان لك في التصريف يد فعالة حقيقة كما يقول الصوفية رحمهم الله • ثم بعد ذلك قلت لسيدي محمد بن عبد الله الزيكي • قولوا (لفلان) ان الذي يريده ونريده له لايراه الا في العلم ، وفي اتباع طريقه • ففي مبدانه حياته ومظهره • واما هذا الذي يتطلبه اليوم من لباب التصوف • من الاعتماد على الله وحده • والتعرف له ، واستنارة القلب به • فانا له به كفيل متى حصل على العلوم التي يفوت تحصيلها بفوات الشبيبة •

اقبلت الى مراكش : ١٣٣٨ هـ وقد انتقلت أنت يا أستاذي الى بلدتك فكنت لا تغب عني نصائحك • ولا تخلني من الهاب همتي بالسوط الذي تعرف انه وحده هو الذي يحفزني الى الامام ، فكنت تئث (٢) عني في غيبتي خبرا • وتومئ الى أنني ساكون ذا شان • ما ثابرت على طلب العلم ووفق المراد • ثم في : ١٣٤٠ هـ طاف بي خيال ، اراني أن الاولى بي أن الحق بمدرسة (أدوز) عند الاستاذ المحفوظ الادوزي • وهو اذ ذاك ما هو

---

١) اللهوة بفتح فسكون : ما تحمله كف الطاحن من الحبوب لتلقيه في فتحة الرحى •

٢) نث الخبر ينثه • كيرد ويحن : اذا أفشاه •

جدا واجتهادا • ودؤوبا على التدريس فى مختلف الفنون • فما كان الا ان ذكرت لك ذلك • حتى انتفضت وقلت : كلا ، ثم كلا • لاترتد على عقبك ولا تراجع بيئة المدارس السوسية التى ما فارقتها • ولا القيت عنك من أخلاقها الرذيلة الا بعد أن كدت تسقط فى مهواة لاينجو منها من ارتطم فيها • ثم بأى وجه ترجع الى أقرانك فى (الخ) ، الم تكن فارقت (سوس) للقراءة • فلا ترجع اليها الا وقد اتممت دراستك ، وتفوقت التفوق الذى تسمو به على أقرانك • والا تصر ضحكتهم فى المحافل • ومكان سخريتهم عند اشتباك الابحاث • عند اعتياص مسألة من المسائل • فهذه (فاس) أمامك ان لم تجد فى (مراكش)طلبتك • فما لم يوجد فى (مراكش) ولا فى (فاس) أتطمع أن تجده فى (سوس) •

هكذا يا استاذى رددتنى عن وجهة كدت اقع فيها على أم رأسى • ثم لا أزداد الا معلومات فقهية ونحوية • واحرم من الحديث • وما اليه من الاصول ومن البيان والعلوم العليا التى استفدتها فى حلولى بعد فى (فاس) و (الرباط) ولو لم احز فيهما الا هذا الفكر لكفى

كيف أنسى يدك أيها الاستاذ هذه ؟ ام كيف لا أتصور أنك هو الذى عوضت به والدا التحق برمسه قبل أن أنال منه ما يناله الاولاد من والديهم فى هذه الاطوار التى هى أصعب الاطوار على الانسان • حين ينفتق ذهنه ويتطلع • ولكن السبل تشتبه أمامه • فيحار ان لم يجد دليلا خريتا أمامه

فكيف أنسى اهتبالك بى أيها الاستاذ وانت وحدك من استعضره انه يرشحنى للمعالى دائما • ويريبنى كيف اعتناق العوالى • ويرينى كيف يقبل الانسان بشغف عظيم على ارتشاف العلوم من غير أن يعبأ بالمستقبل، ولا بالحياة التى سيقضيها بعد • كيف يقضيها • فواضيعتاه لولاك • وواحسرتاه لولا أن ساقنك العناية الىّ ، فانقذتنى من وهاد متعددة • لا من وهدة واحدة • فلئن كنت اليوم أديبا على ما أزعم • عالما كما يعجو الناس ومؤلفا كما ارى • عارفا بعصرى وبما يتطلبه • كما من الله به علىّ • غيورا على الدين كما انظاهر به • عصريا كما يشهد به الجامدون من الفقهاء والمتطعون من المتفقرة • صوفيا كما يشهد به العصريون والمتفرنجون من بعض الشباب • فلئن كانت هذه الاوصاف كلها او بعضها مما انتظم فى سلكى حقيقة او مجازا • خلقا او تخلقا • ان صدقا وان كذبا • ان حقيقة وان ادعاء فذلك كله اليك • ومن بركتك • وانى لارجو بعد ذلك كله المظهر

الذى يرجوه الجعدى (١) رضى الله عنه ٠

رحمك الله يا استاذى ورقاك الى أعلى عليين ، وجعلنى كما تحبه منى ظاهرا وباطنا ٠ فقد أديت ما عليك لابن شيخك أفعالا ٠ وأديت لك بعض مالك علىّ أقوالا ٠ وشتان ما بين الاقوال والافعال ٠

والدالاسيـدي محمد بن أحمد

ينتسب المترجم وأهله (أيت وازْنى) الى فريق من التنانين ٠ كانوا من اولاد رجل كان يخدم الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى المشهور يوم نزل هناك ٠ بعد ما أجلاه الاسفيون عن (اسفى) قالـوا فعادت عليـه بركه الشيخ ٠ فكان أيضا من الصالحين ٠ ولا تزال حفلة سنوية تقام على مشهده الى الآن ٠ ويقال انهم شرفاء ٠ ولكن ذلك ليس عليه اثارة من علم٠ حتى يقع بـه الظن ٠

اما سيدى محمد بن احمد فانه فقيه يذكر بين أهله ٠ له باع حسن فى العلوم ٠ وكان من بين ماخـذه (مراكش) فقـد حضر دروس الاديب اكنسوس ، وخط بيده بعض رسائله ٠ ثم حرره المولى الحسن الملك يوم مر هناك لحسن خطه ٠ وقد امتد عمره الى نحو : ١٣١٦ هـ فترك من الاولاد : المترجم وعبد الرحمن المقتول ظلما وعبد الله المتوفى حتف أنفه ٠

هذا وقد وقفنا على أثرين لسيدى محمد بن احمد ، نحب أن نسوقهما وقد كان قلمه لا يسلم من تصحيف ٠ قال :

(قد قيد كاتبه عفا الله عنه بعض اخبار الزمان الذى ادركه ٠ ومـا وقع فيه من الجوع والاهوال ٠ أعاذنا الله ، وحفظنا من جميع المكاره والآفات

قد وقع الجوع الشديد فى عام : ١٢٦٧ هـ فتمادى الى ثمانية وستين الى تسعة وستين ، وصار الغلاء الكثير فـى الحبوب : فـى الزرع والثمار وسائر ما يوكل ٠ كادام وغيره ٠ وصار مد الزرع وسائر الحبـوب باثنى عشر موزونة لكل مد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ٠ وقل المال فى الساعة، واشتد الجوع على الناس ٠ حتى يأكل الناس الحشيش والربيع ـ النبات ـ والنخل٠ وغير ذلك مما يمكن أكله ٠ ومات جل الناس بالجوع فى الطرقات والبلدان ٠ وافترق جل الاباء مع أولادهم ٠ وهربوا عنهم ٠ وكذلك أزواجهم وتركوهن ولا يبالون بهن ٠ من شدة ما نزل بهم من الجوع ٠ يتوادع الرجل

---

١) قال النابغة الجعدى الصحابى :

بلغنـا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

مع أولاده وازواجه . ويذهب كل واحد منهم حيث شاء . ويموت الناس في الطرقات بالجوع . ويشتد عليهم الحال . حتى ان بعضهم ياكل بعضا، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة الا بالله . وقد يجد الناس ديارا وافقة . وأهلها في داخلها ماتوا كلهم . انا لله وانا اليه راجعون . وقد إشتد الجوع على الناس في آخر عام : ١٢٦٦ هـ الى سبعة وستين . الى ثمانية وستين . الى أوائل تسعة وستين . وقد صار الجوع في سائر البلدان من بلدة الغرب الى بلاد الاحواز الى بلدة حاحة . وسواحل البحار . وقحطت جميع الاقطار وتشتت الناس فمنهم من مات في منازلهم . ومنهم من غاب والفقد وبقي على ذلك ولم يدر هل هو حي أو ميت . واكل الناس الجيف والميتة والدم والخبر ذلك مما يجب اجتنابه . والعياذ بالله . كل ذلك من شدة الجوع والقحط . وهربت الاقوام للجبال . ومواضع العيون والاشجار . وقل الزرع والحبوب في سائر الاقطار في أرض الغرب والحوز . والمدن والسواحل . وكثر الهرج والقتال بين الناس . يقطعون الطرق . ويهجمون على المنازل . وشاع الفساد في المسلمين والعياذ بالله . وانا لله وانا اليه راجعون .

يذهب الرجل مع أولاده وعياله . يسيرون في البلدان ويجولون فيها حتى اذا أدركتهم الشدة من الجوع وغيره . يتفرقون . فيذهب كل واحد حيث شاء . حتى ان الصبيان الصغار يجدهم الناس ملقين في الطريق . يرمي بهم آباؤهم . ولايبالون بهم ان ماتوا أو عطشوا أوجاعوا . ولايقدرون عليهم بشيء ولا يجدون ما يعتقونهم به . وقلت الامطار والانهار . فسبحان من له القدرة والسطوة والعظمة والكبرياء . وهو على ما يشاء قدير والامر كله بيده . ثم بعد هذا كله . رجع الخير والنعم في سائر البلدان . وافاء الله على عباده . وتزخرفت الارض . وعاش الناس والبهائم . بعدما قلت ونزرت الا القليل . والتقت الاحباب والاخوان . ويفرح بعضهم ببعض . ويتباشرون بالخير . ويتساءلون بينهم . وصار الرخاء في الحبوب وسائر الاسعار . والحمد لله على ذلك . وتمادى الخير والرخاء في الاسعار في السنين الى أن وصل ثانيا عام : ١٢٨٤ هـ فرجع عليهم فيه الغلاء والقحط والجوع الشديد . كالاول المذكور واشتد على الاقوام الجوع . وصار الغلاء في سائر الاقطار . كبلاد الغرب . والمدن ومراكش واحوازه . وفاس (السويرة) واحوازها وبلدة حاحة واحوالها . وسائر بلاد الغرب . كذلك واحوالها . وبلدة سوس واحوالها . وجاعت الاقوام والبهائم . وصار الغلاء في الحبوب . وقد بلغ القمح ستين مثقالا للطرولة بحضرة مراكش . وبلغ ثمانين مثقالا برباط الفتح . وكذلك لفر (السويرة) بستين مثقالا . وكذلك

اسواق الشياطمة • واشتد الجوع • وهذا كله بعدما كان القمح بعشرمثاقيل لدونها • انا لله وانا اليه راجعون • وتمادى الغلاء في الاسعار • وقحطت البلدان • وجاعت الاقوام • وصار الناس ياكلون الربيع ـ النبات ـ وسائر ما يمكن اكله • واشتد الجوع ، وتمادى على الناس • وجارت عليهم أحكام المخزنية في سائر الاقطار • وكذلك الجوع الشديد والعياذ بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم • الى أن جاد الله على الناس بالخير ، والنعم • والرخص في الاسعار في عام : ١٢٨٥ هـ ففرحت الاقوام بالخير والرخص• وتزخرفت الارض • وكثرت الحبوب • وعاش الناس كل ذلك من فضل الله عـل الناس •

ونواحي بني (تنانة) كلهم قد تسلط عليهم القائد الحاج عبد الله بن عبد الملك الحاحي • واخوانه كلهم قبائل حاحة بأجمعهم بحد صانعهم (١) نزلوا علينا بأمره • ومن معهم من القبائل • كقبيلة (نفيفة) وقبيلة (بنسيرة) وقبيلـة (داوزيكي) وقبيلة (ماستينة) وقبيلة (كسيمة) وبعض قبـائـل (هواره) ومن‌معهم من اخواننا بني(تنانة) وداورا علينا وعلى بلدتنا • كدورة الحاتم بخيلهم ورجلهم ، وبجنودهم وجهودهم • وكثرتهم • ودارت الاهوال ببلدة بني (تنانة) كلها • قد نزلوا عليهم • في شهر الله ذي الحجة الحرام : عام ١٢٨٤ هـ ومكثت المحلات • ونزلت عليهم تسعة أشهر كاملة ، وصار القتال الشديد في بلدة بني (تنانة) فدارت عليهم المحلات والجنود •

قد نزلت محلة بوادي (بني حوا) بارواح ، ونزلت الاخرى بموضع (تيزي) ببلدة (ايمسكر) والاخرى ببلدة (ايروتن) والاخرى ببلدة «انكريم» بمسفاسة ونزلت الاخرى ببلدة (ضمينة) والاخرى التي هي رئيسها القائد الحسين نيت فتاح واخرى ببلدة (أداوكازو) وداورا ببلدة (تنانة) كلهـا • كدورة الحاتم • وصار القتال الشديد • حتى مات منهم خلق كثير • مـات من «حاحة» ومن معهم نحو خمسمائة • والمجاريح بلا عدد • وثلاثمائة من الخيل . فدونها •ومات من بني (تنانة) مـا يقرب لمائتين • بـين المقتولين والمساجين • والكثير من المساجين ، مكثوا عليهم • ونزلوا عليهم بالبارود• نحو تسعة أشهر • فنجاهم الله منهم ومن أحكامهم • فرجعوا بعدما حرقوا بلدة بني (تنانة) كلها حتى مابقي منها الا القليل • اعني المواضيع المنيعة بالاوعار • وما نجى الله من بلدة (تانكرت) الا ثلاثة مواضيع أو أربعة(أخرى) وبلدة (تيمكطي) وبلدة (أيت واعلا) و (سكدلت) وبلـد ساقيـة «انجاف» وكذلك بني(واعزون) مانجى منها الا موضع(أساكا) وبعض بلدة (تلمست)

---

١) إعبارة عربية الاصل شلحت فتزوج على الالسنة ، والمقصود : قـام الناس اجمعون من سن من بلغ الصيام الى من فوقه •

وبلدة «فسفاسة» لاباس عندهم . وقطعوا جميع الاغراس التي لاعد لها ولا حد لها . وقد افسدوا بلدة (داداوتنان) عن آخرها . فقد يكون القتال في كل موضع نزلوا فيه وفي كل يوم يسمع هز البارود في كل ناحية في يوم واحد . كالرعد القاصف . والعياذ بالله من ذلك . فانا لله وانا اليه راجعون وهذا ما علمناه من بعض الخبر . مما ادركناه في الساعة وفي المحرم الحرام عام : ١٢٨٥ هـ (١) عبد ربه محمد بن احمد الذيب الوازغي ، امنه الله ولطف به امين .

ثم ذيلها بوثيقة اخرى ، ونصها :

(الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . وفي عام خمسة وتسعين بتقديم التاء ومائتين وألف وقع الجوع الشديد . والقحط العجيب نسأل الله السلامة والعافية . وعدم القوت والزرع . وقحلت النواحي مع سائر البلدان والاقطار . من حد الصحارى وسوس وحاحة . وبلدان الغرب ومراكش والاحواز . الى حد مدينة (وجدة) و (طنجة) والاجبال والاوطان كلها . وماتت البهائم من عدم المأكول . وعدم المطر . حتى ما كان الحرث في جميع ما ذكرنا من البلدان . ولم يحرث الناس في ذلك العام شيئا . وهربت الناس للاجبال . والى حيث مياه العيون . ثم يبست العيون . ولم يبق الا القليل . وبلغ الزرع بالثمن لحساب خمسة وعشرين أوقية . لمد النبي صلى الله عليه وسلم بالنقد . وبالاجل في البيع . بخمس وبالات فاكثر . والقمح باكثر من ذلك . مع الفول والبشنة . ومات جل الناس بالجوع . ياكل الناس الجيف وخشاش الارض . كخشب النخل والعشب . واشتد الجوع والغلاء على الناس ويأكل الناس بعضهم بعضا . ويتهاجمون بينهم . ويقطعون الطرقات . ويموت الناس في الطرقات . ما يدفنهم احد . فتاكلهم الوحوش . ولا يلتفت الاحباب لاحبابهم . ولا الاولاد لآبائهم . وذهل القوم بالجوع حتى لايعرف بعضهم بعضا . وكل واحد لايعرف الا نفسه دون والديه واولاده . ومات جميع الناس . وما بقي الا القليل . وتمادى الجوع كذلك الى عام : ستة وتسعين . فامطرت . وحرث بعض الناس من قليل . واعطى الله المطر والزرع بحمد الله . وانتفى الجوع . وعفا الله من ذلك الغلاء والجوع بحمد الله على عباده . وما فتح الله لعباده في ذلك العام القحطي ، الا ان الزرع والفول والبشنة والدقيق والتمر، والادام . وغير ذلك من النعم يخرج من البحر . في ثغر (السويرة)

---

١) انظر هذا مع ما تقدم من الخبر الذي بقيت تسعة اشهر ابتدأت في حجة ١٢٨٤ هـ

صانها الله بامر سيدنا ومولانا الحسن بن محمد نصره الله نصرا عزيزا ، يعز به الدين ، والادام (١) حينئذ باثنين وثلاثين اوقية للرطل والسمن والعسل باكثر من ذلك .

فبعد هذا من الله علينا بالخير . فالحمد لله على جميع النعم . وهذا ما ادركناه من اخبار هذا العام في الوقت . نسأل الله السلامة والعافية . وهذا العام المذكور انقطع فيه التعليم . والمساجد كلها خاوية . ليس فيها من يؤذن ولا من يصلي . ولا من يقرأ والعياذ بالله . وذلك من قلة المأكول والمشروب . الا القليل النادر . والنادر لاحكم له . فالله يلطف بنا جميعا . والسلام . في شهر الله ربيع النبوي عام ١٢٩٦ هـ

عبد ربه محمد بن أحمد الذيب الوارغي التنائي . التانكرتي أمنه الله واطف به امين (٢))

مفتتح حياة سيدي سعيد

قال اول سنة عقلتها سنة ١٢٨٤ هـ فقد نقلني والدي انا واخا لي في جوالق على بغلة . يوم زحف القائد الحاج عبد الله الحاحي . وهربنا من قريتنا (ازيار) الى قرية (تيمكطي) وقد كان لاهل (أزيار) ديار هناك فانتقلوا اليها لانها في وسط الجبال الوعرة .

في المكتب

لم يتجاوز صاحب الترجمة بلدته في زمن اخذه للقرءان . ولم يعمل رحلة الى مكان اخر . ولا كان استاذه في ذلك الا واحدا . وهو سيدي اليزيد المعدري وحده . فقد لازم مسجد (أزيار)سنين كثيرة . وافقت تلك السنوات التي يتلقى فيها سيدي سعيد . قلم يتخطه به والده . ولكن والده ربما يستعرضه بعض سوره . ويحكي عنه انه كان رؤوفا رفيق القلب . لا تمتد يده لضرب . فكان ربما تتلف له سورة . فلا يرى منه باسا . وأما استاذه اليزيد . فقد طال به العمر كثيرا . حتى كان صاحب الترجمة ينتاب (المعدر) مع الفقراء . فكان يتعهده بالصلة لا ينساه من ذلك . حتى توفاه الله . ولم يبلغني أنه اخذ عن غيره .

---

١) يعني الزيت وارگان .

٢) لم يقيد سيدي محمد ما وقع ١٢٩٩ هـ من المجاعة الشديدة في سوس . كانها حفيفة في بلده (أداوتنان)

في مدرسة (إيسقال)

كانت القبيلة التنانية • من القبائل المشهورة بالدين وبالعلم • فما كان العلماء المتعددون ينقطعون فيها • وهم ذوو اخلاق دمثة • وشمائل لطيفة • ان جالسوا العلماء • أو تأفنوا الصالحين • فلئن كان بعضهم ذوى جرأة فى سفك الدماء • وفى اثارة المهارشات وخوض المعارك • فان أهل كل باديـة • قلما يخلون من أمثالهم • خصوصا فى القبائل التى كثيرا ما ينجاب عنها ذيل الحكومة • وتسود فيها مدلولات • من عز بز • ومن لا يظلم الناس يظلم • وانصر اخاك ظالما أو مظلوما •

وقد اشتهر التنانيون بحسن ظنهم بالعلماء وأهـل الدين • وناهيك بما يجللون به مشهد الولى المشهور الشريف سيدى ابرهيم بن على المتوفى ٩٨٩ هـ وما كانـوا يضفونه على ذويـه من الاحترام والاكبـار • وشيـدوا المدارس • ومنها مدرسة (ايسقال) التى كان فيها فى النصف الاخير من القرن الماضى الفقيه سيدى ابرهيم بن الحسن التنانى التـانكرتى ، ممن اعتنق التصوف على يد الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى • فتخرج بـه علماء • منهم الاستاذ سيدى الحاج الحسن الكزويى التامرى المشهور • الذى خلفـه فى المدرسة من ١٢٩٦ م وقد جاور فيها صاحب الترجمة • لاخـذ العلوم • وقد كان المترجم اتصل بها من ١٢٩٩ هـ •

ويحكى أن الفقيه خرج بالطلبة يسيحون على القرى فى ذلك العـام المجدب ، ثم لازمه نحو سبع سنين • فكان فى جده وفى اجتهاده مثلا يضرب فى الرجوع الى الله فى العبادة • بعناية ربانية سبقت اليه من صغره ، فردت همته الى مولاه • فكان معنيا بالاوراد والاذكار وما اليها قبـل أن يحتلم • ولكن لم يكن فى مثل هذا الجد فى القراءة • وقد سمعته يقول : انى كنت استدرت بدارنا عند جلائنا سنة ١٣٠٣ هـ لما حمل السلطان مولانا الحسن على قبيلتنا حملاته المشهورة من كل جهة • فحين خرجت أسرتنا مع الخارجين الى قريتنا الاخرى (تيمكطى) فى وسط الجبل • عوذت دارنا بآية الكرسى • لما علمت انها للحفظ • فاحرقت كل دور القرية ما عدا دارنا • فلم تمس بسوء • وحين كان اذ ذاك فى هذه المدرسة حدث انـه لايفـارق الوضوء • ولا يفتر عن الذكر • كلما انقضى الدرس واعادته • وقد حكى لى بعض من صاحبه هناك امورا تتعلق بذلك • وكانت دراسة الفقيه تمشى الهوينى • وليس من المجدين الا فى العبادة التى اشتهر بها رضى الله عنه

ملاقاته مع الشيخ الالغي

كان يحكي لي رحمه الله اعوام : ١٣٣٥ هـ وانا ابقى معه منفردين في بعض قدماني في المدرسة (التانكرتية) عن مبادئه . وعن كل ما وقع له فيها . وكان ممنع المجالسة يثرثر بالحديث . لاينقطع منه سيله ولا يتصل منه في حديث طرفاه . الا وقد اتصل بطرف حديث آخر . وتلك عادته في الامتاع بالحديث . وقد كان مقصوده رحمه الله بتلك المحادثات معي أن يطرد عني سوء الظن بالصوفية . وهو عادة يجثم على قلب كل من لايخالطهم ولايتجاوز منهم القشور الى اللباب . وخصوصا من يتربون بالفقهاء الجامدين على ما في ايديهم . المتزمتين . الممضين حياتهم بين بيوع الاجال . وجدول الصفة المشبهة . ومسائل المناسخات . وذلك هو الغالب على تلك البيئة - الذي كنا فيها اذذاك - مع ما يحوطها من فساد أخلاق الطلبة في المدارس. وقد عرفت بالاستهتار والانطلاق في ميادين الاهواء . دون وازع ولا حياء. فلهذا يراود في رحمه الله علاج ذلك الداء بمحادثاته .

قال : كان أستاذنا سيدي الحاج الحسن الكزوني اتصل بالطريقة الاحمدية على يد الشيخ الامام العلامة أكنسوس . وفني في محبتها . وقد فني في العبادة والزهد . والاعراض عن الدنيا واهلها . فكان لنصحه للناس . يحب لو اعتنق العالم أجمع طريقته هذه التي وجد فيها كل خير . لما يسمعه فيها من الربح الكثير . الذي يحصل في كل نفس نفس . لكل من انخرط في سلكها مما هو مشهور . فكان طلبة المدرسة يتتابعون في تلقنها منه . وانا مقبل على شاني . وقد حببت الى منذ نشاتي العبادة . والانحياش الى باب الله . ففي كل حين يتشوف الى متى أتطلب منه أن يلقنني اذكارها . ولكنني سبق أن كنت اطالع كتب الصوفية العليا التي نقد اربابها الى المقصود من التصوف . وانها الوصول الى الله . لا مزاولة اذكار فقط . فادركت منها أن المقصود من أوراد طرق التصوف . واتخاذ شيخ حي كامل أن يتكون من الانسان الحال الدائمة . والخلق الراسخ . والعبودية المحضة . حتى يتذوق من حلاوة الايمان ما كان ذاقه السلف الصالح . وايقنت أن الاوراد وحدها من غير شيخ حي دليل خربت في الطرق . عارف بكيفية السلوك انما هي اذكار تبرك لاغير . ومتى كان القصد هو التبرك . فاولى ما يتبرك به : كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من بين خلفه . قال فكان الاستاذ يتشوف دائما الي . ثم لم يصبر حتى شافهني يوما بذلك . فقلت له : ان كنت يا سيدي ممن وصل الى مقام التسليك والتربية الاصطلاحية عند الصوفية . وقد اذن لك في ذلك

اذا ربانيا، فهل يدى منذ الان فقال لا : لم يكن لى ذلك، ولاادعيه لنفسى، وانما اخذنا هذه الاذكار تبركا ، ثم نلقنها تبركا كذلك • ولكن ان انا لم يكن لى هذا (١) المقام فانني أرجو ان يكون لسيدى محمد الامغارى • فى قبيلة (اداوغده) بحاحة فهاك رسالتى اليه • فربما تجد منه ما تريد • فمرجع من عنده بطلبك • قال فسافرت اليه • فناولته الرسالة • وقد بت عنده • فقال لى حين قراها : ان هذا الذى تتطلبه قد انقطع فى هذه الطريقة الاحمدية منذ وفاة شيخها سيدى مولاى أحمد رضى الله عنه • غير ان هذا الذى نفتش عنه من التربية الاصطلاحية • كما يوجد فى (رائية الشريشى) و (الرسالة القشيرية) و (مباحث ابن البناء) اجد رائحته عند اشياخ هذه الطريقة الدرقاوية • خصوصا من عند هؤلاء المشايخ السوسيين الذين نراهم ، او نسمع عنهم •

قال سيدى سعيد : فرجعت من عنده بخفى حنين ، فتفضت الى الاستاذ سيدى الحاج الحسن الخبر • كما هو ، غير انه لايزال يتطلبنى باتباعه فيما يجبه لى من الخير ، وانا لاازال على رايى • واتطلب ما اتطلبه على شرطى •

وقد وقع لى اذ ذاك او بعد ذلك : انني رايت فيما يرى النائم : انني وقفت امام قبر • والشيخ يطل على من فوق جدار • وقد دلى رجليه عليه • وهو يقول لى : ها هو ذا الشيخ سيدى (فلان) ، هل ينفعك الآن فيما تتطلبه فاما استيقظت • عرفت المقصود • فازددت بصيرة فى امرى • ولم للشيخ ان جاء عندنا يوما فى اواسط سنة ١٣٠٥ هـ الشيخ سيدى الحاج على الالغى بطائفه فباتوا فى (المدرسة) فى (ايسقال) فوقع فى قلبى انه صاحب حاجتى فصرت اذهب اليه فيئة بعد فيئة • واضع فى يده شيئا من الدراهم اقدمها فى يده بعد ان اقبلها • وفى آخر مرة ابقيت يدى فى يده • وقلت له : خذ بيدى لله : فقال : (الله) فمدها بصوت عال ، ثم قال : هذا بعينه ما وقع لى مع شيخى سيدى سعيد بن همو المعدرى • وانا فى مدرسة (تانكرت) بـ (افران) قال : ثم اقبل على بكلته • فتقبلنى احسن قبول • وسمعت من بعض الناس : ان سيدى سعيدا • كان راى رؤيا اذ ذاك ، هى الحافزة له على هذا الانقياد السريع للشيخ • ولكنني انا لم اسمعها منه فيما استحضر

---

١) حدث ذلك من اصحاب سيدى الحاج الحسن انه وجده فى آخريات ايامه ملقا برداله وهو يبكى • وليبكاله نشيخ • فساله عن سبب بكاله • فقال له : انكى على ضياع عمرى حين لم الق بالشيخ الحى الذى به يهدى القلب الى ربه • قال الحاكى ، فقلت له : هذا فلان الشيخ وفيه كل ماتريد، فقال ابنى سبق أن أعطيت مقاديتى لغيره • فلا مناص من الوفاء له • رحمه الله ورضى الله عنه •

الآن . قال فمار تاثر الفقيه والطلبة حين اعتنقت هذه الطريقة . وكانوا من التعصب لطريقتهم فى مكان قصى يستثير العجب . كانما ايقنوا ان الطرق كلها مسدة الا من طريقتهم الاحمدية وحدها وان أبواب الله كلها من سواها موصدة ، وأمثال هؤلاء المتعصبين وبال التصوف الذين رنقوا من معينه الصافى ما رنقوا . ثم لايرجعون وهم على تلك النية الا بالخسران . وأمثال هؤلاء فى كل الطرق الصوفية موجودون . ولعل الحامل لبعضهم حسن النية والاعتقاد البالغ . ولو علموا لايقنوا ان السر فى ملاقاة الرجال . لا فى تلقن أذكار . ولا فى انتساب الى طريقة من الطرق . ولكن أكثر أهل الطرق المنتشرة اليوم لايعلمون . وكل من يقول لا اله الا الله فيه خير . والناس أشكال والوان . كما ان الطرق أشكال وأذواقها كذلك . فلا تحجير الا من الجهل .

قال : وفى الصباح . خرجت مع الشيخ والطائفة ، فامشى وراء بغل يركبه الشيخ . فاتصور فى خوالج نفسى كيف اعرف الله حق المعرفة فى الاشجار والاحجار والجمادات كلها . وفى السماوات وفى الارضين . فالتفت الى الشيخ بكليته . فقال ياسيدى سعيد : اذا كنت تمشى فى طريق حسن ثم تعل بغتة على دار السلطان أكنت تتذكر السلطان فى تلك اللحظة، فقلت له نعم . فقال: ان مثل الاكوان كلها على اختلافها وتنوعها فى دلالتها على المكون . مثل دار السلطان التى اطللت عليها بغتة من ثنية فى دلالتها على السلطان . قال : فادركت فى الحين مقصود الصوفية من قولهم : ان الفقير يعرف الله فى كل شئ . قال فبينما نحن ماشون ، اذا بطلبة المدرسة وقد توجهوا لوجهتنا الى موسم بعمر ذلك النهار يماشوننا فى ترحة نازلة فى شعب الوادى يقولون: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يكررون ذلك باصوات عالية ، يعنون الشيخ بذلك . لظنهم انه يستحوذ على الناس استحواذ الابالسة . فيحول بينهم وبين عقولهم . فيتبعونه وهم غير شاعرين . قال : فالتفت الشيخ الينا مبتسما ، وقال : ان حفظة القرآن لا يفعل الله بهم الا الخيرون كانوا يقصدون شرا . فهؤلاء يريدون الشر . ولكن الله صرفهم عنه . فصاروا يلعنون الشيطان . ولعنه عبادة المومن .

قلت : لا اتحقق أننى سمعت هذه الحكاية من صاحب الترجمة بأذنى . ولكن الحاضرين اذ ذاك يحكونها بالتواتر . وزيد فيها : أن مما أثر فى الطلبة أنهم فى ذلك اليوم يقصدون موسما من مواسم البيع والشراء ـ وأحسبه موسم (أيت داود) ـ وقد الفوا من سيدى سعيد أن يروح بهم على أحد الاغنياء فى الطريق الى الموسم . ولكنه اليوم ذهب بالشيخ وأصحابه اليه فلم يطق الطلبة الصبر على ذلك .

حكى ذلك سيدى بلعبد الصوابى وهو اذذاك مع الشيخ • قال سيدى سعيد • لم لم انتسب بعد ان رجع الشيخ الى (سوس) وقد رجعت الى المدرسة ان سمعت انه توجه الى الحج • وانه مر بـ (حاحة) فاسرعت لعل ادركه فى (الصويرة) • فلاقانى فى باب من ابوابها ـ وانا كما وصلت ـ سيدى الحسين التامكونسى السانى • فاخبرنى ان الشيخ قد ابحر صبيحة اليوم • فرجعت الى موضعى • وقد كان الشيخ اراني سيدى محمد بن حمو الرجل الكبير من (اساكا) بتلك القبيلة السانية • فقال لى : هذا فلصاحب• قال صاحب الترجمة : وما زلت احبه من ذلك النهار •

صاحب الترجمة يفقد أسرارا

لا يغرب عن القارى• ـ ان كان ممن جال فى علم الارواح • او صاحب احد اهلها • ولم يكن ضيق الحوصلة • ولم يحصر علوم الوجود كلها فى النقطة التى تترقرق فى تخيله • ان الروح متى اشتغل بها ربها ورد وجهه اليها • فانه يرى منها عجائب وغرائب • من جولان فى عالم غير هذا العالم• اما المام بعلوم حقيقية • واما خوض فى تخيلات • لا يمكن ان يتصورها عقله الحصيف من بعيد • فهذا من خصائص الارواح كيفما كانت • وفى اى شيع استقرت • وان كانت استعداداتها تختلف بحسب ما هى• لها سواء فى ذلك ارواح المومنين والكفار • على اختلاف النحل • حتى الوثنيون يفتح لارواحهم ما يفتح لاخوانها فى هذا العالم • وانما تتفرق وجهات الارواح فى ذلك بتفرق مقاصد اصحابها • ولهذا يقولون ان اصحاب الظلمات يفتح لهم فى عالم الظلمات • واصحاب الانوار • يفتح لهم فى عالم الانوار • فنجد اصحاب الكشوفات • والسدين يخبرون بالغيوب • فتاتى كما يخبرون • موجودين فى كل نحلة • ومتبثين بين رجالات كل ملة من الذين يعلمون الرياضات • ومن ليس له المام باخبار الناس • يظن ان ذلك مقصور على المومنين المحقين فقط • والامر ليس كذلك • ثم ان العباد المحقين من هذه الامة • حيث ان ارواحهم توجه لوجهات الانوار • فانه يفتح لهم من عالمها باب اسرار غريبة • وهى التى يقول الصوفية : انها من القواطع عن المقصود وليست من الحق فى شى• • ويقولون ان الانسان الفقير • السائر فى طريق الوصول • يخاف عليه كثيرا من اعتراء انفتاح ابواب الغيوب ان يقف معه• ونظن ان ذلك هو المقصود • قالوا : ان ذلك لا يمكن • ان يتخطى • الا اذا كان الفقير تحت نظر شيخ ذى همة فعالة • من الذين يعرفون كيف يدفعون اصحابهم بالقوة الروحانية • حتى يجتازوا بهم هذا المقام النسالك • فيقطعون فلهم بادويتهم كل تلك الادواء التى يعدها الاطباء اسرارا وانوارا • لم لا

يزالون بهم حتى يصمدوا بهم الى المقصود تسوا . ولا مقصود في التصوف الحق الا معرفة الله . والعبودية المحضة . ولزوم العدل في السير اينما توجه الانسان . (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين)

اخبرني صاحب الترجمة : انه كان مفتوحا عليه في بداية أمره فتحا كبيرا في عالم الارواح وفي الكشوفات . فكثيرا ما يجتمع بروح النبي صلى الله عليه وسلم . وكثيرا ما يرى رؤيا . فتاتي مثل فلق الصبح . وأما تجلي الغيوبات يقظة . فقد وصل في ذلك ما انتشر انتشارا عند الناس . حتى اشتهر عند الناس بان سيدي سعيد يكاشف . فلا يجرى على لسانه شيء الا وقع كما قال . فكان الناس يقصدونه لذلك . فكانما ضربت باسمه الطبول . فنال شهرة كبيرة من هذه الناحية في صغره .

قال ثم لما اتصلت بالشيخ واخذت عنه . صرت كالصفاة الملساء . فلا سر ولا نور . كانني ما كنت بسعيد الولي الشهير عند الناس . وكان ربما يباسطني اذذاك ويقول : لقد كنا أولياء بلدنا قبل أن نلقى اباكم . ولكنكم افسدتمونا يا آل الشيخ . فرحمه الله . فما احلى مباسطته وما أعذب حلاوتها ان خرجت من فيه .

بشارط في مسجد (تيديلي) باداوتنان

في اواخر تلك السنة : ١٣٠٥ هـ وفي اوائل التي بعدها . شارط في مسجد (تيديلي) وهي قرية كبيرة من قبيلته . تصل فيها الجمعة . فكان بذاك نجم اسرته الثاقب . وكان ظاهره يعجب به الناس من معاريفه . ويبتهج به أفراد اسرته . ولكنه في الباطن لا يقنعه ذلك . ولا يزال يتطلب بعد ما ذاقه من الكاس من الشربة الاولى بملاقاته لشيخه الالغى أن يوالي الشربات منها حتى يستشف ثمالتها :

فمن يقتنع من طلعة بحبيبه ... فليس بمغنيني سوى رشف ظلمه

ومما يتعلق بالمترجم اذذاك : أنه كان حريصا على استيفاء (شرطه) من عند أهل القرية . قال : حتى اذا لم يبق الا تبن يابس . يعطون عادة منه لامام المسجد . تطلبته منهم . وقد كانوا يظنون أنه لا اواخذهم به . لكنني الححت حتى جمعوه لي . فطلعت به الى سطح المسجد . فقسمته قسمة قسمة . ثم أمرت الحاضرين من الرجال والصبيان . فطلعوا . فاستدار كل فريق بقسمة . فاكلوا . فقيل لي : ما دمت لا تريده لنفسك . لماذا الححت علينا في جمعه . فقلت لهم : لا مقصود عندي في جمع الشرط كله الا ان

اربكم عل ان تالفوا ناديه لانية المسجد . ولا يفسد الشرط الا من يسامحون فيه. وقد وص الشيخ ابن مسعود على استيفاء شرط مدرسته لذلك

يلتحق بشيخه فيتجرد

رجع الشيخ من الحج الى زاويته في مفتتح ربيع الاول : ١٣٠٦ وفي وفي اواخر هذه السنة خرج صاحب الترجمة من بلده قاصدا زاويه شيخه .

اخبرني سيدي ابرهيم التيزكيني الكدميوي خطيب مسجد (ايت سلمان) من (تيزكين) . قال كنت في تلك السنة اخذ عن سيدي عبد الله الركراكي بـ (المزار) من قبيلة (كسيمة) فتوجهت الى (حاحة) لغرض . فلقيت سيدي سعيدا في (تامراغت) وراء (اكادير) وعليه لباب جملة . فاخبرني انه يقصد الشيخ الالغي . فصاحبته فبات عندي في المدرسة بـ (المزار) فتوجه لطيته . واخبرت انه وجد هناك في (المزار) سيدي احمد الماسي مع سيدي الحاج محمد بن عدي الواعظ . وهذا الذاك صغير كما انخرط بين الفقراء . فاصحبه معه الماسي ليدله عل الطريق الى الزاوية (الالغية) اولا وليتعلم منه بعض الحروف ثانيا . فوصل صاحب الترجمة الزاوية ، وهو على رجليه مع نشاته في الرفاهية و البطالة العيش (١) فكان يناله نصب ومشقة فادحة في المشي . ولكن من عرف ما قصد ، هان عليه ما وجد . وأحب الاعمال الى الله أحمزها اى اشدها .

دخل الزاوية وليس فيها يوم دخوله من الفقراء الا بعض افراد . فارسله الشيخ ليلحقهم . وهم سائحون في قرى (الخ) وقد بانوا في (اكجكال) فهكذا ازداد في الطريقة (الالغية) هذا الركن العظيم الذي هو اعظم الاركان التي شيدت عليها . حتى بلغ سمكها اجواز السماوات والارض .

في هيأة الفقراء

كثيرا ما تثور حرب عوان بين الصوفية وبين الفقهاء في بعض عوائد اصطلح عليها الصوفة . كالمرقعة لبعض المجردين خاصة فيهجم الفقهاء عل الصوفية بسببها . ويرمونهم بانهم مبتدعون او مراءون بملابسها وملازمها فيرد عليهم الاخرون بادلة يوردون فيها آثارا واحاديث تدل عل

---

١) باهية بضم الهاء فسكون فتح مكسورة بعدها ياء مخففة . يقال : الهية العيش : اى رخاؤه .

أن لذلك اصلا . فيثور بينهم بسبب ذلك ما يثور . مما لا نريد نحن ان ندخل فيه . ولكن لو عرف الفقها أن الصوفية لايتخذونها ضربة لازب الا لأحد رجلين : اما رجل عرفوا منه رعونة وتكبرا . فارادوا أن يلبسوه ثياب المساكين ، لعل ذلك يقتبس منه باطنه . فيكون ذلك . كدواء خاص . لداء خاص . وللطبيب نظره الخاص فى العلاج . فمتى ثبت أنه دواء صحيح صحيح بالتجربة . فلا لوم على الطبيب ان داوى به داء عياء . وما أعظم العلاج الذى يزول به التكبر من النفوس . وأما رجل ارادوا منه أن يوجه وجهته لتصفية باطنه ، وليس له ما يستمد منه ما يستجد به الثياب دائما . فارادوا أن يخففوا عنه مؤونة اللباس . فيلبس ما تيسر . ليتربى أيضا على عدم التكلف . وهل هناك متيسر اكثر من المرقعات . وهذا أيضا نظر خاص فى زمن خاص . فى بيئة خاصة . ونحن نعلم أن لبس المرقعات فى الطريقة (الالفية) لا يكون الا لبعض المتجردين . وأما غيرهم فلا . ومن عرف فقر تلك البيئة السوسية . يعذر من يامرون بذلك . على أن توحيد الزى لاهل كل حرفة خاصة . كما فعله القاضى ابو يوسف للفقهاء . وكما يفعله دائما الملوك فى الجند . وكما تفعله الكشافة اليوم . أمر معروف مقبول . والانظار تختلف . والعقل لا يتخذ انتهجم دائما سلاحه . الا اذا لم يتخذ العقل وما يتعارف عند مختلفى الطوائف من الناس . من مستمدات ما يقول .

اخبرنى سيدى ابرهيم التيزكينى المتقدم : أنه لم يلبث كثيرا فى المدرسة (المزارية) حتى جاء الشيخ مع الطائفة . وبينهم سيدى سعيد وعليه مرقعة . قال . فقلت له : البسوكها . أأزالوا عنك ثيابك الجميلة ؟ قلت له ذلك تعجبا من حاله . ومن انقلابه عن السعة والجمال . الى التقشف والشظف . ومن الهباة المرموقة . الى هيأة زرية غير مرموقة .

ياخذ التفسير عن الشيخ

كانت عادة الشيخ رحمه الله : أن يعنى بترقية معارف أصحابه عناية عظمى . فكان لا يخليهم من بين دروس الارشاد . من دروس الحديث والتفسير والسير . حتى كان جل أصحابه الامين . فضلا عن القراء فى استحضار ذلك عجبا عجابا . مع انهم انما اتصل به غالبهم . وهم اميون جاهلون . فيتعلمون أولا الكتابة والتوحيد . وعلوم الصلاة وما اليها من الحلال والحرام . ونبذا كثيرا من الاحاديث . زيادة عن علوم الارشاد . وعلوم السلوك . مما فى الحكم العطائية . والعهود الشعرانية . والاحاديث الاربعينية النووية . فهذه الثلاثة مما يلزمون سماعها دائما

الشيخ علم الخير من هذه السنة السابعة، فكان يلقى دروسها بين العشائين دائما في السباحة • فكان صاحب الترجمة • وسيدي سعيد ابن عبد الله الايديكل • والعم ابرهيم • وسيدي احمد الفقيه • وسيدي الحسن الماسي • وسيدي محمد الهيكاوي الاكمساري • وسيدي الناجم السفرميسي وغيرهم من العلماء الذين تتابعوا في هذه السنوات • يرقون بفهم كتاب الله مداركهم • فتجلى بأنواره قلوبهم • فكانوا يتتبعون المعاني المقصودة من الآيات • وقلما يعملون الى تلك المحاكمة في البحوث اللفظية التي طفحت بها التفاسير • لان الشيخ ينهاهم عن الاشتغال بمثلها •

اخبرني سيدي الحسن الماسي : أن الشيخ وظائفه • باتوا مرة في دار سيدي الحاج احمد اليزيدي في (ايسي) قال فحين القى علينا الشيخ الدرس • قمنا الى محل • فصرنا نحن الطلبة نتحاكك حول الالفاظ على عادة الطلبة • فسمعنا الشيخ • فقال : ليس المطلوب منكم الا الاشتغال باللباب والغاء القشور • لان قشور الالفاظ هي التي حولتكم عنها في المدارس • واخبرني صاحب الترجمة انه تامل مرة اذذاك في قوله تعالى : (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل • أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • وكلا وعد الله الحسنى) •

قال : فقلت في نفسي : ان معنى الآية الظاهر • ما انذا فهمته • وليت شعري • ما معناها بالاشارة عند الصوفية الذين يقولون : انه توجد معان اخرى تؤخذ من الآية بحسب الاشارة • ولا تخالف المعنى المفهوم ظاهرا • قال : فراجعت التفاسير الميسرة في (الزاوية) كالخازن وامثاله • فلم ار شيئا • فحين جلس الشيخ للمذاكرة في مركع الزاوية القديمة • كما هي عادته بين العشائين دائما • وجهت اليه السؤال بقلبي • فقلت له ان كان لك مقام كمقامات كبار العارفين الذين نقرأ من اخبارهم ما نقرأ • من اطلاع الله لهم على قلوب اصحابهم متى شاء • فاخبرني الآن عن المقصود على طريق الاشارة • من هذه الآية • قال : فطوى الشيخ الكتاب في الحين • فالتفت الى بكلمته • فقال : قال الله تعالى (لا يستوي منكم من انفق ٠٠) الى آخر الآية : ان معناها بالاشارة : انه لايستوي من سلك مقام المجاهدة • ثم فتح عليه بعد ذلك • ومن فتح عليه بغية بلا مجاهدة • فانه وان كان لكل منهما مقام حسن • فان مقام الاول اعلى واجل • قال : فلما بين ذلك واستوفاه كما ينبغي • قلب وجهه الى الناس كما كان اولا • فراجعت مذاكرته الاولى • فعراني خجل عظيم • وحياء كبير منه • لان هذه تجربة للشيخ • والله نسدوا بالمزيد الذي يجرب شيخه هكذا • فتبت لله توبة نصوحا مما اقترفته •

يشاهد الروح النبوية سبعين مرة في ليلة

اسمع كثيرا من اصحاب الشيخ ان همة شيخهم وتربيته يحولان وجهاتهم دائما عن تطلب الاسرار . وعن التعرض لها . والاعتناء بالبحث عنها . ويحضهم على أن يجعلوا همهم في اخلاص العبودية . وان لايجعلوا هممهم فيما سواها . ومن تعرض له شيء مما يتعرض عادة من عالم الارواح للفقراء . ينهاه عن الوقوف معه . وعن عد ذلك من المزايا التي يتحلى بها المريد . وقد سمعت ان فقيرا متجردا يسمى القاضي من قبيلة (امانوز) كان وجه همته اياما حتى انكشف له الحجاب . فاذا به لايريد بصره عن عورات الناس وبواطنهم حجاب فهو يشاهد ذلك عيانا . فناله من ذلك غنت ومشقة . فشكا حاله الى الشيخ . فمال عليه بالعتاب المر . فقال له : انك انت الذي القيت نفسك في هذه الهوة حين جمعت همتك لنيل ذلك . اما اقول لكم دائما : لا تجعلوا هممكم الا في العبودية المحضة . واما هذه الكشوفات وراء الحجب ، فانما ذلك هتك لاسرار كانت المصلحة للعباد ان تبقى مستورة . ولو علم الله من ذلك خيرا عاجلا او آجلا للناس . لما جعلهم محجوبين عنها من أول وهلة . وها أنتذا (يا بهيمة (١) قد كلفت بتطلب ذلك بهمتك . حتى هتك الله عرضك بانتهاك الحجب امامك . وماذا للمريد من الاسرار ان انكشفت له الحجب عن الغيوب . ثم بعد أن اشتكى على الشيخ انقطع عنه ذلك في الحين بهمة الشيخ (كما يقول الفقراء)

واسمع كثيرا من الفقراء يقولون : ان من عظم تربية الشيخ التي تشهد له بالتفوق والتفوق بين شيوخ عصره . ان كل تلاميذه قلما يبتلون بمثل ذلك . وقلما يهتبلون به ان تعرض لهم اثناء الطريق . ولذلك لاتجد منهم مجذوبا واحدا مع أنهم آلاف . هذا ما اسمعه من امثال سيدي مولود . قالوا ولذلك لايكاد من يقع له مثل هذا يتصل بالشيخ. حتى ينقطع عنه بالكلية .

أقول : قد شاهدنا هذا بعينه . فيما حكاه صاحب الترجمة عن نفسه كما تقدم . قال : وبعد ذلك بكثير من الايام . عاودني الاشتياق الى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم . فشاهدته ليلة في المنام سبعين مرة . فقلت له : كيف هذه الاعداد الكثيرة ، وكيف أمكن لك حسابها . فقال: انني أراه . ثم يذهب عني حتى اشتاق اليه كثيرا . فاراه ثانيا . وهكذا حتى حسبت سبعين مرة في تلك الليلة . فكان ذلك بفضل الله عوضا عن الزمان

١) كلمة تجرى كثيرا على لسان الشيخ .

الكثير الذى لم أره فيه . منذ اتصلت بالشيخ حين انقطع عنى . حتى عرفت ان ذلك ليس هو المقصود بعينه . لان ذلك لايزال فى ميدان اتصال عبد بعبد . واين هذا من ميدان الاتصال بالله . الذى اليه كل شئ . (وان الى ربك المنتهى) فرجع الى حينئذ ما كنت الفته والحمد لله . وقد ذكر لى يوم ذاك ان سيدى ابرهيم بن القاضى الزنزمى الحاحى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فى كل عمره سبع مرات . فعد ذلك اعظم منقبة لـه . وعد ذلك هو النهاية فى المناقب . وها انذا رايته ليلة واحدة سبعين مرة . ثم لا اعد ذلك منقبة خاصة . ولا أرى ذلك هو المنتهى . وهذا كله ببركة ملاقاة الشيخ الكامل . الذى ينشد لسان حاله للذين يربيهم . ويعلمهم نحو المقام الاسنى قول القائل :

تركنـا البحـار الزاخرات وراءنـا فمن أين يدرى الناس انى توجهنا

هذا معنى ما ذكره لى رحمه الله . أخذته بالمعنى . كما لا ازال استحضره فى ذاكرتى مع طول الزمان .

فـالا يكنها او تكنه فانـه اخوهـا غذته امها بلبانهـا

(هذا وقد ذكر التامكونسى عن هذه الرؤيا أنها اثنا عشرة مرة . ولعل غلطا وقع له فى ذلك لاننى متثبت يوم حدثنى بذلك)

فى المجاهدات العظيمـة

ان جميع اصحاب الشيخ المتجردين . كان من العادة أن لا يذرهم الشيخ لانفسهم ليجاهد كل كيفما تيسر له . فيرسل له جهوده على حسب طاقته . بل كان يتولى بنفسه رسم الخطة لهم فى ذلك . فكان يملأ لهم آناء الليل واطراف النهار بمجاهدات شتى بينها لهم مجتمعين ومتفرقين . حتى ان اربعا وعشرين من ساعات اليوم والليلة يعمر لهم بنفسه نحو ثلثها باذكار جامعة . ومذاكرات فى مدارسات علوم الدين . من التوحيـد والفقـه . وافهم لمعنى السير والسلوك . واكباب على العلوم التى يستنير بها السالك فى دياجر الطريق من الحكم العطائية وامثالها . ثم ان الافذاذ منهم لايكتفون غالبا بذلك . بل يستوعبون بعض تلك الساعات التى تبقى لهم فى المجاهدة الفردية . فيكبون على ذكر الاسم الذى هو (الله) بشروطه . كلما افرطت مجالس الذكر الجامعة صباحا ومساء وبين الظهرين . خصوصا فى الاسحار . وحين تستقل المضاجع بالنائمين .

لا ازال استحضر وانا صغير ان طائفة المتجردين المنقطعين الى الشيخ

بالكلية • وفيما ادركت ازيد من المائة • اراهم اذا كانوا فى الزاوية (الالفية) فى غير اوقات مجالس الذكر العامة • ينفرد كل واحد منهم • اما الى ركن من اركان مصلى الزاوية واما الى جنب حائط هناك • فيستقبل القبلة • وهو ساكت خاشع • لايتحرك ولا يلتفت ولا ينبس • على الحالة التى حكاها الحليبى الفاسى عن العلامة الصالح محمد بن سعيد المرغتى فى مسجد (المواسين) بمراكش • من حين يصلى الصبح الى أن تطلع الشمس • وماكنا نعلم اذذاك ما كانوا يصنعون • وهم على تلك الحالة حتى عرفنا • فاذا هم يذكرون سرا ذكر الاسم (الله) كل بانفراد • وقد يجتمع المائة فى المصلى فيعمر بهم • ولكن كأنه خال • لا أنيس فيه ولا ديار • فلا حركة ولا همسا وكثيرا ما يكونون كذلك بعد العصر الى المغرب • وبعد الضحى الى الزوال • ونخبر انه يوجد منهم أيضا من يجلسون تلك الجلسة الليل كله • أو يقوم منهجدا اذ العيون نيام • ولم تبق عين تنظر الا الكواكب فى عليائها • لا أزال أتصور حالات الفقراء هذه من ذلك الوقت الى الآن • وقد انطبع ذلك فى ذاكرتى انطباعا • ومن لى أنا الآن بتلك الهمة • وباخلاص الوجهة الى الله وحده • فطوبى للمطبوعين على الخير • فياللهم اننا نحبهم فاحشرنا معهم•

هكذا يكون الفقراء كلهم أجمعون اكتعون ابتعون أبصعون • متى أعلنوا الشروط وهى عبارة عن لزوم الصمت • وان لايتجاوز بين اليوم والليل عدد معلوم من اللقم • وان لا ينام الا قدر معلوم من الساعات ان كان نوم، وان يقبل على الذكر بالحضور اقبالا كليا • فهذه الشروط الاربعة كان الفقراء فيما بينهم يعلنونها فينة بعد فينة • بحيث لايدمنون عليها كثيرا • ولا ينفكون عنها كثيرا • فاذا اعلنوها فان الصرامة والمراقبة التامتين من رؤساء الفقراء • مجردتان على كل واحد • فلا يقدر أحد أن يتخطاها • واذا أعلن ايضا عن اختتام ذلك ، فانه يبقى اختياريا من الافذاذ • وصاحب الترجمة ممن رزق الحظوة العجيبة • والمصابرة الغريبة • والعزيمة النافذة • متى توجه الى المجاهدات • فيلازم كثيرا هذه الشروط منفردا •

يخبر كثير من ثقات الفقراء : أنه ربما يبقى شهرين أو أكثر • وهو على هذه الرياسة العظيمة ، بمجاهدة لاتعرف السأم • ولا يحوم حولها الضجر •

فقد اخبرنى سيدى أبو بكر بن عمر الايليغى المتجرد رحمه الله انه كان شاهد منه فى ذلك مصابرة عظيمة • وهم فى سياحة مع ثلة من الفقراء الى قرية (الوكوم) فى (الفائجة) ١٣٢٢ هـ واخبرنى سيدى بلعيد المجاطى عنه بمثل ذلك • وهم سائحون مع الطائفة كلها • فى قبيلة (ايت بوعمران)

على ان ذلك مستفيض متواتر عنه • يتناقله كل الفقراء الذين ادركناهم • حتى أفاضوا في الذين تظهر منهم المرابطة والمصابرة في ثغور المجاهدات • وفي ميادين هذه الرياضات • وقد حكى لى سيدى محمد ـ فتحا ـ بن بلعيد المؤذن التنانى : أنه رآه بقى شهورا فى الصيام • ثم لايفطر الا على تمرات مع انه فى السياحة يمشى فى الطرقات • ويحضر فى المجالس • كأنه لا يضعف بما هو فيه •

ومن ذلك انه بقى سبع سنوات متصلة فى أوائل أمره • لا يضع فى رجله نعلا • فيمشى حافيا • ومثل هذا بلا شك • لا يقصد به الصوفيه التعبد • لانه لا أصل للتعبد بمثل ذلك • وانما يقصدون به الرياضة ومخالفة النفس فيما تحبه وتشتهيه • ولهم فى تهذيب النفس مآرب عظيمة واستنباط اسرارهم أدرى الناس بها • فكما أن للاطباء للاجساد أنظارا خاصة • كذلك لاطباء النفوس أنظارا خاصة • وان كان اكثر الناس المتعاقلين لا يعلمون •

هذا حاله ، الا أن سيدى محمد بن بلعيد المذكور • قال لى : ان سيدى سعيدا قال له : ان الفتح الذى وقع له ، وقع له فى الجمال والبسط ولم يقع له فى الجلال والقبض • ولذلك كان حاله جماليا ، لاجلاليا • منبسطا لامنقبضا • مستبشرا • لا مستبسرا • على ما هو معروف من حاله • حتى انه أحيانا يمعن اذذاك فى الطعام امعانا • رافة بضعفة الفقراء الذين يواكلونه حتى ليقال انه لايشبع • والغالب ان يفعل ذلك متى أناط به الشيخ مريدين مبتدئين • لم يألفوا التقليل من الطعام بعد • والحاصل أنه نضج بين الشدة والرخاء • وبين التنعم والاخشيشان • ولذلك صار متمكنا فى حاله • لاتهزه الاعاصير • ولا تستفزه زهرة الحياة الدنيا • على أنه مواظب على الذكر فى جميع احواله • والذكر منشور الولاية • كما يقول أرباب الفن •

وقد ادركنا منه رحمه الله ورضى عنه مع كبر سنه ، وضعف جسمه • وابتلائه بامراض مختلفة • مجاهدات دائمة • لا يفتر عنها • وكثرة أذكار صباحية ومسائية لابد ان يذكرها كلها • ولم يزل على حالته تلك • حتى انتقل الى قريته (ازيار) فاستجد تلك المجاهدات • وقد ثقلت عليه مخالطة الناس • وعظمت عليه مجالستهم • فقد زرته هناك • فاخبرتنى زوجه أختنا عائشة : أنه فى رمضان تلك السنة • ما مس جنبه الارض • وشغله الوحيد مدارسة القرءان • لايفتر عنه • وتلك عادته التى دأب عليها طيلة حياته •

انا الذى أحرر هذا الكتاب ، ممن ابتلى بشراسة تعتريني احيانا وحزونة خلق تثور منى فى بعض الأزمنة • ولا يعلم الا الله ما يلقاه منى من يكون تحت يدى • أو يمتحنون بمصاحبتى • أو يفاجأون بمجالستى • وانا فى هذه الحالة الثائرة • كأننى مسست بجنة • أو أصابنى اختلال فى عقلى • فكم ضرب صدر منى ظلما • وانا اتخبط فى تلك الشراسة • وكم كلمة بذيئة ، وتأنيب مؤلم وعذل فادح • وتقريع متجاوز لحدود المروءة • يفرط منى اذذاك • وعقلى كأنه مذهوب به • وتمييزى قد أذابته جمرة الغضب التى تتلظى بين جوانحى ولكن بفضل الله سرعان ما ينجاب عنى هذا الضباب • وتنكشف هذه الغمة • فاراجع نفسى • فارانى كأننى لأمت الى الانسانية بنسب • أو لا أجد من التحمل ما أسدله على ما يتبدى دائما من عورة الغضبان المشيح الذى ينتفض ويتخبط بيديه ورجليه فى صورة بذيئة • تزدريها العيون • وتستهجنها الابصار • فاستحقر نفسى استحقارا يجعلنى فى نظرى حيوانا شرسا • لا آدميا من بنى الانسان • فارجع فى الحين الى ذلك المسكين الذى تلقى صدماتى ، بصبر عجيب • وحلم غريب• وحسن ظن كبير • فأفيض عليه حنانا وشفقة ، ورقة • حتى لا أقدر ان اتحمل ثانيا • فأترامى عليه مستسمحا • فاما أن يسامحنى قلبا ولهجة ، وذلك غالب من يدورون بى جزاهم الله بكل خير • واما ان يسامحنى ظاهرا، على حين انه مطوى على ضغن يتحمله الى يوم ما • وانا الآن أعرف رجلا من اصحابى بمراكش وقفت معه هذا الموقف بعينه • فأطرق حين انطلقت عليه • ولكننى حين تراجعت واستسمحته سامحنى بلسانه • وفى صدره ما تنقد به أضلاعه ضغنا وغيظا • ولو كان المسكين يعلم ما أنا فيه تلك الساعة ، لرحمنى واشفق على • ولسدل على من مسامحته ما يضمد الجرح النغل الذى أحس به فى شغاف قلبى • وقد ندمت غاية الندم •

هذا موقف من مواقف الذين لم تدمث أخلاقهم • ولم تطب شمائلهم • ولم تتسع صدورهم • لتحمل الصدمات التى لابد منها لكل من يخالط المجتمع وان بلغ ما بلغ من الرقى والثقافة والعرفان والتهذيب •

دائما أقول : يا ليت لى مثل أخلاق سيدى سعيد التنانى • فانى لم ار من كل ما رأيت من يشبهه فى سعة الصدر • وفى ملاينة الناس • وفى دأنة الطباع • حتى ليكاد يكون أمة وحده فى ذلك •

كان الشيخ يكل اليه المبتدئين من الفقراء دائما • لما يعلمه من رأفة

ورقة قلبه • وكثرة شفقته • وعظم تحمله • وانه فى كل ذلك هو الطود الذى لا يتزلزل • والبحر الخضم الذى لا يكدره مكدر •

كثير من الفقراء المتجردين ، ما رآهم من بدايتهم ولا الفهم فى الطريقة حتى ذاقوا ما ذاقوا من الكأس الاول • ولاماشاهم من الحالة التى استصحبوها قبل أن يتصلوا بالفقراء • حتى وصلوا الى التكيف بكيفية تهديهم الى المقصود الا صاحب الترجمة وحده • حتى انه لما قيل له : قم للتربية • يوم انتقل الى بلده (أزيار) قال : اننا أمضينا ما كان مقدرا لنا فى التربية فى أيام الشيخ • ويقول كثيرون كسيدى مبارك أزكوك • انا استفدنا من سيدى سعيد ما لم نستفده من الشيخ •

كان الشيخ اذا فرق طائفة المتجردين جماعات جماعات • ليتفرقوا القرى من القبائل ليعلموا الدين • ويرشدوا الناس • وليعلموهم الحلال والحرام كان ينحرى ضعفة الفقراء المبتدئين • فيثبطهم بصاحب الترجمة • فيعلم المبتدئين حروف الهجاء • ومبادىء التوحيد • وفرائض الدين • ويميل الى الضعفة منهم بالرفق • فلا يدعهم يتكلفون من المجاهدات مايجعلهم ينبثون فى أثناء الطريق • فيزدادون بذلك ألفة للفقراء • وقد يرى بعض هؤلاء عند الاكل • لم يأخذ بعد القدر المطلوب الذى يكفيه لبنيته • فيقبل هو على القصعة أكلا لما • حتى انه ليسميه بعض الفقراء مباسطة بطن البقرة لذلك • وكان هو أيضا يباسطهم ويقول : كل من أكل كثيرا وخاف التخمة فليقل : انى أضفت بطنى لبطن سيدى سعيد النتانى فانه لا يتخم • ومثل ذلك ذكر عن أبى عبد الله القرشى • من رجال الرسالة القشيرية • وقد قال بعض الفقراء : جربت ذلك فصح ، والتجربة فى هذا من أقرب شىء لكل أكول حطم • وقد يمازح فيقول : أنا فى مقام الكلب • لاأعرف الا من يطعمنى •

ذلك جانب من خلق صاحب الترجمة ان كان بين الفقراء الذين هم كلهم جد فى جد • واذا اتصل بغيرهم استحال رجلا آخر اعظم اتساعا • واوسع باعا ، واعظم رفقا • فهو الذى أيقنت انه لايجالس أى انسان حتى يستحوذ عليه • ثم لايدخل اليه من الباب الذى يعتاد هو الدخول فيه والخروج • فتراه مع الطلبة واحدا منهم • فيغمرهم بحكاياتهم ونوادرهم وبمضحكاتهم • ثم لايشعرون حتى ينتشبوا فى شصه ، فيجدهم شيئا فشيئا • كما يفعل الصياد فى البحر • حين يمد قصبته بشصها • فلايزال بهم حتى يميلوا الى الله من غير قصد ولا نية • تراه مع العامة يجول فى مجالات خيالاتهم ويعيد لهم ما يالفون من المباحات • ولا يزال بهم ولسانه

يلهق كجابية الشيخ العراقى ـ كما يقول الشاعر ـ حتى يقعدوا بين يديه شاخصين بالابصار • ثم لايزال يفتل لهم فى الذروة والغارب (١) حتى يتوجهوا عن طيب نفس للوجهة التى يقودهم اليها وهم ينظرون • فقد شاهدته يعامل بعض عوام مجاط • من قبيلة (أيت عل) هذه المعاملة ، ثم صاروا بعد ذلك ممن ينتمون الى أهل الخير ويرون أنفسهم سعداء بذلك الانتماء • وهكذا أيضا يعامل القواد • والرؤساء والفقهاء ، فقد سمعته يقول فى القائد عياد الجرارى : انه يصدقنى ويعتبرنى ويرى لى أكثر مما يرى للشيخ • وكذلك فعل بفقهاء داخلهم فى الذى يعرفونه حتى جذبهم اليه جذبا • وناهيك بمن قدر أن ينقاد له القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمى والبقية الحسن بن ابرهيم التامرى • فانهما ينظران اليه نظرات اكبار • واما اذا التقى مع الصبيان أمثالى اذ ذاك • فهناك مباسطات ومفاكهات • وبعض احماضات • فها أنتذا ترى كيف استحوذ على بذلك • ثم لم أشعر حتى غرس فى قلبى جذور التصوف • وبذور الايمان بعبادته • فما زال ذلك ينمو حتى صار سرحة فينانة توتى أكلها كل حين باذن ربها • هذا على انه بعض المرات اذا انتهكت الحرمات • ورأى أن الصراحة هى النافعة • فسرعان مايثور اهتياجا • ولتسقط السماوات على الارض بعد ذلك • فقد رأنى يوما تعديت الحدود بينى وبين أخى الاكبر • فمال على ولم يبال بثورتى • ولا بحجر اهويت اليه به فى يدى • وقد شاهدته مرة أخرى مع الفقير سيدى محمد البصير الذى هو كبواب الزاوية فى مقاومة ومقارعة من أجل أن ذلك كان من عادته أن يسىء الادب مع بعض الاضياف من الطلبة الذين ينتابون الزاوية • فكانت تلك المقاومة عندى عجبا منه الى الآن • لانها منه بيضة الديك فيما رأيته منه • ولكن :

اذا لم يكن الا الاسنة مركب فلا رأى للمضطر الا ركوبها

وقد اعتقل يوما فى الزاوية شيخ مسن ظلما وعدوانا • فقاوم المعتقلين بكل ما فيه من قوة • ولم تأخذه فى ذلك لومة لائم • بعد ما أدى ما فى مستطاعه •

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد القوم اصدرا

---

١) الذروة : السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق • والمعنى : أى يحتال لهم •

هذه نظرة قصيرة على اخلاقه • وهو رحمه الله عين تلك الاخلاق وحدها وفيها ترجمته الكاملة •

يخرق العادة في بلده

تقرأ في بعض تراجم الكبار الدرقاويين من اصحاب سيدى على الجمل ومولاى العربى • والبوزيدى • وابن عجيبة : انهم يخرقون العادة • وترى ذلك أيضا فى ترجمة الشيخ الالغى • والفقيه الحاج صالح الاكمارى • والشيخ سيدى ابرهيم التازروالتى وآخرين • ولكى تدرك مغزى ذلك ومدلوله عند هؤلاء القوم فاستمع لما يتلى اليك :

خرق العادة : هو عبارة عن ظهور كبير عظيم الجاه • كان يحترم بين معاريفه ، اما بالعلم واما بالرياسة • ونفسه قد الفت الكبرياء بينهم • فيظهر بحالة زرية تقتحمه فيها الابصار • وتستسمجه فيها العيون • وحين كانت التربية فى الطريقة تدور على الاخلاق والتهذيب ومداواة ادواء النفوس • اصطلحوا على أن كل من آنس منه شيخه تعاليا وغطرسة وانفة ورؤية السمو على غيره • يومر من عند شيخه فى التربية ان يظهر بين من كانوا يعرفونه بذلك بمظهر المسكنة والذلة والتباله • حتى يستقذروه ويصغر فى أعينهم • فتدرك النفس أنها محتقرة صاغرة ذليلة • فتطامن راسها • وترى نفسها أدون الناس • فتدرك بذلك الذل العبودية المحضة ومن عرف نفسه بالذل والعبودية • يعرف ربه بالعزة والربوبية •

ومن اقوال القوم فى ذلك : كيف تريد المنزلة عند الله ، وانت تريدها عند الناس• وقالوا : ان المة لاتكون الا للضعفة• ويتلون قوله تعلى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) فذلك هو مداول عبارتهم : (خرق العادة) وتلك ثمرتها • وذلك ما يحملهم عليها • ولذلك لا يامر بها أشياخ التربية الا بعض المريدين فقط •ممن يعرفون ان كبرياءهم لا تزول الا بذلك • وليس ذلك حتما مفروضا • ثم تظهر الفائدة فى الاخلاص • والاخلاص فى العمل هو المطلوب الاقصى فى تربية القوم • فاذا عرفت هذا وادركت السوابق واللواحق • سهل عليك تصور ما يعنونه وما يهتمون به • هذا هو ملحظهم • واما كون الاسلام لم يرد بمثل ذلك فى معالجة داء الكبر • وكل ما أم يرد به الاسلام • فانه لايشرع لاى مسلم • فتلك مجاذبة فى الحجج والبراهين • نحن اصغر من ان نكون القوامين على موازينها • ولذلك نطوى تلك الحجج والردود عليها طا • وحسبنا نحن ان نكون مؤرخين• نأتى بالوقائع كماهى

بعد سنوات قليلة • رافق فيها صاحب الترجمة الفقراء • أمره الشيخ وهو سائح فى (حاحة) ان يذهب ليخرق العادة فى سوق الثلاثاء بـ (تانكرت) وفى قريته • فبينما السوق حافلة • واخواله آل الطبيب الاغرغازيون الوجهاء فى السوق اذا بابن اختهم وسبطهم الفقيه الولى الشهير بينهم • قد ولج بهرة الناس السوق • فى مرقعة تعددت الوانها • كأنما نسجت من قوس قزح • وعلى عاتقه مزود مفتوح الاسفل • وهو يمد يديه متكففا • ورأسه حاسر • وهو ينادى بأعلى صوته وقد حملق بعينيه : ألا من يمدنى بفلس لله • ألا من يميط عنى هذا الجوع المتاجج فى مصارينى بكسرة من الخبز لله • الا من يشفق على • فيناولنى مما عنده لله • يقول ذلك • والصبيان سيل جرار وراءه • ورجال القبيلة يتنادون : ان الفقيه سيدى سعيدا الازيارى قد اختل عقله • فيقول هذا : فوارحمة والده العالم الكبير سيدى محمد • فقد رزئ أفضل ولد • ويقول آخر ليت شعرى كيف يرضى اخواله آل الطبيب وهم من رؤساء القبيلة ووجهائها واغنيائها أن يتكفف ولد بنتهم أمام دكاكين السوق • فتموجت السوق بذلك • فيثور ثائر اخواله • فلا يحتملون صبرا • ولا يطيقون أن تشاهد أعينهم منظرا تذوب به أفئدتهم فى الصدور • فيجولون على بغالهم • فيغادرون السوق قبل أن يصل الوقت الذى يغادرون فيه السوق دائما • وممن أخبرنى بهذا الحديث : مؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد • هذا الذى لايزال حيا • وقد حضر يومذاك •

قال كان اذ ذاك لايزال شابا غريقا • كما اتصل بالطريقة • وقد ذاق منها أذواقا • فقلت له : وكيف كان سيدى سعيد يجمع فى السوق • فقال: كان اذا تناول فضة القاها فى جيبه • وان تناول فلوسا ، القاها فى الجراب المثقوب للصبيان الذين يتبعونه • وفى العشى راح الى قرية (أزيار) حيث والده المبجل المحترم ، فقيه القبيلة • سيدى محمد بن أحمد الذيبى • ويعلم الله كيف كان يتلقى هذه الصدمة العنيفة ، وبأى وجه يقابل ولده • وهو الذى كان يقول له فى أول اتصاله بطريقة الصوفية ـ كما كان يحكيه صاحب الترجمة دائما ـ آلان خبت فى دراسة ما تدرسه فى العلوم • ولم تنل منه مبلغا عاليا • ملت الى هذه الحالة الجديدة • فقل لى بالله : ماذا تنطلبون بعد فى طريقتكم هذه • فها أنتم أولاء مسلمون • وهذا كتاب الله بينكم • وهذا مفتاحه فى ايديكم فقد أخذتم من العلوم ما تتفهمونه به • أتريدون أن تطيروا فى اجواز السماء • وذلك ليس لكم • لان الخلق الذى كونه الله للطيران ، قد جعل له من الاجنحة ما يحلق به فى الجو • فى كلام

مثل هذا . فان كان يجلله بمثل هذا للمانيب قبل أن يجول فى هذه الحالة الجديدة . فاى شىء تراه يقابله به الآن . الا اذا طوى راسه تحت جناحه . وترك الامور تجرى فى ميادينها كما تشاء التصاريف .

اخبرنى المؤذن المذكور أن صاحب الترجمة وقد رجع من السوق الى قرية (ازيار) كان يتناول من عصيدة او من كسكس ملتوت باللبن . والقصعة أمامه . فتناول منه حفنة بيده . فوضعها على راس أخ له صغير اذ ذاك . وهو بذؤابتيه . فصار يلطخه بها . كما تفعل نساء باديتنا باخلاء الملتوت على رؤوس الصبيان . والصبى يبكى . وقد اجتمعت عليه سحابة من الذباب . فصار صاحب الترجمة يقول : اولاترون هذا الذباب المسكين يتناول أيضا بدوره من الطعام . فلماذا لاتشفقون عليه . فتقدمون له من الطعام ما تقدمون لانفسكم . اولا تحبون الا النحل الذى يصنع لكم العسل .

قال : وكان أيضا فى مسجد القرية . فوقف بين مصراعى الباب بعد صلاة الظهر . ومد رجليه . فابى ان يترك من فى الداخل أن يخرجوا . فامر كل الناس أن يشتغلوا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وحصرهم هنالك الى العصر . وما قدر أحد أن يخرج . وصار أيضا بين الناس ينادى : من يعطينى اثنتى عشر بسيطة لله . فصار يرد على كل من اتاه بما دونها . حتى أتاه رجل أحسن فيه النية بذلك القدر . فكان يجمعه ويلم كل ما اخذه ويحسبه أمامهم . والناس ينظرون ويقولون : هذا ابله طامع . فيسقط من أعينهم فى حكايات كثيرة . شبيهة بهذه . قال المؤذن : فلاقانى مع الفقير سيدى سعيد الاسحاقى منفردين . وقد عرفنا نحن أنه انما تباله وتحامق . فوصانا بالاجتهاد وقال انى تركت الشيخ فى (اداوتغما) قال فلحقنا به هنالك فى موسم سيدى (محمد اوشن) فانقطعنا الى الفقراء المتجردين من ذلك اليوم . كما رجع أيضا صاحب الترجمة الى الشيخ . وقد فعل ما أمره به . واعطى تلك الدراهم التى جمعها لضعفة الفقراء . فاكتسوا بها . فهذه قصته فى ذلك كتبناها حسب ما وصلنا وما علينا الا اداء الامانة كما هى . وهل وظيفة المؤرخين الا كذلك . فليعدها نافهة من شاء . وليعدها منقبة من شاء . فلا دخل للمؤرخ فى ذلك .

فى النساخة

كان الشيخ اشتغل بترجمة مجموع الامير فى الفقه بالشلحة للفقراء فيما بين ١٣٠٨ هـ = ١٣١٦ هـ فكان كل ما بيضه يستخرجه صاحب الترجمة وسيدى الحسن الماسى . وسيدى محمد الاكهارى مع اشتغالهما

بنسخ مجموع الامير العربي . ينسخونه من نسخة استعارها الشيخ من الاستاذ سيدى الحاج عبد الحميد اليعقوبي . وكان صاحب الترجمة . يكتب مع ذلك كتبا اخرى لنفسه . فكم كتاب طب نسخ . وكم قصائد نقل . وقد رايت له شرح العاصمية كتبه كله . ولا استحضر الآن هل هو التاودى أو السنوسى . وفى الزاوية (الالفية) مصحف مجزأ . مما كتب بعضه قديما قبل ان يتصل بالشيخ . ثم اتمه فى السنة السابعة . كما شاهدت ايضا مجموعا متوسطا فيه قصائد صوفية ونبوية انتسخه من مجموع كان الشيخ جمعه قديما . وهناك مجاميع اخرى متعددة . كتبها فى أيام تجريده . كما كتب ايضا شرح التائية لابن الفارض . وكتابا شلحيا رأيته عند نسائنا فى الدار . واقدر ما نسخه مما تقدم ومن غيره . يصل : خمسة عشر مجلدا كبيرا .

وقد كان مولعا بالجداول . يملا بها حوشى كتبه . ولا ريب ان علم الجداول له منه نصيب . وان كان لا يتظاهر به . وقد حدثنى سيدى أبو بكر بن عمر انه كان فى سياحته معه الى (الوكوم) رآه فى رياضة شديدة دائمة وفى يوم أمره أن يأتى اليه بفحم متقد فى مجمرة . فخرجا معا الى خارج القرية . قال : فابتعد عنى ما شاء الله . ثم رجع . فاذا هو طابعا أحمر على كفه . واكنه لم يخبرنى بشىء . ولا سالته انا ايضا عن ذلك .

وهكذا كان صاحب سر لا يبض منه بشىء . وكان يعيب علينا نحن اولاد الشيخ اننا لا نصون الاسرار . قال الا ما كان من سيدى محمد وحده.

هكذا كانت همته فى كل شىء : فى التقييد والنسخ والمطالعة . هذا كله مع قيامه بكل ما يقوم به الفقراء من خدمة الزاوية فى كل شىء شىء . ومن لزومه مجالس الذكر . لا يقوم عنها حتى تختم . وكان طلعة لمعرفة كل شىء ولو غريبا . متطلعا الى ازدياد العلم . فلا يرى ما يعجبه الا نسخه ما امكن له ذلك .

اما خطه البارع . فهو فيه ابن مقلة الثانى . خط رائق لا يحوم حول هذا التلاعب بالحروف كما يبدو من الخط المخزنى الجديد . او بعض الفاسى الذى انحرف بعضه عن الطريقة المثلى . وقلما رايت خطه فى استقامة الالفات وظهور الزوايا المتوازية بين الحروف التى ينعطف منها جانب على جانب نظيرا . وكان متى أراد ان يكتب يحتفل لذلك فى القلم والمداد . ثم لا يضع حرفا حتى يضعه بتان ولطف . فتجىء مخطوطاته نزهة العيون . وعقلة المستوفز . وكان هو الكاتب الرسمى لرسائل الشيخ التى يبعثها الى من أراد . ان لم يتول الشيخ ذلك بيده . ولذلك تجد بخطه

من غالب الرسائل بين الصادره عن الشيخ الاوا مؤلفة في كل ناحية كان فيها الفقراء اذذاك . وكان رحمه الله اذا رأى منا الاعجاب بخطه الرائع ، ودهشنا من رونقه يقول : ان هذا ليس بشيء اذا خط والدي . ثم لما رأينا خط والده في مصحف . وجدناه دون خط شيخنا بدرجات . ولعبد الله الاخ . عناية بالتشبه بخطه . ولكن لا تزال بينهما أشواط . ولكن ان سار على الدرب فلابد ان يصل يوما ما .

الشيخ يربيه بعد عشرين سنة

فرانا فيما سبق أن صاحب الترجمة تربى فيما يتربى به أولاد الفقهاء الذين لهم حرمة وبعض ثروة ، وكما يتربى الطلبة الذين يلزمون بيوت الكتائب القرآنية ، ثم حوانيت المدرسة العلمية . فامضى في ذلك ربع قرن في حياته . وقد كان جسمه مترهلا ومائلا الى البدانة . وعظامه نحيلة . وجلده رقيق . يكسوه شفق من الدم الجاري اللماع . لون الذين يلزمون الظلال . ويديمون الجلوس . فمن هناك ينبغي للقارىء أن يتصور المشقة الفادحة التي يصطدم واياها صاحب الترجمة يوم يتصل بالشيخ الذي كان فريدا في جده وفي اجتهاده في جميع احواله كلها . والفضل من غير عن ذلك الفقير سيدي بلقاسم الحجام الهواري من قدماء اصحاب الشيخ المجردين اذ قال :

لايمكن أن يصاحب الشيخ الا من كان في أوصاف الاعصار الذي لايمل جريا وفي بعض صفات الجندب الذي لايمل من اطلاق صوته في زمن الصيف دائما ، فالشيخ اذا ركب جعل المهماز في شاكلة البغلة . يسوق جميع الفقراء امامه وويل لمن تاخر الا لعذر واضح . والذكر بالجهر لايزال يأمر به الفقراء في جميع أحوالهم جالسين او قائمين مقيمين او مسافرين ، فلا نسمع منهم الا الذكر في كل وقت . وكما ان هذه حاله في الاذكار في المجالس وفي السياحات ، فكذلك ان وقف على شغل من أشغال الزاوية مما يزاوله الفقراء . فانه لا يذرهم ساكتين عن الاذكار . كما انه يلهبهم باستنهاض لائح في الاقبال على ما هم فيه . وتحكى عنه في ذلك حكايات غريبه . فبذلك كله تدرك منتهى صبر هؤلاء الفقهاء الضعفة البنية الذين ارادوا أن يقتبسوا الأنوار من هذه الشواهق الحوالق . التي لايصل الطالع الى قممها حتى يبلغ من دونه جهودا لبلغ النفس بها التراقي . هذا كله مع الرياضات المتقدمة من جوع وحفى وصمت عن الكلام المباح . وسهر وقلة اليد عن جميع العوالم علوها وسفلها . فكم فقير صادق النية ، قصد الشيخ ، ولكنه لايستطيع هذه الصدمات . فينفلت بغير وداع .

وذلك قبل ان يذوق • واما ان ذاق ، فانه يعض على ما ذاق منه بالنواجذ عضا • وكانت (الغ) بلدة جرداء منبسطة • يسيل الى بطاحها من منفتح (تيفرميت) الصرة الفارض • والريح الصرصر الذى يهب بسم لاذع شديد الوقع على الاعضاء • حتى لتتصلب من التجمد الدماء فى العروق • فتصور ضعاف البنية مثل صاحب الترجمة ان كان يتعرض بنحافة جسمه لذلك كله على مختلف الفصول • وهو يتتبع مزروعات الزاوية مع الفقراء حصادا على ان الوقت للحصاد ليس بفصل البرد • فضلا عن الفصول الاخرى التى تصل فيها شدة البرودة منتهاها • حتى ان الفقراء ليقولون : ان زاوية(الغ) مجزرة النفوس • وذلك لعمرى صدق ملموس ومشاهد كالشمس فى رابعة النهار •

فى نحو : ١٣٢٤ هـ كان صاحب الترجمة فى سياحة • فبلغ به الاعياء مبلغا عظيما • ووصل صبره منتهاه • فقال لبعض من معه : اطلب الله أن يريحنى من حصاد هذه السنة • فانه ليست لى طاقة بعد للشغل • ولم تبق لى مقدرة تزاول أى عمل • فقد بلغ الخزام الطبيين • ولكن اطلب الله مع ذلك : أن لايكون العذر اساءة أدب مع الشيخ • ولا مرضا ولا ما الى ذلك فما كاد يصل من تلك السياحة • حتى وجد امامه طلبه ملبى • ودعاءه مستجابا •

فى تعليم محمد ولد شيخه

كان اخونا الاكبر قد اعتنى به الوالد عناية كبرى فى حفظ كتاب الله كما اعتنى كذلك بجميع أولاده بعده فى ذلك • فاستتم استظهاره أواخر سنة : ١٣٢٤ هـ فرأى الشيخ ، وهو الذى يعلم من أين توكل الكتف • ان بزج بولده الذى يرشحه المنيابة عنه فى أهله بعده فى بيئة صالحة • فلا يخرج به عن دائرة الفقراء • فليزج به فى وسطهم • لعله يحظى من تربيتهم بما تعود عليه بركته • ويجده دعامة له فى مستقبل حياته • وقد علم ايضا كيف الحالة الاجتماعية فى المدارس العلمية السوسية وانها تحتوى على جراثيم ومكروبات من فساد للاخلاق • قلما يقدر من تأصلت فيه وانشبت فى شرايينه اظفارها أن يتملص منها طوال حياته • فاختار لولده أن لايحوم به حول ذلك الحمى • وان لايباعده عن وسط الفقراء الذى فيه كل خير • ثم ان ما كان قدر له من المعارف سيتوصل به بادنى سبب • فكان الشيخ بعد أن تولى تعليمه فى فصل الشتاء بتلك السنة فى متون المبادىء • لا يتأتى له من المثابرة معه ما ينبغى • فلذلك رأى أن يدفعه لصاحب الترجمة • ليكون له ذلك اولا تذكرة المقواعد التى نسيها بين

الفقراء . ولجعل له شغلا يقوم به ان قام الفقراء باشغال الزاوية . ومن القواعد عند هؤلاء المربين ، ان شغل المريد بشيء كيفما كان . اول من تفرغه للهواجس التي لاتنهمر على صاحبها الا متى بقي فارغا . ومن حكمهم في ذلك : النفس ان لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل . قال صاحب الترجمة هكذا اراحني الشيخ من ناحية . والقائي من ناحية اخرى في اشغال معية ايضا . لان هذه القواعد العلمية قد كان نصيبي منها اولا قليلا . وكانت معارفي التي تلقيتها بادئ ذي بدء في مدرسة (ايسقال) ضئيلة . حتى انني لما توصلت برسالة الشيخ المسماة : (عقد الجمان) ففرات منها (قليلا وقاليا) تحريت في معنى القالب ، فلم ادركه . لان حظي في اللغة من الضؤولة بمكان . ثم انني حين اتصلت بولد الشيخ ، رجعت الى القواعد التي كنت عرفتها . والى الحدود النحوية التي كنت استظهرت منها ، فاذا انا منها صفر . فساق الله الى الفقيه سيدي احمد بن مسعود المعدري . ونحن اذ ذاك مع الشيخ بالمعدر .والفقراء في حصاد المزارع التي للزاوية هناك . فكنت اراجعه . ويفيدني عن كل درس درس . وكذلك كنت اسأل سيدي موسى بن الطيب . فبذلك تاتى لي ان أؤدي من التعليم ما عل . ثم انه مر بالفنون الصغرى مع تليذه سيدي محمد في الزاوية . وفي الساحات بـ(الغ) وفي جبـال (ايت صواب) وفي (اداوزكرى) وفـي «الزمار» وفي (اداونتان) الى (مراكش) سنة : ١٣٢٧ هـ فمكث لديـه ثلاث سنـوات . شدا فيها ، وتقدم أشواطا . وكان يستفرغ جهده في تعليمه وفي تهذيبه وتاديبه مع صعوبة ذلك على التلميذ . في وسطهو كله احترام له وتقبيل راس . ومنح هدايا . والشباب قد اقبل بعنفوانه . ووسوسة الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم . تقلقل التلميذ الشاب النشيط . وكـان يعركه عركات غير هينة . فمهدي به وقد أعد حبلا غليظا يلعفه به فينة بعد فينة . حتى اذا دخلت سنة : ١٣٢٨ هـ ومضى فيها مـا شاء الله . أرسل الشيـخ التلميذ الى المدرسة (البوتعمانية) عنـد الاستاذ سيـدي محمد بن مسعود المعدري .

وقد حكى المترجم انه في سياحة ١٣٢٧ هـ ماشي سيدي محمد بـن مسعود ، فرايا معـا التلميـذ يجري على رمكـة بن الفقراء . فعاتب ابن مسعود سيدي سعيدا على اطلاقه العنان للتلميذ . قال فلما دفعه النصح له قلت له : ها هو ذا بيدك اليوم . فحاول امساك عنانه الآن ان استطعت . وقد كان ذلك راحة لصاحب الترجمة من ناحية ، اوصلـه الى راحة اخرى فقد كان منذ اتصل بولد شيخه لقد له الشيخ بغلة يركب عليها . واذن له

فى لبس الملابس اللينة التى تتيسر له • فكان ذلك اذنا عاما • وايذانا ان عهد تربيته قد انقضى • وان شأنه قد علا ، وان مقامه قد تسنم الذرى • وان رحبقه قد تعتق • وانه املص من الانشوطة • فليكن حرا •

يستخلفه الشيخ في (مراكش)

عند تهيىء الشيخ : ١٣٢٨ هـ للتوجه الى السياحة التى عزم أن تصل الى (مراكش) غادر ولده سيدى محمدا عند الاستاذ ابن مسعود المعدرى • وعند وصوله تلك المدينة ، وقد حصل له فيها من الاقبال ما حصل • وقد تأسست زاويته فى (النرميلة) بباب دكالة • على يد سيدى ابرهيم بن مبارك الركانبى وعلى يد سيدى الحاج ادريس الورزازى قاضى الحمراء (بعد ذلك الحين) ، وعلى يد الفاسيين الذين تلمذوا للشيخ : الحاج العربى برادة واخيه الحاج حماد وغيرهما • فنزل الشيخ فيها • واقبل عليه أهل حومة (باب دكالة) اقبالا عظيما حتى ان الزاوية ضاقت بالناس • فجلس للناس فى (جامع) باب دكالة الفسيح ، فقام أهل الحومة بما قاموا به من الضيافة على ما هو مشهور • فعند ارادة الشيخ الرحلة من(الحمراء) جمع كل من أخذ عنه فيها ، فأراهم صاحب النرجمة • وقال لهم : ان هذا هو خليفتى عليكم وكل ما تريدونه منى تجدونه لديه •

سمعت سيدى سعيدا يقول : هكذا تركنى الشيخ عند أولئك الحضريين، ـ وانا كطل بدوى ـ أبعد الناس عن معاشاتهم فى أخلاقهم وآدابهم فضلا عن أذواقهم ، فكانوا ينتابوننى وانا لا أدرى كيف أمشى معهم • حتى تبين لى ان اعتكف • وتقوى ذلك فى باطنى ، بعد ما كان عندى اذن بذلك من الشيخ فاعتكفت فى المسجد الجامع بباب دكالة فى آخررمضان بتلك السنة ١٣٢٨ هـ وسمعت ثقة يحكى عن صاحب النرجمة انه قال له : ان الشيخ بعد ان ارانى لاهل المدينة • ونوه بى أمامهم • نادانى وحده • وهو فى الغرفة العليا فى الزاوية • عن يمين الداخل • فقال لى : اننى وان قلت فيك ما قلت • واذنت لك فيما أذنت • فاعلم اننى وانني • • • وذكر أمورا ليس هذا محل كتبها • والمقصود بها أن لاتعظم نفس سعيد • وان لايظن ان له مقاما اعظم مما هو له • قال : فامد ظلى من ناحية • وقلصه من ناحية أخرى • فكان ذلك سبب أن لويت رأسى تحت طى جناحى •

وقد وقعت له هناك قضية مع سيدى مبارك أزكوك • ازاء الذين جاءوا ليمتحنوه • ظهر فيها مقام سيدى مبارك الامى على علماء حضريين (١)

١) فصلت الحكاية فى غير هذا الكتاب • اما فى (الترياق) واما فى (منية المتطلعين) • وكلاهما مطبوع •

وقد حدثني القاضيان : الحاج ادريس الوارزازي وابن العربي الدكالي والتاجران الايران : الحاج العربي برادة ، والحاج حماد الخوه • وآخرون كثيرون عنه اذ ذاك • زيادة على الفقراء المتجردين الذين معه حينئذ • حكايات عديدة وقعت له هناك مع أناس • ومحادثات شتى • ويحكي هو ايضا عن ذلك العهد وكان مما يحدثني به كثيرا مشاهدته لشيخ الاسلام ابي شعيب الدكالي • فيذكر عن حفظه وذلاقة لسانه • واستحضاره وخوضه في كل فن اعاجيب • ومن فيه ـ وهو يحدث عما رآه منه في ذلك الطور ـ سمعت اول مرة باسم شيخنا هذا وسبقت الى محبته بطريق الاذن قبل العين (والاذن تعشق قبل العين احيانا) ثم لما رأيته سنة ١٣٤٢ هـ على المنبر في مسجد (المواسين) • وجدته كجعفر بن فلاح • الذي قال فيه ابن هانئ الاندلسي • وهذا مما حفظناه من دروس هذا الاستاذ بعد ذلك :

كانت مسائلة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت ... اذني بأحسن مما قد رأى بصري

ثم بعد ذلك غادر المترجم (الحمراء) فساح على الفقراء في (الحوز) الى ان وصل (تيزكين) من قبيلة (كدميوة) وهناك زاوية من زوايا الشيخ ، وفيها ثلة من الفقراء المتجردين ، كالحاج محمد البوطيبي الهشتوكي ، وسيدي الحسن البراييمي واهل (تيزكين) اذذاك كلهم في الطريقة (الالغية) فحرقى الى الاذان خاصتهم وعامتهم • فلبث هناك ما شاء الله ، ثم توجه في طريقه الى الزاوية (الالغية) مع ثلة من الفقراء حتى وصل (اداوزيكى) وهي قبيلة كادت اذ ذاك كلها تكون الغية الطريقة • كبيرا وصغيرا • ذكورا واناثا • فهناك لاقاه رسول الشيخ يأمره بالرجوع الى (الحوز) وان لا يأتي الى الزاوية فرجع •

يسقط عن البغلة

عجبا من هذه الارواح التي استأثر الله بكنهها • ولم يطلع غيره على شيء من سرها • الا على قبس يتنوره من ولوا وجهاتهم الى الرياضات والخلوات وجمعوا الهمم في اكتشاف ماهنالك • فينجلي لهم ذلك اما ليحفزهم الى الامام واما ليقطعهم عما هم فيه من السير الى الملأ الأعلى •

كان صاحب الترجمة راكبا على البغلة • عند وقت العصر ! ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٢٨هـ • فاذا به لم يملك نفسه ، فخر عن مركوبه • وهو ما هو نحافة عظم ، وضعف بنية • وخصوصا بعد ان اوناح من الأنصاب والاتعاب والمشي على الاقدام • منذ ان التحق بمعليم ولد شيخه كما تقدم • حتى انه منذ

ذلك العهد وحمه يرحل • وامراض مختلفة تنوال على بدنه • وما كان منذ خروجه من (مراكش) فى هذه الاوبة الى (سوس) ليقدر ان يسير على رجليه كما كان قبل • فكان كل من مر به يعيره مركوبا الى أن يصل آخر ، ومن هذا كله يدرك ما سيعانيه من هذه السقطة التى رقد بها اياما • ثم كلف ان ينوجه بعد ابلاله الى (الحوز) حتى لايتاخر عن الامتثال لأمر شيخه وهو من هو فى المحافظة على مثل ذلك فى جميع أحواله كلها •

بطرقه نعى شيخـه

فاتت نفس شيخه وقت العصر : ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٢٨ هـ فى الوقت الذى حصلت له فيه تلك السقطة • فهل ما حصل له من الصدف لاغير • والحافر قد يقـع عـلى الحافر • والعوالم متشابهات الآثار • والمصادفات ما اكثرها فى حياة الانسان ، ولاجديد تحت الشمس • أو ذلك من أثر اتصال بين الروحين • روح التلميذ وروح الشيخ • حتى ان أحداهما تأثرت بما تأثرت به الاخرى • اما من لم تكن له نظرات فى الارواح • ولا كانت لـه فى علومها جولات • ولا طالع من كتب أهلها ما يرقق شعـوره • ويوجـه وجهته نحوها • فانه لايقول فى ذلك الا انه مصادفة • واما الصوفية ومن اليهم من كل من خـدم العالـم الروحـانى من أى جهـة حتى مـن جهـة (اسبريتيزم) فانهم لا يستبعدون أن تشعر روح بروح مـن بعيـد شعورا باطنيا • وان يشتد بينهما اتصال • حتى تحس احداهما بالاخرى على أن ذلك يتوقف على الاخبار بذلك من أصحاب دينك الروحـين • وان يكونـا صادقـين فيما يقولان • وهذه القضية لم اسمع أن صاحب الترجمة ذكر حولها شيئا • ولا روجها فى الحوار بينه وبـين أى انسان آخر • وانمـا اولع بذلك بعض الفقراء • وحسبوها له كرامة • وهو رحمه الله أهل لكل كرامة • ولكن ما أفضل الوقوف عند مـا لم يسمعه الانسان • ومـا أولى العاقل ان يبتعد عن الرجم بالغيب (ولا تقف ما ليس لك بـه عـلم • ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) •

توفى الشيخ فكتبت الرسائل بنعيه • وابردت البرد الى كل صوب وتفرق الفقراء الحاضرون فى الزاويـة (الالغيـة) الى كل جهة فيها الفقراء والزوايا ، فوصلت اليه رسالة من هذه الرسائل • فولى وجهته الى الزاوية (الالغية) فوصلها فى أواخر المحرم وقد اجتمع فيها جميع الفقراء المتجردين الذين كانوا فى السياحات • فرقهم الشيخ فى (انزكان) من قبيلة(كسيمة) فى أول رمضان • فما عتم بعد ان وصل • ان توفى فى ذى الحجة رحمه الله

صاحب الترجمة كرئيس في الزاوية

استخلف الشيخ في وصيته ولده محمدا • واوصى الفقراء ان يقوموا بزاويته ما داموا في الحياة • وندد بالمريدين الذين يتفرقون عن امكنة اشياخهم واوعز اليهم ان يتبع صغار الفقراء الكبار • وان يكون امرهم جميعا . فلما كان رحمه الله ربى اصحابه وهذبهم • حتى حماهم بفضل الله من الدعاوى ومن التطلع الى المراتب • فقد قاموا خير قيام في تنفيذ هذه الوصية • وامتثلوا كل بنودها بندا بندا • وحين كان صاحب الترجمة في المتجردين كفئة الراس من الراس • لازم الزاوية • وصار مستشارا في كل امر عرض • وولد شيخه الذي تولى الخلافة تلميذه • وربيب تربيته • فمن اولى منه بالقيام ازاءه لارشاده • وللاخذ بيده • حتى يرشد • ويبلغ مبلغ الرجال فهكذا صار كرئيس في الزاوية طبيعيا من غير ان تسند اليه الرياسة • ومن غير ان يسلمه احد صولجانها فمضى شهر صفر • ودخل ربيع الاول • وكان يعتاد الاستاذ محمد بن مسعود في (المعدر) اقامة الموسم في عيد المولد للفقراء • فيراى من بالزاوية من جميع الفقراء المتجردين ان يكرموه ويجلوه ـ لمقامه العظيم بينهم ـ بالحضور في موسمه هناك • فذهب الجميع وعلى راسهم صاحب الترجمة • وخليفة الشيخ اخونا الاكبر • فلم يشعر ابن مسعود في المدرسة (البونعمانية) حتى بغت بهذه الطائفة • لانهم راوا ان يلحقوه اولا هناك ثم يصاحبوه الى (المعدر) • فاخبرني سيدي مولود ان ابن مسعود امتعض لذلك وكانه لايريد ان يزج بخليفة الشيخ في منصة الرياسة الحقيقية حتى يتربى ويسلك مسالك الفقراء مقامة مقامة • فكانه نسب هذه الغفلة لصاحب الترجمة • وابطن ذلك نكتة في قلبه نحوه • آت الى ما سنذكره •

اكفهرار الجوبين صاحب الرجمة وبين بعضهم

طالعت عند الاخ رسالة قيمة ارسلها اليه الاستاذ ابن مسعود في اواخر ١٣٢٩ هـ وفيها امره بان يسلك مسلك التجرد • فيلبس المرقعة • ويجهر بالهيللة • ويلزم الاذكار • ويقبل على مطالعة الكتب الصوفية العليا كالاحياء ونحوه • وعلى مدارسة العلوم الواجبة • وان يلزم الصف • وان يعرض عما سوى ذلك • وهي لعمري رسالة تستحق الخلود • تشيء عن نفس عال • ونصح تام لابن شيخه • وفي اثنائها يشد عليه باشتغاله بفرض الشعر وبعلم الادب وقال له : ان ذلك صنعة البطالين من الطلبة • وفي اخر الرسالة يامره فيها ان لايطلع عليها احدا • هذا بعض ما احتوت

عليه • ولاشك فى انه لايرتضى السير الذى يسيره خليفة شيخه • حين يتصل ببعض الطلبة من الالفيين يعنون بقرض الشعر • ويعلم الادب • وما الى ذلك • وانه فوق ذلك يندد بمن لهم الاشراف عليه ـ كالمترجم ـ تنديدا وينحى عليهم باللائمة تعريضا • حين لم يكفكفوه عن ذلك • ولاشك انه لايقصد بذلك الا صاحب الترجمة • لانه هو الذى وحده له الاشراف التام، وهو أيضا مما يظن به أن رأيه هو الرأى الذى يمكن أن لايتخطاه تلميذه • والذى يدل على ذلك دلالة واضحة انه أوصاه أن لايرى الرسالة لاحد • وما كان أحد فى الزاوية بصدد أن يطلع على الصادرات والواردات • الا صاحب الترجمة • وفى الحقيقة ان تلك النكتة المتقدمة فى قلب ابن مسعود نحو سيدى سعيد • قد ازدادت بسبب الاستاذ سيدى أحمد البوالوقتى التيزنيتى • وقد كان ابن مسعود ارسله الى ابن شيخه ليذاكره فى بعض علوم • فحين وجده لايهتبل بذلك • ورأى أن صاحب الترجمة لايفارقه ظن أنه هو السبب • فصار يكاتب ابن مسعود سرا بذلك • ويصرح له بان التنانى هو الذى يعسف بسيدى محمد عن الجادة • ويلهيه بما لافائدة فيه والاستاذ أحمد البوالوقتى ، ممن لايبالون بالقاء مثل هذا الكلام الذى يفسد ما بين القلوب • وبمثل هذا الكلام من الوساوس التى لاأصل لها تمكن ما فى ذهن الاستاذ من اتهام المترجم بما هو منه براء • وقد كان له رحمه الله سرعة فى تصديق كل ما يسمع • فيتأثر كثيرا بسرعة عجيبة • فاداه ذلك حتى نفر نفورا عظيما فى حق المترجم وصدر منه كلام ، منه ما سمعته من صاحب الترجمة نفسه • فانه قال : ان الاستاذ ابن مسعود قال : اننا تركنا الزاوية للتنانى • ثم قال فقلت لمن نقل لى الكلام : انى أقوم فيها بكل ما استطيع • وجلية الخبر أن ابن مسعود رجل لايحب الا الجادة • وسلوك مهيع الشريعة فى تربية ابن شيخه • ولكنه غائب عنه لايدرى ما يجول فيه • وهو لايزال شابا غرا كما تملص من قبضة والده • ويصعب ان ينقاد الا بمراوغة • وحسن حيلة • وهذا ما يجهله ابن مسعود ، لانه غائب لايرى ولا يسمع • واما صاحب الترجمة الذى حضر وعجم أعواد كنانة سيدى محمد عودا عودا • وقد كان رباه وأراد له المقامات العليا بتدرج ، فانه يسايره مسايرة المربية الحاذقة التى ترأم على وحيدها • فكان يوجهه لكل خير • بحسب المستطاع • ثم يماشيه فى الامور المباحة، لئلا يقع له منه نفور • وهو اذ ذاك كما انفلت من القفص الذى كان فيه أيام الشيخ وفقراء آخرون ممن ليست لهم هذه النظرات العليا التى

لصاحب الترجمة . يعلون سيدى محمدا فوق مقامه اذ ذاك ، والاذن محبوب اليها مصول الحديث . والانسان لايستميله الا التعظيم والتبجيل . واذا هؤلاء الناس ممن لبسو لباس الفقراء . وليسوا من طينة الفقراء فى شىء فكانوا يزينون للشباب الغر ما يحبه الشباب الاغرار .

فهكذا كان صاحب الترجمة يعانى ما الله أعلم به ما بين انظار هذه الفرق . ونظره يرمى الى بعيد . فرأى أن يتعلم تلميذه اولا بعض ما امكن فحين رآه يميل الى الآداب وفرض الشعر . كان يغضى عنه فى ذلك . لعله يجد منه اسلاسا للنواحى الاخرى . وفى بعض الاحيان تقع امور من غير أن يشعر بها . فكان ذلك التزنيتى وامثاله ممن لاينظرون الا الى الظواهر ولا ينفذون ببصائرهم الى الواقع . يقلبون الحديث . ويوصلونه لمثل سيدى محمد بن مسعود كما شاءت لهم الاهواء . وبكفيك أن صاحب الترجمة ما زال فى ذلك الدور يتلميذه حتى احسن الترسل وجود الخط . وحببت اليه المطالعة . فهذه الثلاثة هى التى زانته الى الآن . وبحبه للمطالعة فتح له فى كل ما يدرك بالمطالعة على كثير . على أن صاحب الترجمة لايفك معه فى كل يوم فى توجيه وتنبيه وحفز للهمة ، واستنهاض للعالى . مما غاب عن الاستاذ ابن مسعود . بل لايقدر أن يقوم به هو ولو ساعة . وهو مع ذلك يرى ويسمع من شذاذ الفقراء ما لايصبر له الا ذووا العزم . ثم ان ابن مسعود بذلك النفور انتبذ حتى عن ميع الفقراء المتجردين . فقد كان حضر فى موسم : ١٣٢٩ هـ بالغ ، وهو موكا الصدر على شىء . ثم اقام موسمه فى ربيع الاول ١٣٣٠ هـ فاذا باجله قد حان فالتحق بالرفيق الاعلى رحمه الله (١)

اما صاحب الترجمة فقد لبث سنين وهو يبذل الجهد فى جميع الانحاء فى توجيه الفقراء وفى سير الطريقة . وفى معاناة تربية أولاد شيخه الصغار وقد تحمل من ذلك ما الله وحده به عليم . ولا يدركه فى ذلك أحد . فرحم الله هذين العظيمين ابن مسعود وصاحب الترجمة . فلكل منهما وجهة هو موليها وما قصد الجميع الا استباق الخيرات .

فى جيش الهيبة إلى مراكش

ان من الامور المهمة التى أوعز الاستاذ ابن مسعود فى تلك الرسالة المتقدمة الى سيدى محمد أن يتنكبها ، أن لايقصد الهيبة وان لاينحاش اليه . ولكن من ذا الذى يقدر أن يتخلف اذذاك من نظرائه . فكان هو وجميع الفقراء

١) كان المتجردون كلهم ـ هداهم الله ـ نعسوا عليه مكانته . فأراحه الله بالوفاة . رأهم فى رفاقه منامات . لاتعدو أن تكون منامات .

المتجردين من الدين خرجوا معه من (تزنيت) وصاحبوه الى ان وقعت عليه الواقعة بـ (الحمراء) ومن بين الفقراء صاحب الترجمة • وهو على بغلة الشيخ • لان الاخ اختار عليها فرسا حسنة • فوجد رحمه الله من الركوب على السريجة لطفا من الله به عليه لضعف بنيته •

أخبرني مخبر شاهده يوم استقل جيش الهيبة من (دوتركا) وتوجهوا نحو (المعدر) قد أوقف البغلة في جانب الطريق • ورد رأسها الى القبلة • فاطرق عليها وهي واقفة ما شاء الله ان يقف • وهو يتنهد ، قال وبعد زمان طويل وقد خلفه الناس • رد وجهة البغلة الى الطريق • فلحق بالجيش • لكن بعد لأي ، وكان يحكى أن الناس كثيرا ما يشبون كرامات للهيبة • قال ولكني لم أر الا شيئا واحدا ان أمكن أن يحسب كرامة • وهو عدم الذباب في معسكره مع كون الوقت وقت صيف • والامور التي تجلبه من الفواكه وامثالها موجودة • ولكن مع ذلك لاتكاد تقع على ذبابة • وكان وهو ذاهب مع الهيبة هذا الذهاب يحدث انه راى في بعض اخبار تتعلق بالتنبؤات بالمستقبل • أن صحراويا سيبايع ويسير حتى يدخل (مراكش) ثم ينهزم منها الى (تارودانت) ومنها الى (اسرسيف) ثم الى (أيت وادريم) ثم الى (كردوس) فقال وها هنا انقطع الخبر • اقول قد كان صاحب الترجمة يحدث بهذا اذ ذاك كثيرا من الناس • وكنت أظن أنه انما يستتر بنسبة ذلك الى بعض الاخبار • وأرى أن ذلك من كشفه الذي انسيا منه كثيرا حتى أخبرت أن جفرية محمد بن ابرهيم أعجلي البعقيلي • هي التي ذكرت ذلك بعينه • واخبرني الفقير بوجمعة البوعشراوي الكسيمي : انه كان قال لصاحب الترجمة ومن معه حين ودعهم ازاء بلده : اننا سنطلع اليكم بـ (مراكش) متى عيدنا قال : فقال سيدى سعيد أونحن نعيد عندكم هنا ، فصدقه الله • فقد دخل الهيبة (مراكش) ٣ رمضان ١٣٣٠ هـ ثم انهزم منه ٢٦ رمضان • وما عبّد الا في (تارودانت) واخبرني أيضا مخبر انه شاهد صاحب الترجمة في الليلة التي سيغادر فيها الهيبة (الحمراء) يكثر أذكارا• وينتقل من علية كان فيها من قصر (الباهية) وفيها كان نزول الفقراء مع الاخ باذن الهيبة • ولم ينم في تلك الليلة • فحين ثار الناس ثورة رجل واحد • وقف هو برباطة جأش • على الذين كانوا يجمعون الاواني والمتاع وكل ما معهم • يحثهم على أن لايتركوا شيئا • وهو يقول لهم : لاتتركوا أي متاع • واجمعوا كل ما أمكن لكم • وحين تحملوا وسارت البهائم • مع سيدى محمد بن أحمد التزنيتي • وقد تفرقت طائفة الفقراء • خرج هو وحده • وعليه هباة حسنة حضرية • ولبسة تاخذ بالابصار • كانه من لباب الحضارة • فسار وهو لايخاف شيئا • لان كل من رآه من الذين يلقون القبض على كل سوسى • وهم ظاهرون ببداوتهم • ورثاثة ثيابهم •

وهيأتهم التى لا تمت الى اهل الموز والحضر بشىء . لا يشك فى انه حضرى، فالتقى ببعض معاريفه من المراكشيين . فلبث عنده . ريثما هدأت الروعة . وتمكن الاطمئنان من القلوب . فسار الى الزاوية بـ (باب دكالة) فلبث فيها أياما . حتى اهتم القائد محمد كنّوما قائد قبيلة (أداوزنزم) الحاجبة وقد كان تخلف عند القائد عبد المالك المتوكى . فأخذ له الامان . فركب معه بغلة من بغاله . فالتحق بـ (حاحة) ثم مر ببلده . وبقبيلة (كسيمة) عند رئيسها سيدى محمد بن عبد الرحمن . فـرآه محتاجا الى مركوب . فأهدى لـه بغلة . فكان يجد أفـراد الطائفـة التى تشتتت شذر مـذر فى (مراكش) امامه . فصار يجمعهم حتى كانوا نحو نصف الطائفة . فسار معهم قليلا حتى وصل الزاوية، ثم لم ينشب أن طلب منه الاخ المصاحبة الى (تارودانت) للمثول بين يدى الهيبة . فـاذا بالاخ تعين رئيسا على قبيلة (اداوزيكى) فصاحبه اليها . وبـين ثنايا صدره . نـار تلظى . لان مثل هذه المجالات لا يرضى أن يرى فيها . ولكنه مضطر للمسايرة . ثـم غادر تلك القبيلة الى (اداوتنان) ولم يلبث بعد ذلـك الهيبة طويلا أن زعزعـه القائد حيدة عن (تارودانت) الى (عشتوكة) فنجا الاخ ومن كانوا معه فى قبيلة (اداوزيكى) برأس طمرة ولجام . ولولا أنهم اتخذوا السرى مركبا، لتقبض عليهم جيش القائد عبد المالك المتوكى الذى ارسلـه برياسة بعض خلفائه، فرابط فى (تاركانت) فرجع صاحب الترجمة الى الزاوية بـ (الخ) فلازمها . وقام بالامامة فيها من أواخر ١٣٣١ هـ الى أواخر ١٣٣٨ هـ فما كان يفارقها الا نحو شهريـن من كل سنة يقضيهما فى فصل الصيف فى قبيلة (اداوتنان) ثم يرجع الى مستقره . وما كان بعد يسيح الا فى ممره الى قبيلته ذهابا وايابا . فاقبل على ربه . فوجد نفسه مضطرا الى الاقامة لنالب أمراض متعددة على ذاته . فصار لا يغب تعاطى الادوية . وقـد كان له فى علم الطب يـد طولى . وهو مـع ذلك قلما ينتفع بالتداوى . ويعمل العشبة التى أمضى بالخلوة فيها (٤٠) يوما . وأشد ما فيه داء البرد . حتى ان مـاءه لا ينحصر . فكان فراشه دائمـا خاصا . لا يـدرنا ونحن اذذاك نجلس اليه أن تقاربه . ويقول : انه نجس . ثـم تولد لـه من داء البرد الحصا . فكان عليه أدهى وأمر . فكان يتعاطى المراهم التى تفتت الحصا . ويثابر على القرنفل فى الحليب . فكنت كثيرا ما أراه يعد سكرجة منه . فيفطر عليها عند الغروب . لانه ربما يسرد الصوم . فبذلك حبب الىّ الى الآن شرب الحليب النىء بلا تسخين . وقد جلست اليه مرة فى سطح المصل، فأراني حصاة أكبر من العدسة . فقال هذه سقطت منى آنفا . ثـم لكثرة احتياجه الى الحليب المتداوى . يسر الله له الكريم القائد عبادا الجزارى .

وكان ممن يعرف مقامه • ويعتقد فيه الخير • فارسل اليه بقرة حلوبا • وكذلك القائد سعيد التكزيني الحاحي • ولكن الامراض اذا نهكت جسما ضعفا كجسمه فقلما تفارقه حتى يفارق الحياة •

يتزوج باختنا

انهالت عليه الادواء وتتابعت • وأعيها داء البرد • فداواه بكل دواء • فلم ينجع فيه أي دواء • فقيل له : لو تزوجت لرجي لك منه شفاء • فوجه همته الى ذلك • فكان من سعادة اختنا الكبرى السيدة عائشة ان كانت هي الحاظية بمضاجعة هذا الرجل الصالح الذي قلما تلد النساء له نظيرا •

في عشية يوم جاءني اخي احمد • وانا صغير قبل المراهقة لا أدري ما يفعل الناس فاخذ بيدي • فدخلنا على تلك الاخت • فوجدناها تبكي فقال لها الاخ احمد هل وكلت اخانا الاكبر في تزويجك فلا استحضر الآن اتكلمت أم اكتفينا بصماتها — وهي بكر — وكان ذلك بعد العشاء فوجدنا الاستاذ سيدي عبد الله بن محمد الالغي والاخ الاكبر • وصاحب الترجمة • والعم ابرهيم ، وأنا والاخ احمد • ولم أدر احضر غير هؤلاء أم لا • فعقد النكاح • واربحت السيدة فالتقى البران • التقى الشمس والقمر • فتاهيك باختنا هذه دينا وخيرا وعبادة ورقة قلب ، فلا أعلم في اخواتنا • بل فينا اجمعين من يدركها في ذلك حتى ان بعضهم رأى في النوم من يقول له : انها في مقام رابعة العدوية • فكانت الرؤيا موافقة لحالها رضي الله عنها • هذا وهي اذ ذاك شابة • ثم ظهر منها بعدما يوذن بما هو أعظم واجل • وهي الى الآن يزداد توجهها الى ربها بعدما أسنت وتفضت يدها من هذا العالم • ووجهت همتها للعالم الآخر الدائم • آتم الله عليها نعمه وأضفى عليها بفضله رضوانه

ينتقل إلى (أزيار) مواطن آبائه

كان صاحب الترجمة كوالدنا، ومعاملته معنا معاملة من يربينا ويرشدنا ويهدينا سواء السبيل • وهو عند أمهاتنا من يمتثل أمره • ويبادر عند اشارته • وممن يعرفن له نصحه وقيامه على أولادهن الصغار• حتى ادركوا خير قيام • وكذلك عند جميع الالفين قاطبة • وقد تجد من تزل الالسن منا فيه • ولكنه هو لاترى من يلمسه ولو بادني لمسة • أويغمز منه دينا أو مروءة أو عفة أو نزاهة نفس • وأما الفقراء فهو عندهم قطب الرحى • وكانت له بينهم سابقة • وقدم راسخة في الطريق • ومقام عظيم فيما بينه وبين ربه • فما كانوا ينظرون منه الا الى الفحل الذي لايقدع انفه • ولا يبادى في الميدان • فهذا مقام صاحب الترجمة مع الجميع

واما مقامه مع اخينا الاكبر سيدى محمد صاحب الزاوية • فمقام من يعرف له ما يعرف له كل الناس كما تقدم • فكان يستحيى منه • ولا يواجهه الا بالخير وصاحب الترجمة لايغب نصحه فيما رأى فيه خللا• ولا يسكت عن منكر نراه‌ى له • وهو مع ذلك مائل للعزلة • ناقض يده من‌التكلم الا فيما يرجع الى اقامة شعائر الدين • او الى الفقراء الذين يدافع عن كل ما يرجع اليهم • او الى المصلحة العامة التى يذود عنها بلسانه • وهو منذ تزوج اتخذ له البيت الاكبر فى دار اخينا احمد محله الخاص • فتقوم له السيدة بمؤونته الخاصة من المزاولة • وهى مع والدتها واخواتها • وهو يشترى الضروريات لها • ثم رزق بنتا لم تنشب أن استأثر الله بها • وحين انقسم ما بين الاخوة كان مع قرينته هذه عند الاخ أحمد ملازما للصلوات فى الزاوية • فيوما بما كان يقوم به الشيخ من مجالس الذكر والوعظ • وما زال على ذلك وهو لاينوى الا الاقامة فى زاوية شيخه • حتى يلقى ربه • ولكن قرينته الغيور ـ والنساء معلوم منهن حب الاستقلال ـ تحثته دائما على الرحلة الى بلده • لتتخذ لها دارا على حدة من أهلها • ليقر قرارها • ولتأمن على مستقبلها ومستبل اولادها • فكان يسوفها ويصبرها • حتى اذا لم يبق فى قوس الصبر منزع • وأخت عليه الحاحا • رأى بعد ان استخار الله أن ذلك لاشك عائد عليهما معا بالمصلحة • فاستشار بعض عقلاء المقدمين الكبار من الفقراء فوافقوه على ذلك• فتسوق موسم(نازروالت) فى مارس ، على أن يتسلف من عند التاجر سيدى محمد بن أحمد التزنيبى الطاهونى ما يجهز به نفسه حتى يرده اليه • فلم يتيسر من عنده ما اراد ظنا من الرجل انه مملق لا يجد مالا يرد به السلف ، فيقال : ان مصيبة عظيمة ألمت به تلك السنة • حين القاء الكنتافى فى السجن • حتى انى على جل أمواله • أتته من اجل أنه كسر قلب هذا السيد المبارك • والله أعلم • ثم تيسر له ما أراد عند الفقير أبو جمعة البوعشراوى الكسيمى • وكان هذا اذ ذاك منقطعا الى الزاوية • وقد هرب من القائد محمد بن الحاج الحسن الكسيمى • فلما عزم على الاقلاع • ولم يبق الا أن ينشر الشراع • ليودع الزاوية وأهلها • ويودع الالفين قاطبة وفى مقدمتهم الرئيس احمد ابن الحاج ابرهيم الايغشانى • ذهب اليه فى داره فودعه وقد راوده احمد الايغشانى على ان ينحاش اليه • وانه سيبنى له دارا من عنده • فلم يجبه الى ذلك • فقال صاحب الترجمة لبعض الناس عجبا من الايغشانى كيف يراودنى على ذلك • ولو كنت لا أزال بـ (الخ) لما فارقت دار أولاد شيخى

التى ما رايت منها الا خيرا ايظن انني لا احب ان اساكنهم فباى وجه اسكن فى (الم) فى جهة ، وهم فى جهة • وهل بينى وبينهم ترة • وكان من حسن الصدف ان لاقى هناك فى (اكنى ادبان) الاستاذ سيدى عل بن عبد الله الالغي وقد كانت بينهما سنوات عديدة لم يتراءيا فيها منذ ثار بين الاستاذ وبين آل الزاوية ما ثار • بسبب غيلة ولده احمد فى حكايات مبينة فى غير هذا المحل • فودعه ايضا هناك • كما صادف ايضا اذذاك الفقيه الصحراوى سيدى محمد بابه • فذكره فى قطعة مع الاستاذ المذكور ، سيدى على بن عبد الله ، مطلعها :

زار الفقيه وزوره محمود وعلى المزور سروره ممدود

الى ان قال :

هذا ولما زار زاره اسعد سيح السعادى اسعيد سعيد
لا غرو ان اليوم يوم مسرة فيه النبى المصطفى مولود

والقصيدة تقدمت كلها فى ترجمة محمد بابه ، فى (الجزء الثالث)

(المعدر) فبات فيها يومين • ثم الى (هشتوكة) ثم الى (المزار) ، ثم الى (اوريرة) ثم الى دار القائد الحسن بن ابرهيم التامرى من (ايمى واسيف) ثم الى (دوملت) عند القائد سعيد • فاستراح هناك • ثم حل فى دار اخيه سيدى عبد الله بـ (أزيار) فما وصل خبر وصوله الى قبيلة (اداوتنان) حتى سالت اليه البطاح بالمرحبين به من جميع التنانيين • فلم يبق اهل قرية كبيرة او صغيرة من آل (تانكرت) الا وفدوا عليه • وملاوا ما بين يديه بكل شيء : حبوبا واداما وغما • ثم اجتمع الناس على بناء داره او الزاوية التى كانت تاسست هناك فى ايام الشيخ • فقام الناس كلهم او بكل ما يحتاج اليه فى المؤونة وفى البناء • واعظمهم فى ذلك القائد سعيد التيكزريني • والتاجر الفقير الصادق المجد سيدى محمد أوجدى • فكان رحمه الله يقابل الناس بالبشاشة التى جبل عليها • وبالكرم الحاتمى الذي كان معروفا به منذ كان ، ولا يزال بين الفقراء • فقد كان من عادته أن يوثر بكل ما لديه •ويصرح بانه موقن بأن عرض الدنيا لم يشك قط فى أنه يجد منه كل ما يريد • وقد أخبرني عنه بذلك سيدى أبو بكر بن عمر الايليغى رحمه الله • وقد يسر الله له على يد بعض الناس اذ ذاك من ابناء شيخه فارسل اليه من (مراكش) كل ما يحتاج اليه من أواني وفراش • وحين قيل له : ان فلانا كفاك كل ما تحتاج اليه ، قال : ان هذا دارهم وحدهم • فكل ما وضعوه فيها لايستمتع به الا هم وحدهم • فكان الامر كذلك يوم قام الاخ عبد الله مقامه بعد وفاته •

هكذا استقر في قريته الاصلية . وسكن في ديار اهله بعدما فارقها (٣٢) سنة . وقد نزلها مكرما معززا مبجلا . كما فارق زاوية شيخه الالفية معززا مكرما مبجلا . احب ما كان الى اهلها . فليت شعرى من اين تسرب الى الفقيه المؤرخ سيدى محمد الايكراري ما ذكره في تاريخه الذى ترجم فيه رجال اهل عصره . في ترجمة هذا السيد . من ان سبب نقله : اختلاف بينه وبين ابناء شيخه اصحاب مثواه . وان الناس اقبلوا عليه حتى نفسوا عليه ذلك المقام . فحسدوه عليه . فكان ذلك هو ما حمله حتى جلا عن (السغ) الى بلده . فيعلم الله ان صاحب الترجمة ليس هناك . وليس ممن يتعالى على اهل الشيخ . فكل من له ادنى المام بما يجرى اذذاك . يعرف جد المعرفة . ان هذا لا أصل له . وانه ما انتقل الا بالسبب الذى ذكرناه لا غير . والمؤرخ الايكراري رحمه الله انما كتب ما سمعه من بعض الناس وهو معذور غير مؤاخذ . وقد نبهنا على هذا . لانه داخل في حكم لتاريخ . وسينصب المستقبل ميزانا عادلا لجميع اقوالنا هذه ايضا . فالهم سدد خطانا . وهيء من ينبه على ما نغلط فيه بدورنا .

[illegible] ان انتقل صاحب الترجمة من الزاوية (الالفية) الى قرية (الاباد

من قبيلة (تانكرت) بـ (اداوتنان) كان في شعبان : ١٣٣٨ هـ وقد صاحبه في هذه النقلة اخونا وسيدنا عبد الله . الذى سعد بهذه الصحبة . ثم بملازمته بعد . حتى كان هو الوارث لسره ولمقامه بعده . فهنيئا له ثم هنيئا .

ماذا يعمل في دار بـ (أزيار)

تريث معى ايها القارىء . ولترجع الى التأمل قليلا . ولتتصور بعض الصوفية الذين تعرفهم هنا وهناك . ولتقدر ان احدهم تهيأ له من الشهرة وذيوع الصيت . والاحدوثة الحسنة . والثناء العطر . واقبال الخلق وحسن ظنهم . وانقيادهم الانقياد الاعمى . ما تهيأ لصاحب الترجمة حين نزل بداره وبين اهله الذين قوبل منهم باعظم تبجيل يتصور . وباعلى احترام يمكن ان يوجهه انسان لانسان . فما تظنه يفعل . او لا يسبق الى ذهنك ان يقول ان هذا من علامات الاذن في الظهور والتصدر للناس . والحمد لله الذى فضلني على كثير من خلقه . وجعل السنة الناس رطبة بامداحي . والسن الخلق اقلام الحق . فكما انني خدمت الرجال . وتدللت لهم حتى حصلت على هذا المقام . فيجب على انا ايضا بدورى . ان يخدمني الرجال . وان يتدللو الى . امتالوا ما نلته في الثلاثة العقود التي امضيتها وانا غريب عن اهل وداري . فالاتصدر للناس ولافهمهم . فالاشياخ الكمال الذين

للافيت معهم ما تسنموا رتب الكمال الا بما نفعوا به الناس .

هكذا سيقول لنفسه . ثم يؤمن بكل أمانيه على دعائه . ثم لا يكون الا عشية وضحاها حتى تسير الاحاديث بتصدره للمشيخة . ويمد يده الى التلقين . ثم لا ينشب أن تكون له دعوى مدوية . يضرب بها الطبل .

أو لم يقع مثل هذا للشيخ التستاوتى حتى وقع بينه وبين سيدى احمد بن ناصر ابن شيخه ما وقع. مما سطر فى التاريخ . أو لم يقع مثل ذلك لكثيرين أمثاله . اوليس ان من كان فى مقام صاحب الترجمة جدير بهذا . وقريب أن يسلك هذا السبيل . لان عهدنا بكثير من صوفية هذا العصر . لا يرون أنهم كمال . الا متى تيسر لهم هذا المقام . واطلوا منه على أصحاب الافئدة التى تخفق باكبارهم واجلالهم من المريدين المتعطشين الى المشايخ البارزين .

حقا ذلك ما أتيقن أنا أن فلانا وفلانا وفلانا من أناس معاصرين استحضرتهم الآن فى ذهنى . دأبوا على المجاهدات سنين . وامضوا شبابهم فى خدمة أشياخهم فى الزوايا . ولكن شيخنا هذا رأينا منه عجبا . فانه ما كاد يستقر فى داره حتى اتخذها خلوة ومعتزلا عن اناس . فلا يراه الا من قصده أو استضافه . فلم يخطر له بعد أن يلقن الورد لاحد . ولا كانت له همة الا فى استجداد مجاهدات جديدة . كأنه ما انتقل من (الـخ) الى (ازيتار) . الا لينفرغ لنفسه . وليقبل كل الاقبال على ربه .

ان كثيرا من الفقراء الذين يجاورون تلك القبيلة . ينتحونه فيضيفهم. ويذكر معهم كواحد منهم . ويفيض عليهم بكرمه . ثم يودعهم من غير أن يتزايل عن العزلة التى حبس عليها نفسه . ثم ازداد به ضيق الصدر . حتى انه ليستثقل المجالسة معهم كثيرا . فكان يتكلف ذلك اذا الحق لزوره . ثم ينقتل الى زاوية غرفته العليا . فيقبل على شانه اقبالا . وقد قال يوما لبعض الناس : ان سعة الصدر التى كان الله أعطاها لى قبل اليوم قد رفعها عنى اليوم . فازداد حرجا من كثرة مزاولة الناس . فهكذا لوى راسه تحت طى الجناح . ونفض يده من الناس قبل أن ينفضوا أيديهم على رمسه .

كان ذلك البلد الذى يقطنه . بلدا جبليا . لا يكاد الانسان يجد فيه القوت الا بكد ونصب . فكان يتيسر له أن يحرث مثل الناس . ولا يحتاج الا أن يفتح فاه بذلك . ويسمعه منه الناس . فيقومون له فى ذلك بكل شىء . ولكنه معرض عن ذلك غير مهتم به . فيكتفى بما يفتح الله به عليه . من غير تشوف الى الادخار . وكثير من الناس حادثوه فى ذلك .

فكان يقول : انما منى تصدرنا لمثل ذلك . فان الناس سينتالون علينا اكثر مما انتالوا علينا . فيحولون بيننا وبين ما نريد . ولان يرانا الناس بعين الضعفة والمساكين المحتاجين . اولى من ان يرونا فى مزاولة الاشغال والاملاك والادخار . فيجاذبوننا حبالها . وقد كان عنده هذا العذر مذرا مكشوفا . ولكن لا يمكن ان يقول سواه . وكان ضعفة شرفا، من اهل تلك القبيلة . لا يتعففون فيقصدونه تكففا . فكان لايخيب منهم احدا محبة فى الشرف، . ويده كما كانت . ولا يبخل بالموجود . على ما هو معروف به من عهد تجريده . فانه اذذاك لا يمكن ان يمر ببراع . ولا بصبيان مكتب، ولا بمسكين الا ناوله شيئا من جيبه . ولا يشك الفقراء اذذاك انه لا ينفق من الموجود . والا فمن اين ياتيه كل ما يعطيه . هكذا كانوا يقولون والله اعلم . ثم ها هو ذا اليوم . قد صار مضيافا . متنوع الاطعمة . وينفق نفقة لاعتاد عند جيرانه . ومن عادته ان يشترى ما ليس عنده دينا . حتى اذا وصل اربعين ريالا حسبنا ييسر الله اداءها فى الحين . وقد كان القائد سعيد السكزيني يوالى اليه كل ما يعرف انه يتوقف عليه . وقد اخذ عليه المهود ان يوافيه بكل ما يتوقف عليه . ولكن سيدى سعيد العزوف . لايتطلب منه اى شيء وقد كان اودع عنده امانة من ذهب فى قمقم . ثم لم يسترددها منه الا فى مرضه . وكان سيدى سعيد هو الذى ردها اليه .

هذا مجمل احوال هذا السيد فى كرمه . وقد بينا مصادره . ولكنه مع ذلك لانزال مكارمه موضع العجب فيما بين يديه من الخبرات .

قال مرة لبعض الناس : انما تكلفت بناء الدار لنستقر فيها بنت الشيخ لبقر قرارها . ولبهدا بالها . واما انا فلا غرض لى فى اية دار .

وقيل له يوما آخر : ان فلانا ـ وانا هو المقصود ـ من عادته ان يسمدن ، فقال : ان ذلك مقامه . واما انا فلا أطيق ان يكون على اى دين . وقال ايضا: قولوا لفلان ـ يعنيني ـ لايهتم بامر الدنيا . فانها ستاتيه صاغرة . من غير ان يدخرها ، أقول : انني شاهدت كل ذلك بعده رحمه الله . وقد كان لى منه ما كان من بشارات . نطلب الله ان نكون بها سعداء دنيا واخرى . والبشارات كالمنامات تسر ولا تغر .

ذلك هو سيدى سعيد . فانه ما كاد ينزل هذا حتى ابتسمت له الدنيا وفتحت اليه ابوابها . لكنه اراها كيف يكون الزاهد . وكيف يكون من اعرض عن العرض الفاني رجاء فى الذى عند الله . مما هو خير وابقى. ثم انه مع ذلك يقوم بصغار اولاد شبخه وهم خمسة : عبد الحميد وعبد الله وابو القاسم وعبد الرحمن وابرهيم ، أتى بهم من (الخ) وانزلهم فى دار القائد سعيد . وشارط لهم من ابن عمهم الاستاذ سيدى محمد بن احمد

معلما حتى انموا عل يده حفظ القرءان . وافتتحوا الامهات ، فكان يعتنى بهم اعتناء عظيما من كل النواحى . حتى انه لما اخبر بأن الصغير منهم ـ وهو السيد ابرهيم . الذى هو الاستاذ الكبير فى الحواضر اليوم ـ بلغ ، قال الحمد لله . ففى هذا الوقت القيت عنى حملا عظيما . ومسؤولية كبيرة امام شيخى ، فهؤلاء اولاده قد ادركوا كلهم جميعا . والحمد لله الذى وفقنا لقمنا بهم حتى بلغوا مبلغ الرجال . فذاك هو سيدى سعيد . وذلك هو الرجل العظيم الذى قام علينا جميعا حتى كان كل واحد منا اخا القوم ، واستغنى عن المسح شاربه . فبأى جزاء نجازيك يا أبانا الثانى وبأى لسان نثنى عليك وانت فوق كل جزاء . وأعلى من كل ثناء . فلا نملك الا ان نمتد ايدينا . فنطلب من الله أن ينوب عنا فى جزائك بما انت اهله ، فقد كنت يا أبى ازورك هناك وأراك منبع يمنى وفجر سعادتى . فكنت تستنهضنى وتقدمنى الى الامام دائما . ولعل الرؤيا التى رأيتها تصدق ، لقد رايت سنة ١٣٣٧ هـ وانا نائم أمام زاوية الشيخ ، فى (أداونزم) أنك ناولتنى فانيذة حمراء حلوة . فقلت لى : ان من كانت هذه فى فيه هو الذى ورث سر الشيخ. فأخرجتها من فيك وناولتنيها فابتلعتها . فلتكن الرؤيا رؤيا حق ان شاء الله ، وليكن السر سر الايمان . والرؤيا دائما تسر ولا تغر

يلتحق بالرفيق الاعلى

مكث صاحب الترجمة هناك منذ انتقل من (الغ) من أواخر ١٣٣٨ هـ الى ١٣٤٣ هـ وهو فى غاية الاعراض عن الشهرة . وفى غاية الانقباض عما كان ينتظر منه . والالسنة تتعطر بالثناء عليه . ورجال قبيلته منكبون عليه من كل صوب . وهم كلهم آذان لما يخرج من فيه . لاعتقادهم أن لسانه من الالسنة التى يجرى الله الحق عليها . ولكن السيد ممن لايقفقع له بالشنان ولا يوخذ على غرة . وهو ممن أعروا أفراسهم ورواحلهم فى ذلك الميدان، وممن لم يمتد عنقهم الى التطلع الى ما ينتظره هؤلاء الناس . وماذا ينتظرون منه غير الله وما يقرب اليه . أفقرهم ما كانوا يرونه من كشوفات الرجل الصالح سيدى الحاج الحسن الكزوبى ـ وقد كان مشهورا بالكرامات والكشوفات وبالعبادة والزهد التام ـ قال المترجم يوما لبعض زائريه من الفقراء :

ان كثيرين ينتظرون منى مكاشفة أو كرامة . كما كانوا ألفوا منى قبل أن اتصل بالشيخ . ويا عجبا . حين كنا نملك نحاسا . يهتبلون به وحين ملكنا بأيدينا الذهب الخالص مما يدل على الله ، أعرضوا عنه . أو يريد منى الناس أن أكون كسيدى الحاج الحسن . فانى لست هناك فى مقام الكشوفات والكرامات . وقال يوما آخر أيضا : ان التيجانيين عرفونا

بذلك اذ نحن لانزال لم نلتق مع الرجال • واما اليوم فليس عندنا الا الدلالة على الله أو هم اقبلوا علينا وتالبوا علينا • وتبعوا مايصدر منا اذ نحن لانروج الا غير المعرفة بالله واما الآن ـ وليس عندنا الا الذهب الابريز الذى هو الدلالة على الله ـ فانهم لايعرفون ماعندنا • ولاجل هذا وامثاله نفض يده من هذا العالم واهله • وزهد فيما يهتم به غيره • وبغلته اقصى الغايات • فقد سمعت ان هذا السيد الصالح سيدى الحاج الحسن الكزوبى الشهير رضى الله عنه • وهو الذى ذكرنا فيما تقدم انه اخذ عنه علوما • قال لبعض الناس : سلم على سيدى سعيد • وقل له : الله يسخر لك الناس • ومن هنا تعرف ما بين الرجلين من الفرق العظيم • فهذا يعد الاقبال من الناس هو الغاية والآخر ينشد بلسان حاله :

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت ايامى

والحقيقة ان كلا الرجلين له مقام خاص به • فرضى الله عن الجميع •

ثم فى رمضان : ١٣٤٣ هـ اشتد عليه المرض الذى كان السبب لانتقاله بالعالم الآخر فقد كنت قدمت عليه من (مراكش) فى ذلك الشهر ـ كما كنت اقدم عليه فى هذه السنوات كعريد يقدم الى شيخه ـ فوجدته فى نحول وسقم عظيمين • ثم انه ابل ابلالا ما • ثم لايزال يراجعه مرضه الى ان كان يوم الخميس • الرابع من ذى القعدة • فشرب عنبرا • واتبعه لبنا فطفئى جوفه حرارة • ثم فاجاء يوم الاربعاء • حتى لفظ نفسه الاخير • فسل غسله الفقيه الاجل سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح الالفى • وقد طلع من مستقره من عند القائد سعيد • من قرية (دوملت) من قبيلة (ايت امر) وحضر جميع التانكرتيين • ورئيسهم الشيخ الحسن بوناكة • واخوال المترجم ال الطبيب • وكان الحفل عظيما • فصلى عليه الفقيه سيدى عبد الملك السفالينى • فدفن غربى زاويته فى محوط هناك •

هكذا انقضت حياة هذا السيد الجليل • كما تنقضى حياة كل عابد زاهد خانع منيب • فلم يورث اهله لادينارا ولا درهما • وقد خلف بنتين وذكرا • ولكن من كان لله فى حياته ، كان الله له فى اولاده بعد مماته • فقد سبق الى محله اخونا السيد عبد الله الذى هو ربيب تربيته وزهرة من زهرات روضه • فعمره خير عمارة • وخلفه افضل ما يخلف به من هداه الله الى سواء السبيل • وقد حكت السيدة قرينة المترجم انها ربما جاذبته الحوال فيمن ينفعها بعده • فكان يصرح لها بالسيد المذكور • بل حكى لى الاخ بنفسه ! انه راى مرة بعض اقرانه تطلب من صاحب الترجمة ان يلقنه الورد • فقال له ما انكشف عن انه لم يفز منه بما اراد • قال وكنت على انه ان انلقنه منه • ولكن حين رايته رد هذا السيد لم اذكر له شيئا •

قال : ثم استدعاني سيدي سعيد يوما فلقنني اياه ارادة من عنده .

أقول ان هذا من نفوذ بصيرته . حيث يعلم ما في استعداد كل . فان ذلك السيد الاول . تبين بعد انه ليس فيه الا الاستعداد للعلوم لاللتصوف وهو اليوم فيها لا يشق له غبار في العلوم . وأما الاخ المذكور . فها هو ذا اليوم ممن يغبطه كل من عرفه منه : اقبالا وانابة واخباتا واخلاصا فيما بينه وبين ربه . وقد ظهر منه أنه لا يصلح الا لذلك المقام . ولكل مقام رجال . وكل ميسر لما خلق له .

ثم ان كل أولاده التحقوا به . الا ما كان من بنته الصغيرة . فقد تزوجت وولدت الاولاد مع السيد احمد (١) بن بلعيد التناني التانكرتي . وهو ولد الفقير بلعيد التيشكجيبي . من احباب صاحب الترجمة . ومن خيار عباد الله في رفع الهمة . وترك ما لا يعنيه . وقد رزق احمد بن بلعيد المسكني في حاضرة (تالبرجت) في (أكادير) موسعا عليه وعلى أهله في التجارة . فالله يحفظه ويصلح له جميع الاحوال . (وقد حفظ من زلزال (أكادير) هو وأهله . مع أن داره في (تالبرجت) هلك فيه كثير)

ولد محمد

كنت اويت الى ابن شيخي هذا الى (مراكش) فهناك استتم القرآن ثم افتتح المبادئ . فسار أشواطا . ثم بلغ الحلم . فحبب اليه الصيام . ومزاولة الاسماء . ثم فرق الدهر بيننا بالنفي الذي ابعدني الى (الغ) مخسم : ١٣٥٥ هـ . ثم تابع في كلية (ابن يوسف) في النظام . الى أن كان متفوقا يناغي المعالي بالتحصيل مع علو همة . والنظرة العليا . والترفع عن السفاسف . فقد كان يزورني في (الغ) ثم لما افرج عني . وانتقلت الى (مراكش) ثانيا . توالت عليه أمراض شديدة عاني بها العلاج في (السويرة) ثم توفي بها . فدفن في وسط قبة الزاوية الدرقاوية هناك . فذهب مبكيا على نجابته رحمه الله . ومن العجيب أنه كان في صغره قبل نفيي مكبا على كتاب (الرحمة) المشهور . فكنت أراه يوالي الصيام دائما . فكنت أنهاه عنه . ليتفرغ لدروسه . فكنت أتشدد عليه في التعليم . فقال لي بعد ذلك العهد أنه كان يصوم لاستخدام جني بشروط وجدها في الكتاب. قال : وقد صار الجني يقف أمامي وأراه عيانا أحيانا . وحين كنت تتشدد علي . قال لي يوما : انتظر شهرين . وستجد راحة مما تقاسيه من فلان . وبعد شهرين جاء النفي . هذا ما حكاه لي . وهو لسان صدق . وبالاشتغال بهذا اصابته أمراض ذهبت به رحمه الله .

١) القائد بعد الاستقلال على قبيلته . حتى غادر القيادة فاستراح .

ادبيات حول المترجم

رأيت في طليعة هذه الترجمة أن لشيخنا بدا في اعتناقي للادب . وقد كان يحب لي الادب والتمكن في اللغة . والتثبت في مراجعة ضبط الالفاظ من القاموس والمصباح . وأتذكر انه ذكر يوما : الناووس . فراجعه في القاموس . فلم يذكره . وفي المصباح . فاذا به نص على انه قبر النصارى . فصار يضحك منبسطا على عادته . يمدح المصباح الذي يدل على النور . ويتحامل على القاموس الدال على البحر المظلم . وفي الصباح قال : ان صاحب القاموس كانه أخذته الغيرة . فقد رأيت هذه الليلة البحر مستنيرا . يظهر كل ما في قعره للعين . وليس بمظلم .

وقد كانت أدبيات كثيرة مخطوطة بقلمه . في مجاميعه . وكذلك قواعد لغوية . ومما حفظته منها :

وجاء في حل بمعنى نزلا ... وجهان في مضارع وان جلا
بمعنى فك فاضممن وان غدا ... مقابل الحرمة فاكسر ابدا

ومن ذلك أيضا المشوص والملوص والعلوص ، في هذين البيتين . عقد فيهما لفظ حديث مروى :

من يستبق عاطسا باالحمد يامن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه كذا الاذن ثم البطن مختتما

وحين كنت بـ(مراكش) وفدت عليه بهذه القصيدة القافية ، وذلك في ١٣٤٠ هـ ناتي بها للاعتبار والتاريخ . وان لم يغف عنا الآن ما تتصف به مما لايوافق أذواق أدباء اليوم ، كما ناتي كذلك بأمثالها . ليعلم القارئ ما نحن فيه منذ أربعين سنة (والكتاب كتاب تاريخ . لا كتاب منتقيات الآداب) وكل ما كان الغيا اذذاك فليكن اليوم في كتاب الالغيين .

أبارق السفح في جنح الدجا انتلقا ... أم الهلال جلا لما جلا الغسقا (١)
أم الغزالة يوم الصحو بازغة ... فجللت بسنا انوارها الافقا
أم حضرة أشرقت شمس الحقائق في ... خضرائها فاجتلى المسترشد الطرقا
لاحت فلاح لارباب القلوب بها ... ما للكليم بدا في الطور اذ طرقا
وفاح منها عبير الوجد فاندمجت ... في حضرة القدس نوا روح من نشقا

١) جلا الاول بمعنى ظهر ، والثاني بمعنى كشف . والغسق الظلمة .

وهب منهـا نسيم الوصل فاعتنقت
خود الهنا من يعانى فى الهوى الارقا (١)
ماست بها عذبات القوم اذ رشقوا ريق المعارف من ثغرى فنا وبقـا
قوم تلوا سور التقوى مفصلة آياتها مد كبا التوفيق قد عبقا (٢)
واقتطفوا ثمرات المجد يانعـة مد خوط (٣) قصدهم بالسعد قد بسقا
واقتعدوا صهوات المجد منذ رأوا أن الذى يرتدى الرضوان من سبقا
وانبسطوا فى بساط البسط مد علمـوا
ان النوى لم يغادر للتقى الرمقا (٤)
وصافحوا الفتح مد حلوا مقام (أبى
عثمـان) وارتشفـوا اسراره الغدقـا
شيخ بدا فاهتدى من كان مختبطـا
وهب من فى مهـاد الغى قـد غفقـا (٥)
شيـخ تجمع فى أثناء حضرتـه من المفاخر ما فى غيرها افترقا
يلقى العفاة طليق الوجه فى خلق كالشمس مشرقة كالورد منفتقا
سعد السعود ومعراج السلوك على عليائه علم العرفان قد خفقا
نجم الهداية مفتاح القلوب اذا أدار خمرا على جلاسه وسقى
قطب السعادة مطلع السيادة بـا رق المجادة من أفق العلا برقـا
وصل لمنقطع جبر لمنصـدع رشد لمستمع ، نور لمن رمقـا
حصن لمعتصم عـز لمنهضم يمن لمستلم ، أمن لمن فرقـا (٦)
زهـر لمقتطف ثغر لمرتشف بحر لمغترف ، فتح لمـا غلقا
صحو لمن ثملت بالحسن نظرته سكر لمن لم يكن بالوجد معتلقا
فرق وجمع (٧) لمجموع بطى بسا ط الحق أو من غدا فى النشر مفترقا
يختال فى حضرات القدس فى حلل منسوجـة بين منوالى صفـا وتقى

---

١) الجود بالفتح : ازاهية الجمال ، والجمع بالضم .
٢) الكبا بالكسر : العود الذى يتبخر به .
٣) الخوط بالضم : الغصن . وبسق : طال .
٤) مريض لقى بالفتح : اذا استنقى بالمرض على الفراش .
٥) غفـق : نـام .
٦) فرق كفرح : خـاف .
٧) من اصطلاحات الصوفيـة .

فان جرى فى كلام القوم مرتجلا ... ابدى من السر ما يسوقف الحدقا
وكيف لا وبحار الوهب مغترف ... لكل من فى علوم الذوق قد نطقا
ذو همة طالما تهتكت شغفا ... بنبلها هم الاصحاب والرفقا
يبغون بالحزم والتشمير رتبتها ... هيهات ليس بفار كل من خلقا (١)
ان صممت تذر الاطواد ذائبة ... وستر ما ظلمات الكون منخرقا
كم غافل خلعت اثواب غفلته ... فراح مصطبحا بالذكر مغتبقا
وجاهل غازلت فحواه مقلتها ... فالتاح فى سلك اهل الرشد منتسقا
كم جاهدت فى العدا كل الجهاد كما ... قال الولى الذى فى كشفه صدقا (٢)
انظر وقد حكموا لولا العناية ما ... أبقوا لذا الدين لا لحما ولا مرقا
بشرى لذا العصر اذ هذا الولى به ... سعدى لذا المصر اذ من شرقه شرقا
ياكل من رام ان ينال بغيته ... وان يشاهد نور الفتح مؤتلقا
وان يرى بشراب القوم منتشيا ... مصافحا نسمات الوصل معتنقا
ازج الركاب الى تلقاء حضرته ... لكى تشاهد ما تبغى بها فلقا
وزره كيما ترى ما لا يحيط به ... وصف وان أنفد الاقلام والورقا
وتجتلى أوجه الاحسان مشرقة ... وتجتنى ورد تحقيق كما انتقا
وترتدى حلل الاخلاص ضافية ... مستفتحا من كنوز الصدق ما انغلقا
وتستنير بنور لو تحوز سنا ... ه الشمس ما انكسفت والبدر ما المحقا
نور اذا ما تجلى للنفوس غدت ... دكا والمروح فى أفق الشهود رقى (٣)
يزج بالقلب فى عين الكمال مزحـ ... ـزحا له عن سماء الخضرة الشفقا

* * *

يا سيدى يا (أبا عثمان) يا أملا ... لكل من بحار الجهل قد غرقا
أدرك ذماء ضعيف روحه بلغت ... منه التراقى وامسى رهنه غلقا (٤)

---

١) خلق الجلد وفراه : اذا قدر كيف يقطعه ثم قطعه . ونحط المثل : (ليس كل من خلق يفرى) ومن اللطائف أن بعض البلداء قرأ البيت هكذا : (ليس بفار كل من خلقا) فبنى خلق للمجهول . وقال معناه : ليس كل من خلقه الله فارا . بل فيهم الفران وغيرهم .

٢) تلوح الى قصة قيل فيها عن همة المترجم أنها فعالة ، وكثيرا ما يقول ان الشيخ قال لى : لايخافن الثقلاء من الاحتلال مادمت حيا . فلم يحتاجوا الا بعد وفاته . وكثيرا ما يقول : ان الفجر قريب . يعنى الاستقلال .

٣) الروح يذكر ويؤنث . ورقى كرمى على لغة طيىء

٤) الذماء بالفتح : بقية الروح

عجل فقد بلغ السيل الزبى وعلا ... على الفؤاد ظلام الذنب فانطبقا
عار على الحر في شرع الفتوة ان ... يخيب ظن الذى بذيله علقا
فالعبد لم يتخذ من غيركم سندا ... كلا ولا قط عن ميثاقه زلقا
ولا رنت للسوى من بعد نظرته ... فالصفرينكره من يعرف الورقا (١)
فجد له بالذى يشفى العليل وما ... يروى الغليل وما ينفى به الشرقا
وجد له بدعاء كي ينال بـــه ... لحوق من بمقام الصدق قـد لحقـا
أزكى السلام على عليائك ماسجعت ... ورق الحمى فاثرن وجد من عشقا
ثم الصلاة على روح الوجود ومعـ ... ـنى الجود محض السجايا خير من خلقا
والآل والصحب أسد الحرب من بهم ... قد فض مختوم كنز الرشد فانغلقا

كما وفدت عليه فى رمضان ١٣٤١ هـ بهذه القصيدة الدالية التى احتديت بها داليتى اليوسى والتاستاوتى فى الشيخ سيدى محمد بن ناصر، وقد رقص المترجم للقصيدة • فرحا بكونى أتدرج فى الادب • كما كان يحبه لى • وقد كنت حين قلت هذه • مكبا على (خزانة الادب) لابن حجة ، فمنها أصبت بكل ما يراه القارىء ، ان استطاع أن يقرأ :

صابت سحائب دمعى المتبدد ... مد شمت بارق ثغرك المتنضد
ورعى قتاد السهد سرح العين لمـ ... ـسا ذدتها عن خدك المتورد
واختلت فى متجدد النهيام اذ ... يختال وجهك فى السنا المتجدد
وتجمعت أفلاذ قلبى للهوى ... لمـا أتيت بحسنك المتفرد
وامتد للاحشا التوقد من لدى ... لهب الجمال بخدك المتوقـد
اقعدتنى عن سلوتى واقمتنى ... للشجو يا لك من مقيم مقعد
أضللت صبرى حينما ارشدتنى ... للوجد يالك من مضل مرشد
هتكتنى فقطعت عمرى بالبكا ... غير العجيب القطع عند مهند
وقلبتنى بنبال حسن لم تـدع ... للقلب فضلة مسكة وتجلد
وكسوتنى ثوب الضنى لما ارتدى ... ثوب الملاحة منك أحسن مرتـد
وتلاعبت أيدى النحول بصعدتى ... لما انعطفت بعطفك المتأود
فانظر الى جسمى تشاهد عظمـه ... مثل الهباء لدى الهوا المتردد
جسم يقلد منك خصراً رقـة ... لا عتب فى شرع الهوى لمقلـد
غيبت اذ ارقدتنى مهد الهوى ... سلواى والتغييب شان المرقـد
وغويتنى بتكسر يـا طرفـه ... فهتكت ستر تنكسى وتعبدى

١) الصفر بالضم : النحاس • والورق الفضة .

ورشقت الباب الورى فتركتهم ... بين المفرج فى الجوى ومصفد
وسقيت كاس الوجد كلهم ومن ... لم ينش بعد براحها فكان قد
ما ان تجرد فى الجفون مهندا ... الا بغير قلوبهم لم تغمد
بأبى وبى أفديه من متعرض ... نظم الجميع بسهم وجد مقصد (١)
تبرك الاعزة اذ أماط لثامه ... متهافتين على مقام الاعبد
متفضض الوجنات ما حييته ... الا قلبت لجينها بالعسجد
متمايل كالغصن فى دعص النقا ... مترنح مثل الغزال الاغيد (٢)
بسقت غصون جماله فتقتحت ... فى وجهه الوجنات عن ورد ند
قد طرزت أيدى المحاسن خده ... بمنمنم من صدغه المتعمد
صدغ أتى فاتنى الى نظاره ... وجد يذيب تجلد المتجلد
يا شهوة للمشتهين ونزهة ... للناظرين وفتنة المتعبد
جردتنى من مال صبرى ظالما ... أو ما رثيت لوحشتى وتفردى
ما كان ضرك لو منحت على شحج ... من ريق ثغرك يا خلى بمبرد (٣)
هبنى صديقك قد صديت اجاز فى ... شرع الصداقة منع ماء من صد(٤)
الله فى اتلاف نفس روحها ... فى رشفة من ريقك المتشهد
لا تحسبن ان لم تغثه بقاءه ... حتى العشى ، فكيف يبقى للغد
هلا رحمت متيما ساعاته ... فى درس حبك فى بكا وتهد
ورحمت صبا لم يكن لولاك من ... عند الطلول بحائر متردد
كلا ولا لولاك لم يك هائما ... (بين اللصاب وبين ذات الارمد) ٥
كلا ولا لولاك لم يك سائلا ... عن أهل نعمان وأهل الغرقد
كلا ولا لولاك لم يك خافقا ... لجج السراب مخاطرا فى القفقد
كلا ولا لولاك لم يك ساهرا ... ومسامرا للنجم ليلة أرمد
كلا ولا لولاك لم يك جسمه ... فى رقة كالدين عند الملحد
فعظامه لعبت بها أيدى الضنى ... لعب النسيم بخيزران املد
وخدوده معفوة بدموعه ... عفو الطلول بصوب مزن مرعد

١) اقصد الغرض : اذا أصماه ، اى أصابه
٢) الدعص : الكثيب المتجمع من الرمل . والنقا : القطعة من الرمل المحدودبة
٣) يا خلى ، أو يا خليل من باب الاكتفاء . من المثل : ربع القحى من الحل .
٤) الصدى : العطشان ، او يا صديق من باب الاكتفاء .
٥) من دابة اليوسى .

وضلوعه ذابت على زفراته ... ذوب اللجين على لهيب الموقد
وشجونه أحيا بها دين الهوى ... احيا سعيد رسم دين محمد
وجلا بها صدأ العفا عن ربعه ... مجلى الضلال بيمن هذا السيد
شيخ همت فى الكون سحب نواله ... فبدت أزاهير المنى للورد
شيخ بدت أفق الطريقة شمسه ... فتبلجت طرق الحمى للقصد
قمر الحقيقة شمسها بصر الشريـ ... ـعة سمعها عين الامام المفرد
بدر الدجى للمهتدى ورد الهدى ... للمجتنى بحر الندى للمجتدى
رب الكمالات اللواتى ان عرا ... نقص كمال الغير يوما تزدد
رفعت لـه أيدى المواهب منصبا ... جر الذيول على السها والفرقد
مادت به مرحا عروس الفضل، اذ ... شرفت به مرح الغصون الميد
آتكسون أجفان الفؤاد قريحة ... ولدى الاطية ألف الفى ائمد
وتضيمنى نفس متى ما سمتها ... عظة تقابلنى بقلب الجلمد
امارة اعدى الى الشهوات من ... (سيدى الغضا نبهته المتورد)١
وردت موارد بى اذا ما رامها للـ ... ـخريت لم يثفد لذاك المورد
بالله ثم بك التجى من لم يطق ... منها مساورة الحباب الاسود (٢)
فكيودها اوهت قواى وانما ... (أبدى لطرف الشامتين تجلدى)٣
أو ما رأت عين البصيرة منك ما ... فعلت بشمل عزائمى المتبدد
غلبت على قلبى الضعيف بكيدها ... يا للعجاب لثعلب مستأسد
شكواى من تلك العدوة هذه ... فبحق ربك أشكنى يا سيدى
فوحقكم لم ادخر الا الولا ، ... لمقامكم للحادث المتأكد
فيقول حبيكم اذا جهش البكـ ... ـا بالخوف (لاتهلك اسى وتجلد) ٤
انى الرشيد غداة اعدو واثقا ... من ظن رفقتكم غدا بمؤيد
(لا مرحبا بغد ولا أهلا بـه ... ان كان تفريق الاحبة فى غد) ٥
حاشا الفراق وانتم ترعون حـ ... ـق الابعدين ، فكيف غير الابعد
فبحقكم فبحقكم فلتسمحوا ... بعلالة من بحركم لفتى صد
فبحقكم فبحقكم منوا على ... هذا الضعيف بفتح باب موصد

١) من الدالية فى المعلقات السبع
٢) الحنش .
٣) من البيت : وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لاأتضعضع
٤) من تلك الدالية أيضا من المعلقات
٥) منها أيضا

فبحقكم فبحقكم فاجلوا به قلبا باصداء المساوى قد صدى
بالله راعوا مقتضى حال وجو دوا ل بعزم لليقين مؤكد
فلقد وجدت وحقكم بركاتكم لكن من ذاق الهنا يستمزد

* * *

واليكها خرداء (١) يخلب حسنها بكم قلوب القانيات الخرد
حليت بجل مديحكم فتنزهت عن جوهر وزمرد وزبرجد
سحبت بيمنكم ذيول التيه عن نظم ابن اوس والوليد واحمد
جليت فخركم عروسا فابدلوا فى مهرها- ادنا- عبد مبعد
لكن حد المدح منها فله كون المدى لعلاك غير محدد
فلتمنحوا ان انشدت لتزيلها كرما (اصاخة ناشد للمنشد) ٢
فلعلنى احظى بنيل قبولها فافوز بالكنز الذى لم ينفد

كما وفدت عليه ايضا فى المحرم ١٣٤٢ هـ فقلت هناك هذه القطعة ، وقد وردت على حال عظيمة :

قرت بها تشتهى القلوب لما بدا حسنك العجيب
عطفت روحى بما تجلى فهكذا يعطف الحبيب
يا صب ابشر فبالتدانى من الحمى يفرح الغريب
فالوصل اعلامه تجلت ابصرها من لهم قلوب

ثم لما استأثر الله به ، حاولت رثاءه ، فلم يتيسر الا هذه الابيات الثلاثة :

ايا راحلا لبى نداء مطاع وداعا وان لم تنشد لوداع
وداع مريد كنت اراك مشفق عليه وفى سعداه افضل ساع
يودع منك الرشد والنصح والهدى بنفس على تلك الخلال شعاع

قولة الايكاري فيه

(ومنهم الفقيه العالم العلامة الورع الخاشع المتخشع الصوفى المتقشف سعدى سعيد الشنانى كان يقرئ الطلبة فى مدرسة ، فجاز به الشيخ المربى

١) خرداء فى تلك البيئة ، واكنها الآن فى هذه البيئة شوهاء حزبون ،
٢) فصال : اصاخة الناشد للمنشد ، للمنشد

الدرقاوى سيدى الحاج على الالغى • فجلبه لخدمته وصحبته • وترك المدرسة بما فيها ـ اقول هذا وقع لسيدى احمد الفقيه الركنى لا للمترجم ـ وترك ابا وأما على ما قيل • وعصاهما فى خدمة مولاه • ولازم شيخه حضرا وسفرا وكان من متشديه • فى الخلق الذكرية • الى ان توفى شيخه • وبقى فى الزاوية مشمرا • فتزوج بنت شيخه • على خلاف ما اقتضته المروءة • لانهم عدوا ذلك من سوء الآداب الصوفية فلما استقر جاءمن قبل اولاد الشيخ انفة • لان الناس يقصدونه بالزيارة لعلمه • واولاد الشيخ لا غرض فيهم الا مجرد التبرك • فنحوه ورحل اولاده لبلده (أداوتانان) فاقام زاوية هناك فلم يلبث ان مات فى ذى القعدة ١٣٤٣ هـ)

أقول : ان الشيخ سيدى محمد بن ناصر تزوج زوجة شيخه • ثم ان كثيرين كاحمد أحوزى وتلاميذ ابن ناصر تزوجوا بناته • ثم ان الاستاذ الايكرارى تزوج بنت شيخه ابن العربى •

فرضى الله عن الجميع •

احمد بن محمد التناني

١٢٩٣ = حى

نسبـــه :

احمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن احمد بن على بن محمد (انفلوس) من قرية (تامارووت) بـ (تانكرت) واهلـه كانوا جلوا منذ اكثر من ٤٠٠ سنة عن مـواطن قبيلـة (ايت اوسا) من صحراء سوس . ويسمون (انفلاس) وذكر أن اخوتهم من تلـك القبيلة لا يزالون يحملون هذه النسبة . وقد تفرعت هذه الاسرة فى هذه النواحى . ويوجد بعضهم فى قرية (تيليوا) من (ايت باها) بقبيلة (تكنافة) . وفى الاسرة رجال مذكورون بالعلم والصلاح .

١ ـ ومن هؤلاء عالم كبير يسمى محمد بن على علا شانه فى عهد السلطان مولاى عبد الرحمن حتى كان قاضيا بـ (فـاس) ـ فيما ذكـر المترجم ـ ولعله كانت له معرفة بالسلطان ايـام خـلافته على (السويرة) فى اواخر عهد مولاى سليمان . ثم دفعه ذلك الى تولى القضاء بـ (فاس) . قال المترجم : كان جدى محمد بن الحسن يزوره هناك بـ (فاس) وقد كان هـذا تزوج رحمة بنت محمد بن على أخى ذلك القاضى . ويقال ان الاسرة بكرية . وان مشجر نسبهم فى يد هؤلاء الساكنين بـ (حاحة) والله أعلم . ولعل الاسرة من ءال (يعزى وهدى) البكريين المشهورين فى (أسا) .

٢ ـ ومن هذه الاسرة فقيه يسمى محمد بن بلقاسم ذات الرسوم على انه عاش فى أواخر القرن العاشر الى أوائل الحادى عشر . ويقال انـه كان عالما ورعا له أملاك وزاويـة فى المحل الـذى فيه الآن مركز (ايموزار) بـ (ايدا وتنان) ففى مكان زاويته يوجد المنتزه العمومى هناك . ومما يؤثـر عنه أن غنما له أغار عليها (أيت واعزون) فذهبوا بها وهو غائب . فلما رجع يومه اخبر بما فعلوا . فتبعهم الى ديـارهم فوجدهم قد فرقوا الغنـم يذبحونها . وحين راوه اندسوا عنه . فنادى على سطح المسجد بـان كل من بيده شىء من الغنم فهو له . ويحل له ان يفعل به ما يريد . وقـد دفن فى بيت مشهور اذاء (تامارووت) ولا يزال قبره مزارة الى الآن .

٣ ـ ثم جاء المترجم اخيرا بثلث هذين بما ستقراه عنه .

مشاخذه

أخذ القرءان فى مسجد القرية أولا عن الاستاذ الحسن الرحمانى . ثم فى قرية (توكرو) قرب قريته الاصلية عن الاستاذ بلخير التازانتوتى . ثم فى مدرسة (سيدى محمد بن سليمان) بـ (نكنافة) بـ (حاحة) عند الاستاذ ابرهيم من اهل زاوية (اوحسن) الشهيرة . وكان فقيها يشارط من يعلم القرءان . ويعلم هـو الفنون . ثم فى مسجد (تازانتوت)عند الاستاذ سيدى محمد البرايـيمى الشهير . قـال : وبعد ان اتممت حفظ القرءان واتقنته عنده . اراد ان يفتح لى الاجرومية فابيت ، فذهبت الى مدرسة (بو العجلات) بقبيلة (هركينة) حول (تارودانت) عند الاستاذ على بن الدكالى من المتخرجين بالاستاذ الضحاكى البعمرانى ، وكان هناك أزيد من ستين طالبا ياخذون عنه الروايات وكان قارئا من القراء الكبار على حرف البصرى ثم فى (تامدا) بـ (اداوزال) عند الاستاذ محمد الاخرضيفى التنانى ، وهو ايضا من القراء الكبار من تلاميذ الضحاكى ، فهؤلاء أساتذته فى القرءان . ثم كان فى مسجد (تيديل) بازاء مسقط رأسه لدى أستاذ . فعنده عانـق العلوم اذ اخذ عنه بعض الابتدائيات ، ثم سافر الى (بونعمان) عام ١٣١٨هـ فلازم الاستاذ سيدى محمد بن مسعود الى أن توفى عام ١٣٣٠ هـ . وكان فر طليعة النجباء الذين كانوا يعاصرونه . وكان الاستاذ اخيرا حينما رءاه مرءٌ على كل الفنون وتمكن فيها عينه لتدريس بعض الدروس ، ثم كلفه حينما أن يطوف على قرى (ايت برايم) ليعلم الناس الضرورى من علوم الدين فى بعض عطلات الدروس . وقد اخذ عن الاستاذ الفقه والنحو والبيان والاصول والتفسير والحديث والتصوف . وقد كان يلازمه فى حالة تردده على مشايخ عصره . حتى استقر به المطاف عند الشيخ الالغى . ثم لما توفى الاستاذ بقى المترجم نحو سنة عند صنوه شيخنا أبى العباس . ثم ءاب الى اهله .

أحواله

كان ربانيا خاملا مسكينا مجدا فى تعليم القرءان فى مسجد قريته ، وكان حينا مسجد (أساكا) يدرس بعض الفنون . وقد عاش الى الآن بعض الآخذين عنه ، وقد استنسخوا عند غيره . وكان يشارط فى (اكرٌ ٰنبوحمد) هناك سنتين . وغالب عمره امضاه فى قريته حيث لايزال الى الآن مكبـا على تعليم كتاب الله بجد قليل النظير . وقد خرج كثيرين .

شرب كاس التصوف ، فزهد فى الظهور . وقنع بما تيسر . وكـل شىء يحتاج فى هذه الحياة الى الاعلان ، حتى العلم . فمن لازم الخمول . وءاثره

على الظهور • اداه الحال الى أن يجهل الناس قدره ، فيكون فى بـاب العلم نسيا منسيا • وهكذا وقع للمترجم • فعاش عيشـة من لاعلم عنده • مع ان عنده من المعارف مايعلو ببعضه كثير من المتعلمين • ومما وقع له انـه ادب مرة تلميذا • فوسوس بعض شياطين الانس الى ذلك التلميذ أن يرفع بـه الشكاية الى السلطة الحاكمة فذهب الى مركز (ايموزار) حيث الرئيس الاجنبى الفرنسى ، فشكاه اليه • فبعث اليه هذا فسجنه هو ووالد التلميذ بحجة انه ينفر من التعليم • وقد كاد هذا الرئيس الاجنبى يمد يده فى المترجم بالضرب • وكان بطاشا سريع اليد • الا أن الله عصم وسلم • وقد أثرت فيه هذه الواقعة بعد ذلك ففتر عن الجد فى التعليم • ولله فى خلقه شئون •

ملاقاتـه بالشيخ الالغي

قـال : كنت جاورت فى مشهد (سيدى ابرهيم بن على) التنانى • فوهبت له ثواب ختمتين من القرءان • فارانى الله فى المنام مدرسة (بوتعمان) وبعض من فيها • ومنهم أبو زيد العوفى • فذلك هو السبب حتى رافقت بعض الطلبة من عندنا اليها • ثم وفقنى الله فكنت على حالة حسنـة بينى وبين ربى • فلم نلبث أن دخل علينا يوما الحاج بلخير البوشتى • فمر بنا فى الدرس الى المصلى • فسمعنا بعض أصحابه يجهرون بما هو معلوم عنهم من الصرخات • فضحك منهم بعض الطلبـة • فكتب لنـا الاستاذ ابيانا – وأم يستحضرها المترجم الذى كـان يحكى لى يـوم اكتب عنه – ثم قال مستمرا فى حديثه : ثم داخل استاذنا ابن مسعود السيد الحاج بلخير ، فرأى منه ما استهواه • فتلقن منه الورد • ثم حثنى أنا على ذلك • ثم صار الحاج بلخير يلاحظنى ملاحظة خاصة حتى جعلنى خديمه الخاص• ثم لما فترت همة الاستاذ فى القراءة ، وقد انساه الحاج بلخير القراءة وما اليها • وصار لاشغل له ولا لنا الا مجالسة الحاج بلخير • وقد سلم له الجميـع • وصرنا نناديه بالشيخ • أرسل سيدى مسعود رسالة يوبخ فيها ولده استاذنا ، ويقول له ان المدرسة لم تبن الا للقراءة لا للفقراء ، ثم تبـع الرسالة فى اليوم الثانى بنفسه • فصلى بنا الظهر ، ثم صار يعظ الطلبة ويندد عليهم فى تركهم للقراءة • وقد كان الحاج بلخير حاضرا • لانـه اتخـذ المدرسة مثواه • ثم قبل العصر فى ذلك النهار امرنى الاستاذ أن ءاتى بالحداد ليفتح قفلا على بيت فى المدرسة • ثم عزلت معه كتبه من كتب ابيه ، ثم خرجنـا

مع الحاج بلخير من المدرسة ، ونحن خمسة وعشرون من الطلبة ، والطلبة الآخرون منهم من بقي في المدرسة ومنهم من انتقل من المدرسة راجعا الى اهله ، وقد كنا أزيد من مائة ، ثم توجهنا مع الاستاذ ومع الحاج بلخير حتى ابتعدنا عن المدرسة ، فامرنا الاستاذ أن نسير مع الحاج بلخير الى داره فنبقى هناك اسبوعا ثم نلتقي معه في موسم سيدي أحمد بن موسى . وقد كنت خرجت من المدرسة مجردا . فالزمني الحاج بلخير أن ارجع لآتي بكل متاعي . ثم التقينا مع استاذنا في الموسم . فسار بنا الحاج بلخير في (اداوباعقيل) نحو شهرين . ثم رجع بنا الى داره . ونحن في تقشف لامزيد عليه . فاذذاك جاء رئيس من أهل قرية (قصبة الطاهر) بـ (أيت براييم) فاستعطف الحاج بلخير لرد اليهم الاستاذ . وذكر له أن سيدي مسعودا رجع الى (المعدر) وارسل ابنه سيدي أحمد الى (بونعمان) ولكن القبيلة لا تريد الا سيدي محمدا . فواعده الحاج بلخير موسم (سيدي بوعبدلي) فذهبنا اليه فبتنا في (أيت جرار) فوصلنا خبر وفاة سيدي مسعود . ثم استقر الاستاذ في المدرسة . قال وفي هذه الاثناء وقعت للحاج بلخير على أمور . منها أن الطلبة كانوا يتوضئون في «انية جديدة من عود . وفي الماء رائحة ظاهرة تؤثر فيه . فنهيتهم عن ذلك . فقال لهم الحاج بلخير : نحن أصحاب حقيقة لاأصحاب شريعة . ثم رايته أيضا يوما يلاعب حدثا . فشاهدت ـ والله مطلع ـ ما شهدت كما ظهر لي ذلك من تحت ثيابه . ثم صلى بنا بعد ذلك بلا وضوء بعدما لمس الحدث وظهر منه اثر التلذذ . ثم قال لي يوما : انني أريد أن أدخل الخلوة . وساكون أنا المهدي المنتظر . وتكون أنت مقربا الي" . فنفضت منه حين قال ذلك يدي . ثم استدعيت الاستاذ في عشية جمعة على عادتي معه دائما . فاخبرته بالواقع . فقال : انني رأيت منه أغرب من ذلك ، فقد ظهر لي شيطان في صورة ؛ فقال لي : ان مفاتيح (سوس) نعطيها لك . فصار يعظم أمامي . فعرفته واعرضت عنه . فذهب عني . ثم لما تحقق الحاج بلخير أن بنيانه انهار بيننا . تسلل من المدرسة . قال : ولم ننشب أن جاءنا الله بالشيخ الالغي . فجاء الفجر الصادق بعد الفجر الكاذب والحمد لله . فرأينا الشريعة القائمة . وهمة العلم والنصح الخالص للعباد . والنور الموهاج الذي لاريب فيه .

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

وللمترجم اخوان نجيبان سعيد ومحمد . وقد لازماني في (مراكش) فاذا بسعيد بعد أن حصل بنبوغ كثير مسرع . اعتبط بمرض فاقبر في

(السويرة) حوالى ١٣٥٣ هـ . واما محمد فانه استقام . ثم قطن فى (تادلة) فيعلم . وتزوج وتمكن فى الحياة الى ان توفى حوالى ١٣٦٨ هـ هنالك . وقد حصل الاخوان معا تحصيلا تاما . ولكن لم يتح لهما من طول العمر مايظهر به مقامهما . فظفر بينهما المترجم بما لم يظفرا به . فها هو ذا لايزال ممتعا بالحياة . وقد كنت قلت فى سعيد أيام مقامه عندنا قطعة ضاعت . فلم استحضر منها الآن الا هذا الشطر الذى هو مطلعها :

اعيذك ان تكـون غدا سكيتا

سيـدي

احمد بن مبارك التامارووتى

التنـاني

١٢٩٣ = أوائـل حجـة ١٣٧٦ هـ

نسبـــه :

احمـد بن مبـارك بن الحسن بن احمد بن عـلى بن محمد انفلـوس .

من فخذ يقول ابناؤه ان اهلـه من زاوية (اسا) ويقولون ان انفلاس معروفون من قبيلة (ايت اوسا) وقيل لمحمد انفلوس اى النفلوسى نسبة . على عادة الشلحيين فى النسبة . وذكروا أن الدفين ازاء مسجد (تامارووت) المسمى أحمد بن بلقاسم كان منهم . وقد كانوا اولا نزلوا فى (تيليـوا) من (ايت باها) فى (نكنافـة) . ولا يـزال بعضهم هناك الى الآن . وقد كان منهم فقيه يسمى محمد بن على . كان مع الملك مولاى عبد الرحمن بن هاشم وقد تقدم بعض هذا فى الترجمة قبل هذه .

متعلمـــا

اخذ سيدى احمـد بن مبارك عن الاستاذ محمد التازاروالتـى . فى مسجد قريته . وعليه وحده جمع القرءان . وهو استاذ خرج كثيرين . لانه قطن فى القرية الى أن توفى نحو ١٣٣٣ هـ

ثـم اتصل بالاستاذ الشريف سيدى عـلى بن ابرهيم التازاروالتـى الساكن فى (تيديـل) ازاء قريته . فاخذ عنه بعض المبادىء . ثم غـادره فاتصل بـ (ادوال) ـ وهو اسم لكل طائفة من طلبة القرءان يدورون فى البلاد . ولا قصد لهم الا أن يجمعوا ما يسخو به عليهم الناس . فيضيفون ويكرمون . وما اكثرهم قبل ١٣٣٠ هـ ـ فدار معهم الى أن وصل (تازاروالت)

فاذا به لاقى الشريف سيدى ابرهيم بن محمد بن البزيد ـ اقول هو ابـو زوجتى ـ فذهب به الى (بونعمان) عند الاستاذ سيدى محمد بن مسعود . فلبث هناك سنين من قبل ١٣٢٠ الى نحو ١٣٢٦ هـ فاخذ اخذا حسنا . وجال مع أستاذه هذا فى مجالاته . واخذ معه عن الشيخ ماء العينين . ثم عن الحاج بلخير البوشتى . ثـم عن الشيخ الالغى حين القى الاستاذ بين يديـه عصا تقلباته . وفى نحو ١٣٢٦ هـ جاء والده سيدى مبارك . فطلب منه ان يطلب من أستاذه أن يسرحه فأبى الاستاذ عليه . الى ان قال لـه اخيرا . اذهب الى شيخنا الشيخ الالغى فان سرحـك سرحتك . ولكنه لـم ينتظر بعد لا اذن أستاذه ولا اذن الشيخ . فرجع الى داره بلا وداع . فاداه ذلك ـ على ما يعتقده الناس ـ الى أن انغمس فى حمأة المشاجرات مع الناس . فجرحه انسان . وجرح هو اخر . ثم لم يشب الى رشده الا بعد امة من الزمن .

مشارطـاتـه

شارط أولا فى مدرسة (ايفرض أوطاها) . ثم فى مساجد شتى فى بلده . الى أن استقر به الحـال اخـيرا فى مسجد (الدشيرة) فى قبيلـة (تسميمة) سنوات بعد ١٣٦٥ هـ فبقى هناك يعلم القرءان فى وسط هيئة مرموقة وفى حسن ظن . وقد أمكن له أن يعيش معيشة الكفاية . بعد مـا ضاق به الرزق فى مسقط رأسه ما شاء الله . وللحركات بركات .

بعض احـوالـه

كان فقيها حسنا يطالـع من مختلف الكتب . ويحفظ من الادبيات . وقد كان عنده كتاب (أزهار الاكم . فى الامثال والحكم) لليوسى . وناهيك بمن يكب على امثاله . وقد سافر رحمه اللـه فاتصل بمثل شيخنا سيدى سعيد التانانى . فتهذب به وتشذب . وشرب من شراب القوم مـا شرب . وكم اغبرت قدماه فى سبيل الله . وقد مررنا سنة ببلده متوجهين الى موسم (الـغ) فاستثاره الشوق . فلم ينشب أن تمنطق . وحمل عصاه . فرافقنا على رجليه بهمة الشاب الفرهد القوى .

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

ولم يكن يفارق زيارة شيخنا المذكور منذ استقر فى بلده (الزيار)

وقد كان يحفظ كثيرا من أشعار القوم . فينشدها في المناسبات ـ وقد كان يحكي كثيرا ما كان يراه من الحاج بلخير يوم صاحبوه مع الاستاذ ابن مسعود . وقد كان يخدمه . فيرى منه ما يصدم الشريعة صدما مثل ما تقدم مما حكاه أحمد بن محمد رفيقه المتقدم . وعليهما عهدة ذلك . فكان ذلك أحد البواعث حتى فارقوه . (أقول) ان أصحاب الحاج بلخير لايرون منه الا الحسن .

وفاته

ساقته تربيته الى مدينة (السويرة) فانقطع هناك قليلا . ثم بلغتنا وفاته رحمه الله .

سيدي

الحسن التنانى التامارووتى

التشكجيبي

نحو ١٢٩٧ هـ = ١٣٢٧ هـ

هو من قريـة (تيشكجّى) من قرى (تانكرت) بـ (ادا وتنـان)
هو من قرية (تيشكجى) من قرى (تانكرت) بـ (أداوتنان) لانعرف عنه الا انه لازم مدرسة (يونعمان) عند الاستاذ سيدى محمد بن مسعود سنين حتى حصل الفنون واستحضر المتون . وكان من أفذاذ الطلبة همة واقبالا على شأنه . حسن الخط . له خلائق وسجايا وعفة لاتزال السنة عارفيـه رطبـة بذكرها الى الآن .

ولما كان عليه من الدين المتين . والامانة التامة . ولاه الاستاذ ابن مسعود ادارة شئون المدرسة . فكان هو القيم على الدخل والخرج فيما يروج بين يدى الاستاذ فى المدرسة . وعلى ذلك أدركه سيدى محمد بن عبد الله الزيكى الذى حكى لنا عنه . وقد أثنى هذا الحاكى على عزوفه وعلى حرصه أن لايفوته درس وان طوق ما طوقه من ادارة شئون الاستاذ . وكان تقيا نقيا . تشرب التصوف على يد الشيخ الالغى . ويحضر مع أستاذه الى الزاوية (الالغية) كلما رحل اليها ركب الاستاذ . وكان الامين على كيس الاستاذ فى السفر .

وقد أدركه أجله فى المدرسة فبكاه الطلبة . ولكن لاكبكاء أستاذه الذى لم يملك دمعه أسفا على اخلافه . مع أن الاستاذ صبور حليم قلما يزعزعه شىء ولكن العواطف اذا فاضت لاتجد غير انهمار الجفون تعبيرا صادقا . فرحم الله الاستاذ سيدى الحسن التنانى وغفر له .

سيـدي

عبد الملك التيغانيمينى التنانى

١٢٩١ هـ = ١٣٧٣

نسبـــه :

عبد الملك بن ابرهيم (الدشيرى) ويرتفع نسبه الى الشيخ الجليل سيدى ابرهيم بن على بن الحسن بن موسى بن محمد بن عمر بن موسى بن يعقوب ابن على بن يوسف بن صالح بن طلحة بن جمعة بن على بن عيسى بن الفضل ابن عبد الله بن كنوز بن محمد بن أحمد بن الحسن ابن اسمعيل بن جعفر ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطى ابن على بن أبى طالب

أسرة هذا الشيخ أسرة اخرى شريفة. من الاسر الماجدة . المرتفعة الهامة بالشرف العلوى وهى أخت الاسرتين المحمدية التزنيتية. والوجانية الرئيسية والجميع من أخوات أسرة الشيخ سيدى أحمد بن موسى التازروالتى . وأسرة العلامة سيدى عبد الله بن يعقوب الادوزية . وقد تكلمنا على ما يتعلق ببعض نواح من هذه السلسلة المباركة فى نسب ءال محمد التيزنيتيين فى هذا الفصل نفسه عند ذكرنا لآل أوعامو . وهذا الفرع التنانى لم يظهر الى الوجود بالمجد والعلم والصلاح الا بالشيخ سيدى ابرهيم بن على وباولاده الاماجد . فقد نالوا فى قبيلة (ايداوتنان) من الاحترام والمكانة وسمو المقام مانتدبذب دونه كل المقامات ، فلم يزل أهل الشيخ فى هالة متسعة بالتبجيل والاكرام الى الآن. فلنتتبع رجالات العلم والقراء والصالحين من الاسرة. من جدها الى ان نصل ذكر سيدى عبد الملك الذى عنونا به هذه الفذلكة المباركة .

الاول الشيخ سيـدي ابرهيم بن علي

هذا الامام الجليل أحد الافذاذ الذين ازدهرت بهم (سوس) فى القرن العاشر عهد المشايخ الكبار . عهد سيدى أحمد بن موسى . وسيدى سعيد بن عبد النعيم وسيدى محمد بن ابرهيم الشيخ . وسيدى عبد الرحمن بن على التلكاتى وسيدى أحمد بن عبد الرحمن المسكدادى . وسيدى محمد بن

ويساعدن . وسيدى عياد التامازتى . فكان احدهم شهرة واعتقادا من جميع الطبقات . الا أن كثيرا من هؤلاء يكاد ذكرهم يطوى الا عند مزاراتهم . واما سيدى ابرهيم بن على فانه كالشمس لايزداد الا نورا. وماذلك الا لروحانيته القوية التى يرى الناس منها ما يرون . خصوصا اهل قبيلة (ايداوتنان) فان اعتقادهم فيه يكاد يعدو الطور المحمود . الى الغلو الممقوت . فانهم توارثوا من اعتقاده خلفا عن سلف منذ قرون ما جعلهم ينسبون اليه جميع ما يقع فى أرض قبيلتهم من النفع والضرر . حتى انهم لمنعة أرضهم بالجبال الشامخة والاودية العميقة . يمتنعون من الاسترسال فى الاحكام المخزنية فينسبون له ذلك . فيزدادون فى خدمة مقامه واحترام أهله . وقد ذكر بعضهم يوما ذلك للشيخ الالفى . فقال له الشيخ : انما منعتكم جبالكم وجبيلاتكم . واما سيدى ابرهيم بن على فانه لا يأبى الصلاح . والحكومة وأفعالها لاتأتى الا بالصلاح . هذا مع اكبار الشيخ الالفى لمقامه . ولكنه صرح بالحقيقة ليتلفى بعض ما يعتقده المغالون فى سيدى ابرهيم بن على رضى الله عنه . ومسامرات التنانين فى أنديتهم تطفح بالحكايات عنه لا فى عهده ولا بعد عهده . وقد اعتاد التنانيون أن يقوموا بجميع أولاد الشيخ بما يقاسمونهم من محصولات حقولهم . ومستغلات أشجارهم . حتى انهم فرقوا أولاده على أفخاذهم الثلاث أهل (تانكرت) و (أيت واعزون) و (ايسفاسن) . فيعرف كل شريف خدامه وخدام ابائه منهم . فيحوز المعتاد من الشعير والذرة والزيت واللوز والغنم، ثم ينزل هؤلاء فى أيام مواسم الشيخ على شرفائهم . فيقدمون لهم ما يأتون به اليهم خاصة . زيادة على ما تاتى به كل فخذ من الذبائح والبسيس والبيض والزبد ـ والعادة أن يذبح هناك من البقر والغنم الكثير ـ فيقتسم الشرفاء الجميع على عادة لهم متوارثة . كما يوتى بالبسيس المصنوع من الادام والبيض فيجمع ذلك كله فوق صفا أملس هناك . حتى يكون كومة . فيندفع الشرفاء وعبيدهم يتناهبونه بزحام شديد. وقد حكى لى عن ذلك من حضروه مرات . والعادة انه كلما قرب الموسم لاتبيض دجاجة . ولا يمخض وطب . الا يكون البيض والزبد لموسم الشيخ . فمن ذلك يلت البسيس . هكذا كانت العادة الى جيلنا هذا . ثم لما جاء الاحتلال الذى يعجبه بقاء أمثال هذه العوائد غض الطرف عما يقع فى ذلك . ثم لما صارت الافكار تتفتح . وتتفشع الفشاوة بالتمدين الحديث . وصار الانكار على المتغالين فى الصالحين يروج . وصلت ضبابة الى زاوية (تيغانيمين) ـ وهى اسم زاوية الشيخ ـ فصارت هذه العوائد تنقص عما كانت عليه . وان كان جلها لا يزال قائما الى الآن . وقد كان فى الزاوية مقدم كان يتملق المحتلين . فيستدعيهم يوم الموسم من (أكادير) .

فيفيض عليهم من النعم ثم يلقى عليهم من الخطب ما يعجبهم من الثناء . ومن الانحياش اليهم . فيسوء ذلك الوطنيين . فكان ذلك هو السبب حتى ضعفت هذه العوائد من فجر الاستقلال . ولولا أن هناك قائدا تانانيا يعرف كيف يداري . لاضمحل الجميع . والشرفاء اليوم قل فيهم العلم . بل كاد ينقطع ، وكذلك المرشدون ممن كانو يهدون الناس الى الخير فقد زرت مشهد هذا الامام بنفسي يوم الثلاثاء ٢٨ شتنبر ١٩٥٩ م بعد محاولات لزيارته مرات . ولكن لم تتيسر الا اليوم . فرأيت الزاوية فى شعبة بين جبلين شامخين . والماء قليل . وليس هناك الا منابع من ءابار وعوينة تحت مشهد الشيخ بنى عليها. ينزل اليها بالمراقى تبض بقليل من ماء . ثم دخلنا القبة الفسيحة . وفيها كراب . وامامها مبلط . وازاء هذا المبلط نطفية ماء . قالوا انها موجودة من عهد الشيخ . ثم نزلنا من درج فدخلنا الى مسجدين أعلى فوق اسفل . وعليهما معا رونق جميل بالاعتناء بتحسين بنائهما . ثم ملنا الى مدرسة صغيرة قديمة متداعية البناء فيها الاستاذ سيدى الحسين بن موسى الافرانى التانكرتى . من المتخرجين بشيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى يلقى دروسا على ثلة من الطلبة كما رأينا هناك صبية يتعلمون القرءان . ثم ضيفنا الشرفاء فى نزل حسن الفراش . بطعام طيب . فاستنهضتهم على الاعتناء بالعلم والدين . فانه لاشرف الا بالعلم والدين . ثم لوحت لهم بأن الواجب عليهم أن يربوا الاولاد منذ الآن على مزاولة الاعمال الحرة . لينبذوا التكفف المألوف من الناس فان ذلك الاعتقاد الذى كان يسود على الماضى فينتفع به أمثالهم . صار اليوم ينقشع شيئا فشيئا . ثم غادرنا المشهد المبارك أنا والقائد أحمد بن بلعيد (١) الذى رافقنا هناك . والقاضى سيدى عبد الحميد الزيكى . وقد حاولت أن أعرف عن الشيخ وأهله ماأمكن منهم. ولكن القوم الذين صادفتهم لايستحضرون الا الكرامات والروحانيات عن الشيخ وهى وحدها لاتكفى فى التاريخ . فهاك ما قاله فيه الخضيكى :

(ابرهيم بن على بموضع (ايضمين) ـ محل فخذ من التنانين ـ من تلاميذ شيخ الحقيقة . وامام الطريقة . سيدى سعيد بن عبد المنعم . كان رضى الله عنه من العلماء العاملين . تضرب الرحلة لزيارته قديما وحديثا . ومناقبه وكراماته مشهورة . قال (٢) فى (الفوائد) حدثنى محمد بن عبد الرحمن المسكدادى أنه ظهر رجل بـ (حاحة) يخبر الناس بالمغيبات ـ ويصدق ـ فأتى به الى الشيخ . فقال له أحق ما يقول الناس فيك . فقال له نعم . فقال

١) أعنى هذا القائد منذ سنة نحو أواخر ١٣٨٠ هـ وقد نال منيته بذلك . لانه لم يتول قبل الا مرغما كما يعلمه كل الناس .
٢) أى التامانارتى .

له الشيخ مات صاحب لنا فى هذه الايام . فبخبرنى به وبما صنعنا له . وبما قلنا له حين ودعناه . فقال انكم لما غسلتموه وكفنتموه . اخرجت الناس عنه وقبضت بابهامه اليمنى . وقلت له لبتك الله على شهادة ان لا اله الا الله . وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهم الشيخ : صدق فعظم قدره فى القلوب . ثم بعد قليل خذل . لوجد يزنى بامراة . فاتى به الشيخ ؛ فقال له انك مستدرج . ولست على الاستقامة . فما معصيتك ؟ فقال يا سيدى انى تبت الى الله على يدك . فان لى صاحبا من الشياطين اركع ركعتين له فى متمرغ الحمر كل يوم . فيخبرنى بما كنت اخبر به . وكان عاليا وليا جليلا . لقى ابا عثمان سعيد بن عبد المنعم . فاخذ عنه . وامره بالمسير للشيخ سيدى احمد بن موسى الجزولى السملالى . فاتاه فاخذ عنه ايضا . قيل وكان من ابى عثمان ان يدل على ابا العباس . وكان ابو سالم يقول : اذا قيل له عمن اخذت : سيدى سعيد بن عبد المنعم ظهر آنيتى . وسيدى احمد بن موسى ملاها عسلا)

وقد ترجمه ايضا ترجمة صغيرة فى كتاب (صفوة من انتشر) والم به التمانارتى فى كتاب (الفوائد الجمة) والتاغارغارتى فى كتابه . كما ذكره الفقيه الكاشطى فى كتابه عن التانائيين (١) ولم يذكروا وفاته الواقعة ٩٨٩هـ. كان أوى الى سيدى سعيد بن عبد النعيم سنة فحكاية تذكر عند الناس لازمه فيها يسرح عنده. وكراماته حياة ومماتا متواترة. وهنالا سيدى يسمى الناس عليه قبة . قالوا انه تزوج بنت الشيخ . كما ان هناك اثارا تظهر من احجار تنسب للشيخ كثائر خارقة للعادة . ويقال ان هذه القرية ما سميت (تيغانيمين) الا لان الشيخ انتقل اليه من (تيغانيمين) من قبيلة (الساحل) هذا ما يقال وان كان الذى جاء من هناك هو سيدى على والد الشيخ . فقد كان نزل فى (ايسن) اولا . فصادف هناك رئسا يسمى عمنونا . فخرج هذا الرئيس للصيد يوما بالكلاب السلوقية . فافزعت كلابه بنات صغارا لسيدى على . فكان ذلك هو السبب حتى ارتحل على الى (اكنى) من (امسكروض) . وقبر على لايزال هناك معروفا . وقد دعا سيدى على على عمون ان يسلط الله عليه اضعف خلق الله. فسلط عليه البعوض حتى اجلاه عن هذه القرية الى قرية (اكلو) بـ (ايداولين) من (ايداوزيكى) ولا يزال اعقابهم هناك الى الآن . ثم لما ظهر الشيخ كان مقامه فى (تيغانيمين) هذا ما يتداول والله اعلم .

وقد كنت رايت ظهير تحرير لاحمد الذهبى المبايع ٩٨٦ هـ قبل وفاة الشيخ بثلاث سنوات . ويقال ان الشيخ لاقاه قبل وفاته . ووقعت معه خارقة للعادة .

---

١) لم يحضر الآن عندى كتابه . والا قاله اول من ينقل عنه .

الثاني محمد بن ابرهيم بن علي

هذا ولد من أولاد الشيخ . هو الذى بقى بعده . وأما أخوه أحمد . فانه مات قبل الشيخ ـ كما تقدم ـ وقد كان سيدى محمد . نزل فى (تاماكوست) من قبيلة (ايداوزيكى) فلم يسكن حيث أولاد أخيه احمد بـ (تيفانيمين) . فوقع له يوما أنه ذهب ليزور ضريح والده بعد ما توفى . فبات هناك . فكان أولاد أخيه خافوا على فتوحات المشهد أن يشاركهم فيها . فتركوه حتى نام . فقصوا شعر لحيته وهو نائم . لايشعر . فلما استيقظ ورأى ما وقع عليه من ابناء أخيه صبر واحتسب . واراد أن يستر ذلك . فذهب ملتثما الى اهله . فاذا بزوجته حكت لأولادها ما وقع لأبيهم من أبناء عمومتهم . فذهب بعضهم ليأخذ ثار خية أبيهم . ففتك ببعض أولاد أحمد . فقامت قائمة أبيهم سيدى محمد . فخاصم أولاده على ما فعلوه . فطرد الفاعل منهم . ونفاه عنه فذهب الى (فيكيك) حيث أبقى هناك عقبا لم يزل يزداد حتى نمت افراده نموا كثيرا

كان سيدى محمد محترما مبجلا . ينظر اليه كخليفة لأبيه فى سره . فبقى ساكنا فى (تاماكوست) الى أن توفى هناك . فكان قبره مشهدا لايزال يزار من ذلك الوقت . فبه اشتهرت زاوية (تاماكوست) وفى أوائل هذا القرن بنيت عليه قبة . وازادها مدرسة للعلوم . يقوم بها أهل (الدير) من قبيلة (ايداوزيكى) بربع العشر من محصولاتهم . وقد كان الشيخ الالغى ممن اعان فى ذلك بخمسة وثمانين ريالا جمعتها قبيلة (ايداوزيكى) له . فامرهم أن يعمروا بها المدرسة هناك . وقد كان كتب الى القائد عبد الملك . فاعان فى ذلك ايضا ولاسيما حين كان هناك الفقيه سيدى عبد الله الشناج استاذ القائد كما بينا ذلك فى ترجمة الشناج الآتية (وهذه من عادة الشيخ الالغى فى اعانته فى العلوم . وهكذا أيضا يفعل بمثل هذه الهدايا القبلية . فانه لايدخل الى زاويته الا هدايا أصحابه من الفقراء وحدها . ويقول : الزاوية زاوية الفقراء . فكل ما فيها لهم . وما ينقصها فمنهم) .

ثم اعلم أن العلماء والصلحاء فى هذا البيت كثيرون . وقد استفرغنا الجهد حتى جمعنا ممن تيسروا بين أيدينا من نقدمهم للقارىء من أولاد سيدى محمد بن ابرهيم بن علي . وأولاد أخيه أحمد بن ابرهيم بن علي . وسنذكر أولا أولاد سيدى محمد بن ابرهيم الذين عرفناهم من أولاده . ثم نثنى بمن نعرفهم من أولاد أخيه أحمد بن ابرهيم بن علي . ولكن قد نتوقف فى البعض فلا ندرى أهو من هؤلاء أم من هؤلاء . فنسوقه كما تيسر . كما نسوق أيضا بعضهم . وان لم نتوصل بنسبه المتصل .

الثالث محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن علي

هو ابن عبد الرحمن حفيد الشيخ سيدى ابرهيم بن على . صالح مشهور معتقد . عليه قبة فى قرية (اكنى) حيث اعقابه . وازاء المشهد مدرسة قديمة كان الاستاذ محمد بن محمد بن الحبيب بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن المترجم يدرس فيها ما شاء الله . وسيأتى ابن الحبيب هذا قريبا . لانعرف عنه غير ذلك الآن .

الرابع اليزيد بن عبد الله

من أهل (اكنى) . أخى هؤلاء . ولم نتوصل بسلسلة نسبه بينهم . كان من القراء الكبار السبعيين . كان يزاول العدالة مع أحمد بن محمد بن محمد بن الحبيب ـ الآتى ـ وبشارط فى (ايداوبوزيا) وفى (تيزكى الشرفاء) من (ايداوتنان) . وكان يعلم القراءات أينما كان . وله قبصة من المعارف . استطاع بها مزاولة العدالة . توفى بعد ١٣٦٢ هـ عن نحو تسعين سنة .

الخامس ـ محمد بن عبد الله منهم . ولا ندرى أيضا كيف نسبه فيهم .

هو من القراء الكبار ايضا . أمضى عمره فى تعليم القراءات . وله ذكر حسن ويعتقد فيه الخير . توفى ١٣٥٨ هـ .

السادس ـ محمد بن محمد بن الحبيب بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

ابن أحمد بن محمد بن الحبيب بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم ابن الشيخ ابرهيم بن على . ولد ١٢٧٥ هـ فى (أسيف بيك) فاخذ عن الاستاذ سيدى محمد البراييمى . فى (تازانتوت) ثم أخذ العلوم عن سيدى مسعود المدرى فى (بونعمان) وبعد تخرجه من هناك شارط فى (ايداوكازو) بـ(حاحة) ثم فى (الكفيفات) بـ (هوادة) ثم فى (أولاد تيمة) هناك . ثم فى مدرسة (سيدى أبى السحاب) وكان يدرس حينا أيضا فى مدرسة (اكنى) حيث اهله وكان مع ملازمته للتدريس يلازم الافتاء ثم كان نائب قاضى (تارودانت) حينا. ثم رجع الى زاوية (اكنى) أخيرا وبعد الاحتلال زاول العدالة من قضاة (اكادير) مع نيابته عن بعضهم ان غاب . ولم يزل كذلك الى أن وافاه أجله ١٣٥٦ هـ . وقد حكى لى عنه القاضى سيدى رشيد بن المصلوت . وقد عرفه فحكى انه مستحضر متقن للنوازل . وهى شهادة خزيمة .

السابع أحمد بن محمد المذكور قبله

ولد ١٣٢٣ هـ . وأخذ القرءان عن الاستاذ الحسن ابوكارى . ثم العلوم

عن الحاج مسعود الوفقاوى . وقد كان عدلا حينا . ثم صار مدرسا فى مدرسة اهله بـ (اكنى) ما شاء الله . ثم لازم داره . وهو اريحى وسط فى معلوماته . وهو الذى افادنا كثيرا عن اهله . كان يزاول مـا شـاء الله . الى ان توفى اوائل ١٣٨١ هـ .

الثـامن : ابرهيم بن محمد اخو المذكور قبله

ولد ١٣١٨ هـ وتخرج فى العلوم بسيدى الحاج مسعود الوفقاوى . فقيه صالح يعتقده الناس . فيتبركون به . ثم لما توفى فى صفر ١٣٤١ هـ فى (ايكونكا) من (هشتوكة) بنى عليه مشهد يزار هناك . مات وهـو لا يـزال يستتم .

التاسع : الحسن بن محمد اخو المذكورين قبله

ممن اخذوا ايضا عن الحاج مسعود ككل اخوته . ولـه نجابة . ثم لم ينشب أن اعتبط نحو ١٣٤٥ هـ

العاشر : عمر اخوهم ايضا

تخر ج بالفقيه محمد المعدرى المعروف بلقب (المضارات) كما اخـذ عن اخيه احمد المتقدم . وقد زاول العدالة حينا من الدهر . ومعلوماته حسنة ولا يزال حيا الآن ١٣٨١ هـ .

* * *

هؤلاء كلهم من اهل (اكنى) من قبيلة (ماسكّينة) . احد المواضع التى فيها اولاد الشيخ سيدى ابرهيم بن على .

الحادي عشر : احمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن ابرهيم بن على

رايت آنفا اخاه محمد بن عبد الرحمن جد ءال (اكنى) . واما اخوه احمد هذا فانه جد اهل (أسيف يَيْنَ) . وهو عالم جليل . وقاض مذكور . ومعتقد الناس فيه عظيم . ولذلك بنيت عليه قبة فى قرية (ايخرضيفن) جوار (أسيف يَيْنَ) . ـ وادى البَطم ـ

الثانى عشر : عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد السميح بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن على

شيخ كبير المقام . يكاد يكون هو الذى جدد مكانة اهله فى القلوب . فقد كان عالما جليلا . ومعتقدا مقصودا محترما مبجلا . يحترمه الملوك فمن

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
دار الكتب رقم 223 البرلمان الأدبي

دونهم . وناهيك بمن كان ملك عصره العظيم سيدى محمد بن عبد الله السلطان يصاحبه احيانا . وقد كان معه فى جملة من معه من العلماء والصلحاء . والمتبرك بهم يوم يؤسس (السويرة) كسيدى يوسف الناصرى وامثاله . ثم كان له اتصال بالمولى سليمان بعد ما مشى ثمانون بينهما . فاشار بعض المتنصحين لعبد الله بن عمر أن لا يصل الملك . وقد أرسل اليه . فقال : لا دين لى ان عصيت امامي . فذهب اليه توا . ففتح الله له باب قلب الملك . فرجع بكل خير . وهو الذى شيد زاوية (أسيف يثيك) وابقاها مرموقة الاعلام . وقد ادركته وفاته فى الحج سنة ١٢٣٠ هـ . وقد ذهبت به امه وهو صغير الى الشيخ الخضيكى ليأخذ عنه . فقال له : ارجع الى دارك . فسيأتيك العلم اليها . فلم يلبث أن جاءه عالم من (فاس) هارب فالتجأ اليه . فصار ياخذ عنه . حتى حصل ما عنده . وهذا العالم توفى هناك . وقبره لا يزال معروفا الى الآن . وهذا الفقيه يسمى عند الناس (الصرصرى) نسبة الى (صرصر). ويحكى الناس عن المترجم خوارق للعادة . كشجرة مر تحتها فازال غصن منها عمامته . فنظر اليها فيبست فى الحين . وكقوله لاهله . لما توجه الى الحج : متى رجع اليكم مرجل النحاس فاعلموا اننى متوفى . فاذا به يوما عندهم . ولا يزال هذا المرجل عندهم فيما حكى لنا . ومن أصحابه سيدى محمد بن الحسين دفين (تافيلالت) من قبيلة (ايدا ومحمود) . حيث يقام عليه موسم كبير تجارى سنوى الى الآن . فقد وفد عليه ثم ودعه . فقال له اذهب الى (تافيلالت) فلما وصل (تيزى الحجاج) اشكل عليه ما هو المقصود بـ (تافيلالت) لانها متعددة . فرجع الى الشيخ فسأله . فقال له : (تافيلالت) بـ (ايدا ومحمود) . وقد توفى محمد بن الحسين هذا وهو سبط الناصريين وليس منهم سنة ١٢٨٠ هـ . وقد اعقب ولدا اسمه احمد . توفى ١٢٨٢ هـ وبنتا تسمى رقية . وهى التى تزوجها كرسيفى . ثم ذهب الكل بلا عقب . قالوا ان أصل ابن الحسين هذا من الموضع المسمى (بوواضو) من (راس الوادى) وقد ذكر مع الناصريين السوسيين فى (الجزء العاشر) .

وقد ذكر أن فى زاوية (أستيف) من (سكساوة) كتابا فيه اخبار كثيرة عن عبد الله بن عمر . لانه شيخ جدهم . وهذه الزاوية لا يزال بعض اهلها يذكر . فمنهم سيدى حدوش الذى يؤثر عنه اخبار بمغيبات مع صلاح. وقد كان يذكر عن الحرب الثانية كثيرا قبل ان تقع . كما كان يخبر عن جلاء الفرنسيين . ولا يزال حيا الآن ١٣٧٩ هـ .

هذا وقد وقفت على خطاب سليمانى اليه . ونصه بعد سقوط اوله :

(سلام الله عليك ورحمة الله (وبعد) وصلنا كتابك . وعلمنا به وقوفك مع ابن أخينا مولاى عبد الملك . ولد أخينا الارضى سيدى عبد السلام . واحسنت فى ذلك . وكذلك أحسن الفقيه السيد احمد (١) التانانى فى وقوفه وأنه على محبتنا . وتشوق قبائل أهل (سوس) لقدومنا السعيد علىناه . وذلك عزمنا ومرادنا . وقد أردنا فى هذه الايام القدوم لـ(رباط الفتح) والله تعلى يلهمنا لما فيه رضى الله ورضى رسوله والسلام . وفى الثامن عشر من ربيع الثانى عام ١٢٠٩ هـ . (ومن تمامه) فالمقصود الاهم عندك أن تقف كل الوقوف فى الذب عن اهل (رودانة) تدفع عنهم كل ما يروم ضررهم بمكروه . . . (٢) وتقوم بعون الله فتكفى ذلك ؛ وقل لكل قبيلة مريدة ضررها : أن كل من يفعل ذلك فوالله ثم والله لأعاقبنه العقاب الذى يأتى على بدنه وماله . والسلام فى التاريخ أعلاه)

نفهم من هذا الخطاب مكانة المترجم اذذاك . وما كان يقوم به بين القبائل وبين الحكومة وما تاتى له ذلك الا بالمكانة التى تبواها فى القلوب كلها وهذا هو المعروف عن فقهاء (سوس) من قديم . وقد كان سيدى محمد التاساكاتى الماسى . وسيدى على بن ابرهيم الادوزى قاوما الثائر (بوحلايس) ١٢٠٧ هـ حتى هلك فى أيدى من استشارهم من أهل القبائل عليه ؛ وهكذا يؤدى الفقيه السوسى ما عليه نحو العرش دائما . وقد ذكرنا فى ترجمة على بن ابرهيم الادوزى فى (الجزء الخامس) بين الادوزيين أخبار بوحلايس المذكور

وأما عبد الملك المذكور فهو ابن عبد السلام بن محمد بن عبد الله . وقد كان خليفة لمولاى سليمان على (سوس) كما كان والده مولاى عبد السلام كذلك خليفة لوالده سيدى محمد بن عبد الله على (سوس) أيضا . وعبد السلام هو ذلك العلامة المؤلف المشهور من أولاد سيدى محمد بن عبد الله . وهو ممدوح الشاعر محمد بن أحمد بن ابرهيم بن بلقاسم الهوزيوى . كما ذكره فى ديوانه المخطوط فى الخزانة الناصرية . وقد أدخلنا منه فى كتابنا (مترعرات الكؤوس) ما يليق من القوافى .

الثالث عشر : عبد الله بن عمر (ءاخر)

حفيد المذكور قبله ؛ وهو من أهل (أسيف يبكّ) فقد وقفنا على هذا الظهير باسمه :

(أمين سيدنا الارضى الحاج العربى الطريس . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . عن خير مولانا نصره الله (وبعد) فلابد أن تعين الشريف السيد

---

١) لا نعرفه الآن .

٢) محو فى الاصل

عبد الله بن عمر بن عبد الله . من زاوية (وادى البطم) ـ اسيف بيك ـ على قبض الثلاثين أوقية المنفذة من قبل مولانا المنصور بالله لوالده رحمه الله والسلام فى السابع والعشرين من ربيع النبوى ١٣٦٨ هـ) وعليه طابع لايمكن أن يقرأ . وانما يظهر فيه (محمد) فالغالب انه محمد بن عبد الرحمن ولى العهد اذ ذاك . أمر بتقييد ما امر به والده مولاى عبد الرحمن . فعرفنا ان ءال عبد الله بن عمر الشيخ الكبير ما زال اولاده واحفاده يتوصلون من (السويرة) بما نفده لهم الملك سيدى محمد بن عبد الله من عهد سيدى عبد الله بن عمر الذى كان معه يوم اسس (السويرة) وقد راينا ظهرا ءاخر حسنيا باسم عبد الله بن عمر . وهو ظهير حسنى نصه :

(يعلم من كتابنا هذا اسماه الله اننا أذنا ماسكه الشريف سيدى عبد الله بن عمر البطمى قبض العشرة مثاقيل من احباس ثغر (السويرة) التى كانت منفذة لجده بل والده رحمه الله حسبما بالظهائر التى تحت يده . فنامر الناظر على الاحباس المذكورة ان يمكنه منها فى كل شهر . والسلام فى ثامن صفر الخير عام ١٣٠٣ هـ . وفى الطابع الحسن بن محمد الله وليه) فالغالب ان عبد الله بن عمر هذا هو ذلك الحفيد نفسه لا ءاخر . فالفرق العهد ما بين ١٢٦٨هـ وبين ١٣٠٣ هـ . وان كان يعكر عليه انه نفذ له اولا ثلاثون . ثم نفذت له عشرة .

الرابع عشر علي بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله سميح

وصف بانه فقيه نوازل يقضى بين الناس ويفتى . وكان حيا فى (حاحة) ثم رجع الى مسقط رأسه (أسيف بيك) حيث توفى نحو ١٣٠١ هـ

الخامس عشر محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد السميح

تخرج بالعلامة عبد الله بن عمر التيفيراسيتى البوشوارى . فرجع فيخوض فى النوازل الى أن توفى ١٣٠٢ هـ عن سن عالية .

السادس عشر الحاج عبد الله بن على وقفنا له على ظهير نصه :

(جددنا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . لماسكه المرابط الحاج عبد الله بن على واخوانه حفدة الولى الصالح السيد ابرهيم بن على القاطنين ببلاد (ايداوزيكى) يعلم من ظهيرنا الشريف المتضمن سدلنا عليهم أردية التوقير والاحترام . والرعى الجميل المستدام . اننا اسقطنا عنهم الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية . رعيا لوقوفهم فى مصالح الرعية واعانتهم . . (١) الا ما اوجبه الله عليهم من زكاة الاعشار التى على عموم المسلمين اذ لا تسقط عن مسلم . فنامر الواقف عليه من خدامنا .

١) محو فى الاصل .

وولاة امرنا ، ان يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به امرنا الشريف المعتز بالله فى السابع والعشرين من ذى الحجة عام ١٢٨١ هـ . وفى الطابع محمد بن عبد الرحمن)

وهناك ظهير اخر مماثل لهذا مؤرخ بـ ١٢٨٣ هـ . وطابعه الحسن ابن امير المومنين .

هذا كل ما عرفنا به هذا الشريف . ويظهر انه صالح يقف مصالح الرعية على عادة ارباب الزوايا المخلصين اذ ذاك .

السابع عشر الحاج عبد الله بن احمد

هذا فقيه من متاخرى فقهائهم ويعرف بالشناح . وقد افردناه بترجمة لانه على شرطنا فانتظره قريبا .

الثامن عشر الحبيب بن احمد اخو من قبله

الحبيب بن احمد . اخو من قبله . فقيه صالح يذكر بكل خير من اصحاب الشيخ الالغى ايضا . وحين لم يظهر كما يظهر الذين نفردهم بالتراجم نكتفى بذكره هنا . ومما يتعلق به ان الشيخ كان يوما هووظائفته عندهم . فذهب الشيخ لحاجة . فوجد الفقراء قد تراخوا فى الذكر . فتناول عصا يضرب به كل من رءاه منهم . وقد غلب عليه الحال . فاذا به ضرب سيدى الحبيب فالتفت اليه سيدى الحبيب ليعلم الشيخ انه هو . فقال له الشيخ : انحن فى لعب يا سيدى الحبيب ـ فجرى ذلك مثلا عند اصحاب الشيخ ـ وكان له مقام محمود مذكور توفى نحو ١٣٣٠ هـ .

التاسع عشر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن محمد بن عبد السميع

من احفاد عبد الله بن عمر الشيخ المذكور انفا . اخذ العلم من مدرسة من (املن) لعلها المدرسة (الجشتيمية) ثم التحق بـ (فاس) حيث بقى احدى عشرة سنة . ثم لما حصل رجع فزاول القضاء نائبا عن سيدى محمود قاضى (تاوودانت) فى المدينة نفسها الى ان توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

العشرون الحاج عبد السميع بن عبد الرحمن

اخو المذكور قبله شارك اخاه فى ماخذه حتى فى القضاء وفى النيابة

وقد التحق بمسقط رأسه فتوفى ١٣٤٧ هـ ولعله الفقيه الذى سمعت بانه من الآخذين عن الحاج مبارك بن المصلوت . ويتولى القضاء فى سوق ببلده حيث لاقاه سيدى احمد ابن الحاج مبارك . حكى له انه اخذ عن والده .

الحادي والعشرون محمد بن الطاهر الامين

فقيه اتصل بالملوك . فاتخذوه امينا . حتى عرف بامين السلطان مولاى الحسن .

(اقول) : اننى كنت اعرف شريفا من اولاد سيدى ابرهيم بن على . كان شبه فنصل للمغرب فى العهد الحفيظى فى (القاهرة) ما شاء الله وهو صهر العربى الديورى الوطنى المشهور بـ (مراكش) وربما كان احد اقارب هذا الامين وقد توفى محمد بن الطاهر ١٣١٠ هـ .

الثاني والعشرون سيدي عبد الرحمن بن الحاج (بوعادروش)

صالح مجذوب توثر عنه كرامات وكشوفات . يتناقلها الناس . و (أعادروش) العصا الغليظة كان يحملها ويضرب بها كل من لقيه . وكان يصاحب القائد الحاج بيهى (أشاو) التاناني . وكان يقول له انا وانت لا نزال مصطحبين دنيا واخرى . فصادف ان دفنا معا فى محل واحد . ويقال انه اغاثه يوما وقد كاد يغرق فى واد . فاخبر المترجم بذلك من حضر ثم لما ورد (اشاو) كان الامر كذلك .

ومن لطائفه . انه سمع ان الخليفة المتوفى المهدى حين نزل فى (بوزكار) تحت (امسكروض) سيذهب بكبش ليذبحه فى مشهد (سيدى ابى السعاب) فذهب فى السحر فتلوى فى ثوبه على عتبة باب دار الخليفة وامتد كانه ميت . فلما اصبح الخليفة اخبر ان انسانا ممتد على عتبة الباب . فقال : انظروا من هو . فلما كشفوا عنه اذا به هو وقد عرفوه . فقالوا : مالصنع هنا . فقال اننى ميت ؛ وقد سمعت ان الخليفة يريد ان يذهب بكبش الى ميت . فاردت ان اكون انا ذلك الميت . ما دمتم لاتزورون الا من الموتى . مع اننى اولى بذلك . لان لى اولادا جائعين وافضل ما يزار به دفع جوع عيال فقراء . فاعطوه الكبش فذهب به وقد جرب الناس انه يصاب كل من كسر خاطره . فراعيه الناس . توفى نحو ١٣٤٦ هـ . وقد مات هو والقائد(اشاو) فى وقتين متقاربين ؛ واصطحبا حياة ومماتا كما قال .

الثالث والعشرون عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله

ابن أحمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم بن على

من فرع من أهل (أسيف بيكّ) فى قرية (تامارووت) كان رجلا صالحا معتقدا له باع فى العلوم . لايزال دوى سَمعته يطن فى الاندية الى الآن . كان فى قرية (تادارت) فى (آيت واعزون) ولعله توفى قبل ١٣٠٠ هـ .

الرابع والعشرون ابرهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن مَحمد بن ابرهيم

ابـــن عـــلـــى

من الفرع التامارووتى . اخذ معلوماته عن عبد الله بن باش من (ايرازان) من (رأس الوادى) . ثم استنم بـ (مراكش) ثم شارط فى « تادارت» وزاول القضاء والافتاء . ولكن شهرته بالدين والصلاح والتقوى . وتوثر عنه فى الناس كرامات وكشوفات . وقد حدث ثقة عنه بمثل ذلك . وكان حكيما عالى الهمة ؛ عزوفا عابدا ناسكا . توفى ١٣٢٩ هـ

الخامس والعشرون القاضى سيدى مَحمد الساكن فى (سيدى أبى السحاب)

فقيه اخر من هؤلاء الشرفاء . له ذكر بين علمائهم الاماجد . ولا نعرف الآن عنه غير هذا .

* * *

أولئك اولاد الشيخ سيدى ابرهيم بن على الموجودين خارج زاوية (تيغانيمين) . واما أهل هذه الزاوية فقد اتصلت باحد فقهائهم الموجودين الآن . فحدثنى عمن يعرفهم منهم . فقال : انهم على فرقتين : أولاد سيدى على. وأولاد سيدى الحسن . فالاولون: ١ ـ (ءال واوكناوت) ٢ ـ (ءال الشيخ) ٣ ـ (ءال عبد الرحمن) ٤ ـ (ءال اكرءام) والآخرون : ١ ـ (ءال القاضى) ٢ ـ (ءال اواحيان) ٣ ـ (ءال ادريس) ٤ ـ (ءال تاكوشت) ٥ ـ (ءال اكليد) ٦ ـ (ءال اقصريتى) ٧ ـ (ءال 'ووْلدِى) ٨ ـ (ءال بْواكرى) وكلهم من اولاد احمد ابن الشيخ . ثم ذكر من يستحضرهم من علمائهم فمنهم .

السادس والعشرون سيدى محمد بن أحمد بن مَحمد بن عبد الله بن أحمد

ابن مَحمد بن عبد الرحمن بن على بن احمد ابن الشيـخ ابرهيم بن عـلـى الـواوكـنـــارتـــى

قال فيه الراوى بقلمه : (الفقيه العالم الجليل الكبير العلامة الدراكة

السيد محمد بن احمد . كان رضى الله عنه عالما كبيرا . معظما عند الناس . اخذا بالسنة . اخذ علمه عن استاذه الكبير الشأن . المشهور بالعلم والولاية فى زمانه السيد الحاج سعيد الشريف الهشتوكى بمدرسته من (ايداوسعمد) ثم انتقل الى بلده بزاوية جده . واشتغل بنشر العلوم فى مدرستهم . ولقيه فيه العالم الاجل الانور الفهامة البركة السيد الحاج مسعود الوفقاوى رضى الله عنه . وسرد عنده حديث البخارى فى شهر رمضان . وغير ذلك من انواع العلوم . وكان يفتى للناس فى المسائل الشرعية فى بلدتهم . وكان لهجا بتلاوة القرءان العظيم . ويكثر قيام الليل بالعبادة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . ويحض على اتباع السنة غاية . الى ان مات رحمه الله تعلى فى داره بـ (تيغانيمين) سنة ١٣٣١ هـ او ـ ١٣٣٢ هـ . وله من العمر ٨٧ عاما تقريبا) .

(أقول) : تعلم من هذا ان الوفقاوى اخذ عنه . وكان ينبغى ان نعده من اشياخ الالفين فى بابهم المتقدم . ولكن لم يذكره لى الوفقاوى فى مشيخته فاكتفيت بذكره هنا .

السابع والعشرون سيدى عبد الكريم بن عبد الرحمن من (ال اكرام)

قال فيه المذكور :

(العالم العلامة الكبير العارف بالله . الذى عم صيته الدانى والقاصى، سيدى عبد الكريم الكرامى . كان رضى الله عنه عالما زاهدا متواضعا ! خاشعا لله خائفا ؛ اخذا بالسنة . دالا على الله بحاله ومقاله . كان كثير الاوراد من الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وتلاوة القرءان العظيم . قواما بالليل . امرا بالمعروف . ناهيا عن المنكر . لقى رضى الله عنه جلالة الفقيه ؛ والولى الصالح . الذى عمت مناقبه جميع النواحى . ابى عبد الله السيد محمد بن احمد الكنسوسى بمدينة (مراكش) واستفاد منه علوما شتى واسرارا ربانية . وانوارا محمدية . نفعنا الله ببركتهما امين)

(أقول) : كان ياخذ فى (مراكش) قبل ١٢٦٧ هـ بسنوات بدليل ما ارخت به الرسالة الآتية التى كتبها اليه شيخه المذكور . وقد ظفرنا بها من خط سيدى العربى السامونكنى . فهاكها كما هى بنصائحها :

(الاخ الفائز بالفلاح . السالك على سبيل الرباح والصلاح . المرابط البركة الانور الفاضل الماجد الاخير . سيدى عبد الكريم ابن سيدى محمد ابن عبد الرحمن حفظ الله علاك . وبارك لك فيما خولك واولاك . سلام الله البر الرحيم . الواسع الكريم . على مقامك العظيم . ورحمة الله وبركاته تتواليان على مثابتك من حضرة مولانا تبارك وتعلى

(أما بعد) فانا نحمد اليكم الله الذى لا محمود فى الحقيقة سواه . وهو الذى عند ظن عبده به فى كل ما نواه . نسأله سبحانه ان يجمع اهواءنا واهواءكم على موجبات رضوانه . وأن يعاملنا واياكم على كل حال بفضله واحسانه وغفرانه .

(هذا) وما زالت الارواح منوطة بوداداكم . حافظة لعهودكم . على الحالة التى لايلحقها تبديل ولا تغيير ان شاء الله تعلى . وقد انقطعت عنا اخباركم الا ما يخبرنا به عنكم الاخ البركة سيدى سعيد(١) حفظه الله فيسرنا اخباره بانكم على خير وعافية . وقد اخبرنا قبل هذا العهد انكم تحولتم من الزاوية القصبية الى محل ءاخر . فالله يجعل فيما يقضيه لنا ولكم كل خير وبركة . ونحن والله مهتمون بشانكم وشأن جميع الاخوان فى الله . بما يلحق من ءاثار هذه الشدائد التى عمت البلاد ؛ ببعض ما كسبت أيدى العباد ؛ فاذا ذكرنا الاشفاق لأحوالكم؛ دعونا الله تعلى أن يصحبكم الالطاف الخفية. فكيف انتم اخى . والسؤال انما هو عن حالة الباطن وأما الظاهر فمعلوم كيف هو . فهل أنتم راضون مطمئنون. أو انما تظهرون الرضا. والقلوب ساخطة كما هى حالة العامة ؛ أعاذنا الله واياكم بمنه وكرمه . فقد جرى على الالسنة اذا سئل بعض الناس أن يقول بلسانه فقط (نحن بخير) ويرى أن ذلك غاية الادب. ولم يعلم ان ذلك مزلقة على مهواة الهلاك . وذلك انه أساء الادب مع مولاه تبارك وتعلى . والحامل للانسان على ذلك أنه لايرى النعمة الا الرفاهية فى العيش وكثرة المتاع الفانى . وسعة الحال فى المآكل والمشرب والمنكح ونحو ذلك . فكلما فاته شىء مما تهواه نفسه من ذلك تسخّط على الله . وموجب هذا فى الحقيقة هو النظر الى من هو فوقه . ممّن قضى الله تعلى فى أزله بتفضيله فى الرزق . ويريد من الله تعلى الذى يفعل ما يريد أن يعكس قضاءه . بأن يجعل الذى قضى بغناه فقيراً . والذى قضى بفقره غنياً . وذلك لايكون . ولو نظر الانسان حق النظر لعلم ان لله عليه من النعم ما لا يحصى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (ان الانسان لظلوم كفار) ويعلم أيضا أن الله تعلى قد دفع عنه من النقم ما لا نهاية له . وقد ذكر فى (منهاج العابدين) أن نبيا شكا الى الله تعلى بعض ما أصابه من المكروه . فأوحى الله اليه (تشكونى ولست بأهل ذم ولا شكوى . هكذا بدىء شأنك فى علم الغيب . فلم تسخط قضائى عليك ؟ أتريد ان أغير الدنيا لأجلك . وأبدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضى ما تريد دون ما أريد . ويكون ما تحب دون ما أحب . فبعزتى حلفت

---

١) هو سيدى سعيد الدراركى المتوفى نحو ١٢٨٦ هـ وقد ذكرناه فى (الرحلة الرابعة) من (خلال جزولة) .

لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة . ولأوردنك النار ولا أبالى ». انتهى

فلينظر المؤمن اذا كان هذا الوعيد الشديد مع انبياء الله تعلى . فكيف بغيرهم . ولا يصف (١) العاقل . فان جلال الالوهية عظيم . قال الشيخ الشعرانى رضى الله عنه (اعلم ان عصمة جانب النبوة تقتضى أن يكون امثال هذا المراد به اسم الانبياء لا هم . فالخطاب لهم . والمراد غيرهم . وهذا الحديث الكريم فيه سياسة عجيبة لمن وفقه الله تعلى . ثم اعلم ان الانسان ولاسيما الضعفاء أمثالنا لايمكنهم عدم التألم عند الشدائد ؛ بل ذلك لابد منه للبشر ولكن المراد الرجوع بعد ذلك الى الرضا بقضاء الله ؛ والتسليم لحكمه ؛ فيضمحل ذلك التألم الحاصل . ولا يستقر ولا يبقى له اثر . اشار الى ذلك سيدى محمد بن عبّاد فى رسائله الكبرى واستدل بقوله تعل : (ان تكونوا تالمون فانهم يالمون) فلم يحكم بعدم التألم . ولكن حكم لهم بان ذلك الالم مغمور بقوة الرجاء بقوله (وترجون من الله ما لا يرجون) فالالم اول ما يقع لمقتضى الطبع . ولكن المومن لا يلبث ذلك ان يذهب ويزول مما يكر عليه من جنود ايمانه ويقينه ومعرفته. وهو بمنزلة الطائف الذى ينهزم بالذكر . قال ابن عطاء الله فى (التنوير) فى قوله تعلى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) . لم يقل لم يمسهم ولا لايصيبهم . ولكن اذا مسهم بعض المس أى لايتمكن منهم تذكروا . فيزول ذلك المس فى الحين فاذا هم مبصرون . اهـ

وقد كتبت هذه النبذة شوقا الى مخاطبتكم . واستئناسا بذلك بدل مكالمتكم . والمراد بذلك نفس لا غير . والله يتولى الجميع بمنه وكرمه . ولا باس أن يراها الاخ الصالح سيدى سعيد فانه منور الباطن . من المومنين الذين تنفعهم الذكرى . بارك الله فيه . والسلام عليكم من جميع الاخوان . خصوصا ولدنا عبد الله فادعوا لنا وله بالخصوص . ولجميع الاخوان بالعموم. والله تعل المسؤول بفضله أن يرفع ما نزل بهذه البلاد من المحن فقد بلغت القلوب الحناجر من غلاء الاسعار مع مرض ووباء (٢) فلتما ينجو منه أحد وقد مات منه ما يفوت الحد . وقد مات من اخواننا من حضر اجله ورحمة الله اقرب . وعفوه ارجى . ولا مجا الا اليه . ولا معول الا عليه ! وهو المسؤول ان يتولى حفظنا فيكم ويعلم قلوبنا وقلوبكم . بمنه وكرمه وعلى العهد والسلام

---

١) هكذا رأيته فلا يعجب .

٢) هذه الشدة هى التى ذكرها سيدى محمد بورقبن القنانى فى مقيده . أول ترجمة سيدى سعيد المقدمة فى هذا الجزء المبسه .

في منتصف جمادى الاخيرة عام ١٣٦٧ هـ اخوكم الضعيف محمد بن احمد اكنسوس)

(اقول) لاندرى متى توفى سيدى عبد الكريم هذا . ولعله توفى قبل ١٣٠٠ هـ .

الثامن والعشرون سيدي محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد

هو ابن أخي سيدى عبد الكريم المذكور . فقيه جليل يذكر . شارط حينا في (أوريز) يفتي ويجول في النوازل . وقد توفي في (أوريز) في وقت لانعرفه . ويذكر له أخ يسمى محمدا لانعرف عنه الا اسمه فقط . ولذلك اضربنا عنه .

التاسع والعشرون سيدى محمد بن عبد الكريم من ءال القاضى :

ولعله ابن المذكور قبله : قال فيه :

(الشريف الابر الطالب الانور . أبو عبد الله . السيد محمد بن عبد الكريم . كان رضى الله عنه حافظا للقرءان العظيم . قرأه على أستاذه الطالب الاجل . سيدى أحمد الجرادى مدة اقامته بزاوية جدهم . قرأه برواية حفص . وبرواية المكى ؛ وتخرج على يده تلاميذ عديدة . لانه مشارط في مسجد (تيديلى) من(تانكرت) . ثم منها الى مدرسة زاويتهم. فاقام فيها بتعليم القرءان الكريم الى أن توفى رحمه الله تعلى سنة ١٣٧٣ هـ . وله من العمر ٨٢ سنة تقريبا) (أقول) : ذكرناه لانهم من القراء الكبار أصحاب الروايات الذين نعنى دائما بذكرهم .

الثلاثون الحاج محمد بن عبد السميح : من (ءال القاضى)

فقيه يذكر . لانعرف عنه شيئا الآن الا أنه فقيه يذكر . والذى كان قاضيا من جدوده مجهول عندنا .

الحادى والثلاثون سيدى محمد بن ابرهيم بن عبد السميح السويرى . من (ءال القاضى) . قال فيه :

(هو ابن أخت سيدى محمد بن عبد الكريم . وعليه قرأ القرءان حتى اتقن حفظه . ثم لازم شيخه سيدى الحاج أحمد الكاشطى فى مدرسة (المأ) حتى حصل عنده ما قسم له من العلوم . وهو الآن فى مدرسة حديثة فى : (ايداوتانان) يعلم فيها) (أقول) : رأيت مخطوطا بخط هذا السيد حول جده

سيدى ابرهيم بن على . فاعجبنى انشاؤه . وهو لا يزال شابا . ولم اشرف بمعرفته الى الآن ١٣٨١ هـ . وهو من بقايا المحصلين للعلم من (ءال الشيخ) رضى الله عنه .

الثانى والثلاثون سيدى الطيب بن محمد من (ءال القصرى) .

قال فيه :

(قرأ علمه على الفقيه سيدى عبد الملك بن ابرهيم ـ الآتى ـ فى مدرسة (سيدى ميمون) من (تسيمة) ثم اقام فى زاويتهم حينا . وتوفى فى داره ١٣٦٦ هـ . وله ولد يعلم الآن فى مدرسة (الانوار) فى (البيضاء)

الثالث والثلاثون سيدى أحمد بن عبد الرحمن . من (ءال 'وولدى)

قال فيه :

كان رضى الله عنه عالما عاملا بالعلم . اخذ علمه عن الاستاذ المعظم العلامة فريد عصره . ووحيد زمانه السيد احمد الرسموكى (١) فى مدرسته من (بوعانفير) من(أولاد أبى السباع) ثم الى كلية (ابن يوسف)بـ«مراكش» سنة ١٢٦٩ هـ ثم بعد ذلك رجع الى بلده . وتولى خطة القضاء فى(تارودانت) مدة اقامته فى (ايت باها اوباها) فوق (وادى سوس) ثم رجع الى زاويتهم فاقام بمدرسة جده . فاشتغل بتدريس العلم فيها . وبارشاد الناس وتنبيههم الى غير ذلك من الصالحات . الى ان توفاه الله رحمه الله سنة ١٣٢٩ هـ أو ١٣٣٠ هـ وله من العمر تسعون أو اثنان وتسعون تقديرا)

الرابع والثلاثون سيدى محمد بن عمر بن أحمد من (ءال 'وولدى)

ابن أخى المذكور قبله . كان يقطن فى (ايفالن) من (ايت واعزون) شريف فقيه محترم . قابع فى داره الى أن توفى نحو ١٣٤٦ هـ . هذا ما قاله المذكور .

الخامس والثلاثون سيدى الحاج محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد

ابن محمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن الشيخ ابرهيم بن على . قال فيه :

(الفقيه الجليل العلامة ابو عبد الله سيدى محمد بن عبد العزيز . عالم كبير . وله رضى الله عنه همة عالية . وولاية كبيرة . اخذ علمه عن استاذه الجليل القدر المشهور عند الخاصة والعامة بالعلم والولاية . سيدى سعيد الشريف فى (ايداومحمد) ثم الى (مراكش) التى قرأ فيها على الفقيه العلامة المجهبذ النحرير السيد احمد بن محمود من (البحيرة) اخذ عنه علوما شتى.

١) ذكر فى (الثامن عشر) .

واسرارا كثيرة وانوارا ربانية . ثم رجع الى بلده . فاقام بمدرسة (ايسيمنا) من (تانكرت) يعلم فيها مدة ولاية الحاج محمد بوناكة . الى ١٣٣٥ هـ . ثم اشتاق الى الحج . فحج تلك السنة . ثم رجع فيرشد الناس . واخذ طريقة الصوفية ؛ فصار يحيى عامة الليل بالاذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وبتلاوة القرءان وغيره من أنواع العبادات . الى ان ظهرت عليه خوارق واسرار . وكرامات عظيمة . ولكنه يخفى ذلك غاية . لايحب الظهور ويحرض أهله وأولاده واصحابه واحبابه على اتباع السنة . ويؤكدهم غاية التوكيد على أداء الصلوات الخمس فى اوقاتها بشروطها . ويوصيهم باكل الحلال ولبس الحلال . هذا ديدنه عمره . ولا يحب الرخص فى اموره . الى أن أتاه داعى ربه فى ليلة النصف من شعبان ١٣٣٦ هـ وهو فى داره فى محل (تومان) ودفن فى روضتهم المعلومة . وله اولاد ذكور مذكورون .

(أقول) كان الفقير الصادق المتجرد (١) سيدى الحاج أحمد الايسدغاس يذكر لى أنه حج معه . فوصفه بكل خير . ثم ان ممن اخذوا عنه الفقيه سيدى عبد الملك ـ الآتى ـ والاستاذ سيدى محمد بن ابرهيم علامة (ايداوتانان) فى وقته . وهو أستاذ كبير . له خط جميل . ترجمه الاستاذ الكاشطى فى كتابه الذى لم يحضر عندى الآن .

السادس والثلاثون سيدى الحسن ابن الحاج محمد المذكور : قال فيه بعد ذكر الحاج محمد ٱواعزيز :

(ومنهم ولده البار العزيز النبيل سيدى الحسن . تركه والده صغيرا فى المكتب . يقرأ القرءان على استاذه السيد سعيد بن احمد الملقب (المشيرحات) فبعد ما حفظه . التحق قبل بلوغه بالاستاذ سيدى الحاج احمد الكاشطى فى مدرسة (المأ) الى أن حصل عنده المبادىء . ثم انتقل الى (مراكش) فلازم دروس سيدى محمد المختار السوسى الذى يأوى اليه الطلبة السوسيون اذ ذاك هناك . فحصل عنده العلوم والادب واسرارا كثيرة . ثم اخترمته المنية قبل وصوله ٣٢ سنة تقريبا ؛ ودفن ازاء والده فى بلده)

(أقول) : ولد نحو ١٣٣٠ هـ ـ وتوفى ١٣٦٢ هـ فعمره ٣٢ سنة . ولعل ما كتبه المذكور سبق قلم . فانه أدرك أن يتعلم فى المكتب سنة ١٣٣٦ هـ يوم توفى والده . فيكون له اذذاك نحو ست سنين على الاقل . ثم انى سمعت أن من بين أساتذة سيدى الحسن فى القرءان الاستاذ سيدى محمد ابن عبد الله فى مسجد (ادعمران) هناك فى (تانكرت) قبل ان يلتحق بالكاشطى من هو الكاشطى ؟

وهو مدرس عصره فى تلك القبيلة . فقد طفحت به مدرسة (المأ) علوما . وقد كان أخذ قليلا بـ(سوس) ثم التحق بناحية (جبالة) حيث أخذ

١) مذكور فى (منية المتطلعين) .

كثيرا عن علماء تلك الجهة . كما اخذ ايضا من (فاس) ثم رجع بهمة واقدام. فانتصب للتدريس . وكان نشيطا مقداما . وقد حمدت معاشرته فى رفقتنا معه فى الحجة التى ترافقنا فيها سنة ١٣٦٥ هـ . وله ادبيات ومباحثات . منها كتابة له حول الصلاة ايماء فى السيارة التى لايملكها الانسان. وقد خاف من خروج الوقت . فعارضه فيها فقهاء سوسيون . والحق معه بهذا القيد . وقد دارت هناك قواف (١) وكذلك دارت بينه وبين شيخنا الافرانى قواف منها ما وجهه اليه شيخنا المذكور . وقد وجدت ذلك بخط ابنه شيخنا سيدى محمد . قال فى ديوان والده :

(وقال رضى الله عنه يخاطب الفقيه السيد أحمد الكاشطى التنانى وذلك فى حدود ١٣٤٣ هـ :

سلام كشذا الروض أو كشذا القسط (٢)
على ابن على سيدى أحمد الكشطى

سلام اخ ما زال يرجو لقاءه ... ويامل أن تطوى له شقة الشحط
فيفشى كلا الصدرين سر غرامه ... ويشرح ما يعيى به قلم الخط
وتقفى حقوق طالما مطلت بها ... حوادث دهر ليس يحكم بالقسط
بقيت لصدق الود تحفظ عهده ... ونفسك تفديها نفوس ذوى الفمط

الاخ الذى محكم اخائه . لايخلقه حادث بؤس الدهر ولا رخائه . ونمر وداده . لاينكدر بلين الدهر ولا اشتداده . الفقيه العلم . بليغ اللسان والقلم! الجالى حالك الظلم ؛ الحبيب الكريم الاسعد الاصعد . الانجد الامجد . سيدى أحمد ابن الحاج على الكاشطى . أدام الله اسعاده واصعاده . وابناءه واولاده ، وسلام عليه سلام شوق حثيث . وود حبله غير رثيث . ورحمة الله وبركاته (هذا) وقد وصلت الرسالة المباركة على يد ولدنا وعبدكم أحمد . هداه الله . فكان وصولها سعيدا . ويومها عيدا . ومجتناها يمنا . ومجتلاها امنا ! لاسيما وقد تفاءلنا بما ذكرت من رجائك . لقدومنا لزيارة مولانا الشيخ رضى الله عنه وعنا به . وصحبتك لحضرة شيخنا المقدم المفرج . مولانا سكيرج . أطال الله بقاءه ؛ وادام ارتقاءه . فالله يحقق رجاءك الذى هو غاية رجائنا آمين فكانك ان شاء الله بآخيك هذا العبد الضعيف. وقد طلع عليك متابطا هراوته متنكبا ادواته . معتقلا ظبيته (٣) متقلدا مديته . والبداوة تمسه على الخير طوم وتقوده قود الجمل المخطوم . فحينئذ تصفق بالايدى . ويقول لسان الحال تسمع بالمعيدى . والله يغفر ويستر . وتلك رحلة لم يزل عاتق الدهر ينشد فيها (كيف الوصول) فيجيب لسان الرجاء (يصل المشوق) الخ

---

١) تكلمت على هذه المسالة فى (الرحلة الاولى) من (خلال جزولة) وهى مطبوعة
٢) القسط بالضم : العود الذى يتبخر به . والقسط : العدل . وهى بالكسر
٣) الظبية بالفتح : تطلق عندهم بالدارجة على حراب صغير .

قال الناقل المذكور : والابيات المشار اليها هى :

كيف الوصول الى سعاد ودونها ... قنن الجبال ودونهن حتوف
والرجل حافية ومالى مركب ... والجسم ضاو والطريق مخوف

الجواب :

يصل المشوق الى سعاد بجودها ... ان الكريم على الضعيف عطوف
صدق المحبة سلّم فاعلق به ... تصل الحبيب ولا يرعك مخوف)

وكذلك دارت بينى وبينه قواف . فهاك ما تيسر الآن عندى منها . وهى رسالة وجوابها . ونص الجميع :

(نسالك اللهم باعظم انبيائك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان تزيد رفعة ومهابة لمن أطلعته لنا بدرا لا يافل ضياؤه . ولا تتقلص افياؤه . فخر زماننا . وموقظ قلوبنا . العلامة ابن العلامة سيدى محمد المختار . نجل العلامة الشيخ سيدى الحاج على بن احمد . اطال الله لكم فى الحياة . واسبغ عليكم النعم الحسية والمعنوية . ءامين ءامين .

وعلى سيادتكم ازكى السلام . (وبعد) ففى أسعد الاوقات حلت بيدى رسالتكم التى لا أشهى الىّ منها (١) . فقد سرحت فيها عينى . وفاضت عند رؤيتها ادمعى . لسوء حظى من ملاقاتكم . مع قرب المسافة ؛ فياطالما تلهفنا على ملاقاتكم قبل . وفى اليوم التلهف أعظم وأعظم . وقد كنت فى العام الماضى اجتمعت بالفقيه المانوزى بـ (مكناسة) واخبرنى انه اشتغل بشرح قصيدتكم العصيدية الغراء . ثم عجل بنا القدر دون رؤيتها . واتطلب من سيدى متى تيسر لكم ايضا الحلول بـ(أكادير) ان تعلمنى لنشفى الغليل باللقاء . ولرحم الله تلميذكم الشاعر سيدى الحسن التنانى . فقد طال الاسف عليه . وقد وصلنى (وشى المطارف) فرفع الحجاب عن المسألة . وهاكم ما كتبته حول المسألة (٢) وان لم أكن مثلكم من الفحول . لولا الفضول . واننا اليكم لفى شوق كبير :

الا هل لنا قسط بوصل احبة ... سجاياهم أذكى من العنبر النشرى
هم ذخرنا فى النائبات متى دهت ... ويا لهم ـ والشكر لله ـ من ذخر
هم ثمر الخيرات جمعاء يانعا ... وناهيك من قوم هم ثمر الخير
فسيدنا المختار قد عاد رحله ... لـ(سوس) جميعا بالعلوم وبالفخر

---

١) كنت أرسلت اليه رسالة مع قصيدة أولا . ولكن لم تحضرا عندى الآن
٢) (وشى المطارف) رسالة حول ثبوت الهلال بالهاتف . توجد فى (مجموعة الخ الفقهية) .

تـلألا سوسنا باشراق نوره ... فيا(سوس) ميسى بالتعالى على الغير
ذكاء وعلم فى خلائق فذة ... منورة قد اكسفت وضح البدر
ففى كل يوم منه شعر كانه ... رياض الربا تختال فى حلل الزهر
وكثرة تاليف فيغرف علمه ... اذا رفع الاقلام من وسط البحر
فيستنهض الاقوام للمجد والعلا ... وللعلم والابحاث كالبيض اذ تفرى
فلله هاتيك الرسالة انها ... تفوح حواشيها بنفح من العطر
فهيبته فى الناس أملت عليه أن ... يتوجنى تاج المهابة والقدر
عليك سلام الله ثم تحية ... تهب عليه هبة الريح فى القفر

٥ ـ ذى الحجة ـ ١٣٦٣ هـ

اقواب ارتجالا :

تدوم ايا كشطى للمجد والفخر ... وللعلم دفاق المباحث كالبحر
وللدين والدنيا وللهمة التى ... علوت بها فوق المجرة والنسر
فما كان لولا ما تشيد (تنانة) ... سوى جبل من كل عارفة قفر
طلعت به درسا لكل الفنون فى ... مطالع لم تعرف سوى طلعة البدر
رحلت لادراك المعالى فابت فى ... أكاليل من عز المعارف والفخر
ومن يرتحل فى المجد والعلم لايؤب ... الى أهله الا بوفر على وفر
فهل يستوى من ظل فى حفش أمه ... وطالب مجد العلم فى البر والبحر(١)
فكل له أثمانه والعلا لها ... على طالبيها الجود بالنفس والدهر
فمولا اغتراب الفذ (أحمد) لا ترى ... الآن بـ (المأ) ما نراه من السر(٢)
علوم ودين واهتمام كأنها ... عزائم شتى فى مجالاتها تفرى
أيا خل زر (المأ) لتبصر ما به ... من الهمة القعساء فى العصر للطير
تلاميذ من كل الجهات تواردوا ... فيصدر كل بالمعارف كالنهر
فداموا ودام القطب أحمد للعلا ... وللدرس ما دامت دوائر من دهر

توفى العلامة سيدى أحمد الكاشطى نحو ١٣٧٦ هـ

أما أدبينا الشاعر المفوه الحسن التنانى ، فانه التحق بنا . فنشأ فى طبقة مالت اعنتها الى الادب، كالاخ الاستاذ ابرهيم. وابن العم الاستاذ ابرهيم بن احمد والاديب البونعمانى ومحمد التنانى التامارووتى واحمد شوقى، وعرفة الفاسى ومحمد الردانى مع من يترددون الينا اذ ذاك من السادة المراكشيين كعبد القادر حسن . ومولاى أحمد النور. فلم ينشبوا أن عادوا أدباء كبارا . فصاروا زينة جيلهم ؛ وفى مقدمتهم صاحبنا الحسن التنانى الذى يكاد يبد الجميع . وحين فرق الدهر بيننا يوم نفتنى الحكومة التصق ببيئة شاعر الحمراء سيدى

١) الحفش بكسر فسكون : البيت الصغير . أو من شعر .
٢) (المأ) : محل مدرسة بـ (اداوتنان)

محمد بن ابرهيم . فسرقى شعره وفكره حتى كاد ينفرد بثاياته البينات عن اقرانه . وبيئة شاعر الحمراء بيئة أدبية عالية المنزع

وقد اتصل بالكتابة عند باشا مراكش . فقال فيه قصائد عديدة . من متخيرات ما قال . كما له فى الملك سيدى محمد بن يوسف أيضا أخريات. وقد انطلق فى ميدان الشعر حتى كان أكثر اقرانه شعرا . بقى عزبا على حالته هذه . يصاحب هذا ويزور عن ذاك . يرضى فيمدح . ويسخط فيقدح . وحين زرت (مراكش) برخصة من (الخ)١٣٦٢ هـ وجدته فى اخلاق خارجة عن نطاق ما كان معهودا فى بيئتنا . فذكرت له ذلك . فقال لى : يافلان . انك كنت متبوعنا يوم كنت بيننا . فنزن ما بين الفضيلة وغيرها بالقسطاس المستقيم . فحين فرقت الاقدار بيننا . واندفعنا الى معاشرة اخرين . اندمجنا فى أوساط أخرى ليست فيها هذه الموازين . فلم نملك انفسنا حتى غرقنا فيها كما ترى . فحين الحت عليه فى أن يراجع وان يزن . وان يمشى على الصراط . بكى امامى كثيرا . فقال : ان الزمان لم يجن عليك انت بالنفى ، وانما جنى علينا نحن بأن حرمنا منك بتوجيهات صالحة خلقا وادابا ، ثم ان مرض السل الح عليه يوم لاقيته . فاشرت عليه أن يرجع الى أهله الذى فيه الجو الصحى . ليتداوى من المرضين معا . مرض السل ، ومرض تلك الاخلاق . فأسعفنى رحمه الله فحل ببلده فاذا بتربته هى التى استدعته . فجرى بيننا ما ذكرته فى (الجزء الثالث) من (الالغيات) من كل ما كان يجرى بينى وبينه باسهاب فى رسالة خاصة اليه طويلة . احتصر بها ذلك الكتاب (١)

ثم لم ينشب ان نعى لى . فوصلتنى اضبارة أشعاره فى مسوداتها . وأمى أهله : أمه واخوانه أن يوصلوها لى . قائلا لهم : لا مال عندى ولا متروك الا هذا . ولا كان بعدى من يقدرها قدرها الا أستاذى وحده . فسلموا عليه منى . وقولوا له عنى : ها أنذا التحق بربى . ولا اسف الا على ما أمضيته فى الذى كنت فيه بعد فراقى اياك . وقد ندمت غاية الندم ، فيدى الآن صفر مما يقدم به مثل على ربه . فلا استعداد عندى . فكان ذلك اخر ما قال رحمه الله . ووفاته فى تاسع شوال ١٣٦٢ هـ

ذلك هو الشاب الاديب الحسن التثانى . بل الزهرة التى سرعان ما ذبلت اثر تفتحها. فليسمع الآن السامعون مانفث به قلمه من القوافى. وساجتهد فى الاختيار مما بين يدى . ولكن قبل أن أسوق ما بين يدى اذكر كلمة كان كتبها بعض الادباء السوسيين عن المترجم فى حياته . فى كتاب ادبى نصها:

---

١) لاتزال (الالغيات) بأجزائها الثلاثة مخطوطة .

(شاعر الشباب الجنوبي . وعندليب رياض الادب الغيناء الافنان . انجبته قبيلة ما تحسب انها انجبت مثله قط في بلاغته وسلامة الفاظه . وحلاوة قوافيه . وهو من اسرة علمية . فاستطول على تراث الاجداد . فزاد عليها الادب علاوة . وذلك فضل الله يوتيه من يشاء . اخذ عن ابي العباس الكاشطي التنائي . ثم ربض بـ (الحمراء) حتى ارهف حده . وتفتحت شهيته فتائي له هناك وسط ادبي سوسى يعرف قيمة الادباء امثاله معرفة تما . فحبب اليه ان يغازل ربة الشعر . فلم يعتم ان استهام بها . وقد حدبت عليه . فكان في مواصلتها من المغرقين . وهو اليوم لا يزال هناك يستتم دراسته . وقد شارك ولكن النعرة الادبية لم تترك في كاسه الطافحة فضلة من قلبه لعلم اخر . ولذلك كان ابرز فنونه اليوم الادب . وقرض الشعر . ولا نرتاب في انه ان دام على ذلك سيكون له بعد اليوم شان اى شان . ولعل ولادته نحو ١٣٣٠ هـ . وعاطفته عاطفة الشعراء . تقوده غمزة لاسيما من مقلة وطفاء . وتستثير عظمته مسة . حتى يستشيط فيقلب الارض على السماء . وله اثار قيمة عالية النفس . ولكن لم نستحضر الآن الا ثلاث تتف من ذلك . ساقتها له السعادة ليتاتى ذكره بين اخوانه الادباء المشترط في ذكرهم هنا ان نجد لهم في الوقت الحاضر اثارا . وقد جاء وفق اقتراح بعض الكتاب المغاربة في قوله : (لا اريد ان تكون لنا لانقاذ الادب اساليب تعبير محدثة . وتفكير جديد فحسب . بل نريد ان تزينها طلاوة الطابع العربي من جهة . ومتانة التعبير وخفة الروح الانشائية المتحدلة في كل الشئون من جهة اخرى) (١)

قال اديبنا التنائي من قصيدة يخاطب صاحبه البونعماني :

الى اخرها . وستاتي

لا تلمني فانني معمود ان هذا الملام ليس يفيد
الى اخرها

ويقول من اخرى ـ وستاتي ـ

رب مالي وللقوافي ومثل ليس يرضيه غير خلع العذار
الى اخرها

ويقول في اخرى ـ وستاتي ـ

اما القريض فقد اتيت بثايه لكن ارى قومي بها كفارا
الى اخرها

* * *

١) من مقالة ـ ببعض تصرف ـ الوزاني حول الادب في عدد من جريدة « السعادة » مؤرخ بـ ٢ ـ ٥ ـ ١٣٥٧ هـ

من أقواله فى اعياد العرش ما قاله ٢٢ رمضان ١٣٥٧ :

تحيـــــة العرش

الى متى لا افى للعرش من أدبى ... كأننى لم أكن بالشاعر الدّرب ؟
الى متى لاتقيم الارض قافيـــة ... منى وتقعدها من خفة الطرب ؟
والشعر ان لم يك التجديد يغمره ... فانما هو محض اللغو والصّخب
ماذا يعالج فيه المرء ان هو لا ... يأتى بما ليس فى خمر ولا عنب
ان لم يكن ترجمان القلب رائعه ... فليس لى فى القريض الدهر من أرب
والشعر ما كان روح العبقرية قد ... كساه فى المرء من أثوابه القشب
هذا الذى اتمنى لو ظفرت به ... أقضى عن الشعراء ذمة الادب
وطالما كنت أدعو من شوارده ... ما قد تنكينى وجد فى الهَرب
ها هو ذا جاء فيك اليوم رائعه ... عفوا ؛ بما لم يجىء بالكد والتعب
والطبع مهما أتى معنى يلائمه ... يأتى الفتى فى بديع الشعر بالعجب
يا طائر الشعر هذا اليوم أبصره ... يفتر روض المنى من ثغره الشنب
فغن أنت بلحن كنت أعهده ... يسير منك الى الاقوام بالطرب

* * *

يا أيها الملك المحبوب ان لنا ... فى عرشك المعتلى نهاية الطلب
عرش سما بك مذ بوئت هامته ... وقمت تحمى كيان الملك من نوب
أوليته فوق ما قد كان يطلبه ... عصر به العز فوق الانجم الشهب
ان لم يكن يوقف الافلاك دائرة ... فأى عـذر لدى الهندية القضب ؟
عرش له كل عصر ما يرددده ... لكل جيل أتى ؛ تاريخه الذهبى
وكم تسطر من ءاى له غرر ... فى جبهة الدهر بالصمصام لا القصب (١)
كم ظل فى الدهر من عرش وكم خفقت ... بالنصر أعلامه فى جحفل لجب
وكم تقاد اليه الصيد مرغمة ... وكل قلب يدق الدّهر بالرّهب
وهكذا كل عصر كان عرشك ؛ لا ... يوتى اذا اشتبك القنا من القَطَب
وهكذا قد سما فى الدهر منزلة ... بكل أصيد لا يخشى من العَطَب
أجدادك العظماء الصيد تكلاه ... منهم رعاية بيض الهند والبلب (٢)
ما فيهم غير من ؛ ان جال جولته ... يوما اذا بفؤاد الدهر فى رغب
هذا اذا اشتعلت نار الوغى واذا ... جاء المكارمَ كان الدهر فى طرب
كم من مئاثر لاتحصى ترى لهم ... قد سجلتها يراعات على الكتب
وحسبك العرش هذا فى مكانته ... فهو الذى قد أزال سائر الريب
ان نال ما يتمنى فى عهودهم ... فان عهدك يجنى منتهى الارب
سمت به همة قعساء منك على ... هام المجرة ؛ لا يهوى مدى الحقب
حققت لـ (المغرب الاقصى) أمانيه ... لولاك يبقى مدى الازمان فى كرب

---

١) يعنى بالقصب : القلم ٢) البلب : الدروع .

مد أنت بولت هذا العرش قمت لها يحيى ويعلى بلادا سامى الرتب
مهدت كم منهج للعلم واندفعت عناية منك تدنى كل مطلب
بالامس وجهت نحو (المعهدالقروى) عزما يرى كل شىء منه عن كثب(١)
وناولته يد الاصلاح منك اذا به يشع كنجم فى سما الادب
فاسترجع (المعهد العلمى) منزلة كانت له قبل فى اعلى ذرى السحب
قدمت فيه جهودا لست اذكرها ولا تزال توالبها بلا لغب
و (المعهد اليوسفى) اليوم نشهده ان غاب ذاك فهذا بعد لم يغب (٢)
الى مئاثر أضحى الشعب يدرك مد بدت له ما يرى عزا بلا تعب
ان قام يهتف هذا اليوم لا عجب وهل ترى فى اداء الحق من عجب
تملك البشر هذا الشعب اجمعه واى قلب لهذا اليوم لم يجب
يوم به أشرقت شمس السعادة فى هدى البلاد فزالت ظلمة النوب
قدم لها وليدم ولى عهدك من يرعاه منك لهذا العرش خير اب

وقال ايضا فى ذلك اليوم السعيد :

﴿ وحي العرش ﴾

٢٥ شوال ١٣٦١ هـ

هل يرتضينى العرش من شعرائه؟ وانا حليف الشعر تحت لوائه
افلا يغنى الطائر الغريد فى روض اثار الروض حسن غنائه
انا ذلك الغريد ليس علىّ من حرج على ترداد اى لنائه
فى ظله انتعش القريض وقد سرت روح الحياة اليوم فى اعضائه
وتكاثر الشعراء بين هواته وتكاثر الانتاج فى نمائه
هل كان هذا العرش منذ قيامه للمغرب الاقصى سوى نعمائه
جر الذيول بها على الدنيا وسا ر اليوم نحو المجد فى خيلائه
منعما بالوحدة الكبرى التى كانت له فى الدهر كل رجائه
منقلبا فيما له اسدى وما هو لم يزل يسديه من آلائه
عمت جوانبه الحضارة والمدى يخطو به سرعان نحو علائه
صان الذمار له واوسع عهده لـ (المغرب الاقصى) بحسن وفائه
هو قد تعهد ان يدير شئونه فيما يفيد الشعب فى ابنائه
وفق المصالح ساس هذا القطر لا يبغى ـ وحاشاه ـ سوى اعلائه
شاد البناء له فارضى فى العلا الشعب والاسلام حسن بنائه
يا خالد العرش اتئد انا لما اوليت نبغى اليوم بعض جزائه

١) يعنى القرويين بـ (فاس)
٢) يعنى كلية ابن يوسف بـ (مراكش)

لكنه ما عندنا الا الولا ... هل ترتضى منا بمحض صفائه ؟
هل عندنا الا قلوب كلها ... حب لما فى الشعب فى باسائه
فخر الملوك المعتلى عرش العلا ... بدرا منيرا فى فضاء سمائه
من كان فذا فى الزمان بفكره ... ومسدد الخطوات فى ءارائه
منذ اعتلى عرش الامارة لم يزل ... يسعى لهذا الشعب فى احيائه
متحملا اعباء ذاك وانما ... يدرى مقام المرء فى اعبائه
شعب يريد العلم يهتف باسمه ... زمنا فجيت جواب صوت ندائه
شعب يخاف الفقر يطلب الغنى ... امنته وهديته لغنائه
شعب يؤمل ان يعيش كغيره ... متمدنا حققت كل رجائه
هذا لسان العلم يشهد انه ... يدريك تسعى الدهر فى ارضائه
تتلو جهود منك اخرى مثلها ... لم تال جهدا قط فى انمائه
فى كل ناحية مدارس اصبحت ... للشعب ـ هذا ـ ملتقى ابنائه
فى كل ناحية ملاجىء اسست ... جبرا لكسر الشعب فى ضعفائه
والى سواها من مآثرك التى ... كانت يدا للشعب فى اعلائه

* * *

مولاى ان الشعب هب مرددا ... يهناك فى الترداد حسن ولائه
قد قام محتفلا بعيدك هاتفا ... بدام ملكك ساميا وبقائه
مولاى دم للشعب ترعاه ودم ... ترعى ولى العهد فى عليائه

﴿ تحية المؤتمر السابع لطلبة شمال افريقيا ﴾

٣ ـ ٧ ـ ١٣٥٦ هـ

باسم العروبة والاخا وبلاد ... احييتموها ، قد وقفت أنادى
وبوحدة ضمنت لنا عهدا نرى ... فى طيه عهدا من الاجداد
وبغاية تسعون فى تحقيقها ... متضامنين، وباسم حسن مبادى
وبما به للعاملين احس من ... تقدير ما قد قدموا لبلادى
انى وقفت محييا اعمالكم ... بقصيدة يهتز منها النادى
اوحى بها منى صفاء سريرة ... شعرا يرى حيا مدى الآباد
يا ايها الجمع الذى ابدى لنا ... ما ليس من أمل البلاد ببادد
يا ايها الجمع الذى ضمنت لنا ... عزماته تحقيق كل مراد
اطلعتم شمسا ازاح شعاعها ... عنا ظلام الجهل والانكاد
اهديتم للشعب كل حياتكم ... ان الحياة هدية الامجاد
وبثثتم روح التضامن والولا ... فقضت على داء الجفا وتعاد
لولا جهود منكم جبارة ... من راح منا ما التقى بالغادى

انا نرى اعمالكم قد مثلت ... بين الجماهير ها هنا في النادى
تبدو لنا مثلا علا تدعو الى ... تحرير امة يعرب ، وبـــلاد
قد شادها حسن اجهادكما نرى ... اعظم بما قد شاد حسن جهاد
تلك التي نشرت لنا ما قد طوت ... من مجدنا ايدى الزمان العادى
تلك التي نهضت بنا نعلو الى ... اوج منيع الشاو للقصاد
فتيوت منه بنا ما يرتضى ... شمم العروبة في العلا ، والضاد
حياك يا رمز الشهامة شاعر ... هو بالذى اوليت اعظم شاد

* * *

ابنى الاباة من القطارفة الالى ... قادوا الزمان وكان صعب قياد
اجدادكم زمنا هم ساسوا الورى ... حمد الزمان سياسة الاجداد
وهشوا على سنن العدالة حينما ... يابى العدالة غيرهم ويعادى
ملكوا البلاد وكان يقدم جيشهم ... عزم صحيح لا يلين لعاد
خاضوا الحياة جميعها ودليلهم ... عقل الحكيم وعزة الانجـاد
اسدوا ايادى ليس ينجهل قدرها ... وبقدرها التاريخ جاء ينادى
صرح الحضارة هم بناة اساسه ... شتان بـين متمم والبـادى
العلم يعرف من هم؟ والسيف ان ... زحفوا بمجر عساكر جلاد
شادوا المدارس للفنون وعلموا ... ان المدارس منبت الامجاد
الشعب لا يحيا اذا لم تكن ... فيه المدارس غاية الافراد
هيهات ان تحيا بلاد ، اهلها ... لهم على جهل الحياة لعاد
ابنى الاباة الى الامام فانما ... هاذى النفوس الى الامام صواد
سيروا الى العلم الصحيح بامة ... ضلت زمانا عنه نهج رشاد
وعليكم «امالها فاسعوا الى ... تحقيق ما تبغيه من اسعاد
واليكـم يا منتهى «امالنـا ... منى التحية من صميم فؤادى

﴿ رثاء الشاعر الزهاوى ﴾

٢٥ ـ ١٢ ـ ١٣٥٤ هـ

الا هكـذا تغرو خطوب النوائب ... وبسوء حظ نفس كريمة
وتنبل بسوء الحظ نفس كريمة ... فيقضى لها على جميع المطالب
وتمرح فى ظل السعادة جاهل ... وتعيث بالاحرار ايدى المصائب
وينقبل دهر خائـن بنعيمـه ... على كل مافون عن المجد ناكب
ويعرض عن حر لبيب اذا به ... يجرّع بالاعراض مرّ المشارب
اذا مابكى يستهزىء الدهر ان راى ... لبيبا تاسى بالدموع السواكب
وماذا الذى تجدى الدموع وانت فى ... معارك للاهوال بين الكتائب

فهيئ لها درعا دلاصا متينة ... اذا قارعتك بالسيوف القواضب
والا فدونك الفجائع ان دهت ... تشيّب حزنا كل سود الذوائب
ومن اعجب الاشياء انك لم ترع ... بما راع كل الكون من نعى ناعب
نعى للشعوب الضاد كلا فقيدها ... وقد كان معناه أجل النوائب
نعى للقوافى والقصائد ربّها ... وأبّن للاقلام أعظم كاتب
ولمادر (بغداد) تشق جيوبها ... وهيج فى (بغداد) دمع النوادب
وهدّد اركان الشعور نعايه ... والهب ما بين الحشا والترائب
الا قد قضى (صدقى الزهاوى) نحبه ... كأن لم يكن فى الدهر احدى العجائب
فللبت حمام الموت يبقى فداءه ... فتفديه نفسى بين تلك المخالب
فباليته يختار فى الناس غيره ... ويتركه للشعر فوق المناصب
مضى وآثار فى الضلوع مضيه ... لواعج ضيعت جميع التجارب
فقد نابنى الآداب بعد بفقده ... معالم للآداب مثل الكواكب
لكلنا به خير الفوارس فى الوغى ... يحزّ بسيف العزم هام المواكب
كما ثكلت به خطيبا منابر ... يفيض بيانا فوقها كالغوارب
هوت راية الآداب بعد واظلمت ... بعيد افول الشمس كل الجوانب
وحدت لفقدك القصائد بعد ما ... تميس لديك ميس بيض الكواعب
فهاهى فى القرى تقيم مأتما ... تعدد من ذكراك خير المناقب
وفى (اوربا) يغدو صداها مرددا ... ويقطع خلقها بعيد السّبا سب
كذاك جليل القدر يبقى مخلدا ... عظيما وان اودته أيدى النوائب
وان مت" (ياجيل) ياشاعر الورى ... واقصدت من ايدى المنايا بصائب
سنذكرك الآثار انت تركتها ... وتندب فيك اليوم اعظم ذاهب
وتنشى عليك فى الزمان مواقف ... وقفت بها للشعب دون المعاطب
تدافع عن حقوقه لست راضيا ... بما سامه به لئام الاجانب
برايك طورا أو يراعك ذائدا ... عن الوطن المغصوب عدوان غاصب
حفظت كيانه واحييت مجده ... وساءك أن يكون لعبة لاعب
اينساك شعب الضاد والارض كلها ... تشيد بما اسديته من مواهب
اينساك شعب الضاد ، أنت رعيته ... زمانا وحفظ العهد أوجب واجب
مضيت فمن للشعب يحمى ذماره ... ويورده وراك عذب المشارب
ومن للفتاة اليوم بعدك راحما ... وقد كنت للفتاة ملجأ هائب
ولم للفتاة (يا جميل) فانها ... وراءك نالتها جميع المتاعب
تكابد فى الحياة بؤسا وانها ... لتبكى عليك بالدموع السواكب
ورحمتنا لما اصاب فؤادها ... وقد ضعفت عن حمل تلك المصائب

ستبكيك عمرها على أن ذا البكا ... قليل على من كان افضل ذاهب
ولكنما البكاء غاية عاجز ... توقد جنباه بصرف النوائب
فسر يا فقيد الشرق والغرب اننا ... وراك بنا ضاقت جميع المذاهب
على تربة ضمت عظامك والعلا ... سلام كزهر الروض غب سحائب

وقال يرثي من اسمه (أحمد) لعله أحمد علان الاسلمي : أحمد النجباء عندنا ؛ توفي زهرة ندية كما افترت

٨ ـ ٧ ـ ١٣٥٦ هـ

لم أبك جسما في الثرى قد غيبا ... لكن بكيت فتى يموت مهذبا
وبكيت اخلاقا كما هبت صبا ... أرأيت عند هبوبها ريح الصبا
وبكيت آمالا لنا ما أشرقت ... حتى اتى ابانتها ان تغربا
أكذا تمر بك الحياة سريعة ؟ ... ما حقها بك هكذا ان تذهبا
لكن عمر الحر يمضي مثل ما ... قد شمت برقا في السما فتغيبا
الله اكبر ما رعت ذمما ولا ... رحمت أخا يبكي عليك ولا أبا
لم تدر حين دهاك منها خطبها ... ان قد دهت أدب البلاد ومطلبا
لو انها تدريك ما سلبت لنا ... ما عز فيك على الورى أن يسلبا
قد كنت ترغب في الحياة لو انه ... يجدي الفتى في أمره ان يرغبا
احببت طول العمر حرصا ان ترى ... هذي البلاد تبوأت بك منصبا
ابدا يسوءك أن ترى شعبا أبى ... عزا ولكن ما تقول لمن أبى
يا طالما قد سمته عزا فلا ... يكن الهوان لعيشه مستعذبا
صاحبتني زمنا حمدت مضيه ... أجدر بمثلك في الورى أن يصحبا
فعرفت ما ترمي اليه وما غدا ... لطموح نفسك في المفاخر ماربا
وعرفت منك خلائقا وهي التي ... هاجت عليك مشاعري أن أندبا
ما مات من ابقت له أخلاقه ... ذكرا يسير مشرقا ومغربا
الرزء رزء المجد والشرف الذي ... يبقى قرونا بالفتى متقلبا
من كان مثلك ليس يجزع ان يرى ... سهما اليه من المنون مصوبا
واذا الفتى حر فما اولاه أن ... شرعت سهام الموت ان لا يرهبا
ولتحي (أحمد) في علاك ، وانها ... هي كل ما أدري اليك محببا
واليك ممن قد شجوت تحية ... هي بعض ما حق الوفا قد أوجبا

وقال يرثي (حصادا) السلوى ، الشاب الوطني الفيور :

لم لا اذوب وقد طفت اشجاني ... واستنزفت عبراتها اجفاني
ان لم يذب هذا الجنان عليك من ... حزن ومن اسف فليس جناني
غادرت نيرانا يشب ضرامها ... في هذه الاحشاء من احزاني

ماذا اقول وانني ذاك الذي ... اخذ الاسى وزفيره بلساني
ارثيك او ارثي بلادا ضعضعت ... منها برزئك سائر الاركان
فقدت بفقدك همة تمضي اذا ... ضاق الفضا باسنة المرّان
حاولت ان تحيا البلاد وانما ... تحيا حياة العز بالعرفان
واذا بلاد علمت ابناؤها ... امنت مدى الازمان كل هوان
ولطالما قد كنت تندب باكيا ... حال البلاد بكل دمع قان
ودعوت للاصلاح لو اصغوا الى ... داعي الهدى وفضيلة الانسان
وندبت للعليا وانك دائما ... كالمستهام بحسنها الفتان
عانيت ما هد الجبال وانما ... عانيته لمنافع الاوطان
ونهضت بالشعب النبيل وقدته ... نحو المعارف والعلا بعنان
من ذا يسير كما تسير بشعبه ... ويشيد ما قد شدت من بنيان
من ذا لآمال البلاد سواك يا ... من قد سما عن همة الاقران
ما كان دابك في الحياة جميعها ... غير الهدى لمعالم الايمان
أديت حق الشعب يا رب العلا ... وطليعة العظماء والشجعان
ومضيت لو تفدى لكان الشعب من ... يفديك بالارواح والابدان
ولئن قضيت فلست من ينسى له ... ذكر زرى بالورد والريحان
خلفت في الدنيا طنينا قد سرى ... مسرى الصبا في سائر البلدان
فالشعب بعدك كله يشدو بما ... أسدت يداك بسائر الالحان
فانعم فقد خلدت في الاوطان ما ... ليست تنال طوارق الحدثان
وعليك يا (حصار) كل تحية ... في الخلد بين الحور والولدان

وقال في ١ – ١٠ – ١٩٤١ م تحت هذا العنوان :

﴿ الصديق المودع ﴾

كنت ان ساعة مضت لا اراك ... يعتريني ما يعتريني لذاك
كيف بي ان مضت اسابيع عني ... لم اكن في خلالها القاك
سوف يقضي عليّ حتما اذا ما ... حيل بيني انا وبين لقاك
كنت في كل ساعة تتنحيني ... لترائي في وحدتي واراك
ليس ينثنيك في الدنا اي ثان ... كيفما كان ان تزور اخاك
لا ولا حال حائل ان تؤدي ... حق عهد اراه رهن وفاك
انما الحر من اذا انت ترعا ... ه على عهد وده يرعاك
انت برهنت لي على نفس حر ... بالذي قدمت اليّ يداك
فتعلمت منك كيف الفتى يو ... سع عهدا حسن الوفاء بذاك
واطمانت نفسي لكل صديق ... بعد شك ينتابني لولاك

لا تلمني ان سؤت بالناس ظنا ... اذ دهاني ما لم يكن قد دهاكا
فاسبرن الجميع دهرا فما منـ ... ـهم فتى ان تواليه والاك
كلما قمت أوسع الناس خبرا ... أوسعوني اساءة واعتراكا

* * *

كدت مذ أن عرفت صدقك انسى ... كل ما قد لقيته من سواك
اذ تجليت لى بما كان عندى ... من قبيل المحال قبل لقاك
ليت شعرى من ذا يظن فتى فى ... عنفوان الشباب كان هناك ؟
يحفظ العهد حفظك اليوم عهدى ... أو يرى يفتدى الوداد فداك
مفرد أنت فى الوفاء وأعلى ... مثل أنت فى الزمان بذاك
مذ تعرفت يا أخى بك ما جـ ... ـت بشىء يريب منك أخاك
دائما لا ولا تغيرت عنى ... فكما كنت لا تزال أراك
ليت شعرى هل انت أيضا تراانى ... من يجازيك بالولا عن ولاك ؟
لست أدرى وليتنى كنت ادرى ... أجدير أنا ببعض رضاك ؟
اذ أرانى أقصر اليوم عما ... كان يقضى به الوفا لعلاك
وبح نفسى ماذا أقدم عما ... لك عندى به يكون جزاك ؟
قد نعمنا معا يبادل قلبى ... قلبك الحب صافيا بصفاك
وتمتعت بالـوداد طريـا ... واجتنت منه ما تحب يداك
وحدتنا مبادىء فامتزجنـا ... امتزاجا يحيل بعد انفكاكا
ان تـالمت تستفزك الا ... سى كان ما دهى أخاك دهاك
او تالمت مرة انت اغدو ... داعى القلب من لواعج ذاك
بين روحى وبين روحك معنى ... فوق ما يدرك الفتى ادراكا
ان تالمت من فراقك حزنا ... وامض الفؤاد منى نواك
فلقد كنت أنت لاشك مثلى ... ماأعتراني من الفراق اعتراك

وقال يرثى مصطفى صادق الرافعى :

﴿ لهفة شاعر على شاعر ﴾

ـ ٥ ـ ١٣٥٦ هـ

باى لسان اغتدى اليوم راثيا ... وقد عقد الاسى عليك لسانيا
عهدت البيان كيف شئت يطيعنى ... اذا ما دعوته يلبى نداليا
ولكنه قد أصبح اليوم حينما ... قضيت كما تراه ينفر عاصيا
كأن لم أكن ذاك الذى يغلب النهى ... اذا ما اثار الوجد منى القوافيا
بلى ، اننى قد كنت لكن ما ارى ... وما حل بى قد ضل فيه بيانيـا
فأصبحت جازعا تفيض مدامعى ... وقد كنت قبل اليوم عز بكالبا

أصعد زفرات عليك وانها ... لآية ما قد ناب منك فؤاديا
وذا الشعر من تلك اللواعج كله ... وان ضم من سحر البيان معانيا
اذا ما توقدت جوانح شاعر ... أتى الشعر انّات تهز الرّواسيا
ففي(مصطفى) فارتجّت الارض كلها ... أسى، واستحال الجو بالخطب داجيا
ونكست أعلام البيان وصوحت ... خمائله وكن قبل زواهيا
هزار القريض قبل يطرب شاديا ... وها هو هذا اليوم يندب باكيا
ففي شجوه ما يصدع القلب وقعه ... وان كان الحانا أتت واغانيا
أيا(مصطفى) قضيت نحبك وارتقى ... الى الملأ الأعلى بك الموت راضيا
وغادرت وجه الدهر أسود كالحا ... وقد كان أبيض الملامح زاهيا
وقد كانت العلياء عز جنابها ... فلما قضيت اليوم اصبح واهيا
وخلفتها ثكلى تئن كئيبة ... ولو وجدت دمعا لأجرته قانيا
درتك فناها كلما جد جدها ... يحن اليها قلبك الدهر هافيا
أيا (مصطفى) فارقت (مصر) وانها ... لفي مضض الاحزان مذ كنت نائيا
لئن لبست عليك ثوب حدادها ... وأمست تعاني مذ قضيت الدواهيا
ففي سائر الاوساط قامت مئاتم ... تفيض من الاسى عليك مراثيا
وذا (المغرب الاقصى) ونحن لسانه ... يشارك (مصر) في مصابك ءاسيا
يعالج داء منك عز دواؤه ... واين لدائه يلاقي مداويا
وحاول صبرا لم يطق عنك حمله ... ففاضت دموعه عليك جواريا
على أن داء النفس ليس يفيده ... اذا كان حزنا ان يرى المرء باكيا
أيا(مصطفى)ما(النيل) ذا اليوم وحده ... أعزى لان قد بات بعدك خاليا
ولكن أعزى فيك أبناء (يعرب) ... جميعا ، وءايات العلا والقوافيا
فنم خالدا يا (مصطفى) وعليك في ... ضريحك ناعما جليل سلاميا

أصاب شاعر (الحمراء) مرض . فكتب اليه ٧ ـ ١٢ ـ ١٣٦٠ هـ

﴿ وارحمتاه ﴾

لاتنزعج واهدأ برغم الاسى ... فيما رماك به الزمان القاسى
جرح ضئيل قد تداركه شانه ... ءاس لديك وحبذا من ءاس
ما فى القضية ما تعير لشانه ... نظرا ولا تحفل بذاك البلاس
أدريك من يلقى الحوادث باسما ... فى وجهها ويكون صعب مراس
هيهات انْدهمتك أن تُلفى سوى ... جلد الفؤاد المشمخر الراسى
لا تستلين قناته من هولها ... بل يلتقيها دائما بالبأس
ليست بأول ما لقيت وما جنى ... ـ وارحمتاه ـ عليك ظلم الناس

لا تذكر يا شاعر (الحمراء) ما ... قاسيت منه وما تزال تقاسى
وتناس ما استطعت الحياة فانما ... يرتاح بالا عندها المتناسى
ماذا تؤمل فى الورى من بعد ما ... جهلوك كالملحود فى الارماس ؟
هون علينا اننا مما عرا ... فى غمرة الحزن العميق القاسى
ما بيننا من لم يكن مما جرى ... مستوقد الاحشاء ، اشقى ءاس
ماذا لقيت من الزمان وأهله ... الا عداء العقل والاحساس ؟
كم ارهفوا منك الشعور وجرعو ... ك الدهر للاهمال كم من كاس
لسنا نلوم الاغبيا فيما أتوا ... فالذنب كل الذنب للاكياس
عن رغم ذلك كله لا تيأسن ... فالشر أضحى كلـه فى اليأس
فلديك من يرعاك رعى بنوة ... بين الشباب الحى خير الناس
فهو الذى ياسو جروحك وحده ... أعظم به بين الورى من ءاس

وخاطبه أيضا بقوله ـ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٣٥٧ هـ

﴿ إلى شاعر الحمراء العظيم ﴾

لمن يشكو الاديب سوى الاديب ... هموما فى سويداء القلوب
ودهرا يمتطى بالحر هـولا ... ويقرعه بأسياف الخطوب
كان لـه ذحـولا يقتضيها ... ولكن من دم الحر الاديب
انتنظر الزمـان يتوب مما ... يقارف فى الاديب من الذنوب
وتطمع ان تلين له قنـاة ... يريح الحر من هذى الحروب
وقد خضب الغضا بدم بريء ... واثخن فى الشباب وفى المشيب
اليك أشاعر (الحمراء) أبدى ... عواطف شاعر حر كئيب
كلانا قد تحمل عبء هم ... وأضحى فى عباب من خطوب
كلانا يستثير قلوب صخر ... اذا غنى بألحـان الكـروب
كلانـا شاعر يبكـى ولكن ... على من ليس يسمع بالنحيب
أنسمع من ضروب الفن من لا ... يرى يهتز من تلك الضروب
فهيا (شاعر الحمراء) نشـدو ... لانفسنا وللادب الغريب
وللحب الذى سندير منـه ... معتقة عـلى هاذى القلـوب
نغيب بها عن الارزاء انى ... أرى طيب الحياة مع المغيب
اذا ما العقل أسعد كل قوم ... سعدنا نحن بالعقل السليب
علام أ (شاعر الحمراء) تنبـو ... كأنى لم أكن لك بالقريب
أرى دوما أحاول منك قربا ... يفرق بين قلبى والوجيب
أيغدو الحظ حتى فيك ، منى ... كما تهوى العدا حظ الاديب

اناشدك الاخوة وهى ليست ... بامر هين عند المصيب
قضيت جميع ما اهوى اذا ما ... انا احرزت منك على نصيبى
متى يا (شاعر الحمراء) تحنو ... علىّ حنو من يدرى كروبى
وتونس غربة قد أوحشتنى ... الست انا بدونك بالغريب
ولو انى صحبت البدر يوما ... لأهوى ان يميل الى الغروب
وانك من أود الدهر ان لا ... أفارق منه اى اخ اديب
سموت مكانة لم يسم يوما ... اليها المرء فى كل الشعوب
ولم احلم بها يوما وانى ... تنال مكانة الغد المهيب
ولكن بيننا ادب سيدنى ... كما نهوى بعيدا من قريب
ومثلك ليس يطغى ان تسامى ... وهل يطغى سوى الوغد المريب
حنانيك (شاعر الحمراء) انى ... على ما فات منك لفى لهيب
على انى سانشد طول عمرى ... لديك منّى أديب من أديب

وخاطب الاديب البونعمانى بقوله - ١١ - ٩ - ١٣٥٥ هـ :

لا تلمنى فاننى معمود ... ان هذا الملام ليس يفيد
أبدا تعترى فؤادى ذكرى ... فتذيب الفؤاد وهو حديد
ليس للذكريات معنى اذا لم ... تترك المرء وهو عان عميد
ليس للذكريات معنى اذا لم ... تنس للمرء أنه موجود
واذا لم تهيج الوجد ذكرى ... فى فؤاد فانها تفنيد
أيها الشاعر المجيد أمالى ؟ ... كل عذر اذا أنا معمود
ولقد كنت شاعر الحب يامن ... هو بالوجد دائما مفؤود
ولقد كنت شاعرا كلما فا ... ض شعورا اذا الغضاء يميد
يبعث الشعر صرخة فاذا الكو ... ن قيام لوقعها وقعود
انما الشعر ما تثير عيون ... ناعسات -اذا بدت- وخدود
كنت من يستهوى الجمال ويصبى ... لبه دائما حسان غيد
وكن اليوم عاذرا لمشوق ... دلّهت قلبه عيون وجيد
أولست الذى يقول خليعا ... (ان ذا الحسن عندنا معبود)
أى شىء دهاك رب القوافى ؟ ... أين ذاك الوفاء أين العهود ؟
لاتلمنى على هوى وغرام ... انما اللوم فى الغرام مزيد
واذا لم تجد من اللوم بدا ... فكما شئت فهو ليس يفيد
ليس انى أبيت لكن طبعى ... فى الهوى قد عرفت ليس يريد
ما كفى الدهر فى فؤادى سهم ... فرمانى بناخر فيعيد
لم يكن ذلك المصيب فؤادى ... غير أن المزاد منى بعيد

ايها الشاعر العظيم جنانيـ ـك لمن شفه اشتياق شديد
كن على العهد والسلام على من ملا الكون منه ذكر حميد (١)
وليصن تلكم العهود الى ان نلتقي كما نشا ونريد

وخاطبه ايضا بقوله - ١١ - ١١ - ١٣٥٥ هـ :

﴿ غـادة الشعر ﴾

فاض فكرى بالشعر فى الاعتذار كل حين كمن بذاك يبارى
انثى لو تصفح القوم شعرى لدعونى بشاعر الاعتذار
رب مالى وللقيود ومثل لا يواتيه غير خلع العذار
وانا شاعر طموح ابى الـ ـنفس لا ارتضى حياة الاسار
ان ورد الحياة مرءٌ اذا لم يك فيه الفتى من الاحرار
مستبد بنفسه وحجاه وشئون الحياة والاقدار
واذا ما غدا الى اللهو يوما ليس يثنيه من يقول حذار
يتحلى بكل ما يرتضى الذو ق وان لم يكن لباس الوقار
تظهر الوجد زفرة منه تتلو زفرة ، لا يكنها خوف عار
خلق المرء ان يدين لها ذا الـ ـحسن عن رغمه ، على م يوارى ؟
ان شان الجمال شان كبير لا يواتى سوى النفوس الكبار
كل من لم تهج لحاظ الغوانى قلبه لا يعد فى الاحرار
لا يروق الاديب بعد الغوانى غير عود وغير كاس العقار
هذه نقشة البيان وان لم اك ادعى من قبل بالسحار
هى مرءاة شاعر يتجلى قلبه كيف كان للانظار
شاعر المغرب العظيم اذا ما قيل عد العظام فى الاقطار
هذه غادة تحييك لكن انها غادة من الاشعار
خجلت حينما رآتك عظيما لا تلمها ، فذاك شان العذارى
واحدرنها اذا رانك فاغضت تلك حرب تثار خلف الستار
ها كذا كل ما نقول اذا ما دب فينا الهوى دبيب الخمار
وانا من دريت او سوف تدرى كيف وجدى ان كنت لست بدارى
حى منى رفيقك الشهم ابرا هيم رب العلا وربه الفخار (٢)
وعلى شاعر (الرباط) سلام كنسيم الرياض فى الاسحار

---

١) المقصود ابرهيم الالفى .
٢) ابرهيم الالفى .

لست أعنى به سوى من تغنّى فوق ايك الاشعار مثل الهزار

وخاطب فى ١٨ ـ ٣ ـ ١٣٥٧ هـ الاديب ابرهيم الالفى . رفيقه فى الدراسة فى (الرميلة) :

ماذا يكون لشاعر «اثارا أبقيه عندك يا أخى تذكارا
اما القريض فقد أتيت بثايه لكن أرى قومى بها كفارا
أسمعتهم وحى الضمير، وهل درووا ـ أواه ـ الا الدف والمزمارا
وهمست فى أذن الطبيعة همسة ملأت بها هذا الفضا اسرارا
ووقعت عن وتر البيان بريشتى وقعا يرى الطرب الفتى أدوارا
فاثرت أشجار الرياض فتحت لسماع ما أشدو به أزهارا
وسرى النسيم يردد النغم التى أرسلت فاستهوى به الاطيارا
والقوم لا اسماع منهم للذى أبديه من معنى ، ولا انظارا
لم يعرفوا انى تذوب حشاشتى فيفيض منها ما رأوا اشعارا
الشعر ما يعلى الحقيقة فى الفتى ويزيل عما فى الضمير ستارا
فاتى يصور ما يساور ربّه ويشع وسط حياته أنوارا
ما قلت الا ما شرقت بهمه وجرت به منى الدموع غزارا
وتمزقت نفسى شعاعا حوله وأمر عيشى هكذا امرارا
ما العبقرى سوى الذى يدلى بما فى قلبه ويبين ما قد وارى
أعلنت فى شعرى ميولى كلها واذعت للتاريخ لى أسرارا
ان ثار همّ بى توقد فى الحشا أرسلت عنه من القصائد نارا
أو هاجنى حسن الطبيعة قلت ما يحكى النسيم اذا سرى أسحارا
ما خانتنى فى موقف فكرى على ما شئت من معنى له اظهارا
شيدت من أدبى النضير مكانة ورفعت منه لمعشرى أقدارا
الشاعر الممتاز يعلى قومه ويقيم فيهم للكمال منارا
ورسالة الشعراء ان يهدوا الى نهج العلا وينوروا الافكارا
لو أن قومى يقدرون لشاعر قدرا لعاشوا سادة أحرارا
وسرت بهم روح الحياة واصبحت لهم المعالى والفخار شعارا
لاتعذلنى ان أشيم بمنطقى سيفا على قومى يرى بتارا
ان ثرت مما قد لقيت فهل على حر أبى لومة ان ثارا
دقت المرارة فى الحياة وكابدت نفسى هموما لا تطاق كبارا
الاخى الذى أبدا أحن لعهده هاك الذى تبغيه لى تذكارا
شعرا تموج به الشجون كما ترى وتهب ريح طيّه اعصارا
لولا الذى بينى وبينك ما انا أسفرت عما نابنى أسفارا

ولنحى بالذكرى كما نهوى وهل احيا سوى ذكرى الاحا ، احرارا

وكتب الى الاديب سالم الرحماني ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٣٥٧ هـ (١)

دم كما كنت للوفاء مثالا وتذكر من ليس ينساك حالا
الفتى الحر من على العهد يبقى ويرى ان يحيد عنه محالا
لا يبالى مال الزمان يمينا لا يبالى ان كان مال شمالا
وارع عهدا تبسم الدهر فيه وارانا ثغر المنى يتلالا
كان عهد الاحلام 'ينعش منا أملا فى الحياة عز منالا
يتراءى لديه وجه الامانى باسما يزدهى علينا جمالا
فنعمنا ، والحب يبعث فينا ما ترانا به نتيه اختيالا
نحن فى سكرة الهوى لانبالى عذر القوم أم أثاروا جدالا
فكأن الزمان القى زماما ان نقل يسمع الزمان مقالا
وكذا المرء كلما غمرته غبطة فى الحياة ينسى الزوالا
لم نزل نحتسى من الحب كاسا فاذا العهد حين ذاك استحالا
قد تولى به الزمان سريعا وكذا الدهر ليس يلزم حالا
فافترقنا وفى الفراق بلاء وخطوب على الفتى تتوالى
سيما اننى بقيت غريبا فى(جنوب)وقدقصدت(الشمالا)(٢)
فتبوأت فى الشمال جنانا وتبوأت فى الجنوب تلالا
كل يوم ترى الطبيعة تبدو غادة تخلب النفوس جمالا
فى جنان هناك تجلو بها الا زهار للناظرين سحرا حلالا
فغدت معبدا تقدس فيه لجمال يسبى النهى تمثالا
ليت لى ساعة هنالك اقضى ذهما للهوى على ثقالا
ان بى لوعة تثير دموعا وشجونا على الفراق طوالا
كنت جلدا على النوائب ، لكن ان تكن بين من أحب فلالا
ان يوما ودعت مثلك فيه لهنو يوم أثار لى أهوالا
كيف أنسى رغم الحوادث عهدا كنت فيه اداعب الامالا
ولئن زال بعد ذاك فعندى ذكريات للديدة لن 'نزالا
ما سوى الذكريات ينعش قلبى لا ولا غيرها يروح بالا
فانتعاشا بالذكريات ففيها ما يزيح العناء والبلبالا

---

١) سالم اليوم قاض كبير . وقد كان من تلاميذ (الرميلة) فاستقام مسن (القرويين) .

٢) يعني (فاسا)

ومن خطبه رحمه الله :

وكتبت الى اصدقائى (مولاى مبارك الكنانى) و (مولاى الصديق العلوى) و (الاديب محمد العيادى) ومن اليهم (١)

﴿ صوت الاخاء ﴾

مالى وما لمدينة (الحمراء) ؟ ... ان أحى فيها كالغريب الناءى
لا من يحن لرؤيتى منكم ولا ... من يستفز فؤاده لقيائى
افضى حياتى بينكم فى وحدة ... فكأننى من جملة الغرباء
كم ظلت ابعث عنكم من ها هنا ... لهنا واقضى اليوم فى استقصاء
ان خلت ناحية بها القاكم ... امشى لها فى لهفة وجواء
متعقبا خطواتكم انّى بدت ... عاثارها للعين فى (الحمراء)
متسائلا هذا لذاك كأننى ... متقطع الاسباب فى الظلماء
لكننى ـ واحسرتا ـ كم عدت فى ... اخفاق مسعى بعد طول عناء
ينتابنى ألم القطيعة ثم ما ... يمشى به أملى من استعصاء
تتجاذب الآلام منكم مهجتى ... فانا بها فى كربة وشقاء
وحدى أقاسى ما تسبب بعدكم ... فكأننى 'متسببٌ' فى داءى
فعلى الأقل اليوم كونوا ان اغب ... تتشوقون على الدوام لقاءى
ما ان أحاول أن تكونوا أنتم ... فى كل ما ينتابنى شركاءى
عن رغم ما يقضى الاخاء من التسا ... وى بيننا فى سائر الاشياء
ما ها كذا عودتمونى ان ارى ... منكم لدى السراء والضراء
ادريكم تهفون نحوى مثل ما ... يهفو الشوق الملهب الاحشاء
تترددون علىّ كل عشية ... من غير ما ضجر ولا اعياء
ان غبت عنكم ساعة يشتد ما ... تلقون من جراء طول تناءى
وانا كذلك مثلكم طبعا وقد ... عرف الجميع مودتى وولاءى
ان كان هذا شانكم يا اخوتى ... فابقوا كما قد كنتم كبقاءى

---

١) هؤلاء كانوا اذ ذاك مع شاعرنا اقرانا يتعاطون الادب فى (كلية ابن يوسف) ثم صار الاول أستاذا كبيرا فى الكلية وقد ورث المكانة العلمية التى لوالده مولاى على الدمناتى المرحوم . والثانى هو اليوم رفيع المقام (باشا) زطاط . بعدما كان كاتب المجلس الذى يشرف على الكلية . ثم كان فى سفارة (العراق) زمنا . وهو أديب كبير من أعلام الادب . وأما الثالث ، فقد امتاز بين اخوانه باخلاقه وسمو فكره ، ففاز برضا والده . وهو اليوم قائد ممتاز فى (الرحامنة) وهو من انشط الشباب .

عـودوا الى ما كنتـم وليقنـوا انى بدونكم غريب نـاى

ومن خطـه ايضا :

قلت على لسان التلميذ النجيب السيد محمد بن القائد العبادى وقد انى بما يبهر الالباب . مما ينبىء عن مستقبله المزدهر ـ ٦ ـ ٢ ـ ١٣٥٦ هـ

انا فى سماوات العلا ذلك البدر نشرت ضيائى كيف طاب لى النشر
ترى اخوتى قد احدقوا بى مثل ما ترى البدر احدقت به الانجم الزهر
نشأت على ما يرتضى المجد والذى له ناشىء مثل يحق له الفخر
ولى همـة لا تطمئـن الى مـدى وان اغتدى من دون مبلغها النسر
اذا ما تجـل لى عـلاء مضى لـه طموحى كما تمضى الى الثغر السمر
فاحـرزه والنفس تشرق بعـده لها فوقـه . والسير يتبعه السير
اذا ظمئـت للمجـد نفس فانمـا تروى اذا ما اهتز من فخرها العصر
وسوف ترون الارض تهتز والسما تميـد اذا مـا سار لى فيهما ذكر
ستخفق رايات العـلا فوق هامتى ويحتف بى من جندها العسكر المجر
ملامح مـا أرمى اليه تهللت بوجهى وذاك النور آياته الغر
وان كنت لم أزل صغيرا كما أرى فـانى شهـم أمره فى العـلا أمر
وكيف ولى من محتـدى اى مفخر اذا ما بياهينى بمحتده الفخر
أقارعـه بكل أصيد ماجـد من ءابـاءى الالى يحـق بهـم فخر
ولى فوق ذاكم من معارف ما اذا ذكرت يحق أن يصفق لى الدهر
تتوجت بالآداب والخلق الذى ترى مثل ما عن كمه انبثق النور
حبتنى معارفى بكـل عظيمـة فأصبح يزدهى بى البر والبحر
فها أنـذا فلتغبطونـى سيدا تساوى لديه السهل فى العز والوعر
أدل بنفسى اليـوم تيهـا وعـزة واشدو كما يشدو اذا طرب الطير
ألا يا أبى لتفرح اليوم اننى لها نلت من مجد يحق لـك البشر
وها يا أبى ما شئت من أدب ومن علوم ومن خلق بها يثلج الصدر
وقر بمجدى منـك عينـا فانى بفخرى حقا ذلـك الولـد البر

وكتب الى الاستاذ سيدى محمد الرداني (١) ٢٠ ـ ٣ ـ ١٣٥٧ هـ :

حنانيك أصليت الفؤاد ملاما واوقدت فى الاحشاء منى ضراما
واوليتنى ما غادرتنى همومه أعانى شجونا فى فؤادى عظاما
فأصبحت حيران الجنان ، فما أنا أفرق بعد من وراء أماما
ومن كابد العيش المرير فكيف لا على عيشه يختار بعد زؤاما

١) ذكر هو واهله فى (الجزء الرابع عشر)

توالت صروف الدهر فيّ واظلمت
على مَ أود العيش ان لم يكن سوى
ولولا اخلاء خلقت لحبهم
وانك يا اخي (الرّداني) منهم
فيبقى اخاء بيننا متمكنا
انا ذلك الخل الوحيد فلا تدع
وتلك ظنون يعترى المرء بعضها
ومن ذا يراعى للاخاء عهدهم
فان لم ازركم حينما كنت زائرا
سادلي به يوما اذا ما لقيتني
وماذاك انى خفت عدوى كما ترى
وكيف وقد عاد الزمان كما تشا
اتى تائبا عما جنى بصروفه
وانا فرحنا مذ سمعنا بانه
وطب ياأخى نفسا وعش ناعما اذا
وها انذا خلى سانهى اليك من

حياتي، وهل ارضى الحياة ظلاما ؟
شقاء اقاسيه ، الحياة علاما ؟
سللت على هذى الحياة حساما
فترعى على طول الزمان ذماما
يحاكى بصافى اللون منه مداما
لريب عراك اليوم فيّ ، مقاما
وليست كما علمت الا اثاما
اذا ما سحابى كان فيّ جهاما ؟
هناك فلى عذر يرد ملاما
على شاطىء البيضا فانضو لثاما
أيعدى صحيح من يعانى سقاما ؟
اليك وانى لا أزال مضاما (١)
عليك، وروّى اليوم فيك أواما
أنالك من بعض الامور مراما
غدا الدهر ملقيا اليك زماما
فؤاد براه ما براه ، سلاما

وكتب اليه أيضا فى ١٣٦٠ هـ :

أكلما سددت لى اسهم العذل ؟
واتقى سورة الغضبان منك بما
فاستثير حنان القلب منك اذا
هناك تنكر ما قد كنت تعرفه
نعم والا فكيف اليوم تحسبنى
ولم يقف بك حسن الظن بى وبما
بل قمت تبعد عنك اللوم معتذرا
وان ما قد حسبت أنت فاعله
انى لأولى الورى بالاخذ عن زلل
وانني لانا المسئول ـ اعلنه ـ
لكن سلامة قلب منك تجعلنى
مع اننى جد عالم بأن يدى

بالحق استنجد الاشعار تشفع لى
أنا احبره فى الشعر من حيل
ما صغت فيك قريضا مضرب المثل
وينطلى عنك وجه الحق وهو جلى
فيما جنيت برىء القول والعمل
منى جرى عند غض الطرف عن زلل
والله يعلم أولانا بذا العذل
أو قلته انت لم تفعل ولم تقل
وحدى أنا اذ جميع الذنب من قبلى
وليس منك ـ وحاشا ـ اى مازلل
من ابرا الابريا وكيف ذلك لى ؟
فيما جرى هى ذات الحادث الجلل

١) كلمة فيها كلام كثير : راجع «اخر (الرحلة الثانية) من (خلال جزولة) فهى مطبوعة .

فكيف تزعم ان الذنب ذنبك لا ... ذنبي وانى ما اوريت من خطل
كانما انت تبغى ان تغالطنى ... حتى اسلم ما قد قلت عن جدل
اذ ذاك تفجأنى بالحق منقلبا ... على ، وتاخذنى بالذنب عن غفل
اهكذا انت بى تبغى لتوقعنى ... وقد سددت علىّ سائر السبل
وكيفما كان هذا الامر لست أرى ... غيرى جنى ، رغم ما ابديت من حيل
الله بى وبقلب مضه اسفُ ... منى واضحى بذاك جد مشتعل
هذا على امل فى نيل صفحكم ... فكيف بى لو انا فيه بلا امل

وهنا النقيب ابن زيدان بحجته ١٣٥٧ هـ :

أكذا حياتك كلها ءايات ... هى للزمان واهله غرات
أنى حللت فضجة تدوى اذا ... هذى الحياة جميعها نغمات
ليس العظيم مصدقا ما لم تقم ... فى كل أرض حوله ضجات
ان سار تخلفه احاديث العلا ... غصت بها للقوم منتديات
يدع الشعوب وفوقها جلال ما ... أبداه فيها تخفق الرايات
مثل (ابن زيدان) الذى ملأ الدنا ... ذكرا كما قد فتحت زهرات
سل (مصر) سل (بيروت) سل (أم القرى) ... فيما تروم جميعها لهجات
واسال ممالك،كلها مد شاهدت ... وجه (ابن زيدان) بدا ، بسمات
ولكم من العظما أتوها قبله ... فكانما هم دونه لم يأتوا
لاغرو يا فرد المفاخر أن ترى ... بدرا له كل الدنا هالات
أسمعت صوت (المغرب الاقصى) الذى ... لك فى سماء ربوعه ءايات
واقمت فى كل منزل تمثاله ... وكذاك تفعل للبلاد اباة
ونشرت فيه معارفا اضحى بها ... قومى وهم أفذاذها ودعاة
كم من يد أسديت للعلم الذى ... هو للحضارة والعلا مرقاة
أوليتنا كم من عظائم انما ... يولى العظائم فى الزمان كماة

* * *

يا أيها الفذ الذى تهتز من ... كل البلاد لعزه جنبات
لك فى سماوات المكارم غاية ... وقفت حيارى دونها غايات
والمجد عندك من عقود طريفه ... درر على اللبات منتظمات
اما تليدك فهو ما ملأ الدنا ... صورا تطاطئ دونها هامات
انت الذى بعث النفوس الى العلا ... وأثار منك سبيلها مشكاة
دم هكذا والمجد جندك ، والعلا ... أبدا عليك كما تشا ، رايات

وخاطب كاتب الباشا سيدى محمدا الشرعى ١٤ سبتمبر ١٩٤٠ م بقولـه :

حنانيك لاتوسع فؤادى أنا عتبا ... وان كنت هذا اليوم مقترفا ذنبا
ولا تأخذنى بالذى كان واقعا ... فلا يد لى فيه فاستحق العتبا
ولكنها الاقدار هل يملك الفتى ... أمام القضا من غير أن يرضى القلبا
لئن كان تقصيرى من أسباب ماجرى ... فعذرى انى لست من يعلم الغيبا
على انى من ذاك أحذر دائما ... واخشى الذى أدريه لايختشى الريبا
الى أن جرى ما قد جرى فتحيرت ... دموعى أريد السكب منها فلاسكبا
وكادت تطير النفس من سورة الاسى ... شعاعا واضحى القلب ممتلئا كربا
وهل ينفع الاسى وان ذهل الفتى ... وأصبح من بلـواه لا يملك اللبـا
فرحماك لا تعتب علىَّ لما جرى ... فانك أولى الناس بالصفح والعتبى
ولا تتنزع منى يد الثقة التى ... أباهى بها الاعداء فى الدهر والصحبا
لقد ظفرت يمناى منك بما أنا ... به ازدهى فى علوها الانجم الشهبا
وهل مطلب من بعد يبقى اذا أنا ... عطفت على الروح باللطف والقربا
أحس بعطفة اليك تهزنـنـى ... وتجذب منى القلب نحوكم جذبا
بعطفة نجل مخلص الحب للذى ... رعـاه وأولاه العنايـة والحبـا
الا أيها الندب الذى فيه تجمعت ... جميع خصال الخير والمجـد قد شبا
جمعت الى العلم الشريف خلائقا ... لطافا يحاكيها النسيم اذا هبا (١)
الى العنصر الذى تسلسل فى العلا ... كعقد يروع الشرق بالحسن والغربا
فجئت تتم العقد واسطة له ... فان لم يتم العقد لا يخلب اللبا
لكنت على تلك الاروعة زينة ... وتاجا فطب بالعز أجمعه قلبا

وقال فى مولدية ربيع الاول ١٣٥٩ هـ . والعالم اذ ذاك يتلظى :

﴿ وحي الذكرى ﴾

كلما كلما حاولت دهرى قوافيا ... تفيض على الذكريات معـانيـا
وتسمو بروحى عن عوالم جمة ... وتجتاز ءافاقـا بها ومراقبـا
الى عالم فيـه تغازلنى المنى ... وتومىء ءامـالى الى ، دوانيـا
الى عالم فى جوه الحب قد صفا ... وفيه أرى كل الامانى زواهيا
الى حيث قلب المرء تنعشه المنى ... وتبعث ءامـالا بـه ودواعيـا
هنـاك الحياة المعنوية حلـــوة ... أعاقر من صهبائها ما صفا لبا

١) كلمة حق فى المخاطب . فانـه من أكثر النـاس وداعـة وملاطفـة . رحمه الله .

هنالك المعاني يغمر النفس سحرها ... ويروى فؤادا للسعادة ظامیا
انا الشاعر الدامي الفؤاد وانما ... أعزي فؤادا بين جنبي دامیا
دهتني صروف لا تعد كثيرة ... فما لصروف الدهر ويحي ومالیا ؟
واني لذاك المرهف القلب بالهوى ... فرحماك ربي لاطيق الدواهیا
ومن تعرك الايام مثل فؤاده ... فاجدر بأن يبقى مدى الدهر «اسیا
حياة اضلتني مناهج غايتي ... فاصبحت لا ادري الورا من اماميا
فكم منية حاولت جهدي مثالها ... فاخفقت فيما كنت في الدهر ساعيا
وكيف يعيش المرء ، لم يدرك المنى؟ ... «وليست حياة المرء الا امانيا» (١)

* * *

اذكرى أثيري ما بي اليوم كامن ... فقد ضاق ياذكرى بذا القلب مابیا
واحيي شعورا كان قلبي مهاده ... وينبوعه الفياض قبل معانیا
واهل على سمح الزمان روائعا ... من «ايات عهد كان بالمجد زاهیا
وعودي اياذكرى بروحي ورفرفي ... بها فوق عهد ماجد كان ماضیا
وسيري بهذا العالم اليوم نحو ما ... يعالج داء فيه ما زال ساريا
ونادیه فهو اليوم حيران انه ... على حفرة قد كاد يصبح هاويا
طغى فيه سيل جارف من عناصر ... تداعى بها ما لم يكن مداعیا
فاصبح والارزاء تفتك جهدها ... به يملأ الارجاء طرا مئاسیا
ففي كل ارض ماتم بعد ماتم ... وفي كل قطر ما يهيج المنايا
ثكالى وايتام ينسيك هول ما ... تقاسي من الآلام ما لست ناسیا
غدا العالم المنكوب للشر مسرحا ... يمثل مأساة به ومخازيا
صراع عنيف سوف يعصف بالورى ... ويهوي، بلا رحمى؛ بمن كان ساميا
وينقض ما قد شيد العقل في الدنا ... ويقضي عليها ان تعود كما هيا
انارته اطماع اذا ما تحققت ... ـ وانّى لها ـ فقم على الكون ناعیا
أرى كل شيء قد تناهى لحده ... وتابى على طول الزمان التناهیا
فرحماك للانسان يا رب انه ... اذا لم تغثه اليوم يصبح فانیا
اذكرى أثيري في الحياة سبيلنا ... وكوني لنا عونا الى الحق داعیا
فانك ذكرى من هدى الخلق اولا ... الى الحق فاهديه لقد ضل لانیا
وابدي لنا سرا كذيالك الذي ... به كان عهد المصطفى قبل بادیا
يوحد افكارا اذا ما توحدت ... سينضم بعض الناس للبعض راضیا
واذ ذاك رايات السلام ستغتدي ... ترفرف فوق العالمين عواليا
ومن ل بعهد مثل عهد (محمد) ... يحقق «امال العلا والاماليا

---

١) شطر لديم .

ويلقى على الدنيا شعاع اخوة ... ويجعل كل العالمين سواسيا
ويهدى شعوب الارض للحق انها ... لفى حاجة لمن يرى اليوم هاديا
ويرجع للاسلام سابق عهده ... ويعلى منارا للفضيلات عاليا
ويحمى حمى عصر الحضارة والعلا ... ويطلع فى افق الحياة الدراريا
ويوحى لها اذا الكون بالمثل العلا ... ويجلو قلوبا بالمساوى صواديا
فنحيا كما تهوى الشعوب وتعتلى ... مكانا على هام الحضارة ساميا

وقال فى (مراكش) :

لا ينمحى بتتابع الاعوام ... ما شاده فى المجد كل همام
يبقى على طرس الخلود مثاله ... كالتاج للايام فوق الهام
ماضر رب المجد ان سكن الثرى ... من بعد ما قد نال أوج مقام
رب الفخار وان تقادم عهده ... ترعى له فى الدهر كل ذمام
فليهن أرباب الفخار خلودهم ... ان الفخار قضى لهم بدوام
«اثارهم 'سور العلا تتلى على ... سمع العصور بالسن الاقلام
انظر الى ما شادت العظماء من ... «اى الخلود بعينى الاعظام
واجل لحاظك فى القصور ومالها ... من باهر الابداع والاحكام
فمدينة (الحمرا) اذا ما شوهدت ... «اثارها تنبى عن الاعلام
فيها من «اثار البراعة «اية ... وكفى بها هذا المنار السامى
تاهت على كل العواصم وارتقت ... للمجد والعلياء فوق سنام
ومواقف الضرغام يوسف بوأت ... لمدينة (الحمرا) عظيم مقام
وغدت بها أم العواصم كلها ... ومقالها فيها مقال حسام
شادت لها عرشا على متن العلا ... بظبا الصوارم والقنا وسهام
دانت له الاقطار طرا انه الـ ... ـعرش العظيم لمالكين عظام
جعل الملوك أذلة ما ان هم ... لولاه الا ضراغم الاجام
فليسأل التاريخ أعظم شاهد ... عن منتهى (الحمرا) فى الاعظام
ماذا لها فى كل عهد مذ ما ... مهدت لها العليا يد المقدام
فى كل عهد تستزيد كمالها ... مجدا يوطده غرار حسام
كم من بنود فوقها خفاقة ... رفعت لنصرة دولة الاسلام
ولئن مضت تلك العهود ومن بها ... من ماجدين متوجين عظام
فمدينة (الحمراء) ما زالت على ... رغم الحوادث معهد الاعلام
كم من معاهد للمعارف شيدت ... فيها وكانت منهل الافهام
هذا (ابن يوسف) معهد قد كان مذ ... عصر طويل فى أعز مقام
احيا علوما قد عفت «اثارها ... ومحا بنور العلم كل ظلام

كم من نوابغ تابعت تحريجهم ... جيلا جبيل سائر الاعوام

وقال منغزلا :

اعلمت انى كل حين ... ينتابنى الوجد الدفين ؟
فاطل أرسل ادمعى ... والدمع قد يشفى الحزين
لكننى لا الدمع فى ... وجدى يفيد ولا الانين
انى عميد هل ترى ... داء كداء العاشقين ؟
أعيا الورى داء الهوى ... أيفيده الدمع الهتون ؟
كلا ولكن انما ... يغرى العميد الى الحنين
يا من تملك حبه ... خفاق قلبى منذ حين
رفقا بقلب لا يرى ... لسواك فى الدنيا يدين
ما حسن وجهك كل ما ... أصبحت منه فى جنون
كلا ولا القد الذى ... يهوى اليك الناظرين
لكن معنى فيك لا ... يدريه الا الشاعرون
لما تجل قمت - لا ... أدرى شمالا من يمين
ووضعت ممّا راعنى ... كفى على القلب الحزين
فكأننى التمثال لا ... أبدى الحراك ولا السكون
يا من أعانى فى هوا ... ه اليوم أصناف الشجون
انى كما تدرى وكن ... فيما دريت على يقين
ما شاعر من لم يدن ... فى الحب للسحر المبين

وقال يخاطبنى ٧ - ١١ - ١٣٥٤ هـ وهى من أولياته :

هويت وما تدرين ما كان من امرى ... وهدى دموع الوجد من مقلتى تجرى
وانى على ما تعلمين يهيجنى ... الى ما أقول ما اكابد من هجرى
اذا ما شكوت الحب قلت فضحتنى ... ولم ترحمى دمعى ولم تقبل عذرى
فها أناذا أطوى جناحى على الجوى ... ولست اذا افشيت سرك بالحر
افاتنتى هل ما أريد بلوغه ... قريب وقد قاسيت مالم يطق صبرى
افاتنتى ردى لحاظك انها ... احدّ على قلبى من البيض والسمر
سلى عنى الليل البهيم فانه ... سينبيك عن صدق بما كان من أمر
ابث اليه ما الاقى من الاسى ... ولست لغير الليل اكشف عن سرى
سلى عنى النجم المراقب فى السما ... اذا هجع النوام، مابعثرى صدرى؟
ابيت وانثنى على مضض الجوى ... تفيض دموعى كلما جئت فى فكرى
حنانيك من نفس تذوب وعبرة ... تفيض وقلبى من دلالك فى شكرى
افى كل يوم ابصر الجو قاتما ... أما لليال الصد والهجر من فجر ؟

متى تصلين هائما بك مغرما ... فيحظى بما يهواه من مرشف الثغر

* * *

لعمرك ما شاق الفؤاد كواعبٌ ... يمسسن كافنان مفتحة الزهر
ولكن دعا قلبى هوى خير سيد ... غدا ذكره مثل النسيم الذى يسرى
محمد المختار ذالكم الذى ... يجل ثناه فى الزمان عن الحصر
بأى لسان أم بأية صيغة ... أردد بعض ما يخصك فى العصر
لان الذى أقول دون الذى أرى ... لديك من المجد الصميم ومن فخر
وكيف تفى بما لديك قصائدى ... وفى كل يوم أنت للمجد فى سير
بلغت مقاما فى المعارف لا يرى ... لغير الذى يجرى اليه كما تجرى
تبوأت فى العلياء ما لا يخالـه ... رجال مضوا ، ينال فى آخر الدهر
فانى لأشعارى لديك ملجلج ... وان كنت عاية ـ اذا قلت ـ فى الشعر
خلقت لهذا المجد ما غيرك ارتقى ... وللشعب تحميه بعزمك من شر
وللعز والهدى وللعلم والندى ... وللدين والدنيا وللشعر والنثر

* * *

(أقول) : هذا ما اخترت ان اسوقه فى ترجمته هنا . وقد اجتهدت ان أسوق من كل ناحية . وتركت الباقى حتى نطبعه فى ديوانه ان شاء الله فان له فى مخدومه الباشا وغيره قصائد طنانة . رحمه الله . ولاريب أن الذى يقرأ كل ما تقدم يخرج بنتيجة واحدة . وهو أن الرجل خلق شاعرا . ولكنه لم يعمر حتى يروق ما يقول . ولذلك تراه يعلو أحيانا ويسف أحيانا فاياً كان فهو احد شعراء (سوس) الشباب . وكفى به مفخرة .

* * *

السابع والثلاثون سيدى محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد

ابن محمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن الشيخ ابرهيم بن على ابن أخى الفقيه سيدى الحاج محمد واعزيز ـ بتشديد الواو . وبذلك عرف ـ أخذ القراءان عن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الكريم ـ المتقدم ـ الذى يعلم فى مسجد (تيديل) ثم فى (تيغانيمين) ثم لازم سيدى الحاج مسعودا من ١٣٣٨ هـ الى ١٣٤٨ هـ . ولما تخرج شارط فى مسجد (ايت ملثول) ثم فى مدرسة (سيدى ميمون) . وهو الآن ١٣٨١ هـ فى مسجد (ايرحتالن) من (تسيمة) . وهو فقيه هين لين . له خط جميل . وقد لاقيته مرارا وجالست يوما . فمما انشدنى :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زادت محبة ... الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

ومن ذلك ايضا :

حكى اباه بما جرى فلا عجب فوابة الشبل تحكي ولبة الاسد

ومن ذلك ايضا :

واذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء بعمر ثان

ومن ذلك ايضا :

ان الشباب لرابح من باعه والشيب ليس لبائعيه رباح

الثامن والثلاثون : سيدي عبد الملك بن ابرهيم بن احمد

هذا هو الفقيه الذى عنونا به بادىء ذى بدء . وهو الذى كان على شرطنا وهو من أولاد سيدى الحسن بين أعقاب الشيخ سيدى ابرهيم بن عسل . قال فيه المذكور :

(كان رضى الله عنه عالما جليلا . اخذ أولا عن علماء اهله . ثم لازم الفقيه سيدى محمد أوعابثو . ثم لازم المشارطة فى مدرسة (سيدى ميمون) فى (كسيمة) يدرس فيها . ثم فى مدرسة (ايسيمنا) ما شاء الله فى(تانكرت) يوم سكن فى مسقط رأسه (تيغانيمين) ثم راجع سكنى (كسيمة) حيث أمضى طوال عمره الى أن شاخ . وقد لزم الخلوة والعزلة عن الناس . مشتغلا بتلاوة القرءان . ولاسيما بعدما كف بصره . وقد كان يلازم ءال الحاج العربى رؤساء (الدشيرة) الى أن توفى فيها ١٣٧٣ هـ وله من العمر ٨٧ عاما تقريبا)

(أقول) : اننى عرفت هذا السيد . ولاقيته مرارا . بل كنت احرص على رؤيته كلما مررت هناك . وهو وسط فى معلوماته . وقد افادنى كثيرا فيما أنا بصدده من جمع اخبار اهله وغيرهم . وقد لاقى الشيخ الالفى واخذ عنه . ويرفع رأسه بذلك . وقد انساق الى ذلك بسبب ءال الحاج العربى التابعين للشيخ . ولايزال يلهج باخباره . وهو حسن النية والمقاصد . يحترمه الناس ، ويكرمونه الى أن توفى . وقد امتد به العمر حتى ذهب اقرانه . وعاش فى بيئة لا يوافقها ولا توافقه . فراى كيف تكون الغربة فى وقت قيدته فيه الشيخوخة والعمى . فصابر الى أن لقى ربه رحمه الله . وبترجمته انتقضى الكلام فى ءال الشيخ سيدى ابرهيم بن على الذين نحس بأننا لم نوفهم حقهم الواجب ، ولعلنا تركنا منهم البعض . كما اننا لم نات بفلهائرهم . لاننا لم نتلقها منهم وكيفما كان فقد بذلنا الجهد . ومن بذل جهده فهل عليه من ملام ؟

الشريف

سيدي عبد الله الشناح

نحو ١٢٥٠ هـ = نحو ١٣٢٨ هـ

نسبه :

الحاج عبد الله بن أحمد بن علي بن علي - مكررا - بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد ابن الشيخ ابرهيم بن علي التانانى من الفرع القاطنين فى قرية (تاماكوست) لم نعرف من أوليته شيئا . الا انه حفظ القرءان وحصل ما حصل من العلوم . ثم رحل الى (فيكيغ) يتطلب سلسلة نسبهم المتصلة بسيدى ابرهيم بن علي . فبقى هناك سنة . وقد كان مشارطا فى مدرسة (سيدى أبى السحاب) حينا فى مبادئه . ثم ذهب بسلسلة نسبه الى (فاس) ليتوصل بالتحرير . فبقى سنة ليتصل بملك الوقت سيدى محمد بن عبد الرحمن . أو ابنه مولاى الحسن . ثم اتصل بالملك بعد ما اهدى له مصحفا بخطه الجميل ، فكتب له هذا الظهير :

(جددنا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . لماسكه المرابط الحاج عبد الله بن علي (١) واخوانه حفدة الولى الصالح سيدى ابرهيم بن علي القاطنين ببلاد (ايداوزيكى) حكم ما بيدهم من ظهيرنا الشريف . المتضمن سدلنا عليه اردية التوقير والاحترام والرعى الجميل المستدام . واسقطنا عنهم الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية . رعيا لوقوفهم فى مصالح الرعية ، واعانتهم لنا . الا ما أوجبه الله عليهم من زكاة الاعشار . الواجبة على المسلمين . اذ لا تسقط عن مسلم . فنامر الواقف عليه من خدامنا ؛ وولاة امرنا أن يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهب ولا يتعداه . صدر به امرنا الشريف المعتز بالله فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٨١ هـ . وفى الطابع محمد بن عبد الرحمن)

١) نسب هنا الى جده . والا فهو ابن أحمد بن علي .

ثم انه طلب من الملك اطلاق القائد محمد المنوكي المسجون اذ ذاك بـ (فاس) . وقال للملك : انني لا أعرف القائد ، غير انني اسمع الثناء عليه من جميع الناس . فسرحه الملك . فصاحبه القائد معه ؛ فالزمه ان يبقى معه . وان يعلم أولاده . فهو الذي قرأ عليه ولده القائد عبد الملك القرءان ؛ وبين يديه شب فتال عند القوم حظوة . فكانت بقالهم لا تزال تتردد الى داره بالخيرات دائما طوال حياته . ثم تولى القضاء في عهد القائد عبد الملك . مع قيامه بزاويتهم في (تامكوست) وهو رجل صالح توثر عنه الكرامات عند السامرين بأخباره . وكان لمكانته عند القائد يستشفع بـه الناس عنده كثيرا .

اتصاله بالشيخ الالغي

حضر مرارا امام الشيخ في وفاداته على ءال (بووابوض) (١) فرأى كيف يصرصر عليهم بمواعظه وكيف يطأطئون رؤوسهم أمامه . حتى القائد عبد الملك الذي كانت هالته هيبة لا تتخطى . فانها تتماع اذا كان امام الشيخ الصؤول . فاثر ذلك في المترجم . فأداه ذلك حتى تقدم الى الشيخ ؛ مادا اليه يده . فأعطاه العهد على أن يؤوب الى ربه . وقد كان ذلك وشمسه على أطراف النخيل . فلم ينشب أن أتاه أجله رحمه الله .

وهو أحد العلماء التيغانيميين . وقد رأيت كيف بنو عمومته فيما تقدم . وليس عندنا الآن عنه الا ما سطرناه .

كيف مات

في ءاخر حياته كان شيطان من شياطين الانس الذين يعادون اهل الخير . ينتكر هو واهله للمترجم واهله . حسدا لهم على الذي أعطاه الله لهم ؛ فلتك به وهو في المسجد . ويقال انه كان قال اذ ذاك لجليس له : ان الذين سيفتكون بي جاءوا . وأسند ذلك الى صياح طيور صاحت امامه . فرحمه الله .

١) اسم مركز قيادة المنوكيين .

سيدي

الحسين التامكونسى التنانى

١٢٧٢ هـ = ١٧ ـ ٢ ـ ١٣٦٥ هـ

نسبه :

الحسين بن سعيد بن محمد

نحن الآن فى ترجمة عارف بالله كبير المقام . عظيم القدر . أمضى عمره . وقضى شبابه كله فى باب الله . ولم يزل طوال عمره فى ميدان التوجه الى الله انابة وارشادا ؛ الى أن أسلم روحه لربها . وهو واسع الترجمة . وقد استطاع ولده الذى ورث مقامه أن يكتب جملة صالحة فى أخباره . ولذلك نترك له وليراعه أن يجلو لنا المترجم . فان أهل مكة أدرى بشعابها ؛ الا اننا سنأخذ من كلامه ما يوافق مشرب هذا الكتاب . وقد يعتنى هو ببعض أمور لم يالف القارىء أن يقع كثيرا عليها فى هذا الكتاب . مما يروج بين الفقراء من الخوارق التى يلم بها الروحانيون وحدهم . كما يرى ذلك فى الكتب التى يترجم فيها أكابر مشايخ الزوايا . كالمرقى . والمعزى . والنشوئف وأمثالهما ، والمؤرخ يقبل ما نقتبسه للاستنتاج وللاعتبار . وهل يكتب كل ما يكتب للتاريخ الا للاستنتاج وللاعتبار . على ان الكرامات ثابتة بالكتاب والسنة . وان كانت الحياة العادية لاتؤسس عليها .

قال بعد الخطبة :

هو الحسين بن سعيد بن محمد . التامكونسى التنانى أصلا ومنشئا . ونسبه ينتهى الى سيدى سليمان بن الحسن فى (أبايتنو) من (آيت بعمران) وعليه مشهد وحمة ماء يقصدها المرضى كما تقصد حمة أبى يعقوب بـ (فاس) . ولسيدى سليمان سلسلة نسب فى الشرفاء المشهورين (١) ولد والدى سنة ١٢٧٢ هـ

متعلمه

قال كنت أقرأ وحدى فى مسجد قريتنا . وكان أبى محبا للخير

١) ذكر فى(الجزء العاشر) فى ترجمة محمد المرسى المعدرى .

وذويه . وكان يمشى معى فى الثلث الاخير من الليل . ويسخن الوضوء . وانا اقرا حتى يستيقظ الامام .

قال وكان ابى كلما قرا الطلبة القرءان يبكى حتى تخضل لحيته بالدموع . وكانت أمى تقوم فى منتصف الليل متوجهة الى القبلة . مبتهلة الى الله أن يصدق رجاءها فى حتى احفظ كتاب الله الكريم .

على هذا النمط نشا الوالد . ووالده يحفزه الى كل خير . الى أن وصل سورة (الانعام) وهو لم ينس شيئا مما مر عليه . بل حفظ كل مااقراه حفظا جيدا . وبعد ذهب الى (ايسقال) (المدرسة الشهيرة عند التنائيين بكل خير حتى الآن) فصار يأخذ دروسه من تتميم حفظ القرءان . ومن حفظ بعض المتون المتداولة فى المدرسة . كالتحفة لابن عاصم . والالفية لابن مالك وما أشبه ذلك .

النفحة الصوفية الاولى

أخبرنى رحمه الله قال : كنا نظن أن الرجولة فى تعلم العلم وحده . فبالغنا فى تحصيله حتى حصلنا منه ما شاء الله ولكن لم يرو ذلك غلتنا . فطوينا ذلك كله طى السجل للكتاب . ثم رجعنا الى المنهل العذب فشربنا وسقينا فروينا وأروينا والحمد لله . ومن لم يجمع التصوف الى علمه فلن يعيش الا فى الظلمات .

قال : كنت فى أيام دراستى فى (ايسقال) هائما بحب الاولياء وذكرهم . فكنت أقول فى نفسى ليت شعرى كيف حال هؤلاء. ابشر مثلنا ام ملائكة أم قوم آخرون . فذكرت ذلك لاستاذى سيدى ابرهيم الايسقال. فقال لى : اشتغل بقراءتك . وقد كان فانيا فى العبادة . وفى سرد الحديث فى الرمضانات . وبينما أنا فى تلك الخيرة ذات يوم . اذا برجل مقبل فى الهاجرة . وقد تلفع بكساء . ودخل توا الى قبة سيدى محمد البوقروانى ـ وهو صالح عليه مشهد هناك ازاء المدرسة ـ قال : فقلت فى نفسى ربما يكون هذا أحد الاولياء . فقمت من حينى وأتيته بماء بارد . وخبز وادام . فلما شرع فى الاكل سالته قائلا: ياسيدى بالله عليك اخبرنى الخبرالصحيح عن هؤلاء الذين يسمون الاولياء . هل هم بشر مثلنا. أم كيف هم . قال : وانا اذ ذاك قبل البلوغ ، فحملق الى الرجل ما شاء الله . ثم اطرق . وقال : عليك بطريقتهم . فان لم تلحقهم لحقوا بك ، ومن سبق له شىء ينله

قال الوالد ولم اقنع بهذا الجواب الغامض . فمازلت الى استاذنا صديقا له يسمى فقيه (ايت مبارك) وبذلك يسمى وكان لايفارق استاذنا الا قليلا . قلت للرسول : أريد من الاستاذ أن يدلنى على رسول الله صلى الله

عليه وسلم . فانى اليه لمشتاق، وبتلهفى على رؤيته لمحترق . قال وبعد يومين سألت الرسول عن الجواب ، فقال : ان الاستاذ يقول لك . الزم لوحتك . فتلك منازل لايدركها الا الرجال ، قال فزادنى جوابه احتراقا . وما كنت أدرى اذ ذاك أن الاستاذ المسكين ، لما يصل الى شيء مما ظننته فيه . وان كان عابدا . قال : فسرت على هذا النمط الى أن من الله علينا بسبب كل خير . واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه ، قال : كانت المدرسة الايسقالية متاخمة لـ (حاحة) ومجاورة لها وكان استاذنا فيها . مطاع الكلمة . مفتى زمانه ، لاترد له فتوى . ولا تعجزه دعوى . وكان اذا افتى فى مسالة يقول لمستفتيه اجعل هذه الفتوى على رأسك من هنا الـــى (فاس) فان ردت عليك فخذ ما أعطيتنى عنها وهو من الآخذين عن أحمد أوجمل الاستاذ الكبير (١)

قال : وكان يجمع أعشار نخل (أيت عيسى) ويفرقه بالسوية على المساكين . والمدرسة غاصة بالطلبة من كل حدب ينسلون . وقد يبلغون الى مائة ، ولا يقلون عن خمسين . قال : وكان الفقيه متمسكا بالطريقة الاحمدية وكان مجدا فى نشر العلم وفى العبادة حتى انه فى رمضان يظل النهار على حديث البخارى نهارا يجتمع لذلك الناس من القرى حتى البعيدة الى العصر ثم يختم فى كل ليلة ختمة من القرآن . وما زال على هذه الحال . الى أن قبض الله الرجل الصالح سيدى محمد بن على الافتتارى الماسى . كان مشارطا فى قرية من (أداوتنان) وكان مستهترا بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان كل من لقيه يسأله أكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم . فان أجابه بالنفى يقول باكيا : ضاعت الاعمار من الناس . وتوثر عنه كرامات فقد ذكر أنه أدلى دلوه يوما الى بئر ليتوضأ لصلاة الفجر . فامتلأ الدلو فضة فصبها فى البير . فاعاد الدلو فامتلأ ذهبا . فصبه ايضا فى البير ، وقال اللهم انى لا أريد منك الا ماء أتوضأ به لصلاتى . فامتلأ الدلو فى المرة الثالثة ، ماء فتوضأ .

واكدت زهده فيها ضرورته ان الضرورة لاتعدو على العصم

قال الوالد ـ وكان فيمن حضر يوما مع الطلبة دروس البخارى فى رمضان ـ فبينما السارد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذ غمز برجله أويده أستاذنا قائلا : ان هذا الذى تذكرونه حاضر معكم الآن . يعنى النبى صلى الله عليه وسلم . قال الوالد وكان المجلس غاصا بالمستمعين . فاطرق الجميع فكان على رؤوسهم الطير . فسكت الاستاذ ما شاء الله . ثم استانف درسه الى أن أتمه فأوصى تلميذه ، الفقيه الناسك سيدى محمد الدمناتى أحد التلاميذ المرابطين فى المدرسة (الايسقالية) اذ ذاك وكان صواما قواما وممن

١) ذكر فى (الجزء الرابع عشر) فى مشيخة أحد العلماء الماسيين .

يصوم الدهر كله . اخبرني عنه والدي قال : احيا ليلة السابع والعشرين في رمضان . فقال لزوجته اني نائم نومة ريثما يسخن الوضوء ، فاذا سخن فايقظيني ولا تدعيني حتى يطلع الفجر . قال : فلما اخفى اذا به يرى في المنام استاذنا ـ وهو ميت اذ ذاك ـ يقول له اتظن ان الرجال في الدنيا هم الرجال في الآخرة . كلا ثم كلا . ان الرجال ههنا من ياكلون العشاء ويفتشون عن الغداء ، لكن اذا صلوا . لكن اذا صلوا . يكررها حتى استيقظ الرائي من نومه . فكانت له اعظم حافز . واكبر منبه من الغفلة ، قال : أوصى الاستاذ تلميذه المذكور ان يهيىء عشاء يناسب ضيفه فانضج قديما في طويجنة . كما اوصى الحاكي وهو الوالد ان ياتي بخبز من دار الفقيه ، لان الوالد كان يدخل دار الفقيه ويأتي منها بكل ما لابد منه . وقد كانت له صلة بينه وبين والده سعيد . ولأنه صغير لم يبلغ الحلم بعد ، قال الوالد انا الذي اذهب بمايقبضه من الفتاوى والقضاء . فاضع الدراهم في الصندوق اضع ريالة على اخرى . الى ان تبلغ اعلى الصندوق الذي هياه الفقيه للدراهم والانصاف والارباع كذلك . فاذا فتحت الصندوق تجده كله منضدا بالفضة فلما صلى الناس العشاء اختلى الاستاذ بضيفه . وثالثهم هو الوالد . وهو يناولهم الماء للشراب والاتاى لما يكن اذ ذاك موجودا عندهم في تلك الناحية قال : فتحادث الصالحان الاستاذ والضيف معا ما شاء الله . ثم قال الاستاذ اننا طالما انضينا الرواحل في هذا المضمار . ولم نصل بعد الى شيء ، ولو كان احد يصل الى شيء من هذا بعبادته واجتهاده لكنت انا اوفر حظا . فقال له ضيفه هذا لايذوقه الا من سلك الطريق على يد شيخ حي عارف ، من ارباب الشان . ليوصله الى مراده . بلا تعب ، فقال له الاستاذ : قد راينا ذلك في كتب الصوفية . ولكن لاشيخ حيا في هذا الزمان وهو الحرب من العنقاء . فقال له سيدي محمد : معاذ الله . ان الامر بخلاف ما تظن . فان المشايخ الاحياء الذين يصلحون للتربية لايزالون موجودين حتى تقوم الساعة . فقال له الاستاذ : ومن لي بهم يا سيدي ؟ وانا كما ترى ، منهمك في التدريس ، ولو اردت ان افتش عنه . لما اهتديت اليه . لأنني لا ادري في اي جهة كان ولا علامته . فقال سيدي محمد انا ضامن لك ان ياتيك الى هنا ، فلا تبحث عنه . قال : فقبل الاستاذ راس ضيفه فرحا . والمسرورات عيون الجميع بالبكاء تاثرا . (اقول) : نعرف هذا السيد الافشاري الماسي من هذه الحكاية ، وانني لم اقف له على خبر الا هنا)

وقوع المترجم على الشيخ الذي يتطلبه

قال الوالد : : انتهت هذه المحاورة وانا مشتد عنهما اسمع . وقد خلقت في قلبي من اللهيب والتلهف ما لايطيقه البشر . لكثرة تطلعي الى

الشيخ الحي المربي . كما كان الشيوخ الاحياء المربون قبل اليوم. قال الوالد كان سيدى على البرابيمى من خريجى هذه المدرسة مشارطا فى (ايت عيسى) وعنده كتاب (ايسر المسالك) مؤلف سيدى العربى الادوزى . فكنت اذهب يوم الخميس والجمعة لاستنساخه من عنده . وبينما أناعنده اذا برجل صالح يدعى سيدى الحاج صالحا الاكمارى السوسى(١) رجع من الحج راجلا ، وقد نفد زاده . فتوسمت منه مخايل الصوفية . فسألته عن الشيخ الحى ، واين محله اليوم ؟ وهل هو فى المشرق أم فى المغرب . فقال ان الشيخ فى هذا الزمان فى (سوس) واسمه سيدى سعيد بن حمو المعدرى . وهو رجل أمى . ولا يتخلف عن موسم (تازاروالت) وعلامته هو واصحابه أن يقولوا جهرا (لا اله الا الله) قال الوالد : فكدت أطير بهذا النبأ سرورا . فرجعت أعدو فى طريقى كالنشوان . بعد ما وعدنى سيدى الحاج صالح بالزيارة فى الخميس المقبل . فلما كان يوم الخميس الموعود زارنى مهللا جهرا على عادة الفقراء ، فاشرف الناس عليه من شرف . واطبق عليه الطلبة يرجمونه بالظنون وبالاحداق . الى أن دخل حانوتى الصغير الحقير ، فخرست الالسن اعجابا بالواقع . قال الوالد : وبعد ما ودعت ضيفى فى الغد . ووعدنى بالمرافقة الى نيل المنى فى موسم (تازاروالت) المقبل شرعت اتاهب للسفر ولم أعلم احدا بهذا النبأ . لان أمر السفر اذ ذاك صعب المراس . لايركبه الا من يتحمل الاخطار . لانقطاع الطرق . قال : ولما آن الوقت للسفر ، لم يات سيدى الحاج صالح ، اظلم الجو أمامى . وقلت لاحول ولا قوة الا بالله ضاعت متاعبى ، فخابت ظنونى . قال: فقلت للاستاذ : انى سازور والدتى فاذن لى . وقلت لأخى الكبير الذى كان يقرأ معى هناك معتذرا : انى ذاهب الى زيارة أمى . وأريد كذلك أن احتجم هناك عند حجام عندنا فى القرية . قال : وبعد امتناع ومحاورة افلتت منهما معا . من غير أن يعلم أى واحد منهما ما انطوت عليه طويتى . قال : فرحت الى رجل ظننت به خيرا . فناشدته الله والقربى أن يرافقنى الى (تازاروالت) فطمأننى قائلا لايكون الا الخير ان شاء الله . فلما تعشينا عنده . قال : انى غير ذاهب معك ، فنقض غزله انكاثا قال الوالد ففاقت علىّ الدنيا بما رحبت . فوددت لو قصرت ليلتى لافارق هذا الرجل المائن . فبت مصليا داعيا مبتهلا ان لا يخيب الله رجائى . وبعد طلوع الفجر ، أصبحت فى دارنا عند الوالدة . ولم أخبرها بشىء . لكيلا تكون هى أيضا حجرة عثرة فى طريقى . فذهبت الى المسجد . فوجدت فيه غالب أهل البلد . قال وبينما أنا اضرب أخماسا فى أسداس . اذا برجل دخل علىّ يحمل على عاتقه خرجا . فسلم سلام من عرف الجماعة . ففرحوا

---

١) من تلاميذ سيدى محمد بن ابرهيم الافرانى التاماناروتى ، وقد ذكر بين اهله الاغرابوتيين .

به ، وسألوه عن احواله واهله . وبعد ان استراح النفت الىّ . وقال : الك ارب فى (تازاروالت) فقلت نعم فتعجبت من تخصيصه اياى بالسؤال دون سابق معرفة . فقال ليفرغ روعك ، فانا رفيقك الدليل الخريت .فقد زرت المحل بضع مرات ، فتهيأ فنحن بحول الله مسافرون بعد الظهر . قال الوالد : ففرحت ايما فرح بهذا الرفيق الميسر . فذهبت توا الى والدتى اخبرها الخبر . قال : ولم يكن بينى وبين ما كنت اتوقع الا ان اخبرتها ، فقد قامت منها على القيامة وقالت لاسبيل لك الى السفر. او تقتلنى بفراقك فسقط فى يدى أن اخبرتها . ولكن كل هذا لم يفت فى عضدى شيئا . بل ازمعت على السفر وبعد بكاء وعويل وتاكيد رفيقى لها انه سيرجع بى اليها سافرت . وشيعنى اعمامى واوصوا الرجل بى . ولم يكن زادى الا لويزات من عند الوالدة لاننا فقراء مدقعون . قال الوالد : وما رايت رجلا صالح الرفقة . مثل ذلك الرجل الصالح المسمى الحسن المتوكى . فانه لم يزل يراعينى مراعاة الوالد لابنه . واذا نمت يحرسنى ويأتينى بالوضوء متى استقظت . وجميع مئونة السفر كفانيها ، قال سافرنا الى ان وصلنا (اداوغيسى) قرب (ماسة) فنزل الركب أصيلا حول مسجدهم وهم متجمعون خوفا من اللصوص . فصلى الناس المغرب وقرات الحزب انا والطالب معا وبعد تمام الحزب النفت الىّ الطالب يسالنى من اين انتم . فتوقفت عن الجواب لانه وقع شنئان بين التنانيين والمعديرين. فخفت ان انتسب الى قبيلتى فاواخذ بما اجرموه قبل اليوم على عادة القبائل فسكت عن الجواب ، فاجابه رفيقى بانه هو متوكى . وانا تنانى . فقال السائل اتعرف سيدى ابرهيم بن الحسن الايسقالى ، فقلت له نعم . فقال اهل الله امنوه على جماعة (ايداوتنان) سنة كاملة . بعد ان كانت عند الشيخ عبد الله ازروال ، حتى غدر برجل فى داره . فانتزعوا الامانة منه . وجعلوها عند سيدى ابرهيم ، فقلت له سيدى ابرهيم لايتدخل فى مثل تلك الامور ، وانما هو فقيه لا غير . فقال انما هو امين لا امير . ثم قال اتعرف (توشكا) فقلت نعم ، فقال ! برّح (نادى) اهل الله ان تكون قفرا يبابا سبع سنين . اتدرى كيف فعلوا يومئذ. انما أتى اهل المشرق من المشرق . واهل المغرب من المغرب . فلما تراءى الفريقان صفقوا على ما قلت لك ، من غير ان يلتقى بعضهم ببعض . ثم قال اتعرف (بلووشان) وهو لقب شخص عندنا . فقلت نعم اعرفه . فقال الله سيعكم (ايداوتنان) سبع سنين . قال الوالد ! وعند هذا الحد من الكلام سمعنا نداء يقول قوموا ايها الزائرون للشيخ احمد بن موسى الى عشائكم ، وكان كل من قصد الموسم اذ ذاك يسمى زائرا . فيحترم ويكرم فقمنا ،

فلما اكلنا بحثت عن الطالب . فلم اجد له عينا ولا اثرا . فلما رجعت صار ما حدثني به الطالب يقع شيئا فشيئا . قال : أما (ازروال) الأنف الذكر فانه كان جبارا عنيدا . حكم على فرقة من (ايداوتنان) وكان من القساوة بمكان حتى انه ليعقد مجلسا عاما يحضره اعيان أولئك الفجار من أصحابه . فيامر من وجب عليه بعض الحقوق أن يتصارع هو وخصمه على شفا جرف عال . فان تردیا معاً فذاك . وان ردى أحدهما الآخر ، فاز الباقي ؛ وأما الساقط فلا يصل الى الارض الا وهو اشلاء ممزقة . يلتقطه ورثته فى قفة . ان أرادوا اقباره ، الى أن جزاه الله من جنس العمل . فاغتاله احد اصدقائه بـ(فاس) حادة على جمجمته . فاستراح الناس من جوره . بعد أن استباحوا أمواله ، وخربوا داره . وأما مولاى محمد (بنو وشتان) المتقدم . فانه يظل صامتا ؛ والناس في أخذ ورد فى ناديهم . الى ان يعييهم ابرام مايريدون. فيقول بكلام لين ألا يليق بكم ان تفعلوا كذا وكذا . فيقول الجميع الرأى رايك . والصواب حليفك ، الى أن مضت سبع سنوات له على ذلك فقال لزوجته : انى ميت اليوم لا محالة ، وقبرى فى المحل الفلانى . وبعد ما زار سيدى ابرهيم بن على التنانى قتله أحد الابالسة في الطريق غدرا . وأما غابة (توشكا) فانه وقع شتتان بين من حواليها من القبائل . فلم يجرؤ أحد بعد أن يمر بها . الا بعد أن انقضت المدة المذكورة ؛ وكان الله حكيما عليما .

(رجع وانعطاف)

قال : سار الركب مدجين من المسجد المذكور . ودخلوا (تازاروالت) أصيلا فصرت افتش عمن يقولون (لا اله الا الله) جهرا . حتى دلنى شخص على مسجد لاطىء بالارض . فدخلته فوجدت فيه ثلاثة جالسين . فسلمت عليهم سلام المرتاب ، قال : فجلسنا مطرقين بعد أن سألنى أكبرهم عن هويتى . وبعد حين قال أكبرهم قد أظل وقت القفراء بعد ما ابطأوا بنا لنلتقى بهم . ثم علمت بعد أنه هو الشيخ الذى تطوى اليه القفار . فحمدت الله على وجود ضالتى المنشودة امامى . قال : وهناك سمعت ورأيت هيللة القفراء لأول مرة . وزيهم الذى لم نألفه فى بلادنا . من سبحة ومرقعة وعكاز مع مودة وصفاء وأدب ورزانة ووقار . وكانوا يعاملون الشيخ بكامل اعظام واكبار . وبعد أن أخذنا مجالسنا وحدثت الشيخ بقصدى لقنني الورد انا ورفيقى . وبتنا ليلة لم ار مثلها ذكرا وشوقا وبكاء ووجدا وجذبا وصحوا . فلله درهم ما أحلى العيش فى كنفهم :

ما لذة العيش الا صحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والامراء

وبعد صلاة الصبح خرجنا من (تازاروالت) فلما وصلنا محلا يسمى (ايسكراد) ندبني الشيخ للامامة في الصلاة بالناس . فتالثى من الحياء ما لا اطيق . ولا يحمله بشر ، حتى انني بللت موقفي من هيضورة الشيخ التي صليت عليها بالعرق . وبعد السلام تنحيت أدبا فدعا الشيخ الدعاء المعتاد بعد الصلاة . فرجعنا الى (المعدر) وبقيت أنا ورفيقي هناك في حصاد زرع الزاوية شهرا كاملا . حتى صار الناس ينعوننا في البلد . فلما اراد الشيخ وداعنا أعطانا الاذن أنا ورفيقي في تلقين الورد للعباد . وارشادهم بهدى خير العباد . وبعد رجوعنا لم يلبث الرفيق سيدي الحسن ان توفي في سنته تلك ، وذلك نحو ١٢٩٣ هـ قال وكان الشيخ وعدني أن يزورني في محل؛ وبعد شهور ساح الفقراء . ومعهم الشيخ الى بلاد (ايداوتنان) فسألوا عني فوجدوني في المدرسة ، وقد أخبر استاذنا بكل ما وقع . فاستغرب جراتي وتاسف على كل ما فاته . لانه كثيرا ما يقول : كل من لم يلتق في عمره مع شيخ التربية الحي فقد ضاع عمره ، قال الوالد : زارنا الشيخ سيدي سعيد في المدرسة . فقامت الجماعة وعلى راسهم الاستاذ بضيافة الشيخ ، فلما خلا لهما الجو ؛ قال الشيخ للاستاذ كيف حالك مع تعبك واجتهادك ؟ فاجابه انا كالنحل بلا عسل . فقال الشيخ : هات يدك لنعسل عملك ، فلقنه الورد وامره بتلقينه لمن شاء . فلقنه لأهل داره ، وبعض الافراد ؛ وكان ذلك في شهر شعبان ١٢٩٤ هـ فلما أهل رمضان رجع الاستاذ عما يكون معتادا منه من الاجتهاد ظاهرا . فكان اذا سلم من الصلاة استقبل بوجهه المحراب ذاكرا اسم الجلالة (الله) بشروطه . فلما أنكر طلبته التيجانيون حالته ، ذهبوا اليه وقال : لعلك يا استاذ سحرك هذا المشعوذ الامي كما يسحر غيرك من العامة فقال لهم أشتغلوا بانفسكم . فقد اشتغلت أنا بنفسي . فكان كذلك بقية تلك السنة وفي أوائل ١٢٩٥ هـ وفي اخرها اختررمته المنية راضيا مرضيا وكان اذا قيل له مات فلان في مجاعة تلك السنة . يقول اخر ما تغرب منه الشمس الجبال ، فتوفي في اخر السنة نفسها ؛ رحمه الله ورضي عنه . قال الوالد : كانت عندي نوبة تنديل المدرسة للمطالعة على العادة في المدارس وليس عندنا ادام نستضيء به . فذهبت الى السوق في الهاجرة ، فلما دخلت السوق . تلقاني انسان ، وقال لي هل سمعت النداء ؛ فقلت له أنا كما دخلت السوق ؛ لم أسمع بعد شيئا . فقال ان أهل الله نادوا بعامين الا ربعا من الجوع ، فقال لهم العامة : ان فعلتم ذلك فاننا نعيث في الارض فسادا . فنقتل الناس وناكل اموالهم ، فقال لهم الخاصة : افعلوا ما شئتم . ولن تموتوا الا موتة الحمر . وعليك عهد الله أن لاتبوح بسري لاحد ما دمت حيا

قال الوالد : فسقط فى يدى . وتذكرت امى الارملة ، ولا معيل لها غيرى ؛ فذهبت توا الى أخى استعطفه ان يشترى لها ما امكنه من الزرع . قال : فلما امرته بشراء الزرع . قال ان الزرع كثير لاينفد . ولو كان ما كان ، وفى ذلك اليوم باع طالب عشرين صاعا من الزرع بمثقال لكل صاع فصرت أطلب اخى ان يشتريه منه فابى . وبعد التى واللتيا اشترى صاعا واحدا وابتاع بالباقى جلودا وملحها ليتجر بها فى (السويرة) قال الوالد : ولم تزل تلك الجلود نطا عليها الى ان مضت تلك المسغبة العامة . التى لم تبق ولم تذر . وقد اظهر الله فيها من أنواع البلاء والجوع والخوف ما لايطيقه بشر وقد أدى الحال بالناس الى الاقتيات بلحوم البشر . وغاض الامان ، وفاض الجفاء من قلوب الخلق ، ولم يسر الناس فى المدة المذكورة قطرة مطر . ولا قزعة سحاب . ولا هبة ريح ممطرة ـ انا لله وانا اليه راجعون ـ وقبل هذا ذهب الوالد فى اول السنة ، وشارط فى (تارسلت) من بلاد (متوكة) ليستدرك مايعول به امه . قبل ان تقوم القيامة ، قال وهناك رايت قصب(١) السكر فى بساتينهم ، وأكلته وهو كساق الذرة وهناك رايت مولاى عبد الملك التاولوكولتى معتقد القائد المتوكى رجلا قصيرا . كث اللحية لا ترى من بياض وجهه الا عينيه ، من كثرة الشعر . وهو رقيق القلب كثير البكاء فما تمضى عليه ساعة الا وهو يبكى من خشية الله ، قال الوالد لما رآنى قال لزوجته الصغيرة السن : هذا ضيفنا ، فاتينا بنار نصطل بها ؛ والوقت وقت برد ، قال : فصرنا نسرى فى شجون الكلام ؛ الى ان قال : ان اوليا، الله سجنونى فى ذلك البيت . فاشار الى بيت فى فناء الدار ، ولم يطلق سراحى الا سيدى الطيب بن على التامارووتى التنانى . فلذلك احببت (ايداوتنان) فاذا رجعت فبلغ سلامى لسيدى الطيب . وقل له العلامة بينى وبينك ، يوم كنت فى مرض شديد ؛ حتى ايس منك أهلك . وحلقوا عليك ينتظرون ماذا يفعل الله بك . وأنا اذ ذاك عند رأسك ، وقد اغتنك بفضل الله فموفيت ؛ وانا اليوم فى أعظم من تلك الشدة . واريد منك ان تغيثنى كما اغتنك ، وذلك أن رجلا ناصريا يقال له (بوشاكا) تزوج ببنت سيدى عبد الملك . فلما أملك بها أراد أن يذهب بها الى (تامكروت) فوقع سيدى عبد الملك فى حيص بيص ، فان منع الناصرى مما أراده مما هو له حق يستحى من الله ومن الخلق ، وان تركه فلا يريد مفارقة ابنته ؛ قال الوالد : فلما اخبرت سيدى الطيب الخبر استضحك ، وقال : لن ينجبر الناصرى أبدا . وكان الامر كذلك ؛ قال الوالد كان سيدى عبد الملك اذا عارض القائد

---

١) تنبــه لهــذا .

او احدا فى امر ، يقول : اين انتم ايها الغربان . فيدخل عليه الغربان من كل جانب ؛ حتى يمتلئ المجلس . ويقول هذا عسكرى انا ، فمن حاربنى حاربته بهؤلاء الغربان ، فهاب الناس شوكته ؛ واطاعوا امره . وهو الذى يقام عليه موسم (ناولو كولت) الآن فى بلاد (متوكة) بامر من القائد عبد الملك . وعند ذلك قلت للوالد اهو من كبار الاولياء ، فقال : انما هو فى دائرة الصالحين . فقلت له واما صهره (بوشاكا) فمن اى دائرة هو ؟ فقال من الدائرة العامة . وهى المحيطة ؛ وفى داخلها دائرة الصالحين ودائرة العارفين . وكلما مات احد من العارفين استبدل بتاخر من الصالحين . وكلما مات واحد من الصالحين استبدل بواحد من العامة . وهلم جرا ما دامت الدنيا واهلها . (اقول) : هذا كلام لايفهمه الا اهله (وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

(رجـــع وانعطاف) :

قال : فى اواخر هذه السنة . توفى استاذنا المذكور فى الوقت المتقدم . فبموته انتشر عقد الطلبة ؛ فتمزقوا شذر مذر . وكنت ممن عصفت بهم الريـاح فقصدت (مراكش) وفى نفسى استيطانهـا . وفى طريقى الى (مراكش) نزلت ضيفا على شخص من حشم القائد المزوضى لى بـه سابق معرفة . وفى العشى كان فى المدرسة . وفيها ستة من الطلبة ؛ فلما وضع الطعام بين ايدينا قال فقيه المدرسة : لا ناكل هـذا الطعام حتى ينشد كل واحـد منكم بيتا من الشعر . فبداوا بمن قبلى ؛ ومرادهم تقريعى انـا . فلما بلغت الـدورة الىّ قلت لهم : انما انـا ضيف . والضيف لا يكلـف بتكاليف اهل المحل . فقال الفقيه : من لم يكن طالبا لا ياكل طعام الطلبة. فانشدتهم حينئذ :

تحاذق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل اذا كنت ذا عقل

فلما سمعوا كلامى تفرقوا عن طعامهم ؛ ولم ياكله احد منهم . وفى الصباح استانفت رحلتى . ووجـدت طالبا فى حوز (مراكش) يشتغـل بعلم الكيميا . قال : اخرج طبقا وفيه سبائك من ذهب وفضة . ودراهم خالصة ومزيفة . قال المؤلف : فقلت لـه لم لم تتعلم منه شيئا . فقال لى : كانت لى همة اعلى من تلك السفاسف . قال : فلما دخلت (مراكش) زرت الشيخ ابا العباس السبتى على تلك النية المتقدمة . لية الاستيطان . وبت فى مشهده ليلتين . وكان الذى يقوم بضيافتى شخصا مجهولا . قـال : دخل علىّ شخص اول يوم وقال لى : هـل اكلت شيئا ؟ فقلت لـه : لا . فاعطانى نصف خبزة . وقال لى : لا تلتفت الى غير هذا السيد . واشار الى قبر ابى العباس . وفـى العشى اتانى آت آخر . وذهب بى الى المدرســة

العباسية . وهناك بت الى الصباح . وفى الظهر انعقد فى المشهد مجلس الفقراء البوعزاويين اتباع الشيخ البوعزاوى الشاوى المشهور . فدخل المقدم على الضريح . وفى يده مرشة فيها ماء الزهر ؛ يرش به الفقراء . فلما رأيت صفاء الماء ينصب من المرشة كصوب الغمام . تاقت اليه نفسى . وودت لو أمكن لى شربه . فلما بلغنى المقدم . قال لى : افتح فاك ؛ ففتحته فصار يصب الماء فى فىّ الى أن ارتويت . فانكف فتعجب الحاضرون من تلك المعاملة . قال : وفى الصباح ذهبت لزيارة سيدى محمد بن سليمان الجزولى . فلما توسطت صحنه . عارضنى المقدم العباسى بكل فظاظة وقال: ما ذا تريد ههنا ؟ وما تفعل هنا بعد زيارتك لابى العباس ؟ اذهب الى حال سبيلك . انما الزيارة كحسوة طائر . فلا تحدثك نفسك بالبقاء هاهنا . فان اهل المدينة ليسوا بمتوكلين . انما المتوكلون أهل البوادى الذين يحرثون ثم يستسقون ربهم . وأما أهل المدينة اذا انسدت هذه الابواب . انسدت قلوبهم . وتضعضع ايمانهم . فاذهب فان (مراكش) ليست لك بدار مقام . قال : فخرجت متأثرا بهذه الفظاظة التى قابلنى بها فاستشعرت منها كل خطر . فقلت فى نفسى أوليس هذا هو الذى سقانى ماء الورد فى المشهد العباسى. وها هو ذا بعينه يمنعنى من زيارة ابن سليمان ويخاطبنى هذا الخطاب الجافى . قال : فهمت فى أزقة (مراكش) أمشى سادرا الى أن وصلت بعض الكتاتيب . فدخلته وكتبت بعض الالواح . وفى الحين دخل أناس من (الويدان) محل ازاء (مراكش) وهم يفتشون عن طالب يشارط عندهم . فذهبت معهم . ومكثت عندهم بضع شهور لازمتنى فيها الحمى، حتى اننى لاأقدر على القيام؛ ففررت بروحى الى مدرسة(ايت‌اوورير) وفيها فقيه يسمى سيدى المحجوب (١) وهو من طلبة (تيمكيدشت) قال : فلما رءانى وسألنى حتى عرف اننى من تلاميذ سيدى ابرهيم بن الحسن ، بكى بكاء شديدا . وترحم عليه ؛ وكان كلما أتم الدرس يترحم عليه ، وبعد أشهر سلم لى زمام المدرسة ، وقد بنى لالقاء الدروس مكانا خاصا . أنابنى الى ان يرجع من زيارة (تيمكيدشت) قال: فوجدت الطلبة انما همهم التجارة فى السوق . يشترون ويبيعون الزيت من أشجاره وفى الاسواق . قال : فأمرت بافراغ دكاكين المدرسة مما سوى ما يليق بالمدرسة . فشق ذلك على الطلبة . كما اخذتهم بالجد والحزم . حسبما رأيته فى المدرسة الايسقالية

---

١) هذا معدود من أصحاب الشيخ سيدى الحسن التيملى الايرازانى وهو الذى نقل عنه الطريقة الدرقاوية الايرازانية الى الحوز ولعله اتصل به بعد ما اخذ من (تيمكيدشت) .

ولكن الطلبة انشقت عصاهم وتمرد جلهم عن القراءة . وقالوا لانرضى بك استاذا . والفريق الثانى استنافوا دروسهم عندى بكل نشاط . ولم يرجع الفقيه حتى وجد المدرسة بلغت اوج الرقى . نظافة ودراسة . فلما رأى ما راقه ، جمع الطلبة وخطب فيهم قائلا : من شاء رضاى فليتبع هذا السيد . ومن لم يرده فليخرج من المدرسة . قال : ثم لما رجع الفقيه ، اشتاقت نفسى الى الرجوع الى مسقط رأسى . فعارضنى الفقيه قائلا : ان شئت زواجا زوجناك . فاجلس وعاونا فى الدراسة . الى أن نلتحق بالله سالمين غانمين .

قال ثم تذكرت وصية امى ، فانها أوصتنى بالتزوج فى البلد بمجرد بلوغى ؛ وكانت تقول : ان ابناء الشارب ينفعون اللحية . وابناء اللحية ينفعون الشيب . وابناء الشيب ينفعون الغير . قال : وبعد لأى غادرت المدرسة راجعا الى بلدتى ، فلما دخلتها وجدتها تبدلت رجالها واهلها . فلم يبق فيها الا حشف الناس. فتزوجت من البلدة وفقا للوصية. فصرت اشارط فى الاماكن المجاورة للبلدة . وهناك زارنى الفقراء يوم ذهابهم الى (جبالة) برئاسة الشيخ سيدى الحاج على سنة ١٢٩٩ هـ وهناك وقعت حادثة للفقراء، وذلك أن ابن الفقيه مسمار التيغانيمينى صلى بالفقراء عمدا بغير وضوء . فصار يقول للناس أرأيتم هؤلاء الدرقاويين الذين يدعون السر والمكاشفات قد صليت عمدا بهم بلا وضوء . فلو كانوا كما يزعمون لأطلعوا على سريرتى. فشاع هذا النبأ حتى اتصل بالفقراء . فجمعتهم الاقدار معه فى الموضع الذى شارطت فيه . قال : وبينما أنا جالس اكتب للتلاميذ اذ دخل علىّ سيدى مبارك اوباكا التيزنيتى ، الشهير بالكرامات . وخرق العادات . فاذا بابن القاضى (مسمار) دخل فى اثره . فلما رآه اوباكا . قال له : ااانت الذى تقول للناس صليت بالدرقاويين عمدا بلا وضوء ثم لم يشعروا بى ؛ فسكت ابن (مسمار) فقال له سيدى مبارك : ان كنت فعلت ما ذكرت . فقد عصيت الله . وفضحت نفسك على رؤوس الاشهاد ولسنا بموكلين على الغيب . اما نحن فصلاتنا بك صحيحة حين لم نطلع على ما فعلت . ولو اطلعنا على شىء منك لوجب علينا ستره . لأن الله يحب الستر . والآن : ان شئت أن ترى سر الدرقاويين وما منحهم الله ؛ فلتخرج الى باب المسجد . وهم اهل القرية جالسين . وهم يعرفون غطاء ضريح سيدى ابرهيم بن على . فاختر اذن اما أن تاتى به بيدك من على دربوز مشهده . وازده أنا من هنا الى هناك . واما أن اخذه انا وترده انت . فهيا بنا . فصار يجذبه بعنف . فخجل ابن الفقيه واستكان . ثم قال اوباكا : هذه مقالة هو عبد من عبيد الفقراء . واما السادات من الفقراء فهم فى المسجد نيام . قال : كان سيدى

مبارك من كبار اصحاب سيدى سعيد بن هيو . وقد حصل له مقام عظيم . وكان دائما يغسل الموتى . ويحمل الصبيان بين يديه الى المقبرة . وقد قال: كنت كلما اتيت بميت الى المقبرة اشاهد اهل القبور يخرجون . وهم يحضبونني بالحصى ، ويقولون الى اين تريد ايضا بذلك . ويكلمونه ويكلمهم وكان يقول كل من فرقت قفة من التراب بينه وبين حبيبه فليس برجل ، رضى الله عنهم اجمعين .

(قال المؤلف) :

مكث الوالد على هذه الحالة الى سنة ١٣٠٠ هـ وفيها فى صفر توفى الشيخ سيدى سعيد بن هيو ، وقبلها زاره سيدى الحاج على . مع ستة من الفقراء فى مرورهم الى (جبالة) كما تقدم. وقال له : انما سلكنا هذا الطريق مع ما فيه من المشقة من أجلك وحدك .

قال الولد : ثم لما توفى سيدى سعيد بن هيو اجتمع الفقراء من كل ناحية . لتأبين شيخهم . ولاقامة خليفة له على الفقراء . فقالوا لابن الشيخ سيدى محمد بن سعيد : انت ابن شيخنا ، فكن على ما كان عليه ابوك . فابى عليهم ذلك . قائلا : لست من فرسان ذلك الميدان . ولكن انظروا التاموديزتى يقوم بشئون الفقراء . وربما ترجع البعثة التى سافرت الى (جبالة) وربما يكون سيدى على اكرام (١) أولى من يقوم بهذا العبء الثقيل قال الوالد : جلس سيدى سعيد الشيخ هو وزوجته فى الدار يوما فى غيبة سيدى على ورفقته الى (جبالة) سنة ١٢٩٩ هـ وهما يتقيان الزرع . فشهد الشيخ ثم تغير وجهه ثم قفّ شعره . وصاح (الله) ثم قال : ايه وقد اعتراه حال عظيمة : الآن دفع سيدى على ابواب الحضرة فدخل . وسيدى على اذ ذاك لما يرجع فى (جبالة) ثم نظر سيدى سعيد الى ساعده النحيل . وقال : ذهب سعيد . فقالت له زوجته بالله عليك يا سيدى سعيد الزم دارك لئلا تموت فى محل بعيد عنا ، فقال الشيخ : اينما مت فسوف يحملنى الفقراء الى هنا . وفى الغد ساح الى (افران) فنزل فى (تانكرت) عند سيدى سعيد ابن حمو(٢) من أكابر أصحابه . وهناك توفى رحمه الله تعلى ورضى عنه ثم دفن فى المقبرة التى توجد فى شمال المدرسة وراء الصفا الموجود عند الباب الاعلى للمدرسة . قال : فبقى الشيخ سيدى سعيد فى (افران) مدفونا سنة كاملة ثم رأته فقيرة صالحة فى المنام . وقال لها : قولى للفقراء ان يصنعوا تابوتا من الخشب الذى فى المحل الفلانى . ويحملونى فيه الى (المعدر) .

---

١) اكرام المرابط . وبذلك كان يدعى الشيخ الالغى بين الفقراء قبل أن يتصدر للتربية . ويقال له الشيخ .

(٢) فى قرية الخندق .

قال : فذهبنا الى الموسم (ولا أدرى ماذا يعنى به أموسم (تازاروالت) أم غيره) فلما سامتنا (المعدن) قلت للفقراء الذين معى : اطلبوا الله بهمة عالية أن نجد سيدى سعيدا فى محله . وفى نيتى أن نجد روحانيته . ولما دخلنا (المعدن) وجدنا الزاوية لا أنيس بها . فقلت لصبى : أين ذهب الفقراء . فقال ذهبوا ليحملوا جدى من (افران) . قال : فلم نلبث الا قليلا . فاذا بهم آتوا به فى التابوت . فلما رأيته لم أتمالك من الشوق الى رؤية محياه . فساعدنى وحدى الفقراء على ذلك . ففتحت التابوت والكفن حتى قبلت جبينه الوضاح . ولم يطرأ عليه أى تغيير ، اللهم الا ما كان من صفرة كفنه . قال الوالد : كانت القطبانية فى البلاد الشرقية ما شاء الله . فلما أتى بها سيدى أحمد بن عبد الله المراكشى ، وفتح لإياب لها الى (سوس) . عاتبه أهل الحضرة . قائلين : ان هذه الطريقة لاتصلح الا لمن كانوا اتقياء اسخياء أصفياء . والسوسيون ليسوا كذلك . فقال لهم سيدى احمد ما باذنى فعلت ما فعلت . انما ذلك باذن من الله ورسوله . قال وهى لا تزال فى (سوس) والحمد لله ما قاموا بها

(قـــال المـؤلف) :

جلست معه رضى الله عنه فى زاوية (بوكودوين) فقـال لى : أتعرف القطب من النجوم ـ يعنى القطب الشمالى ـ فقلت له نعم فقال : أرنيه . فأريته اياه . فقال : أما القطب الارضى فى زماننا هذا فهو فلان (وسمـاه) وان قال الناس فيه مـا قالوا (وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) (١)

(قـــال المـؤلف) :

والى هنا ينتهى الدور الاول من حيـاة الوالد فتطوى هـذه الصحيفة بموت شيخه سيدى سعيد . ولنستفتح دورا آخر باتصاله مع وارث سر سيدى سعيد ألا وهو سيدى الحاج على بن أحمد الالغى فنقول: تقدم لنا ان الشيخ سيدى الحاج على زار الوالد فى بلده (ايداوتنان) يـوم مروره الى (جبالـة) سنة ١٢٩٩ هـ ومن هنا نعلم ما كان بينهما من الاتصـال . وهمـا تلميـذا سيدى سعيد ورضيعاه فى آن واحد. الا أن الوالد رحمه الله اذا أطلق الشيخ فى كلامه فالمراد به سيدى الحاج على وحده . حتى صار ذلك عادة مألوفة عندنا جميعا . فاذا قيل الشيخ . فالمراد به ذلك . وكفى به شيخا ، وقبل سكنى الوالد فى بلدته . صار يبنى فيها دارا ، وفى أثناء البناء وجده الشيخ مع طائفة لما ينتهم داره . فأمر الشيخ الفقراء ببناء الدار وتسقيفها بسرعة . فتم ذلك فى أيام قليلة . فلما اكملوها ساحوا والوالد معهم . وفـى تلـك السياحة نزل الشيخ فى موضع يسمى (ايبارامن) من (كدميـوة) بحـوز (مراكش) . وبعد صلاة العصر صار يعظ الناس بهمته المعلومـة . وهـو

١) لايزال هذا حيا الى الآن ١٣٨١ هـ . وحاله الاشتغال بأمور معاشه .

مستغرق فى المذاكرة . واهل البلد ياتون بالقصاع المملوءة كسكسا وقلقاسا . والفقراء يتاهبون للسفر . ولم ينتظروا الا فراغ الشيخ من وعظه . وبينما هم كذلك ، اذا ببعض أهل القرية يقول لنا مر الفقراء باكل هذا الطعام يا سيدى . فان وقت ذهابكم قد أظل . فنظر اليه الشيخ شزرا . وقال : كنا عزمنا على الرحيل . والآن لن ناكل طعامكم . ولن نبيت الا عندكم فاستانف الشيخ وعظه وارشاده . ثم قال : هل من واهب ذبيحة على الله . فنطق خمسة من أهل القرية بالتبرع بها . فقال الشيخ : من يهب اناء من الطعام لله . فنطق المتبرعون – وهم كثيرون – فامر الشيخ بالذبائح فذبحت . وقسم لحمها على المتبرعين بالطعام . وقال الشيخ هيئوا كل ذلك قبل صلاة المغرب . فاكل الفقراء ما حضر من الطعام . وبعد صلاة العشاء امرهم الشيخ بالهجوع . فلما استراحوا ادلجوا واصبحوا فى (مزوضة) او (بوعنفير) – الشك منى – وفى (مزوضة) وجد الشيخ رجلا قارن جنية . فاخبرته أنه سيزور قريتهم غدا رجل من خيار عباد الله . فامر ذلك الرجل أهل القرية . أن لايذهبوا الى اى موضع حتى يروا ما خبرت به زوجته الجنية . فلما أقبل الشيخ والفقراء ، فرح بهم ذلك الرجل لامرين احدهما أنه تلاقى مع خير عباد الله . والثانى أنه يأمل تنفس مخنقه على يد هذا الشيخ . ليتملص من هذه الجنية القرينة السوء . فقد اجتواها وود لو وجد من يخلصه من يدها . وقد زار كبار الاولياء والصالحين لذلك من غير ما جدوى . فصدق الله رجاء الرجل . فقد فكه الشيخ من اسره ، وأعطاه الشيخ عمامة من عنده . فلم ير بعد تلك الجنية ؛ قال الوالد : وفى هذه السياحة ترحمنا على سيدى أحمد بن محمد المزوضى المتوفى ١٣١٢ هـ وعزينا أخاه سيدى الحنفى . وقد سافروا من زاوية (مزوضة) بعد أن صلى الشيخ الظهر بالناس فى قبة سيدى محمد . وهو امام . فلما رجع من هناك أتبعه الطلبة برسالة ظاهرها استفتاء . وفى باطنها هم ناوُا المراء . وفحواها هل يجوز لمسافر مثلكم أن يكون اماما مع وجود امام راتب . فلما قرأ الشيخ الرسالة سأل رسول الطلبة عن التوحيد . فلم يعرفه ، فامر الشيخ بعصا فاحضرت وصار كلما سأل الرسول عن مسالة دينية فلم يجبه عنها ، يضربه بالعصا الى أن علمه الواجب . فاجاب الرسالة بما بدا له . ثم ملأ بياض الرسالة (سلاما سلاما) فلما وقف الطلبة على جوابه . ذهبوا به الى الفقيه سيدى الحنفى . فقال لهم : ففضحكم الله كما فضحتمونا . فمن أمركم بما فعلتم . أرأيتم كيف صيركم جهالا ، وهو غير كذوب أما علمتم قوله تعلى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) هذا هو

مراده .

قال : ذكر الشيخ سيدى أحمد بن محمد المذكور . وقال انه منور الباطن . وقد اخذ عنا الآن . فاتم الله له معناه على يدنا . ذكر ان ذلك وقع له معه فى سفرة قبل هذه . وذكر الشيخ اذ ذاك ما يدل على قرب وفاته . فها هو ذا توفى فعزى فيه الآن ـ وقد ذكر هؤلاء فى (الجزء الثامن عشر) ـ

(رجـــع) «اب الشيخ والوالد من تلك السياحة الى مسقط راسه (تامكونسى) من (ايداوتنان) فتركه الشيخ هنالك مشارطا عند اهل قريته بعد أن عين لهم الشيخ الشرط . ففال لهم : هذا طالبى لا طالبكم . قال الوالد : فافاض الله الخيرات على أهل البلد فى العامين اللذين جلست فيهما عندهم باذن الشيخ . وحين ودعه الشيخ ألزمه أن يتسوق موسم (نازاروالت) لتجديد العهد بالاخوان . قال الوالد : لما رجع الشيخ من (جبالة) وجد سيدى الحاج الحسن التامودیزتى أمر الفقراء بترك ذكر (العمارة) مستدلا بقوله تعلى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) فلما رجع الشيخ ضمهم مجلس واحد هو والتامودیزتى . فلما رأى الشيخ ما حل بالفقراء من ضبط الاشباح وخاف أن تعدو حدوها الارواح . ورأى أن لا طاقة لهم بذلك . قام الشيخ الى ذكر (العمارة) فتبعه القوم ومن ذلك اليوم تحققت له الرياسة الفوضية رضى الله عن الجميع . وابتدأ انقسام أصحاب سيدى سعيد . بين السيدين الشيخ والتامودیزتى . (قال) : سحنا أول مرة فى أواسط ١٣٠٥ هـ حول (السويرة) فأرسلنى الشيخ الى الزاوية الدرقاوية فى (السويرة) ان اعلمهم بالمبيت . فوجدت مقدم الزاوية . وهو سيدى عمر أماهو. وهو يفتح الزاوية فلما أخبرته الخبر ، قال : مالنا وللسوسيين . قطعوا نخاع الطريقة . وبدلوا وغيروا فيها برأيهم . قال فاجبته أن سيدى على بن احمد هذا الذى سياتى ليس على هذه الوتيرة . وهو معك فى هذه الفكرة . وعن قريب سترى ما يسرك . فاستطار الرجل سرورا . وقال : اذن قل له : مرحبا بك وبمن معك . قال : فرجعت واخبرت الشيخ ، فلما دخل (السويرة) اجتمع عليه أهل المدينة بقضهم وقضيضهم . وباتوا على ما يروق من اذكار الى الصباح فجدد بذلك ما وهى من الطريقة رضى الله على الجميع

(قـــال المـؤلف) :

بقى الوالد فى مشارطاته هناك ما شاء الله . وهـو يزور الشيخ . والشيخ يزوره . ويسيح مع الشيخ سياحات عديدة . الى ان امره الشيخ بالنزول الى (بوكودوين) ببلاد (ايداوزيكى) وذلك سنة ١٣١٣ هـ ، قال الوالد سحنا مرة فى (ايداوتنان) فـ (ايداوزيكى) فلما دخل الشيخ بلاد

(ايداوزيكى) قال : الحمد لله ما أطيب والين قلوب (ايداوزيكى) يميلون كيفما أملتهم . واما بلادكم (ايداوتنان) فقلوبهم قاسية مثل احجارهم . قال الوالد : يجتمع الزيكيون على الشيخ من مسافة بعيدة . وربما حملوا الموائد على رؤوسهم من مكان بعيد . محبة للشيخ . وبينما هو كذلك والزاوية فى هنالك غاصة بالفقراء والمستمعين رجالا ونساء . والوعاظ يشنف الاسماع . والشيخ يحث على عادته بهمته العالية كل ما أراد الاستراحة . ايه . ايه . والناس من هنا وهناك تسمع حنينا . وربما زفيرا وشهيقا . وفى الصباح ناداه الشيخ . فقال : ليكن فى بالك أن تنزل الى هذا المحل لتعمره قال الوالد : فتذكرت أمر الحرث. وان بلاد (ايداوزيكى) لايكون فيها الزرع فقلت له يا سيدى ليس هذا محل الحرث . وأنا ذو عيال كما علمت . فقال الشيخ : ان لم يكن بلد زرع فهو طريق ياتيه الزرع من كل مكان . قال الوالد : فسكت وندمت على ما فرط منى من سوء أدب مع الشيخ . وبعد ما ودع الشيخ ارتحل الى (بوكودوين) فلقى فى بادىء أمره ما شاء الله من المشقة. فقد توالت عليهم سنون كسنى يوسف عليه السلام. قال سيدى(١) (فلان) الفقير المتجرد كنا نجتمع فى الزاوية ولا طعام لنا غير الجراد مدة شهرين . فقلت لأبيك ذات يوم : يا سيدى قد نسينا الزرع . فقال له بهمة عالية : صه . فقد بواكم الله مقامات الصحابة والانبياء . فصرتم تتعرضون لحكمه . بل يلزمكم أن تحمدوا الله على ما أولاكم ، وأسبغ عليكم من نعمه . قال الوالد : أنا أول من لبس جبة وما كانوا يلبسون الا القمص والاردية والخنانف (٢) الغليظة السوداء فى البرد . فى هذه البلاد . وأول من أظهر السبحة الغليظة والمرقعة . وقد ألزمنى الفقراء بالسؤال فى سوقنا على وجه خرق العادة . فصرت أتكفف الناس . ولا انسى ما وقع لى اذ ذاك مع احد الاثرياء ، وقد مددت اليه يدى ؛ وأنا مطرق برأسى وأنا أقول : (متاع الله) ـ وهى الكلمة التى تقال عادة عند التكفف ـ تتاع الله ـ فصار يقتش فى شكارته . وأنا أسمع خرير الفلوس حين يقلبها حتى عثر على قيراط بال فاعطانيه . فقلت له وكيف كنت اذ ذاك . فقال :

(وكل الذى فوق التراب تراب)

وقال ايضا : سحنا مع الشيخ مرة فى بلاد (ايداوتنان) فبتنا فى (تازانتوت) قرب (تيغانيمين) مدفن الشيخ سيدى ابرهيم بن على المشهور.

---

١) لعله سيدى محمد بن بيهى دفين (ايداوكرض) بـ (حاحة) فهو الذى كان يحكى كثيرا عن المترجم أمثال هذه الحكايات .

٢) جمع خنيف وهى عربية فصيحة : الثوب الغليظ

فصار الناس يجتمعون على الشيخ . والشيخ يحضهم على الزهد فى الدنيا . فلما خرج ، وله بغلة مسرجة . قال له زعيم القوم الحاج احمد (بوزكرا) : كنت تنهانا عن الدنيا «انفا . فاذا بك اكثر الناس اقتناء لها . فان مثل هذا المركوب لا يكون الا فى دار المخزن . فقال له الشيخ : أيها الحاج ان هذا فى حقى قليل . وأنا بفضل الله لا أغتر منه بشىء وقد اضهر بذلك للناس انى غنى عنهم . وأنت تغرك منها قلامة ظفر . ثم قال له الا تبيت عندنا ياسيدى ، فلم يجبه الشيخ ؛ بل همز بغلته الى الموضع الذى وقف فيه الوالد فقال له : أنبيت ههنا . فاجبته بقول : لاأعلم . فقال الشيخ : بل نذهب باخوانج الى اربابها ، فوجدهم الشيخ وباتوا عند الولى الشهير سيدى محمد ابن حمو وهو كما دخل الطريقة اذ ذاك . ولما يتأدب بآداب القوم . فلما وضع الصينية أمامه وهو يقيم الاتاى ، شرع يتكلم بكل طلاقة . فقال للشيخ رأيت منا ماكان شخصا مثلك عليه طاقية حمراء . وعليها عمامة . وله شكارة كبيرة . وهو يضرب فيها . ويقول لى لاتجزع وارفع رأسك ، فكلما رمته فهو هاهنا . يعنى فى الشكارة . ثم قال له الشيخ : كنت اذ ذاك نائما . وأما الآن فانت مستيقظ . فأماط الخائط عن العمامة . والطاقية الحمراء تحتها . فصار يضرب الشكارة ، ويقول له : كل ما تريده فهو هاهنا . فظهر من الشيخ ما يستغرب منه . لان مثل هذا لم يوقف منه أن يقوله . فكانت احدى نوادره . قال الوالد : ان سيدى محمد بن حمو . رجل من الابدال . وقد توفى بعد ١٣٤٥ هـ .

(قال المؤلف) :

حضرت مجلسه مع الوالد . وهما يتحادثان معا سنة ١٣٤٥ هـ وأنا اذ ذاك لايؤبه بى لصغر سنى . فقال له الوالد : هل عندك علم بهذه المجاعة قبل وقوعها ؟ قال نعم . رأيت كان الزرع استوى على سوقه . فاتته الريح السموم . فصيرته هشيما ، فقال كيف ظهر لك هذا الطاعون قبل وقوعه . قال : رأيت كان رجلين معهما شهاب . وكلما مرا على دار . يقول أحدهما للآخر احرق هذه . فاذا مرا بدار ولم يقل له عنها شيئا . فان تلك الدار لايقع بها طاعون . كما سمعته ايضا يقول لوالدى : ان أمر خروج هؤلاء القوم ـ يعنى النصارى ـ متعلق بك (١) وقد حضرت معه أيضا هو وسيدى مبارك من (ال مبارك) الزيكى . وهما ياكلان عصيدة . وأنا خارج الباب . فقال له الوالد : الانزال ترى سيدنا جبريل عليه السلام . فقال نعم . فقال على اى صورة تراه ، فاجابه الرجل جوابا نسيته . فقال له فى اى محل عقدتم المجلس هذه المرة . فقال فى (تازناغت) من جبال (ايداوتنان) فقال

---

١) كان المترجم بعد ما نفاه المستعمرون . اتظن فرنسة أنها تسلس وتنجو . فالله لها بالمرصاد .

له : كيف ذهبت ماشيا أم طائرا . فقال : بل طائرا . قال كيف ذلك الطيران . قال : نطير ويطوننا الى السماء . وظهورنا الى الارض . فقال له على اى بلدة مررت ، فقال : لا أدرى غيرانني مررت بقرية (كذا) والى هنا انتهى الكلام بينهما . ففارقتهما لكيلا أكدر عليهما صفو المورد . قال الوالد : كنا فى زاوية الشيخ (الالغية) فخرجت الفقيرة فاطمة موهدوز الشهيرة بالكرامات فصارت تعظنا وتذكرنا الى ان قالت : اى محل هو معظم عندكم أنتم التنانيين . فقلت لها (تامريساتين) فقالت ستجد هناك علامة تدل على اننى كنت هنالك وسابنى كومة احجارى بين كومات احجاركم . ثم قالت لما همت بالانصراف : ان طعاما سيخرج من الزاوية الآن . فكل من اكل منه لقمة حرم الله جسده على النار . وعلامته أن يخرج فى غير وقته . والعادة فى الزاوية (الالغية) أن يهيلل المؤذن فوق السطح اذا تهيا الطعام ليجتمع الفقراء من هنا وهناك . قال : فلما دخلت هيلل المؤذن هيللة الطعام والناس متفرقون . ما بين نائم . وغاسل ثيابه . فمنهم من حضر ومنهم من لم يحضر ، ففاز بالغنيمة أهلها (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون)

(قال المؤلف) :

كان والدى يقول كثيرا : جزى الله الشيخ خيرا عنا . فلولاه لظننا الخير فى كل من عظمت عمامته . أو طالت لحيته . ولكننا عرفنا به الغث من السمين والبهرج من الثمين . وكان يقول منذ عرفته : لم التقت الى غيره كائنا من كان وقال أيضا : وقف الشيخ مع بعض احبابه عند مختتم موسم سيدى احمد ابن موسى . وشرع الشيخ يقول لفقيران فلانا ولى . وفلانا وفلانا . ويريهم اياه فى ذلك المجتمع . فقال له الفقير : والله لو كان كل من على وجه الارض أقطابا ما التفت الى غيرك . فقال له الشيخ : هكذا فليكن المريد الصادق مع شيخه . لان ذلك مفتاح السر عند القوم . وانما مرادنا منكم أن تجمعوا ماءكم لتستقوا منه وتشربوا ، (قال) : قد الحت عليه فى بعض الايام ان اكتب عنه كل ما وقع بينه وبين الشيخ من الاسرار . فقال : ان ذلك ما لا يمكن ان يوحى به لاى انسان كيفما كان . لان الباطن اذا كتب صار ظاهرا (١) ثم لايفيد بعد . وهذا ما لا أريده ما حييت . واخبرنى أن الشيخ زار مرة (ايداوتنان) فمر بسيدى ابرهيم بن على ولم يزره . فلما كان فوق جبل (بنو وغا) عارضه سيدى ابرهيم بن على قائلا : لم لم تزرنى . فقال : انما اخرنا ذلك حتى نطرقك فى رجوعنا . فقال : سبحان الله

١) قال محمد عبده : ما جنى على التصوف الا من كتبوا فيه كل ما فيه :

اكون مطروقا فقط بل ارجعوا . فرجع الشيخ فى الحين من هناك وبات ثلاثة أيام فى زاويته . ففاض عليه من ذرية الشيخ كل خير . فقلت له : كيف اوغمه على الرجوع ، وهو ميت . فقال : انه وان كان فى عالم الارواح فكل ما بدا له فانه يفعله باذن الله ، وذلك يقع لبعض ذوى الارواح لاكلهم . واخبرنى ايضا انه جلس مع الشيخ فى منزل رجل . فقال الشيخ لذلك الرجل : ان فعلت كذا فانا ضامن لك الجنة ما دمت تعمل صالحا (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) قال الوالد : فخفت ان تفوته هذه الفرصة . فصرت أقرصه واغمزه بفخذى حتى قبل . فلما خرج تبسم الشيخ . وقال : تعبت فى امر هذا . فقلت له : خفت ان تفوته الفرصة السانحة . واخبرنى قال: تعلق فقير بالشيخ، وهو يستغيث ويستحرم به وهو ياخذ باذياله . فقال له الشيخ تكلم ما مرادك . فقال : منزلتى فى الجنة . فقال له الشيخ : انما اردنا منكم أن تكونوا رجالا . واما الجنة فربما لاتعدم من يجرك بفضل الله حتى يلقيك فيها . وقال ايضا : ما وقع نظرى على الشيخ الا وتبسم فى وجهى مذ عرفته الى أن فارقته . وقد قال لى : اننى لا أتخطى (وادى الغاس) الا من أجلك تتلاقى لله وفى الله . وقال : كان الشيخ يخصص لى مجلسا نتذاكر فيه حول جميع الامور . حتى من احسن او من أساء الينا فى الطريق . فلما كان الموسم الاخير . قال لى لاتنتظر ما كنت الفته منى . فان الوقت أعجل من ذلك . وكل ما تذكرته مما يحتاج الى المذاكرة فاذكره . قال وفى تلك المرة أرسل الىّ فوجدته مضطجعا . وعنده لبدة حمراء . فلما دخلت أومأ الىّ ان اجلس على اللبدة فامتنعت حياء منه ، فقال لى : ذهب وقت الادب اجلس . وقل كل ما هنالك انى ذاهب الى ربى ، قال الوالد : فلم اطق حصر البكاء حين قال ذلك ؛ ولما ادركت قرب اجله . فقلت له انما اشفقنا من الفراق . واما الموت فقد عرفنا انه فرض عين على كل حى. فقال : ان الفراق عند اهل هذا المعنى يوم يذهب فريق الى الجنة ، وفريق الى السعير فذلك هو الفراق الحقيقى حفظنا الله منه ثم قال : خصنى ربى بخاصية . وذلك ان كل من اخذ عنا فقد امتلأت زجاجته سواء عرف او لم يعرف . ما دام لم يكسرها . فقلت له وكيف يكسرها . فقال : ان اخذ عن غيرى بعدما ياخذ عنى وكسر النوبة التى تنبنى عليها تربيتنا هذه . فقد خسر الدنيا والآخرة باذن الله ورسوله والشيخ . فان صاحبى الواقف على الحدود كالبيضة التى قامت عنها الدجاجة بعد افراخها. فانه لو كانت بعد ذلك تحت دجاج الدنيا جميعا، لاينتج منها فرخ اخر جديد الا ان مريدى اذا رجع فان الله يجبر كسره بفضله . واخبرنا ايضا قال :

لما كان الشيخ ينهيا الى الحج . وقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له انك ستزورنا وتبقى هاهنا . قال الشيخ فكنا على تلك النية الى ان بقيت خمسة أيام . فوقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى . وقال انك ستزورنا وسترجع بجسمك الى محلك ويزداد خيرك فيكون المقصود ان روحه هى التى تبقى فى حضرة الرسول . وأخبر أيضا أن امرأة كانت ترى النبى صلى الله عليه وسلم يقظة . فجاءت الشيخ فقالت له يـا سيدى كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحادثه . أهكذا يكون الوصول . فقال لها الشيخ اذا كان حقيقة ما تزعمينه من المحادثة مع الرسول . فاسالیه عن ذلك . فانه هو يخبرك . وبعد أيام رجعت . فقالت للشيخ : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال أما أنا فقد وصلتنى . وأما الله فلم تصل اليه بعد بالمحادثة معى . فقلت له من يوصلنى الى الله اذن . فقال عليه السلام هو الذى أرسلك الىّ . فلما اخبرت الشيخ لقنها الورد رضى الله عنهم أجمعين .

نزل الوالد رحمه الله الى زاوية (بويكدوين) فلاقى ـ كما تقدم ـ عنتا فى المعاش . ثم توالت عليه بعد أزمان الفتوحات الربانية فى جبال (درن) و (متوكة) و (حاحة) و (ايداوزيكى) فامتلأت الزاوية امتلاء عجيبا بالخيرات. يفد عليها الناس من كل صوب . لكنه رحمه الله لا يعبأ بما يرد عليـه مـن الهدايا . بل يقى على شظف العيش هو وأهله . ولقد رأيته وقد أعطاه انسان قميصا . فلما أراد لبسه قطع رقبيته (١) وكان غالبا يلبس الجبة وحدها عارى الصدر . وقد شاهدت منه أحوالا غريبة . وكان لايقدر ان يمسه احد ولو باصبعه . وربما باغته احد بذلك . فينتفض كانما يمس على غفلة مـن سلك كهربائى . سواء كان نائما أو يقظان . وعند ذلك يقول (الله) مادا بها صوته . ويحمر وجهه وعيناه . ثم لايثوب الى رشده الا بعد حين . وقـد جالسته يوما وفى يدى ساعة ذات ثمانية أيام . فلما رأى محركها لايفتر عن الدوران . قال : هكذا قلوب العارفين . لاتفتر عن ذكر الله . وان سكنت ظواهرهم . فبواطنهم مشتغلة بذكر الله (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وما رأيته قط مضطجعا اضطجاعة الراحة . وانما ينام جالسا أو متكئا . وان اضطجع من غير أن أراه فربما والله أعلم . وما مد قط رجله أمامنا نحن أبناءه . وكان يقول : لايمد النبى صلى الله عليه وسلم رجله بين أصحابه . ولذلك أكره أن أمد رجل أمامكم . وهو متمسك بالسنة فى أفعاله وأقواله ما استطاع الى ذلك سبيلا . وكان لايحب الرفث من القول.

---

١) وهى المسماة بالعربية الجُرْبَان . بضمتين ثم باء مشددة .

واذكر انني لعنت دجاجة امامه فضربني . وقال : مالك ولها . وكان يقنع من الطعام بالبلغة . وربما يطوى يومين او ثلاثة . وفي بعض الاحيان. وهو قليل ، ينبسط انبساطا ؛ وربما يطول مجلسه الى ما بعد وهن من الليل يجمعنا فيه نحن اولاده خاصة . ولا نتفرق الا في السحور . وكان يقول : احفظوا ما اقول لكم قبل ان اموت فتنتظرون أن ءانيكم منامًا او تانون الى قبري فتدفون الاحجار فوقي . واخبرني ان سيدنا الشيخ لما اراد الذهاب الى الحج رتب للفقراء اشغالهم كلها اهل الحس للحس . واهل المعنى للمعنى ثم واعدهم باللقاء يوم كذا من شهر كذا في (السويرة) قال : فلما اظل اليوم الموعود ذهبنا لنلتقي معالشيخ فياليوم الموعود. فبتنا قرب(السويرة) في ذلك اليوم الموعود . علنا نجد من يخبرنا الخبر الصحيح عن الشيخ . فاذا به نزل في (السويرة) في اليوم بعينه . لم يتخلف عنه ولو ساعة لضبط ذهاب الباخرة وايابها . وكان لقاؤنا به عند دار القائد الحسن النكادي بـ (حاحة) وأول كلمة نطق بها أن قال : أحمدوا الله ايها الاحباب حين شغلكم بذكره في زمان غفل عنه عامة الناس . ثم قال والله والله ما نسيناكم هناك في جميع المزارات . وعند جميع الدعوات . ولم نفتكم الا بالاقدام . وأما الخبر فنحن فيه سواء . والحمد لله . (قال) : اخبرني الشيخ انه قبل ذهابه الى الحج اشتاق الى ذلك غاية الاشتياق . فلما وصل الى هنالك علت همته على كل ما سوى الله . وقد تحدث بانه لايجد قلبه الا في مجلس الفقراء تحت ميزاب الرحمة ازاء الكعبة . وقال الشيخ ايضا في الذاهبين الى الحج من غمار المغاربة . من كان له ايمان ونصف يرجع بايمان كامل فقط . ومن كان له ايمان يرجع بنصفه . ومن كان له نصف الايمان يرجع بلا شيء (١) وهم الكثيرون . كما وقع لرفيقي (فلان) فان الذي معه من الايمان فقد بعد رجوعه الى (بنسركاو) (٢) عصمنا الله وذلك لعدم تلقي مشقة الحج بالاطمئنان المطلوب . والصبر الجميل . واخبرني ايضا قال : امرنا الشيخ سنة بالسياحة في جبل (درن) الى أن نصل الى المحل المسمى (تازرت) وهي آخر قرى الوادي . قال : فلاقينا هناك ما شاء الله من شظف العيش . وقلة النظافة . وكثرة السهوكة . فاجمعنا امرنا على ان لا ناكل الا العصيدة التي لا تمسها ايدي اولئك القوم . قال : فلما بلغنا الى المحل عشية . وجدنا الماء الذي يتوضا به القوم لا يصلح للوضوء .

---

١) من امثال العامة في بعض المحاج (من تجاوز برقة . فلا تبقى فيه مروقة)

٢) قرية ازاء اكادير

فنهينا الجماعة عن الوضوء بمثل هذا الماء . مع وجود الماء الصافى فى تلك الجبال . فاستنكفوا من ذلك . وتركونا بلا عشاء . وبعد أن تفرق الجميع اضافنا امام المسجد وحده . فلما استوى بنا المجلس معه سألنا من انتم . ومن اين قبلتم . فاخبرناه الخبر . فصار يبكى بكاء شديدا . وقال الله اكبر . الىّ أرسلكم الشيخ وحدى فى هذه الجبال النائية . وذلك أنه كان شيخ القبيلة فى بلاده . فقدّر عليه قتل شخص . ففر الى الشيخ يستشيره وهو من أصحابه . فامره الشيخ بالفرار بنفسه ؛ فقال له انما اخاف من فراقك وفراق الفقراء . فقال له الشيخ : ان الفقراء ياتوك حيثما كنت . قال الوالد : فمكثنا عنده ثلاثة أيام ثم رجعنا . والشيخ لم يحدثهم عن الرجل بعد رجوعهم من عنده . واخبرنى سيدى حمّاد قال : تسوقنا انا ووالدك (سوق الجمعة) وكانت سبحتى غليظة . فلما قربنا من السوق هممت بادخالها تحت جبتى لئلا اكون أضحوكة الفاسقين أثناء السوق . فاذا به التفت الى وقال : اذكر الهيللة . فلم يسعنى الا أن اذكر الهيللة جهرا . وهو مار فى وسط السوق . والناس يحدقون فينا من كل جانب . فوقع اكثر مما كنت اخشاه . وهانت على نفسى من ذلك اليوم . فلا ابالى باى شىء كان . فاستوى عندى المادح والقادح . واخبرنى سيدى عبد الله الكابوسى قال : كنت أصاحب والدك فى بدايتى فرأيت منه عجبا عجابا . فصرت أنا كذلك اترقى فى المقامات الى باب الاخلاص بحيث لا اقدر أن آكل طعاما الا اذا كان صاحبه مخلصا فى عمله ولو مت جوعا . قال: وهنالك توقفت . قال : وصاحبته يوما الى (تيزى الحجاج) قرب (أسيف يثيك) فلما كان وقت الزوال قال لى : تهيا للسفر الى (أضارضور) قال : فاشفقت من طول الطريق فى تلك الهاجرة . فقال لى : انظر الظل كم فيه من قدم . فقلت : قدم واحدة . فسرنا نطوى تلك الجبال والادغال ولم تمض علينا الا برهة قصيرة حتى كنا فى (أضارضور) فلما دخلنا قال لى انظر الظل هل وصل الظهر أو لا . فنظرت فاذا فى الظل قدم واحدة . من غير أن يزداد الظل قيد أنملة . فكانت كرامة واضحة . وسمعته يتكلم عن الاحتلال وما بعده سنة ١٣٥٩ هـ فقال : ان الامارة لا تصفو لاحد أيا كان حتى ياتيها ربها . ثم قال : اختلف أهل الديوان فى خروجهم - يعنى المحتلين - فقال قوم ليخرجوا فقد تعدوا الحدود . واستباحوا الحريم . وقال آخرون . وهم الاكثرون حتى يصلحوا ما جاءوا من أجله من الطرقات وغيرها . واخبرتنى الوالدة قالت : انهال علينا رَجْلٌ من الجراد يوما . فاجفل الناس يذودونه عن الحقول . ولم يمض علينا الا قليل حتى انحسر

كانه لم يكن . فقال الوالد : هكذا يكون حال هؤلاء المحتلين يتجل بسرعة . فقالت له : ومتى ؟ فقال : يوم يمر الطريق . فى المحل الفلانى . وقد مر الآن (١) .

(قال المؤلف) :

كنت اردت الذهاب الى بعض المواسم من غير اذنه . فارسل من يردنى من الطريق . فلما دخلت عليه ، شرع يصب علىّ ما فى جرابه من العتاب الى ان قال : لايكونن الامر فيك كما تريد أنت . بل كما اريده انا فيك ، باذنه الله ورسوله . وقال مرة اخرى اذهب ما شئت فانى ماخذ بزمامك والى عندى مالك . وودعنى مرة الى موسم الشيخ الالغى يوم كان فى منفاه ممنوعا من الاسفار . وقد كان نفى من (بوكودوين) من(ايداوزيكى) الى مسقط رأسه (تامكونسى) من (ايداوتنان) وذلك بعد واقعة الفقيه سيدى الحسن الواغزنى ١٣٥٤ هـ التى حملت الاستعمار حتى اساء الظنون بكل من له ادنى شهرة من اهل الزوايا . (أقول) : واعان على ذلك كونه يزورنى فى (مراكش) وان ولده عبد الحميد ـ كاتب هذه الترجمة ـ ياخذ عنى). فحين اردت ذلك السفر قال لى : اقرأ السلام على الشيخ عند قبره ، وقل له كذا وكذا . فقلت متجاهلا : مات الشيخ وصارت عظامه رمة . فكيف اهدى انا ازاء قبره بهذا . فقال : اد الرسالة كما قلت لك ولا عليك . ثم قال : جاء بعض الفقراء مرة الى ما فوق قبر الشيخ . فصار يقرأ سورة (يس) فغلط فيها . فقوم له الشيخ الآية من قبره . ثم قرأ علىّ بعد الحكاية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) واخبرنى ايضا قال : سقطت طفلة من اعلى سطح ، فانشقت شفتها السفلى . فسهرت عليها امها ، وهى تبكى . لأن بنتها ستكون شوهاء الخلقة . وربما لا تتزوج فى كبرها ؛ فاغتمت من اجل هذا . وهى فقيرة صادقة من صواحب الشيخ . قال : وبينما هى فى بيتها وحدها ، والطفلة بين ذراعيها . اذ دخل عليها الشيخ معاينة دخولا محققا بشخصه المعروف ـ وقد عرفته من قبل ـ فلم يكلمها ، الى أن لم شفة ابنتها باصابعه . فالتأمت كأنما لم يصبها اذى من قبل . وقد حصل له هذا يقظة . وبينها وبين بلد الشيخ بلاد شاسعة . واخبرنى قال : كان فى وقت موسم للشيخ الالغى عمل عندى اريد به الذهاب الى الزاوية . ولا رفيق ولا بهيمة . فذهبت الى السوق . وطلبت من الحى البهيمة فاخذ يسوقنى الى الاصيل . ولم يبق الا القليل من الناس فى السوق

---

١) يعنى الطريق الطالعة من (امسكرودى) والعجيب أنه بمجرد مارصل الطريق المرصوف المحل الذى ذكره جاء الاستقلال .

فقلت له يا اخى ان كانت البهيمة فارحنى بها . وان كان غير ذلك فافض ما انت قاض . فقال: ان البهيمة اردتها للقاء غرض مهم وكفى. قال: فاستودت الدنيا امامى . فوقعت فى ارتباك شديد . فخرجت سادرا . فاذا برجل راكب على حمار متين ، له لجام . فقلت يا فلان الا تبيع هذا الحمار . فقال بلى فقلت له : بكم . فقال : بثلاث ريالات حسنية ، فقلت له انزل فهو مبيع . قال : فلما نزل وركبت الحمار ، قلت له : الاجل فى الثمن بينى وبينك خمسة عشر يوما . فقال : من أنت ؟ فلما عرف من انا رضى بذمتى فاجلنى قال : فرحت الى الدار ، فبقيت مسألة الحمل التى أحمل به زقاق العسل فظهر لى ان اخذ قميصا لى من الصوف وخطته خياطة الاحمال ، وجعلت فيه جلود العسل . فسرت من ليلتى لالحق الركب المتوجه الى موسم (تازاروالت) ولم أدخل الزاوية الا بعد عشاء يوم الاثنين . وموسم الشيخ كما هو معلوم يبتدىء من يوم الاحد الى يوم الاربعاء . قال : فلما ذكرت الهيللة خرج الشيخ بنفسه كأنما كان يترصد لى . فتلقانى بوجهه الضاحك . وقال قبل ان يقول لى كلمة : هكذا يفعل الفقير بنفسه . يجعل قميصه حملا ان لم يجد حملا . ثم اخرج القميص فى الحين ليلا لغسله قائلا ان العسل صابون بنفسه. قال وبعد ارفضاض الموسم حدثت الشيخ بتفصيل ماوقع لى فامرنى ببيع الحمار فى (تازاروالت) فبعته بثلاث ريالات واعطيت الدراهم للبائع فى يوم الاجل المعين . قال ايضا : حملت على بهيمة حملا ثقيلا من الشعير فعثرت به . وانا وحدى فى الخلاء . فاستغثت بالشيخ ، فاذا بالبهيمة تنوء بالحمل وتقوم من غير أن يعينها أحد . وأخبر ايضا : أن الشيخ ينزل على سيدة شريفة فى زاوية (أسيف بيكّ) فتأمر الحاج عمر ـ وهو رجل هناك ـ مع اللصوص أن يسرقوا بغال الشيخ. ان كان الشيخ هناك مرة أخرى. نكاية بها وبضيفها فلما رجع الشيخ طرق السيدة كعادته . وبمجرد نزوله أمر بالبغال فربطت ازاءه حيث تراقب الى الصباح خارج الدار . وقال : هاتوا بالفراش الى هنا. فحلق الفقراء أمام البهائم وفى أثناء الذكر سقط فنار عظيم من أعلى الشجرة التى جلسوا تحتها على صفاة . فسمعه كل من حضر . فظن الناس أنه تكسر تكسرا متفاحشا. فاذا به لم يقع فيه أى عطب. ولم تنطفىء الشمعة التى فيه . وما كان الفنار الا مستعارا من عند بعض الجيران . فلما عاين الوشاة تلك النادرة الخارقة خلصوا نجيا يتعجبون . فحصلت لهم الهيبة . وأخبر ايضا ان ابا هذه الشريفة الصالحة وهو سيدى محمد ارسلته أمه الى الشيخ ليسلفه ثمن بغل يشتريه من (تازاروالت) فلما أخبر الشيخ بالخبر . قال له : اذهب الى الموسم واشتر البغل . فانا أؤدى ثمنه . فذهب الشريف الى

الموسم.وبمجرد تمسكه بلجام بغل في الموسم وقع انفجار هائل من البارود، احترق به كثير من الناس . فحيل بين البائع والشريف . فذهب الشريف بالبغل خفيفة باردة وقد فتش عن صاحبه ولم يجده . (أقول) : هذه السيدة المذكورة تسمى للا كلثوم . من صواحب الشيخ الفذات القانتات العابدات توفيت حوالى ١٣٤٠ هـ) .

(قال المؤلف) :

اخبرني ايضا والدي أن فقيرا من (الدير) في (ايداوزيكي) أعطى للشيخ فردية من الماء . وهي عبارة عن سقي يوم كامل . أو ليلة كاملة . فلما علم بعض الوشاة بذلك أرسل من يدعي أن الماء له وليس للمعطى . وتداعيا الى الخليفة المتوكي . وهو اذ ذاك في (ايمي نتانوت) والمراد أن يسجن الفقير حتى يموت . ويذهب الوشاة بالماء . فلما علم الفقير بذلك أجفل أي اجفال . وقال لوالدي : وداعا يافلان ، فلن ترى أخاك بعد هذا اليوم . قال الوالد : فودعته في يد الله بعد ما أمرته أن لا ينسى الشيخ . ففعل الفقير ما أمره به الوالد . فذهب الى السوق في (ايمينتانوت) واشترى نصف قنطار من السكر . واعطى فيه عربونا ثلاثة قروش . وهي كل ما يملك . فترك السكر عند البائع حتى يوفيه الثمن . فظل الفقير يدور لعله يجد من يسلفه ولو دانقا . وكلما مر أمام البائع يقول له ارفع سكرك . فاني سأذهب الى حال سبيلي . والفقير يسوفه ريثما يجد تمام الثمن . وهكذا الى الاصيل فلما هم الفقير بالمرور مرة أخرى أمام البائع . قال له البائع : والله لاتجوز امامي حتى ترفع امامنتك . فتوكل الفقير على الله . ورفع السكر . فلما انصرف ناداه البائع : ان خذ ما بقي لك مما عندي من الدراهم . واعطاه الثلاثة القروش التي كانت عربونا . فعلم الفقير أن هنالك شخصا اخر اداى لمن السكر ببركة الشيخ رضي الله عنه . وزاده فقراء من (اكادير ايداوسوار) ففرح بهم غاية . فاكدهم وحرضهم على التمسك بعهد الشيخ ويقول : عليكم بالشيخ وان كان ما كان . فقلت في نفسي : واعجبا كيف دلهم على الشيخ من دون أن يدلهم على الله ـ كما يقوله دائما المنكرون على الصوفية من الطلبة ـ فالتفت الي غاضبا ، وقال : لاتقلن اني لم أعرف الله فانما أدلهم على من يوصلهم الى الله . ولم يدر القوم ما المراد بذلك . ولكن انا وحدي المدرك لمعنى ما قال لي . فخسئت نفسي حتى لا أحير جوابا .

واخبرني ايضا ان الشيخ ارسل اليه رسالة يقول فيها : بمجرد وصول هذه الرسالة اخرج من (بوكودوين) الى ما جاوره من قرى (ايداوتنان) قال : فلما قرأت الرسالة : قلت لا أذهب حتى اجز صوف شياه كانت لي

عند بعض الناس . فبينما انا اجزها اذا بسرية آتت على القرية فاجلتها . واحرقت دورها الى الزاوية . قال : فما رجعت الا والدخان يتماوج فى عنان السماء . فذكرت قول الشيخ . فندمت ولات ساعة مندم . واخبرنى سيدى حمّاد بوعايدا الفقير المتجرد (١) قال : كان من عادتنا ونحن شباب من الفقراء أن لانتخلف عن مجلس الصباح والمساء فى الزاوية عند والدك . فتخالفنا فى عيد الاضحى لالعاب شعبية ـ وذلك أن نلبس الجلود وننزيا بزى النساء وغير ذلك ـ قال : فلما قدمنا فى الغد . قال لنا أبوك : أين كنتم . فاخبرناه الخبر . فقال : كل واحد منكم يقضى ما فاته من مجلس الامس . فقام فقير للذكر فضحك منه بعض الجلاس. فقام الوالد الى الضاحك فاخذ بعضده ورماه بصحن الزاوية كرشية . قال : فتعجبنا من هذه القوة الربانية منه . واخبر سيدى حمّاد ايضا قال : قال والدك يوما لنا يذهب فلان حتى يعصى الله فيأتينى . ويجلس أمامى ينتظر أن اخبره بما فعل . ولكن اولياء الله على صفة الله يحبون أن يستروا ما ستره الله . ثم قال لنا : أرأيتم هذه الكاس لكاس فى يده . اذا امتلأت ماء . ايخفى عليك منها شىء ، ولو قليلا ضئيلا . فقلت لا . فقال : هكذا خلق الله عندى لايخفى عنى منهم شىء بفضل الله . الا انتى اغضى عن العورات . واخبرنى سيدى حمّاد ايضا قال : حتم علىّ والدك الذهاب معه الى زاوية (تامانوست) وقد اصابنى شىء فى عينى الصحيحة ـ لأنه كان اعور ـ قال فافتحمنا الهاجرة . وتسلقنا جبالا وعقبات . حتى رحنا الى الزاوية . فاذا بسيدى سعيد التنانى مع طائفة من الفقراء المتجردين راحوا هم كذلك الى الزاوية . قال : فعلمت أن المراد من تلك الحركة هو اللقى بسيدى سعيد . قال فبت بلا عشاء فى الزاوية . لانى كنت نائما من شدة ما نالنى من التعب . فلما استيقظت توضأت وصليت العشاء بعد منتصف الليل ونمت مرة اخرى. فاذا بشخص ايقظنى واخرجنى من موضعى الى صحن الزاوية . والفقراء كلهم نيام فيه . فوجدت ثلاث قصاع من الكسكس . وكلها مسنمة باللحم والخضر فايقظ ذلك الشخص فقيرين اخرين فشرعا ياكلان فى احدى القصع . وقال لى كل انت من هذه وحدك كما ياكل فقير اخر وحده من القصعة الثالثة . قال فلما شبعت تركت الطعام والاكلين. واستأنفت نومى . فقلت له : أفى النوم رأيت هذا أم فى اليقظة ؟ فقال : بل يقظة ولكنها كرامة . لان ذلك لم يقع فى عالم الواقع المحسوس . واخبرنى الوالد بمثل هذه الحكاية . قال : كنا فى موسم (تيغانيمين) زاوية سيدى ابرهيم بن على. فاكل الناس ما شاءت لهم أنفسهم

١) ذكر فى (منية المتطلعين) المطبوعة .

من أنواع الطعام . ولكنه لا ماء فى الزاوية . فبات الناس عطاشا . قال : فلما مضى طرف من الليل أتانى آت . وقال : أتريد ان تشرب . فقلت له : نعم . فقال : اتبعنى ، فاتبعته الى ما تحت القباب الذى تصب منه عين الزاوية . فاذا بالماء ينبع مثه كاحسن ما يكون . وهو ابيض من اللبن . قال فلما شربت تذكرت رفيقى فاتيت اليه من الماء . فايقظته فلما أخذ اناء الماء وهمّ بالشرب . فاذا بذلك الشخص أخذ الاناء من بين يديه نزعه منه وقال : ليس كل من قال عطشت يشرب . فبهتنا من هذا العمل . كاننا فى الحلم . فقلت لرفيقى (١) (الرجاء لى الله)هذا ما علىّ . واخبرنى الوالد ايضا : ان فقيرا أعطى رمكته للشيخ يركبها فى بعض سياحاته . فلما رجعت الرمكة الى ربها ولدت له مهرتين اثنتين متشابهتى الخلقة . وكلتاهما ذات غرة بيضاء. قال : فكان ذلك الفقير كلما أراد ايراد الرمكة من البير يطلق معها احدى المهرتين . ويمسك الاخرى فى الدار خوفا من افتراء السر . الى ان كبرتا فباعهما معا وبعد ذلك من كرامات الشيخ . لان ذلك غير معهود . واخبرنى ثقة اخبره الاشكر بن على بن مالك التنانى الوقوح . قال : قلت للشيخ : ان الاولياء يظهرون كرامات ليتبعهم الناس . وأنت يا سيدى الحاج على لم تظهر لنا شيئا . فقال له الشيـــخ : حسن ان شئت الكرامة فستراها . فذهب الاشكر الى بلده . فوجد أناسا يتشاجرون . فلما اقتتلوا اخذ يمشى بينهم لاجل أن يصطلحا . فأرسل احدهم حجرا فالتقى مع الاشكر عفوا فى فيه . فتساقطت أسنانه الامامية كلها . فتذكر ما أوعده به الشيخ من الكرامة . فعرف من اين أوتى فأتاب من وقاحته على الشيخ . ووجدت الوالد ذات يوم جالسا وحده . فسلمت عليه وقال : قال سيدى فلان لابنه : وجدتنى كما خرج عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له ابنه لعلك ايضا تهدى . فقال له الحق أقول لك . فقطنت لتلويحه الى انه هو الذى وقع له ذلك . واخبرنى رجل من (أكادير اداوسوار) يسمى عليا الشاطر . قال : كان والدك عند الفقيه سيدى الحسن من (ال احمد أوبهى) السيد الصوفى التقى النقى المشارط فى ذلك المكان . الى ان مات ١٣٥٢ هـ ـ وسيأتى ـ فدخلت جماعة يسلمون عليهما . الى أن سلم عليه بهى أوموزيل فصوّب طرفه اليه . فقال له : اجلس ، فجلس الزاء . فاخذ والدك بتلابيبه امام الجم الغفير من الناس . وقال له : لم أكلت كبشى يا فلان . فحير الناس من هذه التهمة التى يجهلون اصلها . والرجل ساكت لا يحير جوابا ، وهو

---

١) كلمة تقال عند الناس عادة عند العجز التام .

آخذ بتلابيبه . حتى بلغ منه الجهد . قال الفقير على : فلما رايت حرج الموقف تكلمت وقلت : دعه يا سيدى فان أكل شيئا . فانا اغرمه عنه . فقال بعد أن دحرجه بعيدا عنه : بل ندعه لله . قال : وفى ذلك اليوم بعينه جلس عند أناس يحرثون زرعا . فلما هم بالقيام أن ْ أتته . فقيل ما دهاك . فقال أحسست كأن شخصا ضربنى برصاصة على قلبى. ولم يمض عليه الا أيام ثلاثة حتى توفى رحمه الله . وأصل هذه التهمة أن غنما لبيهى بن يبهى وهو صهر المترجم . ضل منها كبش فظفر به ذلك المتهم ، فذبحه وأكله وقد ورد بقية الغنم كلها لربها . فلما سأله عن الكبش . قال انما ظفرت بما رأيت فقط . ولعله أكله الذئب ،فمضت على ذلك أيام بل شهور الى أن فضحه المترجم بين الناس. وأخبر أيضا الفقير على أنه حضر فى مجلس الوالد . فوقع شنئان بينه وبين شخص من الجبابرة كلمة سوء . فاخذ الوالد بتلابيبه فاستكان ذلك الجبار . وهو آخذه بيده النحيفة . حتى كادت روحه تزهق . قال : فهممت أيضا أنا بالانصراف . فاقعدنى بيده اليسرى . وقال : اجلس حتى ترى ما يفعل الله بهذا الظالم . فصار يقول له مكررا : لم تعرفنى . ولن تعرفنى . الى أن فكه الفقير على من يده . وهذه القوة الغريبة . شاهدها فيه جل الناس ، وهو اذ ذاك ينيف على التسعين من عمره . وقد اعطاه الله سلامة الحواس . حتى انه يرى الشىء قبل أن نراه نحن أبناءه . ولكن عيناه لاتخلوان من الاثمد المشتمل على سبعة عقاقير . وكان يطالع الكتب كثيرا . ولا يقتصر على نوع منها بل يطالع كل ما وجد كـ (الاحياء) و (حياة الحيوان) وكتاب (الرحمة) و (نعت البدايات) و (تسهيل المنافع) و « مكارم الاخلاق » و (المدخل) وغير ذلك . ووجدته فى بعض الايام يطالع كتاب (الاحياء) للغزالى . فقلت له : ما احسن هذا الكتاب فى باب السلوك . فقال : انما هؤلاء قطاع الطريق . فالطريق الى الله لايحتاج الى هذا التعب عند أهل هذا الزمان ، وقد أمليت عليه بعض الفقرات من كتاب (الفتح الربانى . فيما يختص بالمريد التجانى) ومرادى بذلك استثارته كى ينصدر منه شىء فى الموضوع . فقال لى وقد مد راحته : الدنيا كلها ههنا واشار الى راحته . ثم قال انما أردنا منكم أن تكونوا رجالا . واما ان اتبعتم مثل هذه الترهات التى تمتد من الاوراق فسوف ترون اذ انجلى الغبار افرس تحتكم أم حمار . ثم قال أتدرى ما وقع لسيدى سعيد التنانى . فى هذا الميدان مع سيدى الحاج الحسن الكزويى . قال لسيدى سعيد خذ عنى الورد ، فقال له سيدى سعيد : ان كنت شيخ التربية فسآخذ عنك. والا فلا أقنع بصلاة الفاتح فقط أتفيهق بها مع وحمان نيت مبارك وأمثاله . وهؤلاء ممن يذكرون الوظيفة

مع سيدى الحاج الحسن . فقال له سيدى الحاج الحسن : سابعث لك عن الشيخ المأذون له . وبعد أيام أرسله الى سيدى محمد الامغارى مقدم الطريقة الاحمدية فى (حاحة) فلما وصل سيدى سعيد اليه . قال له انى سائلك عن شيء ، ان كذبت على فيه فانى مؤاخذك به بين يدى الله عز وجل . فقال له : قل . فقال سيدى سعيد أسالك عن شيخ التربية ان كنته فلا تغشنى . وان لم تكنه فلا تكذبنى فانت وسيدى الحاج الحسن منزهان عندنا عن الكذب . فقال له سيدى محمد : ان الشيخ لا وجود له فى طريقتنا هذه بعد شيخها وانما نحن مقدمون لا غير . فان قنعت ببركة الاذكار فذاك . والا فانظر محلا اخر لاسيما عند هؤلاء السوسيين الدرقاويين . فانتى اشم منهم رائحة ما تفتش عنه . فقد نصحت لك لوجه الله فلا تبحث عن الشيخ الحى المأذون له بالتربية فى طريقتنا هذه سواء عندى أو عند غيرى . فرجع سيدى سعيد واخبر شيخه سيدى الحاج الحسن باخبر . ومكث على تلك الحالة ما شاء الله فاذا بالشيخ الحقيقى سيدى الحاج على ساح الى تلك النواحى فوصل (ايسقال) فلما صلى بالناس الظهر فى مدرسة (ايسقال) والمسجد غاص بالناس مد يده الكريمة ، وقال كل من اخذ يدى هذه فان الله بفضله ينجيه من كذا . وكان اول من قام فاخذ بيده الفقيه سيدى الحاج الحسن لحسن ظنه . ثم تتابع الناس على أخذها الى ان كان آخر من اخذ يده فى ذلك المجلس سيدى سعيد الثنانى . بعد أن قال له الشيخ هات يدك أيها السيد . ودع عثماك الوسواس . فانا هو ذلك الشيخ الذى تبحث عنه . فلما اخذ بيده الكريمة قال الشيخ لسيدى الحاج الحسن . قد علمت أن هذا تلميذك . وانك اول الناس به . والآن ها هو ذا بين يديك . فان ضمنت له ما يتطلبه من الوصول الى الله فذاك . والا فدعه لمن يحمل عنك اثقاله . فقال له الفقيه : سلاما سلاما يا سيدى . وبعد ما أخذ سيدى سعيد عن الشيخ شارط فى (تيديل) من قرى (ايداوتنان) فارسل اليه أستاذه سيدى الحاج الحسن بعض كتب الطريقة الاحمدية ، يسرده على من هنالك من الفقراء الاحمديون . وذات ليلة وسوست له نفسه بانه ربما كان عند هؤلاء ما يتطلبه دائما . لكثرة ما يراه فى الكتاب من الوعود . وفى الليل راى كان الشيخ سيدى الحاج قد بطل عليه من اعلى قصر عال وهو يتلاعب برجليه المتدليتين من اعلى القصر وسيدى سعيد فى الارض جالس اذا قبر الشيخ سيدى مولاى احمد رضى الله عنه فجعل الشيخ يقول له : قل لصاحب ذلك القبر ان يرقيك الى هنا الآن . فاستيقظ سيدى سعيد مذعورا . فاسرج القنديل وكتب الرؤيا . وفى الصباح جمع ما تيسر له من شرطه . فودع الجماعة . ولحق بالشيخ

الالفى بعد أن كتب الى المترجم رسالة يخبره فيها بجليـة الامر . ولحق بالشيخ فى (تاسيلا أوزاريف) او فى مكان اخر . وفـى تلك السياحـة وحدها رأى النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا مرة (١) . وذكر يوما آخر . قال : دخلت على سيدى الحاج الحسن العابد المنقطع النظير فى رقة القلب. فوجده يبكى بكاء مرا . وقد رد طرف ردائه على وجهـه . فسلمت عليـه . فقلت له : مالك ياسيدى . فقال : لماذا لا ابكى وقد انقطع عمرى من غير أن اتقى بالشيخ الحى الذى يوصلنى الى الله . فقلت له ها هو ذا الشيخ الحى موجود . فقال هيهات . فاتنا الركب . وربطنا انفسنا رباطا ابديا لانسفك منه وقد كان هو وسيدى محمد الامغارى من افاضل زمنهما رضى الله عنهمـا . وكان الوالد رضى الله تعلى عنه يقول: انا مجذوب فاذا تكلمت فلا تعارضونى فى أى أمر . وكان يقول فى اخريات ايامه : أنا ميت منذ زمـان . وانمـا هى روحى تخاطبكم . واخبرنى ايضا انه كان فى الزاوية (الالغية) والثلج يتساقط واسنان الفقراء تصطك من الزمهرير . فزار بعض أعيـان تلكم القبائل الشيخ . فاعتنى باكرامه أيما اعتناء . فما شئت من كرم ومذاكرة وفرح . قال : فجزت أمام الباب الذى فيه أولئك . فنادانى الفقير المكلف بهم أن ادخل الينا . وكل طعاما سخينا . فقلت له : انى مشفق من الشيخ أن يجدنى فى غير محلى بين الفقراء . فقال الفقير ان الشيخ دخل الدار . ولا يرجع الا بعد حين . فدخلت وشرعت آكل . فاذا بالشيخ خرج . وجلس على عتبة الباب خارجا ، فصار يخاطب أولئك القوم بكلامه الجهورى . ومن جملة ما قال لهم : انى رأيت الليلة فى المنام القائد عبد المالك المتوفى فى مجلس من الاولياء . فصاروا يعاتبونه ويقولون : فعلت فعلت . فوعدهم أن لايعود الى فعله أبدا . فقالوا له : لابد من ضامـن يضمنك . فالتفت يمينا وشمالا . فلم يجد من يضمنه . فضمنته أنا . ثم قال وقد وجه الىَّ الخطاب من وراء حجاب ، وأنا مختف عنه : ذكرنى يـا سيـدى الحسين أن أعطيك رسالة الى القائد . قال الوالد : وعند الوداع أعطانى الرسالة . وفيها تلك الرؤيا بعينها . وذهبت بها الى القائد . فقرأتها عليه . ففرح بها غاية الفرح وبقى القائد عبد المالك لا من يعكر عليه صفو المورد . حتى توفى ١٣٤٥ هـ فكان ما كان . وبمثل هذه الحكاية أخبرنى عـن القائـد ابرهيم الـدليمى الهشتوكى قال : ثار ثائر على مولاى سليمان العلوى فقام سيدى مَحمد

---

١) توجد هذه الحكاية حول سيدى سعيد كما سمعتها منه باذنى . وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين مرة . وقد مرت ترجمة سيدى سعيد بكل ما فيها .

ابن احمد الناساكاتي . فشن حربا شعواء على ذلك الثائر بمؤازرة جد القائد الدليمي . وهو القائد محمد . فلما خضدوا شوكته . واخمدوا جذوته قال سيدى محمد الناساكاتي : اللهم اجعل الدليمي وراء الدليمي حتى تقوم الساعة . فكان الامر كذلك الى ان كان سيدى محمد (ابو البيضات) وهو احد السبعة الذين اخذوا الطريقة عن سيدى احمد بن عبد الله المراكشي وهو من رجال التصريف . وهو خال سيدى الحسين المزادى المتجرد الشهير فانى بطائفة من الفقراء الى باب دار القائد ابرهيم . فذكروا الهيللة ما شاء الله فارسل اليهم رسولا يقول لهم: باذن القائد اذهبوا الى المسجد. فسترون ما قسم لكم من الرزق . فرده الفقير سيدى محمد قائلا : قل لسيدك قد عرفنا المسجد . ولو شئنا لذهبنا اليه . ولكن جئنك بهؤلاء الفقراء لتتبرك بهم . فرجع الرسول ، وقال لهم قولته الاولى . فذهب الفقراء الى المسجد . فلما قراوا الحزب قال الفقير سيدى محمد : اشهدوا ايها الاخوان انى برىء من ذمة هذا القائد منذ اليوم . فانا هو المكلف دائما بحراسته والذود عنه . عند اهل الديوان . واليوم اذ فعل ما فعل فانتم شهداء باننى براء من ذمته . قال : ولم تمض أيام قلائل حتى تجمعت جموع (هشتوكة) فاجلوا الدليمي وخربوا داره فتشتت شمله . رغم دعوة سيدى محمد الناساكاتي لدارهم بدوام الرياسة حتى تقوم الساعة (١) . قال الوالد : وسيدى محمد (ابو البيضات) هذا هو الذى برح على السلطان مولاى الحسن أن لايبقى فى بلاد (اداوتنان) اكثر من ثلاث ليال . وذلك أن مولاى الحسن اتى التنانيين بجيش جرار . فيه احد وسبعين الف جندى . فلما نزل فى المحل الذى يسمى (تيقى) أرسل أهل الديوان سيدى محمدا ليأمره ان لا يمكث اكثر من الضيافة السنية . وفى اليوم الرابع احتوشته النار ليلا من كل جانب . الا الجانب الشمالى : الناحية التى سلكها . ولم تفتر عليه النار حتى خرج من تلك الارض . هذا ما حدث به جمهور التنانيين والله أعلم . قال الوالد : لما نزل السلطان مولاى الحسن فى (تيقى) اخبرت أن موقته كان فقيها . اصرت افتش عنه حتى وجدته . فلما رآنى تلقانى بكل سرور . وقال : لبلغوا بهذه التميرات فان ما معنا من الزاد قد نفد . لان العادة ان لا اكل الا

---

١) الثائر الذى قاومه الناساكاتى هو بوحلاس سنة ١٢٠٧ هـ وقد عرفنا الرياسة من ءال الدليمى كانت ابتدأت من ذلك الوقت والسلطان الذى كان عهده مبتدئا اذ ذاك هو مولاى سليمان العلوى ١٢٠٧ هـ = ١٢٣٨ هـ وقد رجع القائد ابرهيم الى داره بعدما خربت مرارا الى أن توفى ١٢٠٧ هـ وقد ذكر الدليميون هؤلاء فى (الرابع عشر)

مما ياكله السلطان . والسلطان قد طوى منذ الامس . ولم يذق ذواقا ، قال الوالد : فقلت لهم أنتم هكذا جياع . والخير ينهال عليكم من كل جانب . وقال ان السلطان لا ياكل الا مما ياتيه من داره ليلا يقع فى اكل الحرام . قال الوالد : فوعدته بالرجوع غدا . وفى الغد هيأت طعاما وأتيته به . فاذا بهم قد ارتحلوا مع طلوع الفجر . وأخبرنى أيضا أن الشيخ مر يوما بـ(اكادير ايداوسوار) ففرحوا به واخذوا عنه الورد . فلما رجع وجد سيدى الحاج الحسن الايسقالى، قلبهم راسا على عقب . بان طوقهم الطريقة الاحمدية ونبذوا الطريقة الالغية . الا القليل منهم . فلما نزل الشيخ بهم فرحوا به كعادتهم . واتوا بطعام كبير . لان رئيسهم كان فقيرا مجدا . فلما رأى الشيخ اجتماعهم ، قال لهم : اجلسوا للطعام سبعة سبعة . فجلس كل من هنالك. ولم يبق احد منهم . فكان ذلك اعجوبة عند الحاضرين لان القوم كثيرون . ولا يمكن للشيخ أن يعدهم فى تلك اللحظة . فلما أكل القوم صار الشيخ يؤنبهم على أن فرطوا فى العهد الذى عاهدهم عليه . وقال لهم ماذا قال لكم الذى أعطى لكم الورد بعدى . فقالوا بلسان واحد : قال لنا الشيخ هو سيدى مولاى أحمد . وانما انا واسطة . فقال : الله يرضى عنه لقد صدقكم . وأهل الصدق هو ، فلا حجة لكم عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . فاول لكم ايها القوم أول كذبتمونى أنا القائل لكم أنا هو الشيخ بعينى باذن الله ورسوله . وتمسكتم بمن يدلكم على غيره . ثم قال رضى الله عنه : أتعرفون المشايخ الكبار : سيدى أحمد بن موسى . ومولاى عبد القادر . وسيدى ابرهيم بن على وسيدى محمد بن يعقوب . وسيدى أحمد التيجانى واضرابهم . فقد أعطاهم الله فى أزمانهم ما أعطانا فى زماننا . والسر الذى يضعه الله فى كل زمان يجعله فى أهل ذلك الزمان نفسه . فمن لم يعرف ربه من أهل زمانه . لايعرفه أبدا . فالاذكار اذكار كيفما كانت . ولكن السر فى ملاقاة الرجال فى كلام كثير هذا معناه (١) . واخبرنى أيضا قال : جلس الشيخ رضى الله عنه للمذاكرة فيما بين العشائين كالعادة . فلما فتح الكتاب ، شرع يئن ويتنهد . ويقول عفوك اللهم يارب ان لم ترحمنا فمن يرحمنا . وان لم تعف عنا فمن يعفو عنا . وان عذبتنا فلا قدرة لنا على عذابك . وما زال يتضرع الى أن أذنت العشاء . حتى أشفق الفقراء مما يحدث ولكن الله سلم . وقد كان الشيخ يكثر التضرع الى الله كلما توجس مخوفا .

---

١) نأتى نحن بأمثال هذه المجاذبات بين الطرقيين الصادقين لنصور حالة المجتمع بينهم اذ ذاك . ونحن نسلم المجميع . ولا نحب التفرقة بين المسلمين لابالمذاهب ولا بالطرق. فضلا عن هذه الاحزاب التى هى من بقايا الاستعمار

واخبرنى ان سيدى سعيدا التنانى اخذ قملة كبيرة من مرقعته اثناء مذاكرة للشيخ فتحير فى امرها ان قتلها فجلدها نجس وان اطلقها قلا تسمح نفسه بذلك . وبينما هو كذلك اذ بالشيخ يقول : مع من تتكلم الآن انما نخاطب القمل فلما عرف سيدى سعيد ان الخطاب موجه اليه أطلق القملة فى مرقعته . فاقبل على الشيخ .

وحكى ان سيدى سعيدا سأل بقلبه الشيخ فى مجلس عن قوله تعلى: (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) الآية. فاجابه الشيخ بقوله: لايستوى من يفتح له بالمجاهدة مع غيره . كما لايستوى الفقير الذى يقول لا اتبع الشيخ حتى ارى منه كرامة او مكاشفة .مع من يقتدى بالشيخ من غير ان يرى منه شيئا . فان مقام الثانى اعلى من مقام الاول (وكلا وعد الله الحسنى) هذا ما قاله الشيخ بالمعنى باختصار- وقد تقدم ذلك فى ترجمته -

واخبرنى سيدى حمّاد قال : ارسل الىّ معفقيرسيدى سعيد التنانى من (اودجو) لنرافقه الى (ازيار) لنكون ثلاثة . ونفوز بفضل الجماعة . وقال : لانخبرسيدى الحسين اننى هنا . فانك ان أخبرته فسيعوقنا بثقله (١) والوقت اعجل من ذلك . قال: فاخبرت سيدى محمدا البوكودوينى بالخبر. فحار ، فلما هممت بالرجوع اذا بسيدى الحسين يخرج من داره وفى يده عكازته متهيئا للسفر . فلما رآنى ضحك وقال : اهنالك سيدى محمد اوبيهى . فقلت نعم . فقال : قل له يصحب معه عكازته حينه . فلما خرج سيدى محمد أوبيهى وسرنا فى الطريق التفت الىّ وقال : ما تقول فيمن يخاطبه الله ؟ فسيدى سعيد ممن يخاطبهم الله . قال : ولما دخلنا على سيدى سعيد ، فرح بنا ولم يقل له سيدى الحسين عن ذلك . بل بتنا الى الصباح. وسرنا نحو (ازيار) فلما كنا فى اثناء الطريق وسيدى سعيد راكب على بغلة ، ونحن مشاة . قال لنا سيدى الحسين : قولوا لسيدى سعيد يعلمكم شيئا تستعينون به على نوائب الزمان . فلما لحقنا سيدى سعيدا . قال له سيدى الحسين ما قال لنا . فانتفع لون سيدى سعيد . وقال : اتريد ان نفعل بهم ايضا كما فعلنا بالفقير محمد أوجدى . فانه منذ غمرته الدنيا ما رئى فى مجلس الذكر بعد . وهؤلاء انما خلقوا للمجالس . ثم انصرف عنا . ولم يتكلم مع واحد منا بعد . قال : ومراده ان يدافع عن بعض اخوانه ظاهرا . والا فان همته لا تتعلق بسعة الرزق لنا ولا لغيرنا . رحم الله الجميع

واخبرنى سيدى حايدو قال : حضرت فى محل يسمى (ايمى‌اوكلى)

---

١) كان المترجم أثقل الناس فى اموره كلها .

عند الصخرة التى عند دار سيدى الحسين بن العربى . وكان هنالك سيدى محمد بن حمو . وسيدى مبارك ازكوك . وسيدى الحسين والدك . فقال سيدى مبارك ازكوك لسيدى محمد بن حمو : قم وبرح . فقال لهم سيدى الحسين : لا لاتفعلو . فاصروا على قولهم حتى ساعدهم سيدى الحسين . فقام سيدى محمد بن حمو . وبرح بصوت منخفض بأن اهل الله يقولون : لاحكم لـ (متوكة) على (ايداوزيكى) بعد هذا اليوم . قال : ولم تمض الا شهور . حتى رفع الله (متوكة) عن (ايداوزيكى) وكفاهم شرهم . بعدما كانوا يلاقون من مغارمهم وكلفهم ما لايكاد يطاق .

واخبرنى سيدى عبد الله (وابيبا) التنانى قال : رايت الشيخ فى المنام ، وقال : قل لسيدى محمد بن حمو يدفن مولاى الحسن التنانى وهو دبلماسى التنانيين بينهم وبين القائد عبد الملك وغيره من قواد تلك النواحى وطا عليه برجليك أنت ، قال : فوجدت سيدى محمد بن حمو هو وسيدى الحسن افكور جالسين تحت شجرة ارگان ، فقلت له : يقول لك الشيخ كذا وكذا فقام من حينه ، وأخذ عودا فدفنه ؛ وقال طا عليه . فلما فعلنا ذلك أخبرنا سيدى الحسين الخبر . فلم تمض الا أيام حتى أصيب مولاى الحسن بحصى المثانة . فصار يستغيث ولا يغاث . حتى عافه أقاربه . حتى أكل منه الدود وهو حى فمات . ومولاى الحسن هذا ممن كان يحرض القائد على اجلاء المترجم عن الزاوية ، فى (بوكودوين) ولقد رايته أنا بعينى حين أصيب بما أصيب به يستحرم بالوالد ولات حين مناص .

واخبرنى سيدى الحسن (افكور) أيضا أنه راى الشيخ مناما فى عرصات القيامة . والناس من ورائه صفوف . فقال الشيخ للراءى : أخرج هذا أخرج هذا . فصرت اخرجهم من الصف ، الى أن وصلت الاعرابى من سكان (أكاديرايداوسوار) فقال لى بالله عليك يا سيدى الحسن دعنى حتى أصلى صلاة واحدة خلف الشيخ. قال فاستحييت منه وتركته . فالتفت الى الشيخ وقال ادفع يا بهيمة بهيمة أخرى . فدفعته حتى اخرجته من بين الصفوف وقال الشيخ خرج من صفنا فى الدنيا . وارادنا فى الآخرة . قال الوالد : لانه نقض عهد الشيخ من الناقضين له هناك .

واخبرنى سيدى عبد السميع بن محمد التيغانيمينى . قال : كنت فى موسم (أسيف بيكّ) عند سيدى محمد باجو . وهناك بعض المنكرين على الفقراء من أهل (تازانتوت) فقالوا لعبد اذهب الى هؤلاء الفقراء وانهق كما ينهقون . وكان العبد من الصادقين . فلما سمع منهم ذلك دخل مجلس الفقراء . وهم جلوس ، وهو قائم فصار يقول (الله) (الله) باعلى صوته . فلما

رأى منه سيدى الحسين ما رأى من امارات الجذب . قام وقام الفقراء وحلقوا حول ذلك العبد . وبينما هم كذلك . اذ بالعبد استل خنجرا تحت ابطه . وشرع يضرب به راسه حتى جرحه جروحا لخيتة . فلطخ جل من حوله بالدم . وكذلك الحصر . فانتزع منه فقير ذلك الخنجر والعبد فى حالة الجذب فلما خبت ناره وتاب الى وقاره . جلسوا واخذ سيدى الحسين يعاتب من نزع منه الخنجر . قائلا : من امرك بما فعلت . فاتى بعض الفقراء بماء ليغسل الدم . من الحصر ، فزجره ايضا . فبات الفقراء بين مسلم ومنكر . فلما اصبح الصباح تفقدوا ذلك الدم ، فلم يجدوا له اثرا لا فى ثيابهم ولا فى الحصر . ولا وجدوا جرحا فى ذلك العبد المجذوب . فكان ذلك كرامة للفقراء امام اولئك المنكرين . ووجدت بخط الوالد ما نصه :

(رأى بعضهم سيدنا جبريل فى المنام . فقال له أنا جبريل . الم اقل لوله تعلى : «يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع اجر المومنين» الى » و اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن » الم اقل «ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » الم اقل « آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث » ثم قال مالك ضيقت على نفسك بما لا تعلم . فالقلاء والرخاء لله . وهو مخلص الفلاء والرخاء . فارح نفسك ، فالامر لله . قيدت هذه الرؤيا سنة ١٣٦٣ هـ) انتهى من خطه مباشرة .

فوقعت المجاعة سنة ١٣٦٥ هـ وجلست عنده ايضا مع بعض الناس . فقال ما هذا الشهر فقلت له أكتوبر . فصار يعد الشهور الى ابريل . فقال اعاننا الله . ما ابعد العفو . فدهش القوم الجالسون . ثم قال : عجل الله بالجراد لينعش الناس ، ولم تمض الا أيام حتى جاء الجراد . فعاش الناس فيه حتى انكشفت الغمة . وقال لى أيضا سنة ١٣٦٠ هـ ان هنا رجلين يخاطبهما سيدنا جبريل عليه السلام . ولم يسمهما لى تسترا .

واخبرنى سيدى محمد (بوكودوين) الفقير المتجرد (١) قال : سكنا فى بلاد (متوكة) وكان معنا فقير مجنون . فلما اعتراه حالة الجنونى . نفر الناس منه الا أنا . فانه ضبطنى . وقال : مكانك . فصرت الاطفه الى ان قال : انا من الجن المومنين . وانا من فقراء سيدى الحاج على . ومسكنى فى (لم تاقاندوت) فى (حاحة) فقلت له ان كان الامر كما تزعم . فلم تعذب اخال الفقير هذا . وهو مسلم فقير مثلك . فهذا لايجوز شرعا . فلم استتم كلامى ، الا والعارض قد انصرف . فعلم من هذا ان لسيدنا الشيخ رضى الله عنه مريدين من الانس ومن الجن . وقد كنت ذكرت له يوما ان (فلانا) يجمع الفقراء المتجردين فى كتاب . فقال انه يجمع المتجردين من الانس .

١) مذكور فى (منية المتطلعين)

ومن اين له المتجردون من فقراء الشيخ من الجن . وهم اكثر واكثر . واخبرنى الوالد ايضا عن سيدى الحسن افكثور . قال : رايت الشيخ بعد وفاته فى المنام وهو يعاتب سيدى محمد بن مسعود المعدرى على تصدره للتربية امام أولاده (١) فقال له : أنت بنفسك ياسيدى محمد تقدر ان تربى امام أولادى . والحاصل لا يليق بفقير يخوض فيما لا يعنيه الا الموت . قال : وبعد أيام نعى الينا سيدى محمد بن مسعود رحمه الله . وكان الوالد فى آخر عمره كثيرا ما يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم . بهذه الصلاة : (اللهم صل على سيدنا محمد النور الذاتى . والسر السارى فى سائر الاسماء والصفات) فقال : رايت فى منامى ، من قال لى زد عليها (وعلى آله وصحبه وسلم) ومما رأيته من مكاشفاته أن أخى عبد السلام أتى بقنفذ من بعض أسفاره لناكله صبية اصيبت بمرض الغيلة فوضعه فى محل ريثما يتفرغ لذبحه . ففر ذلك القنفذ . فبحثنا عنه حتى ايسنا منه . فقال الوالد انظروا الكوة الفلانية . فى البيت الاسفل فان فيها القنفذ . فذهبنا فاذا بالقنفذ فى ركن مظلم . فى الكوة الموصوفة . فعلمت أن هذه مكاشفة منه رضى الله عنه لانه لايمكن عادة أن يعرف أنه هناك . وتعشينا ذات يوم وقال عجل الله بقالبين من السكر غدا . وفى الصباح الباكر ذهبت الى المسجد . فالتقيت بمن حملهما على ظهره . فتذكرت دعوة الامس . وما رأيته طلب رزقا قبل ذلك اليوم ولا بعده . أما من الناس فقد اعرض عنهم اعراضا كليا ، فما طلب من أحد شيئا قط . ولو برسالة أو رسول . وما رأيت أحدا ثبتت قدمه فى التوكل مثله . ولا من قهر نفسه مثله . وكثيرا ما كان يذهل عن بعض أبنائه . حتى دخلت صبية ذات يوم ، فقال من هذه ؟ فقلت له اختى فلانة . فصار يمعن فيها النظر . كأنه لم يرها من قبل . وتكرر ذلك منه مرارا . وقرب وفاته رحمه الله زارته الاخت التى كانت حينذاك فى (بوسكرى) فلما أراد وداعها . صارت تبكى . فقال لزوجها ما لهذه . انما تبكى لضغط وقع عليها . ولم يعلم أحد أن هنالك ضغطا . فلما خرجت قال لها : أراحنا الله . فلم تلبث أن توفيت فى ريعان شبابها . فاتضح لنا ذلك الضغط الكائن بعد وفاتها رحمها الله . وقرب وفاته بقليل كانت أحوال من الجذب تعتريه فلا يطاق . حتى ان من لم يعرف أحواله يظن أنه يتجاهل عليه . قلت له فى مرضه الذى توفى فيه : مات فلان . فقال : ليمت من شاء . ليت شعرى متى أقطع هذه العقبة لنحظى بلقاء الاحباب الذين تقدمونا . فقد اشتقنا اليهم . واشتاقوا الينا وهنالك نجد الشيخ والاقطاب والاحباب . فماذا نصنع بعد فى هذه الدنيا . ولم نلبث ان توفى رحمه

١) كأنه يعنى بأولاده أصحابه الكبار .

الله . وفي مرضه أوصاني قال : هذه أمانة الله في يدك ، فعليك بالفقراء فهم اخوانك وأبناء جنسك . ولا تخالف الخليفة ابن الشيخ . ولا تفضل عنه احدا فانه هو بلا ريب يعتريك . وابناء الشيخ كلهم في الخير سواء . فاذا قضى الله بما شاء فادفنوني في هذا التابوت في المحل الفلاني . وابنوا من حولي براحا يسع الفقراء . وعليك بامك واخواتك . فان نصف الخير فزت به . واياك ان يفوتك النصف الآخر . ولا تنازع اخاك عبد السلام على الدنيا . فانت تاخذ من عند الله واخوك المختار ان اخذ من كل شيء طرفا فضمه اليك . الى غير ذلك من الوصايا . فقلت له اني خائف ممن آنا في وسطهم . فاخذ بلحيتي حتى ظننت انه ينتفها . فقال: أضعك في الثريا . وانت تسف الى الثرى . فسكت ، ثم قال : أذكروا الله وتأدبوا . فان الملائكة معكم في المجلس . ومات ريّان . فاذ صببنا الماء في فمه يشير أن لا تفعلوا . وتوفي سحر يوم الاربعاء سابع عشر صفر ١٣٦٥ هـ رحمه الله ورضي عنه) انتهى ماقتبسناه من الكتاب. وليسامحنا القارىء الذي لايعرف من احوال الصوفية شيئا . فاننا مؤرخون نذكر الاحوال كما هي بلا تزويق فان كان بعض القراء لايعجبهم هذا . فان هناك من الصوفية من لايعجبهم الا هذا . ومن المؤرخين من يستفيدون الحالة الاجتماعية من هذا وامثاله .

ذيل من جامع الكتاب

رأى القارىء ما كنت اقتبسته قبل اليوم مما كتبه عن المترجم ولده الفقيه القاضي سيدي عبد الحميد . وقد غلب عليه لسان الفقراء . فاعتنى بهذه الناحية التي قراها المطالع . وحين نعلم أن الكتاب في التاريخ كالمائدة المفروشة بالوان من الاطعمة . أغضينا حتى سقنا كل ما ذكره ـ باختصار أحيانا ـ وان كنت أنا أتنكب الاكثار من ذكر مثل هذه الاحوال في هذا الكتاب . لا لان أمثال هذه الاحوال يزهد المؤرخ فيها . بل لاننى أريد ان أتنازل عند أذواق أناس ضاقت حواصلهم . وتدلت مداركهم . وفهموا من الحياة فهما أضيق من الخيالة في عين المحبول . والا فمن ينكر ان الواجب على المؤرخ أن يذكر كل شيء كما هو ليصح ان التاريخ كالمصورة التي تأخذ جميع الالوان والمقاييس كما هي . فيجد كل باحث طلبته . باحث في الاجتماعيات وباحث في العقليات وباحث في الماديات وباحث في الروحيات فمتى كانت أطوار الامم تخلو من كل ما يتطلبه هؤلاء الباحثون على اختلاف مبادين بحوثهم . وسنجات موازينهم . ومقاييس انظارهم . فخير المؤرخين من لايعمل لافساد التاريخ بزخرفته وتنقيته عما هو فيه . حتى يسوقه حسب شهوته . ولهذا يرانا القارىء نحرص على ان نسوق عن هؤلاء الرجال

كل ما عسى أن يحوم بهم . وان كنا نحن نقتصر فى ذلك على ما يصور حياتهم من غير اكثار . ثم اذا دفعنا الى مثل هذا السيد الذى ترجم اباه كما هو . فأكثر مما أكثر منه . فان صدورنا لذلك ـ والحمد لله ـ رحبة الجوانب . وانظارنا بعيدة المدى لاننا نعرف ما للارواح والمهتمين بها من عجائب لايزال يعجز العلم المادى عن ادراك كنهها . فنفسح المجال لكل ما يقال . ثم ذلك لا يهيمن لا على الشريعة الاسلامية . ولا على التصوف النقى وهما عندنا وعند كل من يلم بالسلفية معروفان حق المعرفة . فان السلفى من يعرف الرجال بالحق لا من يعرف الحق بالرجال .

اخبار اخرى عن المترجم

كنت أعرف هذا السيد الجليل من صغرى . فقد كان ـ على علو شانه ـ خاملا لايظهر بين الطائفة التى يقدمها الى (الغ) فى المواسم الالفية وفى غيرها . فقد كان صموتا مطرق الرأس دائما. ولايفارق سلهامه وكيسه الذى يتقلد به . وفيه بعض شذوذ اجتماعى فمثلا لايشرب الاتاى الا من كؤوس غسلت أمامه فلا يقبلها مغسولة وراءه . وكذلك النعنع لابد أن يشاهده حتى يغسل تحت بصره . وقد حضر يوما فى دار انسان من الاغنياء عنده خادم أسود ـ حرطانى ـ فرآه يقلب قميصه الذى يلى جلده فمسح به الكؤوس . والوقت وقت صيف . والعرق من الاسود يسيل وصنان الاسود معلوم كيف يكون فى وقت الحرارة . فمال على جليسه فقال له : أرأيت بعض أعدائى حين اقترح غسل الكؤوس أمامى . كما أنه رأى مرة فى دار الرئيس التاماغيتى قطا يتحك بالنعنع فى مستنبته . ثم قطع منه للاتاى . فاراد الحاضرون ان يستعملوه بلا غسل . فنبههم لما رأى . وكان يأتى الى (الغ) دائما على رجليه . وان كانت معه بهيمة . فلم يمل الى الركوب حتى أسن كثيرا وقارب التسعين . وقد أثر عنه من المغيبات ما ليس ما ذكره ولده عنه الا كحبة رمل از، كثيب . حتى ان هناك من الحجاج من قالوا انهم رأوه باعينهم يطوف بالكعبة . شاهدوه مشاهدة لايشكون فيها . كما أنه كان يحول بين الحافرين للكنوز وبين أعمالهم . فلا يدعهم يستخرجونها . ويذكر أنه يقف على احدهم من الغيب متى عزم على حفر لذلك . وقد كان يصاحب دائما سيدى محمد بن حمو . وسيدى على الايكردانى من احفاد الشيخ سيدى ابرهيم بن على . وسيدى أحمد بن مسعود الزيكى ونظراءهم. فلايخالفون له أمرا . وكذلك ربى بعض رجال فكانوا أفذاذا كسيدى محمد ابن يبهى ، وسيدى حماد بو عيدة . وقد لاقيا من تربيته عرق القربة . لانه لايحب الا الجلال والاقلال وضيق المعيشة . على عكس سيدى سعيد

التنانى صاحب الجمال والتوسعة . قال سيدى محمد بن بيهى : ما شبعت قط الطعام أنا وأهلى حين اقتدينا بسيدى الحسين . ثم لما تملصنا من قبضته استطعنا أن نعيش . وكان عجبا فى الثقل فى كل اعماله . وقد قال فيه الشيخ يوما : حاولنا ما حاولنا ان ننقله عن ذلك الحال . ولكن لم نقدر على نقله عنه . وقد حكى سيدى محمد بن عبد الله الزيكى أنه كان يصاحبه ويقتدى به حينا . فكان فى عنت شديد . وفى الطبع بالثقل عدوى منه . حتى اذا جلس يوما هو وسيدى سعيد . وهم يشربون الاتاى . فمد سيدى الحسين الكاس الى الحاكى ليشربها من يده . فاذا بسيدى سعيد مد اليه ايضا كاسه . قائلا بل كاسى هى التى سيشربها سيدى محمد بن عبد الله . قال : فلم اكد اشرب كأس سيدى سعيد حتى أحسست بأن زمام قلبى تحول من يد سيدى الحسين الى يد سيدى سعيد . فكان ذلك أول ما وسع الله به علىّ . فانفتحت سيدى سعيدا أمامى . فوجدت الفرج والسعة فى الرزق وفى الاعمال . وفى كل شىء . وكلا الرجلين مفتوح عليه . الا أن سيدى الحسين مفتوح عليه فى الجلال ، وسيدى سعيدا فى الجمال . وقد قال القوم لايربى الشيخ الا فى المقام الذى فتح عليه فيه .

بينه و بين سيدي سعيد التنانى

لم يكن يرى لاحد بعد الشيخ مكانة كبرى كما يراها لسيدى سعيد فكان يقتدى به دائما . ويرد عليه بطائفته يوم نزل فى (أزيار) ولا يبطىء عنه وكان يقول لايجوز لنا أن نعقد شيئا ولا أن نحله الا اذا شاورنا سيدى سعيدا . فكان هذا دأبه معه دائما حتى توفى سيدى سعيد ١٣٤٣ هـ فبقى يرد على (أزيار) فى الموسم الذى يقيمه الاخ سيدى عيلا على مشهد سيدى سعيد . وقد صاحبه أيضا هذا الاخ حتى ورث منه الثقل فى الاعمال . ولعله ورث منه ايضا أسرارا فى القلوب والله أعلم .

بينى وبينه

كان المترجم يراعينا نحن أولاد شيخه مراعاة عظيمة ـ كما كان عليه غالب اصحاب الشيخ ـ وقد مررت به مرة فى قرية (تامكلونسى) فى الوقت الذى نفى فيه اليها . ثم صار يرد علىّ بـ (مراكش) بطائفته . يأتى من بلده الينا . ولا يقصد الا الزيارة حسن ظن منه . وقد كان الحق بنا ولده سيدى عبد الحميد ـ هذا الذى كتب ترجمته ـ فكان يتعهدنى بالتوجيه . وبالنصائح . فاعده من جملة اشياخى فى طريق القوم . وقد كان يعتنى بى اعتناء خاصا منه لازمت محبته . وكثيرا ما يقول للفقراء (ايداوزيكى) !

زوروا . زوروا . زوروا فلانا ما دمتم تجدون منه فراغا لكم ايها الفقراء ، فسياتي يوم لاتجدون منه حظكم ـ كانه يشير الى ما نحن فيه الآن ـ وفي اخر مرة زارنا في (مراكش) سنة ١٣٥٥ هـ وأراد أن يذهب بولده سيدي عبد الحميد لينقطع نهائيا عن الدراسة . وهو اذ ذاك كما تفتحت قريحته وفهمه . فراجعته ، فصمم على ما اراد . وليس لي الا أن اطيعه مرغما . فطلبت منه اجلا ما ، فقبل ذلك . ولم اكن ادرى انه يريد أن يذهب بولده قبل أن يذهب بي انا ايضا يوم النفي . لان النفي جاء عن قريب . وقد كنت اذ ذاك اخذت عنه اذكارا نفعني الله بها . كما اخذت مثلها عن سيدي مولود وسيدي محمد بن عبد الله الزيكي . وسيدي ابرهيم البصير . وسيدي سعيد التنائي . رضي الله عن الجميع . فهؤلاء اشياخي في اذكار القوم .

ثم لما نفيت ونفي هو ايضا جمعتنا هذه الصفة . فانقطع عن (الـــخ) اعواما . الى أن سامحته الحكومة بعد سنين . فكان اخر موسم ورد فيه الى (الخ) موسم ١٣٦٤ هـ فدخل عليّ وانا في داري هناك في وقت هاجرة . وهو شيخ مسن اناف على التسعين . فقال : ألا تزال على العهد . فقلت له : نعم ، فقال : انني اشترط عليك شرطا اليوم . فلو أن قنبرة تفرقعت حول لما كنت دون ما احس به في باطني . وذلك أنني اذ ذاك على وشك الخروج من (الخ) لارجع نهائيا الى (مراكش) وكان ذلك حينئذ أقصى منى وقد كان الفقراء السنّدَج ، لايحبون أن اغادر زاويتهم . لانهم يزعمون انني انفعهم فيها . فقد ظهرت عمارتها منذ كنت فيها من ١٣٥٦ هـ . فقد امتلات بصلاة الصف وبمجالس الذكر . وبقراءة اولادنا القرءان وبالصادر والوارد ـ مع أن عمارتها بالاخ الكبير سيدي محمد ـ فسبق الى ذهني لما سمعت من المترجم انه يشترط على أنه ايضا سيشترط على أن أبقى هناك . ففاضت مشادة بين عاطفتي وبين ما ارجو أن اناله من هذا الشيخ الصالح . فاذا بهذا الرجاء قد غلب عليّ . فقلت في نفسي : والله لأقبلن شرطه كيفما كان . وان كان البقاء هنا في (الخ) فليكن ما يكون . فاذا به قال لي : قم معي . واجعل في يدك شيئا تقدمه بين يديك . وسر امامي . ففعلت ولا ادرى الى اين يريد بي . ووضعت في يدي نعلا جديدة صادفها الحال ازاءي . فذهب بي . والزاوية مكتظة بالفقراء . حتى دخل بي على الاخ الكبير سيدي محمد . فاجلسني بين يديه . فقال لي مد اليه يدك ، فوضع يدي في يده . فقال انكما منذ الآن يد واحدة . ثم امرني أن أتعهد باتباعه . ففعلت كل ما قال لي . ثم قال : ان هذا ما فعلته الا باذن من الشيخ والدكم رحمه الله . فلما قام تبسم لي الاخ فقال : لعل سيدي الحسين يظن أننا لسنا على حالة واحدة . قال ذلك . لان

ما بيني أنا وبين هذا الاخ ملتحم غاية الالتحام . ثم علمت ان هذا فعله ايضا بالاخ سيدى عبلا . والاخ الحبيب . هذا ما جرينى به المترجم فالحمد لله الذى وفقنى حتى اسلست له القيادة . فاذا بشرطه سهل علىّ . بل موافق لعواطفى (اذا وافق الحق الهوى فهو الزُبد بالشرْسبيان) (١) ثم فى اليوم الذى يفارق فيه الفقراء يوم الاربعاء . ذهبت لأودعه . وهو راكب فى السيارة ، وراءه ولده سيدى عبد الحميد . فقلت له : انظر فى ولدك هذا . فلم يزد على ان تلا قوله تعلى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) فحين سمعت الآية خلج فى صدرى أن هذا هو الفراق معه . فكان الامر كذلك . فانه لم يمض الا قليل . فوصلنا نعيه رحمه الله .

من رسائل الشيخ اليه

بين يدى الآن مجموعة الرسائل التى كتبها الشيخ بيده . فارسلها الى المترجم والى من معه . وقد يذكره فيها نصا . وربما لايذكره ، ناتى منها بالبعض أو بالنتف او بما يروق . من غير ان نستوفيها .

منهـــا :

(الى جميع احبابنا فى الله (عال تنانة) كبيرا وصغيرا . ذكورا واناثا عبيدا واحرارا . سلام الله ورحمته وبركاته عليكم . (وبعد) فلا باس والله الحمد . ونرجو من الله أن تكونوا كذلك . ونوصيكم بما نوصى به انفسنا من الوقوف على حدود الله تعلى . والتشمير عن ساق الجد والعزم . والحزم والجزم فى طريق الله تعلى . فان الله ينظر الى قلوب عباده . فمن كان ذا همة عالية . يرقيه الى المراتب العليا . ظاهرا وباطنا . ومن لا فلا ، فلا تتوانوا ولا تكاسلوا عن ذكر الله ومحبته . فان صاحب الكسل . لايذوق العسل . وكما يدين الفتى يدان (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) والخير كله فى الصدق لافى الكذب . فالصادق هو الذى يقف عند حدود الله . ويسارع الى الخيرات وأما الكاذب فهو الذى يتاخر ولا يتقدم فيما يحبه الله ورسوله . قواكم الله وهداكم الى الخير امين)

ومنهـــا

(وعليكم السلام يا سيدى الحسين . فلا تخف الا من الله . وثق بالله . فلا ترحل ولا تهرب ولا تخف . فالسلطان ظل الله فى أرضه . يأوى اليه الضعيف والقوى . ولا تجوز السكنى الا فى مكـــان فيـــه السلطـــان . واذكروا الله واعمروا به أوقاتكم)

١) الفرسيان بكسر النون والسين : نوع جيد من التمر .

ومنهـا

(« وبعد » فقد وصل الخبر بما فعلت القدرة الالهية فى (بوكودوين) فلا تتعرض على القدرة فى نفسك ولا فى غيرك . واصبر . فذاك مما يدل على معرفة الله . فان لم يتيسر السكون فانتقل الى عند سيدى الحسين بن يبهى. فمكانه قريب . وهو اسهل واحسن من بلدكم لقرب الفقراء فى كل مكان)

ومنها ـ وهى تدل على اعتنائه بحاجات اصحابه ـ :

(وقد وصل سيدى سعيد ومن معه من الفقراء . وسيدى الحاج محمد من (فجة الحجاج) أخبرنى بان امة وثلاثة من اولادها ذهبوا عنه . وظهروا عند المقدم الحسين من (متوكة) وطلب منا ان نكتب له فى ذلك . فها نحن أولاء كتبنا للقائد ولخليفته وللسيد المحجوب فى (ايداوزيكى) ليقف كل واحد معه فى رد عبيده ان شاء الله . وانت توصل برجلك الرسالة الى الخليفة ـ المقدم الحسين ـ واخرى للقائد . ان جاء من (مراكش) فان لم يجيء فاعطها لسيدى محمد بن مسعود . يوصله له متى جاء . واخرى لسيدى المحجوب. وليرد كل واحد الجواب ، ومتى رجعت تاتى باقدامك الينا ان شاء الله . وسيدى الحاج محمد ها هو ذا عندنا مع الفقراء . حتى تاتى بالاجوبة . واما امر السرج للفرس فلا تذكره لا للقائد ولا لغيره . فانها لم تحتج اليه فى هذه الساعة . فمتى احتاجت اليه ياتى به الله . واكد السيد المحجوب على امر سيدى الحاج محمد) . (اقول) : رايت جواب القائد بخطه . وقد ذكر فيه أنه يحافظ على ما تلقنه من الشيخ من الاذكار . ثم اجابه عن العبيد بعذر والرسالة تحت يدى . ولم اجدها الآن لاضعها هنا بنفسها .

ومنهـا

. . . (ونوصيكم بما نوصى بـه انفسنا ، وجميـع احبابنا من عدم التفريط فى أوقات الصلوات الخمس بالامام . ولا تفرطوا فى أوقات الاذكار فان جميع الاسرار فى الاذكار . ولا تفرطوا فى المحبة والتعظيم فيما بينكم فان تعظيم الاخوان توجب الربح للفقير . والاخوان فى الله هم الذين يستمد منهم لا غير . وأما تعظيم جميع المسلمين فلابد منه على كل حال . كلٌ على قدر مرتبته . وتواصلوا وتزاوروا . وتراحموا وتغافروا ، وتعاونـوا عـلى البر والتقوى . وكونوا عباد الله اخوانا . واشتغلوا بالله يكفكم ما سواه . ولا تشتغلوا بالسوى فيجترىء عليكم . ولا تعطلوا أوقاتكم بالقيل والقال . لا فيكم ولا فى غيركم . فان الشيطان مقصوده ان ينسيكم الله . ومن اعتزل

على الناس واشتغل بذكر الله وبلتقي مع الذين يعينونه في ذكر الله . فذلك هو الذي ينجو . ومن كان يشتغل بالتخليط فذلك هو الذي يسمي عنه الصوفية بالفاسق . ولذلك قال مولاي العربي في رسائله : (تشتيت المحبة لاتنفع أبدا . ولو بقي صاحبها ألف عام . فكل من رءاه يميل به اليه وذلك هو التشتيت . وان تعلقت همتك بموضع لتستخرج منه الماء . فلا تمل الى غيره . فانك ان ملت الى غيره . فلابد ان تحرم عملك السابق . وان قست هذا المعنى بالحس تجده مثله) والمقصود أن تشتغلوا بذكره كما كان شيخنا سيدي سعيد يوصيكم عليه الى ملاقاتنا مع ربنا . والسلام في صفر ١٣٠٦ هـ)

ومنها ـ وهي جامعة مانعة ـ :

(الى جميع أحبابنا في الله كافة . أينما كانوا وتعينوا. سلام الله ورحمته وبركاته (وبعد) فلا بأس ولله الحمد . سوى الشوق اليكم . فان النظر في وجوه الاحباب . ينور الالباب ونوصيكم باليقين في دين الله بكل وجه . والصبر على امتثال الاوامر . واجتناب النواهي . وعلى مصائب الزمان في المال والعرض والصحة والبنين . وقد قال الله عز وجل (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة . وأولائك هم المهتدون) وقال أيضا (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فلابد من الاختبار . قال الله عز وجل (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكونوا من الصادقين ولا تكونوا من الكاذبين . فان من اختبره الله بشيء من ذلك ورجع على الطريق فقد كذب . والمقصود من معرفة أهل الله معرفة الله تعلى . لادفع ما قدره الله . فافهموا . فان قدر الله لابد أن يكون . فليس لنبي ولا لولي دفعه . فمن عرف الله هان عليه كل ما فعله الله . بل يحبه ويرضاه . ومن لم يعرف الله فهو ينكسر أفعال الله . ولا فاعل في الحقيقة سواه . والآن فالمقصود منكم أن تعرفوا الله في كل ما فعل . وتكونوا رجالا في وقت الشدة ، وأما في وقت الرخاء . فكل واحد يقول انا الرجل . والفقير اذا أصابته مصيبة وحده لا يشتكي بها . واحرى المصيبة التي عمت جميع الناس كالمخزن . لا يشتكي بها ، لانه اشترك فيها مع العوام . بل وربما ان عرف الله يستحيي أن يبقى بينهم بلا شدة تصيبه . لان أولياء الله يحبون ان يصيبهم شيء دون الناس . فهكذا يكون أهل الله . واما من صار يشتكي كالعامة والصبيان والنساء . فهو لاعقل له . ولم يعرف ان الفاعل هو الله وحده . واياكم والشكوى :

(فعسار عسلى العشاق أن يعلنسوا الشكوى)

وهذه وصيتى اليكم والسلام . وأما السفر الى الحرمين فقد تاخرنا عنه فى هذا العام وجلسنا . الى أن يأمر الله تعلى . لأننا رأينا كثيرا من الفقراء كانوا على نية السفر الى الحج . وليست لهم طاقة . فالبعض يقول نمشى فى البر . والبعض يقول نمشى الى خدمة الروم عدو الله ورسوله . الى أن ناخذ ما نحج به . والبعض يقول : أبيع متاعى . حتى اكثروا . ونسكنهم فلم يسكنوا ، فرجعنا نحن الى السكون . لئلا يهلكوا على أيدينا . والمقصود الاصلاح . والسلام)

* * *

هذه نماذج الرسائل التى كان الشيخ يكتبها الى هذا السيد . ومنها يعلم القارىء كيف التربية التى تربى بها المترجم . حتى جاء على هذه الحالة التى وصف بها فى ترجمته . من المجد والاجتهاد . وملازمة الصراط المستقيم فرحمه الله ورضى عنه .

اولاده

له من الاولاد الذكور ثلاثة : عبد السلام . هو أكبرهم . وقد كان أسكنه فى زاوية فى دير (ايداوزيكى) حيث لايزال الى الآن . والثالث فى السن المختار تركه صغيرا . فحفظ القرءان . ثم أخذ ما تيسر له من المعارف فى مدرسة (بنكرير) من (الرحامنة) وفى (مراكش) وهو الآن مع أخيه الآتى فى بلدهم وقد تزوج . والثانى فى السن هو الفقيه الجليل . القليل النظير . سيدى عبد الحميد ، وهو البارز الوارث لوالده فى كثير من النواحى . وقد رزقه الله نظرته بخدمته اياه . فكان من خيار الابناء الصالحين العابدين الذاكرين القانتين. قد التحق بنا فى (مراكش) بعدما حفظ القرءان فى بلده . فاخذ عنا هناك المبادىء وما وراءها حتى شدا . واستنارت بصيرته . وقد نشا نشأة صالحة مباركة . ثم لما فارقنا وذهب به والده . لم يزايل مجلسه قط . فكان خديمه وأمينه ورسوله . وحينما نفيا معا الى (تامكونسى) كان هو الذى يتسوق له . فيشترى له ما يريد . قال كان يرسلنى فاتاين من عند تجار أعرفهم . وان مضت سوق أو سوقان يعطينى ما أؤدى به الجميع . وهكذا دو اليك . ولا أدرى من أين تاتيه الدراهم . ولا كان يترك كيسه لنعلم أفيه دراهم أم لا . بل لايزال يتقلد به . وان نام ثم لاينام الا جالسا . قال : وقد تفقدناه يوما فى (تامكونسى) فلم نترك ازاء القرية حجرا ولا شجرة فلم نجده . فاذا به معنا فى الدار . فذكرنا له اننا فتشنا عنه فلم

نجده . فنهانا عن التفتيش عنه متى فقدناه . قال : وكان اكثم الناس لحاله وقلما استخرج منه بعض ذلك الا بمقدار . وقد كان سيدى عبد الحميد حاول ان يلتحق ببعض المدارس بعدما فارقنا ليستتم ما اخذه عنا . فيقول له : يكفيك ما اخذت عن فلان . فستكون فيه البركة . فكان الامر كذلك . فلم يزل يطالع مكبا على الكتب ، حتى نال ما نال . ولايظهر نقصه الا فى بعض لحن لايزال فى قلمه . ثم لما رجعا معا الى (ايداوزيكى) وقد زوجه والده . صار يتردد علىّ ، ويشتكى من زوجه اولا . فنامره ان يصبر . لان والده ليس اباه فقط . بل هو أيضا شيخه . وربما يكون سره منوطا بالصبر على تلك التى أختارها له . فصبر واحتسب . فولد له معها . ثم لما توفى والده وبقى مع والدته صار أيضا يحكى لى ما يلاقيه منها . فانه لايكاد يدخل الى الدار شيئا الا وتخرجه الى ديار بناتها المتزوجات . ولو كانت الرقعة فسيحة فلا باس . ولكن تلك البلاد ضيقة المزارع والارزاق . وهو مائدة مبسوطة منذ خلف والده على فقراء تلك الجهة . فكان امامها باذن والده . وباذن خليفة الشيخ . ولذلك يجب أن يتمشى على حساب المتيسر . فكان ما يلاقيه منها أعظم مما كان يلاقيه من زوجه . ولكنه لامناص له من الصبر الجميل .

تـولـيـه للقضـاء

جاء الاستقلال فتغيرت الاوضاع . وذهبت أمور . ومن جملة ما انهار الزوايا وما اليها . فاذ كان هذا السيد مشارا اليه فى تلك الناحية . ولم يعظم الا بالطريقة. وقد أصيبت طريقته بما أصيبت به كل الطرق الصوفية صار يتشوف الى مركز يستند اليه . لعله به يبنى دعامة للدين وللارشاد فى تلك الناحية . ففاوضنى فى ذلك فكنت امتنع . ولا أرضى ذلك . وقد خلقنى الله تعلى عزوفا عن الوظائف فكما لا أرضاها لنفسى لا أرضاها لاحبابى ولكن الاقدار تجرى مجراها لا فىّ ولا فى غيرى . فهذا ما وقع للمترجم . فقد علمنا أنه لابد من قاض هناك فى بلده . ولا طالب هناك سواه . فلم نجد الا أن نقبل الواقع لا نحن ولا هو . فكان أمر الله قدرا مقدرا . فاصبح قاضيا رسميا سنة ١٣٧٧ هـ . فمال الى الفقه والى أمور العامة . فكان ذلك هو الذى فيه خير ، ولا يفعل ربك الا خيرا . وها هو ذا الآن . يباشر اعماله . فكان احد بنى جنسه . وان كان فى باطنه ـ كما أعلم ـ تقيا نقيا زاهدا راغبا فيما عند الله . فالله يوفقه . ومن اثاره زيادة على هذا الذى كتبه عن والده . رجز جمع فيه رحلة كنت رحلتها هناك معه . وهو فى أوراقى. ما منعنى من سوقها هنا الا ايثار الاختصار (هذا) وقد وصلتنى منه اخيرا رسالة يتطلب بها المخرج من وظيفته التى يضجر منها . فالله يختار لنا وله.

الفقيـــه

سيدي الحسن الزيـكى

نحـو ١٢٦٨ هـ = نحـو ١٣٤٨ هـ

نسبـــه :

الحسن بن محمد بن أحمد بن بيهى .

(ءال أحمد أوبيهى) أسرة مشهورة فى قرية (ايفرى ٔيبغيل) من فخذ (ايمبوزكاون) من قبيلة (ايداوزيكى) واشتهر أحمد بن بيهى بالتيبيوتى نسبة الى قرية (تيبيوت) فى ضواحى (تادوداانت) ومن هناك منشاه . ثم قطن فى (ايداوزيكى) فائل هناك وتوسع فى الاملاك . ثم كانت له هالة فى جيله هناك . اشتهر بالذمة والامانة . حتى صار مسكنه موضع تأمين الاثاث والمال الناض . ونشأ له خمسة أولاد : مبارك . ومحمد . وسعيد ، والحسن وهمّو ـ محمد

الفقيـــه مبـــارك

مبارك هذا فقيه يذكر . أخذ عن الشيخ سيدى مَحمد الهرغى مؤسس مدرسة سيدى أحمد أوعلى بـ (مزوضة) وكان له أيضا باع فـى القراءات المختلفة . ثم التزم زاوية الشيخ سيدى أحمد بن موسى من قبيلة (مجاط) بضاحية (مراكش) يعلم القرءان والعلوم بهمة عالية تذكر . فخرج كثيرين، وقد علم كثيرا قبل انصرام القرن الماضى. وقد كتب كثيرا من الكتب لاتزال عند اهله الى الآن . وقد مات بعد ١٣١٠ هـ .

وقد كان أولاد أحمد بن بيهى الخمسة محظوظين فـى ذات اليـد . ولد اعقبوا كلهم ، وهو اليوم وحدهم أهل قرية (ايفرى ٔيبغيل) وكما حظوا بذلك . حظوا أيضا بما حصل لهم من ظل عالمين نشئا من أحفاد أحمد بن بيهى .

متعلم الحسن بن محمد

تخرج في القرءان وفي المبادىء العلمية بعمه سيدى مبارك المذكور . وقد لازمه ملازمة تامة في زاوية (مجاط) ولم يفارقه الى ان توفى . ثم انتقل الى مدرسة (سيدى أحمد أوعلى) المزوضية . واستاذها وعميدها اذ ذاك الشيخ أحمد بن سيدى محمد مؤسس تلك المدرسة حوالى عام ١٢٤٢ هـ . وهناك ثوى حتى قفى لبانته فشاب الى بلده (١)

أعماله في قريته

كان فى قرية (ايموز كاون) اذ ذاك رئيس من كبار رؤساء (ايداوزيكى) يسمى المحجوب امخاو المتوفى عام ١٣٢٠ هـ وكان من عمد القائد عبد الملك المتوفى بل يحكى أنه اكبر شيوخ قبيلة (ايداوزيكى) عند القائد . وحيث كانت هذه القرية وقرية سيدى الحسن المترجم متقاربتين . اتخذه المحجوب كاتبا خاصا فى جميع ما يتعلق بادارته بالقلم . قال من حكى ذلك : ان المترجم كان ولوعا بالتعليم لكتاب الله . فكان يعلم فى داره . فيحرص على أن يحفظ التلاميذ قبل أن يصل الضحى . لان رسول الرئيس يصله دائما فى ذلك الوقت . وهذه اعماله اذ ذاك ما شاء الله . فيلزم ركاب الرئيس ، حتى اذا ذهب الرئيس للاقاة قائد يمر فى تلك الطريق الى (سوس) يذهب معه . وقد مر اذ ذاك هناك الجيش الذى يقدمه مولاى محمد بن مولاى الحسن عام ١٣١٠ هـ . فصحبه الرئيس الى ملاقاته لدفع المئونة للمحلة .

فى نطاق التصوف

وفى حدود ١٣١٣ هـ ، فى الوقت التى انزل الشيخ الالغى سيدى الحسين التامكونسى فى زاوية (بويكودوين) بعد وفاة عميد الفقراء هناك سيدى على نبهمو اندغم المترجم فى الطريقة . ولذلك سببان أولهما انخراط كثير من عامة القبيلة فضلا عن خاصتهم فيها . ثم جره السيل فيمن جر . وثانيهما اتصاله بسيدى سعيد التنانى الذى كان كثيرا ما يرد الى تلك الناحية . باذن الشيخ ، فكان سيدى سعيد لعلمه وللطفه يخالط المترجم مع القاضى اخيه الآتى . فيسقيهما شيئا فشيئا مما ذاقه . ثم ورد الشيخ فى احدى سياحاته الى تلك القبيلة . فندبهما سيدى الحسين التامكونسى الى

١) هؤلاء العلماء المزوضيون ذكروا فى (الجزء الثامن عشر) .

لقائه والاخذ عنه . فانفتح امامهما الباب . فلم ينشبا ان دخلاه معا ، فكانا فى ذلك كفرسى رهان .

فى مسجد (أكادير إداوسوار)

كان من عادة الشيخ ان لا يعجل فى الدين ياخذون عنه من امثال المترجم . الذين يجدهم فى مثل ما فيه المترجم . حتى اذا نضج المريد . وتقوى فيه الانجذاب الى التخلى عن كل ما يمنعه من التحلى . امال حينئذ وجهته الى ما هو المقصود بالذات . من الرجوع الى الله بالكلية . وهذا بعينه ما فعله مع المترجم . فقد كان وجده يخوض مع ذلك الرئيس فى كل ما هو فيه . ولكن لما لان وانقاد وذاق . اشار عليه الشيخ ان يشارط فى هذا المسجد . فاقام هناك طوال عمره المديد ، ولا شغل له الا تعليم كتاب الله . مع تعليم غير متسع فى الفنون . كمتون المبادىء . وكالالفية وابن عاشر . وما الى ذلك ، وكان همه الكثير فى تجويد القرءان . فخرج كثيرين . ولا يزال فى الاحياء عشرات ممن اتقنوا حفظ القرءان على يده . وفى الحديث : خيركم من تعلم القرءان وعلمه .

صناعته اليدوية

كانت له رحمه الله يد صناع . ولما له من الكرم والانفاق المتسع . كان ما ياتيه من المشارطة ربما لايكفيه خصوصا فى سنى المسغبة . فكان يصنع اللبان من مواد خاصة . فيستعين به . بل كان فى وقت اتصل ببعض الظلبة . فبوجان فى السكة المصطنعة ، الا أن الشيخ نهاه عن ذلك فانتهى وكذلك كانت له همة فى الضيافة . فكان يضيف بل يعين المحتاجين بالحبوب ذرة وشعيرا . حتى اشتهر بانه ثمال الارامل . ومغنى المساكين . ومثوى المدقعين ، وناهيك بما فعله مع سيدى الحسين التامكونسى فى حين بعد نزوله من (ايداوتنان) الى (يداوزيكى) فقد قاسمه غلل حقوله حوضا حوضا . وكان كذلك اية فى الانبساط . قال فيه سيدى الحسين : ان منزلة سيدى الحسن فى الكرم والمباسطة لاتدرك . وقد حفظت منه أنا حين مررت به فى ذلك المسجد حوالى ١٣٤٠ هـ :

أَمْرَبِّي أَوْ إِرْحَمْ أُوهُوَ أَلْ مَاتْ إِتِّينِين
إِفْلِتْدْ كِبَارْ أَمُوذَارْتْ إِتِّينِي وَيَّاضْ

وترجمة ذلك : لا رحم الله لا (يعنى كلمة لا) ولا من يقولها . احداثها الاذلال الاراذل ، فصارت يروجها الاذلال الاراذل ـ هذه ترجمة المعنى . وأما حلاوة الالفاظ فكيف يمكن أن تترجم ـ

مركزه في الطريقة و فى العلوم

أما فى العلوم فكان وسطا . الا أنه حسن فى النحويات . وذو باع طويل فى علم الفرائض . فقد كان الفقيه الصالح سيدى الحاج الحسين الكزويى الايسقالى يرسل اليه كل من تحاكموا اليه فى قسمة يحتاج فيها الى اعمال الفريضة

وأما الطريقة فقد غرق فيها الى اذنيه . ولم يكن يتخلف عن موسم (الخ) منذ نحو ١٥ سنة قبل وفاة الشيخ . وكان دائما فى تلك الزيارات الالفية فى المواسم وفى غيرها فى رفقة اليعسوب الكبير . سيدى الحسين التامكونى ـ المتقدم ـ ولكنه لما أسن وضعف عن التركوب وعن الحركة انقطع فى مسجده ذلك الى ان توفى عن مقام عال مغبوط . وقد تخلق بالحكم العطائية . فقد حكى أحد تلاميذه أنه كان يكتبها فى حين من الاحيان فى لوحة . ويحفظها فى الوقت الذى يحفظ تلاميذه القرءان بين يديه . وكان الى ذلك ذا سمت حسن . بعيدا من الدعوى . محبوبا بين الخاصة والعامة . مجبولا على البشاشة ومخالفة النفس .

الفقيه محمد من اولاده

له من الاولاد : محمد و محمد و احمد وبنت . أما محمد فقد اخذ عنه القرءان والمبادىء حتى نجب ثم لازم سيدى محمد بن مسعود من سنة ١٣٢٢هـ الى ١٣٣٠ هـ فكانت مكانته فى الفنون مكينة نحوا وفقها ولغة وفرائض وحسابا . ثم شارط حينا فى مدرسة (الكريمات) بـ (الشياظمة) يدرس ما شاء الله أثناء سنة . ثم وقع على كتاب فيه اسماء . اشتغل بها حتى اعتراه بعض خلل . ثم داوت به الايام فشارط فى (زعير) ثم لما جمع ما جمع توجه الى الحج فمات وشبكا فى مبدا سفره . وقد كان سبب ما الم به وبها جاء من أبيه الذى لم يعطه مقادته رحمه الله .

وأما سيدى محمد فلا يزال حيا وهو من الذين يشارطون فيعلمون القرءان وكذلك سيدى احمد . فقد زاول اشغاله بعدما حفظ القرءان .

ثم راجع الآن حرفة أبيه فى تعليم كتاب الله . وقد كان أبوه المترجم شاور الشيخ فى اولاده . فأمره أن يزوج أحمد هذا . وهو اذ ذاك كما بلـــغ . فظهرت فى ذلك اشارة الشيخ ، فكان بركة اولاده . وقد كان له ولد نجيب فى الفنون عندنا . ثم توفى بعد ذلك . بعدما كان كاتبا عند بعض الرؤساء حوالى عام ١٣٥٩ هـ

فعلماء هذه الاسرة :

١ ــ مبارك بن أحمد .
٢ ــ الحسن المترجـــم
٣ ــ محمد بن الحسن
٤ ــ هـذا النجيب المعتبط
٥ ــ عبد الله القاضى الآتى
٦ ــ محمد بن عبد الله نزيـل (السويرة) الآتى

فهم اسرة علمية فى قبيلة (ايداوزيكى) التى يقل فيها العلمـاء مـن قـديم .

القاضي

سيدي عبد الله الزيكى

نحـو ١٢٧٠ هـ = ١٣١٨ هـ

نسبه ومتعلمه

عبد الله بن سعيد بن أحمد بن يبهى .

ابن عم المذكور قبله ـ ولدته ورفيقه فى كل متعلماته . فقد نشئا معا وتعلما معا ، ثم تصوفا معا . فكل ما ذكرناه فى هذه الطور عن المتقدم فان هذا مثله فيه . من باب لا فرق ـ

يتولى القضاء بين الناس

رأيت ان ابن عمه أولع بعد رجوعهما من المدرسة (المزوضية) بالتعليم فى داره وبالكتابة عند الرئيس المحجوب المذكور . أما رفيقه هذا فسرعان ما اشتهر عند الناس بعلمه المتين . فانثال عليه الناس بنوازلهم . فكان يظل فى سقيفة مسجد قريته . وأصحاب النوازل يتتابعون بين يديه . فيقضى بينهم . وقد سار فى ذلك مسير كل امثاله فى كل قبائل (سوس) التى لايتعين غالبا فيها من الحكومة قاض رسمى الا فى (تارودانت) فيتخذ الناس فقيها يرتضون دينه وعلمه . فينتصب للقضاء بين الناس وللافتاء فيما يسأل عنه . وحين كانت تلك القبيلة تتدرج غالبا تحت ايالة القائد المتوكى . فقد كان هذا يدفع امثال المترجم الى رفع راية الشريعة . وما اكثر الآن محررات قلمه فى ذلك بتلك الناحية . وما اكثر ايضا فتاويه . وفى ذلك امضى حياته حتى أدى به الحال الى أن يظل النهار كله فى المسجد . واليه يأتيه طعامه . ثم لا يأوى الى دار الا بعد ان يصلى العشاء . وقد فتح له ذلك الباب فلزمه . ومن الاثر : من فتح له باب فليلزمه . وقد علم فيما يؤثر عنه انه كان نزيها فى قضائه . ولم يؤثل من ذلك شيئا . بل لم يورث زيادة على ما ورثه من أبيه الا بعض كتب كان كتبها . كالمكودى وشرح ابن عاشر للادوزى . وخطه دون خط ابن عمه سيدى الحسن .

في الطريقة الالغية

قرات فى ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى أيضا الى تلك الناحية ممهدا للموسم الالغى على عادة الشيخ فى ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان احدكما لابد ان يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما على ذلك وقد كان احدكما قريب التأهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه أيضا أجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبون الرئاسة . وقد كان أهل (ايميو زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (أيت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٢٠ هـ وقد رأيت عن المحجوب المكانة التى تبوأها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوبة يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب أحمد ابن موسى سنة ١٣١٨ هـ مد الشيخ أحمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (أيت خطاب) فجلا كل (عال احمد أوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فى وقت قليل فى مسجد (اينزركى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله أهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط رأسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هناك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . وأولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى أوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكى عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى أى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحلا . أخذ أولا عن عالم من (أصار ؤامان) ثم استتم فى (تيمكيدشت) وكان يجد كثيرا ابان أخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بأنفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا الى وفاة المترجم . وقد حكى من عرفه انه يعتقد ان وفاته عام ١٣٣٩ هـ . وكان من عادته ان يحضر دائما فى (سوق الجمعة) من (دوتاما) فيقضى بين الناس فى السوق . وفى غير يوم السوق يتصدر فى داره . ولأسرته مجد مؤثل فى الرئاسة . منها الرئيس (ازروال)(١) كان يتحكم فى كل اهالى (دوتاما) تحكما تاما الى ان قتله عبد سرُبته اليه «ال نصر» المقدمون . ولا تزال الرئاسة فيهم الى الآن . ويقال ان «ال نصر» سباعيون وليس الحاج سعيد الفقيه الوحيد فى أهله . بل فيهم أيضا فقيه «اخر يسمى مبارك بن مسعود الاسوارى . تخرج بالسيد الصالح العابد سيدى الحاج الحسن الكزُوبى التنانى. ثم من(مراكش) ثم شارط فى مدرسة (ايتزلفن) بـ (حاحة) فى مدرسة (سيدى غانم) وتزوج من عند احد «ال السيد الملقب (ايكيدر) ـ اى النسر ـ وقد درس بجد هناك . الى أن توفى قبل ١٣٤٠ هـ وقد وقعت له واقعة يحكيها سيدى الحسين التامكونسى . وملخصها أن هداويا اودعه مائة ريال فى صرة . فحين رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده أمانة له . فذهب الهداوى الى القائد . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيه القاضى فاوصى بعض أعوانه أن يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام مفتاحا له خاصا لبيت له معلوم. مع سبحته . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوجة الفقيه . كان الفقيه أرسله لتفتيش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فاذا بالعون رجع بالصرة . ففى الصباح تداعى الهداوى والفقيه عند القائد . فانكر الفقيه أيضا كل الانكار . فسال القائد الهداوى عن وصف صرته فوصفها . فزحزح القائد ركبته عن الصرة . فعرفها الهداوى . فامره ان يأخذها وان يغادر ايالة القائد فى الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيه وامره أن لا يحكم بين اثنين بعد اليوم .

١) هذا هو الذى جرى ذكره فى أول ترجمة سيدى الحسين التامكونسى

في الطريقة الالغية

قرات فى ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى ايضا الى تلك الناحية ممهدا للموسم الالغى على عادة الشيخ فى ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان احدكما لابد ان يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما عـلى ذلـك وقد كان احدكما قريب التاهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه ايضا اجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبـون الرئاسة . وقد كان اهل (ايمير زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (ايت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٢٠ هـ وقد رايت عن المحجوب المكانة التى تبواها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوبا يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب احمد ابن موسى سنة ١٣١٨ هـ مد الشيخ احمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (ايت خطاب) فجـلا كـل (ءال احمد اوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحـل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فى وقت قليل فى مسجد (اينزركى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله اهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط رأسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هنـاك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . واولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى اوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصـده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكى عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى اى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحـلا . اخذ اولا عن عالم من (اضار ءواهان) ثم استتم فى (تيمكيدشت) وكان يجد كثيرا ابان اخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بانفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا اثر وفاة المشر... وقد حكى من عرفه انه يعتقد ان وفاته عا... ١٣٣٩ هـ . وكان من عاد... يحضر دائما فى (سوق الجمعة) من (دوتاما... فيقضى بين الناس فى الس... وفى غير يوم السوق ينصدر فى داره ... ولأسرته مجد مؤثل فى الب... . منها الرئيس (أزروال)(١) كان يتحكم ... كل اهالى (دوتاما) تحكم... الى أن قتله عبد سرّبه اليه (ءال نصر ... المتقدمون . ولا تزال الر... بهم الى الآن . ويقال ان (ءال نصر) سباعيو... وليس الحاج سعيد الفقيه ا... فى أهله . بل فيهم ايضا فقيه ءاخر يسم... مبارك بن مسعود الاسوا... خرج بالسيد الصالح العابد سيدى الحا... الحسن الكزّوبى التانى... (مراكش) ثم شارط فى مدرسة (آيت زلضر... بـ (حاحة) فى مدرسة (... غانم) وتزوج من عند أحد ءال السيد الملقـ... (ايكيدر) ـ أى النهر ـ و... يس بجد هناك . الى أن توفى قبل ١٣٤٠ هـ... وقد وقعت له واقعة يحكيها... ى الحسين التامكونسى . وملخصها أن هداو... أودعه مائة ريال فى صرة... ن رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده أما... له . فذهب الهداوى الى ... . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيـ... القاضى فاوصى بعض أعوا... يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام مفتاحـ... له خاصا لبيت له سلوم... بحثه . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوج... الفقيه . كان الفقيه أرسل... يفتش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فا... بالعون رجع بالصرة . فـ... صباح تداعى الهداوى والفقيه عند القائد ... فانكر الفقيه أيضا كل الأ... . فسأل القائد الهداوى عن وصف صرتـ... فوصفها . فزحزح القائد... ه عن الصرة . فعرفها الهداوى . فأمره ... ياخذها وأن يغادر ايالة الق... الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيـ... وأمره أن لا يحكم بين اثنين اليوم .

١) هذا هو الذى جرى... فى أول ترجمة سيدى الحسين التامكونسى

في الطريقة الالغية

قرات في ترجمة المتقدم كيف اتصلا بهذه الطريقة . ثم لما رسخا فيها وجاء سيدى سعيد التنانى ايضا الى تلك الناحية مهدها للموسم الالغى على عادة الشيخ فى ذلك . جلس الى هذين الفقيهين فقال لهما : ان احدكما لابد أن يذهب هذا العام الى موسم الشيخ . فاستهما على ذلك وقد كان احدكما قريب التاهل . فاذا بالقرعة تصادف المترجم . ثم لم يكد يستريح من وعثاء السفر بعد رجوعه حتى صادفه ايضا اجله .

بعض ما يتعلق به

كان هناك فريقان ساد بينهما ما يسود دائما بين الذين يتجاذبون الرئاسة . وقد كان اهل (ايميو زكاون) شيعة المحجوب . يناوئهم (ايت نصر) الذين منهم الشيخ احمد الذى اشتهر بعد ١٣٢٠ هـ وقد رايت عن المحجوب المكانة التى تبواها عند القائد المتوكى . حتى كان هو وحده عميده فى تلك القبيلة التى كان المتوكى يتخذها حلوبا يصبحها ويمسيها بالمغارم بلا شفقة ولارحمة . ثم لما ضعفت قيادة المتوكى بضعف الحكومة بعد موت الحاجب احمد ابن موسى سنة ١٣١٨ هـ مد الشيخ احمد يده الى (ايداوتنان) فتسربت منهم قوة الى دار المحجوب فهدمتها . فجلا هذا الى (ايت خطاب) فجلا كل (ءال احمد أوبيهى) فرحل سيدى الحسن المترجم قبل الى (ايداوتنان) وارتحل هذا المترجم الى زاوية (تامشيرت) فشارط فى وقت قليل فى مسجد (اينزركى) ولكن خامره وشيكا مرض شديد . فحمله اهله الى تلك الزاوية وهناك توفى ثم دفن فى مسقط راسه فى مقبرة سيدى مسعود بن منصور . فان هناك مقبرة متسعة غاية الاتساع وعلى هذا السيد مشهد مقصود . واولاد صاحب المشهد فى قرية (تيزى اوعطار) فى (الدير) ومن عادتهم اقامة حفلة طعام كل يوم عاشوراء . وهناك مسجد هذا الشيخ يشتمل على خلوة كان يتعبد فيها حياته . ويقال انه كان عالما فى زمنه . يدرس ويصدر كل من قصده بالمعارف والارشاد . ولم يستحضر الحاكي عنه الا هذا الذى سطرناه . ولا يدرى فى اى وقت كان .

ومن معاصرى المترجم فقيه يسمى سيدى الحاج سعيد التنانى من قرية (المزى) كان فى النوازل علامة فطحلا . اخذ اولا عن عالم من (اضار ءوامان) ثم استتم فى (تيمكيدشت) وكان يجد كثيرا ابان اخذه . ثم تصدر للحكم بين الناس بانفة وعزيمة . وكان جريئا مدلا بما يكتبه فى ذلك . وقد ظهر

شانه كثيرا اثر وفاة المترجم . وقد حكى من عرفه انه يعتقد ان وفاته عام ١٣٣٩ هـ . وكان من عادته أن يحضر دائما فى (سوق الجمعة) من (دوناما) فيقضى بين الناس فى السوق . وفى غير يوم السوق يتصدر فى داره . ولأسرته مجد مؤثل فى الرئاسة . منها الرئيس (أزروال)(١) كان يتحكم فى كل أهالى (دوناما) تحكما تاما الى أن قتله عبد سرَبّه اليه (ءال نصر) المتقدمون . ولا تزال الرئاسة فيهم الى الآن . ويقال ان (ءال نصر) سباعيون وليس الحاج سعيد الفقيه الوحيد فى أهله . بل فيهم ايضا فقيه ءاخر يسمى مبارك بن مسعود الاسوارى . تخرج بالسيد الصالح العابد سيدى الحاج الحسن الكزّوبى التنانى. ثم من(مراكش) ثم شارط فى مدرسة (أيتزلضن) بـ (حاحة) فى مدرسة (سيدى غانم) وتزوج من عند أحد ءال السيد الملقب (ايگيدر) ـ أى النسر ـ وقد درس بجد هناك . الى أن توفى قبل ١٣٤٠ هـ وقد وقعت له واقعة يحكيها سيدى الحسين التامكونسى . وملخصها أن هداويا أودعه مائة ريال فى صرة . فحين رجع وطلبها منه انكر أن تكون عنده امانة له . فذهب الهداوى الى القائد . فاستمهله الى الغد . فضيف القائد الفقيه القاضى فأوصى بعض اعوانه أن يحتال حتى يسل من الفقيه ان نام ملناحا له خاصا لبيت له معلوم. مع سبحته . ففعل ذلك . فأمره أن يذهب الى زوجة الفقيه . كان الفقيه ارسله لتفتيش البيت عن صرة صفتها كذا وكذا . فاذا بالعون رجع بالصرة . ففى الصباح تداعى الهداوى والفقيه عند القائد . فانكر الفقيه أيضا كل الانكار . فسأل القائد الهداوى عن وصف صرته فوصفها . فزحزح القائد ركبته عن الصرة . فعرفها الهداوى . فأمره أن يأخذها وأن يغادر ايالة القائد فى الحين . سترا على الفقيه . ثم عاتب الفقيه وأمره أن لا يحكم بين اثنين بعد اليوم .

١) هذا هو الذى جرى ذكره فى أول ترجمة سيدى الحسين التامكونسى

سيدي

محمد بن عبد الله الزيكى

٦ - ٥ - ١٣٠٦ = حى

هذا ابن المتقدم قبله . فقد كان خامس اخوته . فان لوالده محمدا هذا ومباركا وثلاث بنات . ومبارك من حفظة كتاب الله . اخذه عن استاذ فى (كدميوة) وغيرها ، ومعتمده الاستاذ سيدى محمدا ابن ذلك الفقيه المذكور انفا . مبارك بن احمد اوبيهى فى مبادئه . وقد كان هذا الاستاذ خلف القاضى زوجه . فتربى ولده مبارك هذا فى حجره . لان اباه تركه فى حجر الرضاع - وهو اليوم يشارط فى المساجد -

متعلمه للقرءان

لم يتجاوز عمه المترجم قبل ، سيدى الحسن بن محمد . فهو الذى رباه ونشا نشاة حسنة فى مسجد (اكادير ايداوسوار) فقد حكى انه كان ثقيل الحفظ . حتى انه لم يجمع كلمات القرءان الا بعد خمس ختمات . ثم بعد حفظه . مر بالاستاذين سيدى الحسن بن المحجوب من (ءال اجداع) من (بنى ياسين) الذى كان يتقن حرف البصرى . وتوفى عام ١٣٤٠ هـ . وسيدى احمد بن محمد من (أضار وامان) من المتقنين لكتاب الله مع المامه بالعلوم . وكان تلاه لكتاب الله لا يفتر . كان مشارطا سنة فى مسجد (ايفرى ٌبيغل) فحين عرف بالجد أرسل سيدى الحسن بن محمد تلميذه هذا اليه .

فى ميدان المعارف

حفظ أولا بعض المتون الصغيرة على استاذه سيدى الحسن بن محمد . ثم حصلت منه فترة نحو سنين امضاها فى البطالة فى قريته . وقد غادر (اكادير ايداوسوار) فاتصل هناك ببعض لداته من الذين يقرؤون فى بعض مدارس (ايلالن) كان يذكر بالنجابة . فصار اهل القرية ينددون عليه وعلى قرينه سيدى محمد بن الحسن حين كسلا عن طلب العلم . قال : فعزمنا على ان نهرب . فتسللت الى صندوق أمى . فاحتوشت ليلة كل حيلها لاستعذبه فى غربتى . فاذا بالخبر يتسرب الىّ من يهمهم امرنا . فتوعدوا

ذلك الطالب الذى كنت اتفقت معه على الهروب . فنكص على عقبه . فرجعت انا الى صندوق أمى فرددت ما حملته منه . ولم يكن لها أولا علم بما صدر منى . ثم لما شاع الخبر . واتصل بسيدى الحسن بن محمد اتفق مع سيدى الحسين التامكونسى على أن نسير مع الفقراء الذين سيذهبون فى عيد المولد عام ١٣٢٣ هـ الى (الغ) لزيارة الشيخ الالغى . ليوخذ اذنه فى امرنا . قال فسعدنا فى (الغ) ورأينا كيف التعييد فى الزاوية . وأكلنا الخبز المجعول فيه البيض . ولم نكن نعرف ذلك النوع من الخبز من قبل . وكنا أربعة انا وابن عمى سيدى محمد بن الحسن . وطالب ولد لفقيرة من (أكلو) احدى قرى (ايداوزيكى) وءاخر . كنا شببة متقاربين . حفظنا كلنا القرءان من قبل . ومقصودنا أخذ العلوم . فكتب لنا الشيخ رسالتين . واحدة الى الفقيه سيدى أحمد بن مسعود المشارط فى مدرسة (المعدر) واخرى الى الفقيه سيدى محمد بن مسعود مدرس (بونعمان) فلما وصلنا سيدى أحمد وقرأ رسالته قال : امرنى الشيخ ان أخيركم بين (المعدر) عندى هنا وبين (بونعمان) قال فاخترنا (بونعمان) لكون سمعتها تسربت الينا . فارسل معنا الفقيه سيدى أحمد من اوصلنا الى (تالعينت) بـ (اولاد جراد) حيث يوجد اذ ذاك الفقيه سيدى محمد بن مسعود سائحا مع المتجردين . فصادفنا الفقيه مع سيدى سعيد التنانى أمام باب من ابواب (تالعينت) فبادرنا بالسلام على سيدى سعيد الذى كنا عرفناه من قبل . فقال لنا : هذا هو الفقيه سيدى محمد بن مسعود . فسلمنا عليه اولا . ثم أعطيناه رسالة الشيخ . فلما قرأها ذهب بنا معهما . وكانا تركا الفقراء فى محل . وكان مقصودهما أن يحتجما فى دار الفقير محمد بن السائح . فصاحبناهما الى داره . فرأينا الفقيه بمرقعة وسبحة كبيرة على هيأة الفقراء المتجردين . وهو اذ ذاك كما انخرط فى الطريقة . فعنى فيها به . ثم ذهب بنا رسوله الى مدرسة (بونعمان) فقام بكل ما نحتاج اليه .

وقد ظفرت بالرسالة التى كتبها فى شأنهم الاستاذ ابن مسعود الى نائبه فى المدرسة اذ ذاك . ونصها : (أخانا فى الله تعلى الفقيه النزيه سيدى الحسن التنانى . كان الله لنا وله . وسلام عليه وتوابعه . هذا ونسألكم صالح الدعاء ، ثم ان حملته طلبة (ايداوزيكى) ورفيقهم ولد سيدى الحاج عبد الله التنانى . فتش لهم عن مفاتيح ما كان خاويا من بيوت المدرسة . واضرب القرعة بينهم فيما وجد من البيوت . لئلا يجدوا فى انفسهم، ويظنوا تفضيل بعض على بعض. وراعهم فى المئونة حتى يطمئنوا . وذلك بان تدعوهم الى الغداء والى العشاء . حتى تطحن لكل واحد منهم ما يكفيه . وتضع فى

بيته من الشعير . فاذا انتظم امر طعام القبيلة فاعمل فى حقهم بحسبه . وان اختل فادفع اليهم المحتاج والكفاية ابدا . حتى يفعل الله ما يشاء . والله يكون لنا ولكم والسلام . ثم قال : والطلبة يبدؤون القراءة يوم الثلاثاء الآتى ان شاء الله . وذلك فى الظهر . ولا يقعدوا . (أى لايقعدوا عن القراءة) فى أواسط ربيع الثانى عام ١٣٢٥ هـ ، محمد بن مسعود)

قال المترجم : ثم خرجنا معشر الطلبة مع استاذنا لجمع السمن للمدرسة . واجرة المشارطة على المعتاد . فنزلنا بادىء ذى بدء فى قرية (أيت يحيا) فهناك فتح لنا الاستاذ الاجرومية . فقلت له أنا : ان حفظى للقرءان قد اختل كثيرا حتى لاأستطيع أن أمر فيه. وأريد أن آتى أولا بختمة منه . فقال لى : ان القرءان سيرجع اليك . فلا تتحمل همه . فكان كرامة له فاننى فى شهر رمضان تلك السنة كنت آوى فى الليالى الى مصلى المدرسة . فافتتح القرءان تهجدا . فاحس بنويرة أمام بصيرتى . فامرق بسببها فى القرءان . كاننى أتلقت حفظه من جديد . ثم أعدت الختمة . فازددت بصيرة ، وهذه احدى الكرامات التى شاهدتها من الفقيه رضى الله عنه . ثم ان الفقيه دفعنا للاستاذ سيدى أحمد ابى الوقت التيزنيتى (١) معاونه فى المبتدئين . فيقرأ معنا أربعتنا ، قال : فيسر الله لى ادراك تلك المعانى بسهولة . حتى كان لى بين اقرانى ما كان . فكنت انا المعيد للطلبة دروسهم . وكان الاستاذ يعنى بى انا خاصة من بين رفقتى . لما آنس من أحوالى التى يراها تخالف احوال الطلبة . فكان يوصى لى خادمه باطعمته الخاصة التى يقدمها لأضيافه، وقد أصابتنا هناك سنة مجدبة . فأمرها أن تتفقدنى فى ظلمات الليالى فتعطينى من هرى المدرسة سرا . فأطعن انا بعيدا عن المدرسة خفية عن الطلبة . وذلك لان غالبهم مكفى المئونة . بل ربما قال لى الفقيه : يا فلان لا تكن مثل فلان وفلان فتقضى عمرك فى الشهوات . فرب نفسك على الاقلال حتى ان غسل ثيابك ينبغى أن لايحتاج الى صابون . فتكتفى بـ (تاسرا) ـ وهى عشبة تفرز رغوة يستعان به فى الغسل ـ . قال : وفى تلك السنوات كنا نتردد دائما على الشيخ بـ (الخ) فى العواشر وفى المناسبات وفى المواسم وقد كنت أشربت محبة الشيخ من صغرى . وكانت امى من الخاصة فى محبته رضى الله عنه . وكانت مقدمة الفقيرات عندنا . ففى دارها يجتمعن للوعظ . وقد اردفنى الشيخ مدة اذ ذاك على بغلته ولما جاء دور الصحبة وان كانت انما تكون لماما بهذه المناسبات . صارت جذور التصوف تتمكن فى صدرى وقد كان الشيخ يلح علينا كثيرا فى الاجتهاد ويقول ان الفقير

---

١) ذكر مع آل أوعامثو فى (الجزء الثالث عشر)

هو الذى يبذل جهده فى كل ما هو بصدده . وكذلك استاذنا سيدى محمد ابن مسعود يحفزني دائما الى التفوق . حتى انه لما كان الشيخ اعطاه والده سيدى محمدا ليعلمه فى المدرسة . كان هو نفسه يتولى دروسه الابتدائية ولا يدع اى طالب من طلبة المدرسة يتصل به الا انا . فانه يرسل الىّ لاراجع معه دروسه . ثم لما توفي استاذنا عام ١٣٣٠ هـ . وقد فوض لسيدى ابرهيم البودراري البعقيلي فى التعليم كخليفة له . لازمته الى ان استقدمت قبيلة (ايت برايم) اخا استاذنا سيدى احمد بن مسعود من محله بـ (المعدر) وكانوا يقولون لانريد ان يكون فى مدرستنا الا المسعوديون . قال : فلازمته ايضا قليلا الى ان انتقلت من المدرسة الى دارنا .

فى مزاولة النوازل

كان (ال احمد اوبيهى) هم علماء (ايداوزيكى) وعلى يدهم تنحل مشاكلهم الشرعية . وقد شاركهم فى ذلك كما تقدم سيدى الحاج سعيد التنانى . ولما مات القاضى سيدى عبد الله ـ والد المترجم ـ وشغرت تلك الناحية ممن يهتدى به الناس فى فصل خصوماتهم ومنازعاتهم . ومن يكتب عقودهم ويحرر نوازلهم ويقسم على الفرائض الشرعية مواريثهم . ارتأى سيدى الحسين التامكونسى والفقيه سيدى الحسن بن محمد أن يرجع اليهم المترجم ليملأ هذا الفراغ بعدما علم اهل جهته انه اليق الناس لذلك . فكان ذلك هو السبب حتى كتبوا اليه أن ينقل متاعه من (بونعمان) قال : وحين توصلت بالرسالة لأرجع انا ومن معى . وهو ابن عمى سيدى محمد بن الحسن . علم أستاذنا سيدى احمد ابن مسعود بذلك . فسالني ، فحكيت له الواقع . فندبنى ان اصبر الى ان ازداد تمكنا فيما اخذت . فعزمت على اتباعه . ولكن لما ازف رحيل من معى لم اجد منى قوة للتخلف . فاقلعت من (بونعمان) فى شعبان عام ١٣٣٠ هـ فلما حللت فى البلد انتشبت بما ندبنى اليه من ندبونى . فاخالف العامة وكبار القبيلة . ولكن سرعان ما وجدتنى غير ملائم لذلك . فصارت نفسى تنفر منه شيئا فشيئا . حتى أيقنت اننى لم اخلق لمثل تلك الميادين المملوءة بالاخاديد والمهاوى . ففوضت أمرى الى الله . لأنى لا اقدر ان اخالف سيدى الحسين الذى بيده مقودى . فبقيت نحو سنتين . ولما اراد الله ان يفتح الباب على مصراعيه لأخرج من ذلك المأزق الحرج . اندفعت جيوش المتوكلى السى (ايداوزيكى) مبدأ الاحتلال نحو ١٣٣٢ هـ فاستولت عليها باعانة من التنانيين الذين توصلوا منه باموال . ولولاهم لما نال شيئا . لانه طالما تحرش بهذه القبيلة . فيهزمه ابطالها المدافعون عن اهليهم واموالهم واعراضهم . ولما انساحت جيوشه فى (ايداوزيكى) وجدت انا السبيل للتملص الى حيث ارض

الله الواسعة . وانحلت الانشوطة التى تربطنى بتلك القبيلة . واحمد الله على انني لم اكن متزوجا بعد . ويا طالما سعى سيدى الحسين ليزوجنى بامراة ولكن الاقدار لم تسهل ذلك .

في المشارطات

قال : فى عام ١٣٣٣ هـ ، اثر مغادرتى لـ (ايداوزيكى) شارطت سنة فى (أساكا) من قبيلة (اَنْبَنْسِيرْنْ) فكانت مشارطتى هنا مباركة حسا ومعنى . فقد انست قرة العين . ثم زرت الزاوية الالغية فالح سيدى الحسين التامكونسى ان اشارط فى محل قريب منهم . وكان كتب فى ذلك الى شيخنا سيدى سعيد التنانى . فوافقه على كره منه لذلك . فشارطت ايضا فى قرية (تاينْنْزْرْتْ) من قبيلتنا (ايداوزيكى) فبقيت فيها ثمانية اشهر . ثم حدث ما ازعجنى من هناك . فقضيت شهر رمضان عام ١٣٣٥ هـ فى (ايبلغاس) من قبيلة (متوكة) ومن هناك اتصلت بالمقدم فى زاوية (ايداوْزْمْزْم) سيدى محمد بن عمر التيملى . فكان ذلك هو السبب حتى غادرت قرية (تاسيلا) بعدما شارطت فيها . ووجدت من أهلها الذين كانوا من أصحاب الشيخ سيدى الحاج الحسن التامودينى كل مرادى من عمارة الاوقات بالذكر والمذاكرة. ولكن سيدى محمد العين من قرية (أيتتاكروت) من قبيلة (ايداوكرض) لما علم بى على يد المقدم المذكور ، بعث رسولا خاصا الىّ ، فلم أجد بدا من اجابته . فشارطت فى مسجدهم ست سنين . وقد تزوجت بنته . فاستقر بى القرار ، وقد بقيت سنتين هناك بلا مشارطة . فوجدتنى عام ١٣٤٣ هـ مالاً سكنى البادية . وقد تشوفت نفسى الى سكنى (السويرة) فدفعنى لذلك شيخنا سيدى سعيد التنانى. ولم ينشب أن تيسر ببركة اذنه ذلك . بعد أن كنت شارطت فى قرية (أكليم) من (ايت عيسى) باذنه سنة . أعلم فيها القرآن ومبادىء العلوم . وسكان تلك القرية شرفاء مشهورون .

في مسجد (الديابات)

(الديابات) مكان بضاحية (السويرة) مشرف على البحر . قديم السكنى . وهو مرسى يذكر من قديم . ويسمى مكْنْدول . على اسم ذلك الرجل الصالح المدفون قريبا من هناك والمذكور من رجالات (ركراكة) . وقد اجرى ذكر هذا المرسى الصغير البكرى المؤرخ فى كتابه (المسالك والممالك) الذى الفه عام ٤٦٠ هـ . كما اجرى ذكره ايضا المؤرخ الزيانى

وذكر أن الحاجين أسموا ذلك من قديم . وهذا المسجد الموجود الآن في (الديابات) من تأسيس السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى . قيل بناه ليبنى بفنائه مدينة (السويرة) ولكن انتقل بتأسيسها الى المحل الذى هى فيه الآن لاعتبارات هندسية .

أما سيدى(مكدول) المنسوب اليه المرسى القديم فمازال الى الآن مشهده معروفا مقصودا من الناس بالزيارة . ويؤثر عنه من أهل الارواح مقام عال وباسمه سميت المدينة عند الاوربيين(ماكادور) وقد كاد الاسم الاول لايتحول عن أصله الا ما لابد منه مما يدخل عادة على الاسماء . اذا انتقلت الى لغة غير لغتها الاصلية . أما اسم (السويرة) فاسم حديث . وهو تصغير السور بالسين . (السويرة) فذلك هو الصواب . وأما بالصاد فهو لحن بلا ريب ، فاذا كتبناها بالصاد فانما نجارى المتعارف عند الناس لا غير. مع أن الواجب يقضى باتباع الصواب فنكتب بالسين . كما يكتبها بعض من قبلنا .

قال المترجم : تيسرت لى المشارطة فى مسجد (الديابات) فى النصف الاخير من ذى القعدة عام ١٣٤٣ هـ ، قبل وفاة شيخنا سيدى سعيد الذى ألح علىّ أن أقيم فى (السويرة) وان أعول على الانقطاع فيها . وان اتخذ هناك المسكن الدائم . فجاء مسكن (الديابات) موافقا لانه لا حضرى ولابدوى اجتماع فى خلوة . وخلوة فى اجتماع . وقد توفرت أسباب المعاش . وتيسر كل ما يراد فى الحياة ، فهناك فى حصن حصين . ومأوى أمين قضيت من ١٣٤٤ هـ الى الآن عام ١٣٧٤ هـ . والحمد لله على ماأعطى . وقد تيسرت خطبة الجمعة فى مسجد (البواخر) بالمدينة . فكانت نعمة أخرى لايحصى الشكر عليها .

مختلف نواح من ترجمته

اختصرنا كما يرى القارئ حياة المترجم من فيه عن ناحية من نواحى حياته . والآن نتكلم على نواح أخرى نبرز منها ما لابد منه . لتتم الترجمة المطلوبة . أما أخلاق الرجل فأخلاق الصوفية الكبار الذين يستطيعون أن يتملكوا ارادتهم . ويوجهوها كما يريدون . فكان حلمه واستقامته وجوده ومصاحبته طبيعية بلا تكلف. ولا تلمس من أى ناحية من نواحيه الا البساطة التامة . فى بشاشته وفى لبسته وفى عبادته وفى كل أحواله . حتى انه لو خير أن يخلق كما يريد لما عدا ما فطره الله . وخلقه عليه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

واما مقام الرجل فى التصوف فمقام عال . تتذبذب دونه الهمم العليا ، فقد تعلقت همته بمعرفة الله تعلى تعلقا استولى عليه . حتى ان سيدى مباركا ازكوك كان جاء اليه مرة . فقال له : ان الله أطلعنى على قحط شديد سيحدث هذه السنة . فارتحل الىّ فى(متوكة) وكان المترجم اذ ذاك فى(أيت تاكرون) فعندى من الحبوب ما يكفينا معا حتى ينصرم القحط . قال : فبات عندى . وفى الصباح حكى انه رأى ان الله افاض علىّ من نعمه . وان الاتساع فى ذات اليد يظل علىّ . فقال : انتى لا اخاف عليك منذ الآن . فقلت له مبادرا : أطلب من الله ان لاياتى ذلك الاتساع حتى تتوفر لدىّ معرفة الله . لئلا يحول الاتساع دونها

هذا وقد حكى لى مباشرة مرارا كيف كان اتصاله بالشيخ . وكيف وقع له الانتفاع بسيدى سعيد . قال : ان دارنا كانت ملتقى الفقيرات الزيكيات ففيها عند أمى يجتمعن اذا ورد الشيخ الى (بداوزيكى) سائحا . فيعظهن ويرشدهن ويلقنهن ما أردن من الاذكار . على عادته فى أن يخصص للنساء محلا دون الرجال . فتقف المقدمة عليهن امامه . فتبلغه عن كل واحدة ما تريد . فكنت وأنا لا ازال طفلا صغيرا كما عقلت . أعمر قلبى بمحبة الشيخ . ولا ازال اذكر انه اردفنى معه مرة على بغلته من قريتنا الى قرية أخرى فرحا بى . لانى اذ ذاك يتيم مات والدى . وانا دون البلوغ . ثم لما كنت فى (بونعمان) صرت اتردد عليه فى (الخ) فى المناسبات . وفى سنة ١٣٢٧ هـ ، ورد الشيخ مع الطائفة الى (بونعمان) وفى مجلس من تلك المجالس حصلت لى من الشيخ نظرة خاصة . وفى بحورها اسبح الى الآن . فبينما الشيخ يتذاكر فى المجلس . وأنا فى محل اراه منه اذا بوجهه رضى الله عنه يمتلىء أمام عينى بنور عظيم نسيت لأجله كل شىء وكل ما يلتذ به الناس فى الحياة . ونسيت التردد الى بيتى فى المدرسة الذى لم اقفله ثم لما خرج الفقراء الى جهة (الساحل) كنت بينهم . وحين رد الشيخ الطلبة عزمت على أن لا ارجع . فاختبات بين الفقراء . وصرت احترز ان لاتقع على عين الشيخ . وبعد أيام أمر الشيخ سيدى اسمعيل الشركى الفقير المتجرد ان يفتش عنى . فلم يزل يفتش حتى وجدنى فى زاوية مفردا . وكان رأسى فوق ركبتى من السكون والاستغراق فى الذكر . فعتلنى بيديه امامه الى الشيخ . فلما مثلت بين يديه أمرنى بالرجوع الى طلب العلم . فلم اجد بدا من الامتثال على رغم أنفى . ثم لما جاء رسول الشيخ ـ وهو سيدى بلعيد الصوابى ـ بوصيته الشهيرة الى سيدى محمد بن مسعود . أمر الىّ وحدى من الطلبة ان الشيخ مريض جدا. فاذا بالاستاذ وسيدى ابرهيم التازاروالتى

ذهبا خفية من الطلبة لعيادته خوف أن يتكاثر الفقراء . فجمعت نفسي للسفر فلحقت بهما وحدى فى (أيت جرار) فحظيت من الشيخ رضى الله عنه بذلك الوداع . وقد ودعنا قبل الفجر . وأوصانى انا خاصة بالاجتهاد فى القراءة قال: هذه هى البذور من الشيخ وهى التى تولاها منى سيدى سعيد النتانى بالسقى والتعهد . فكنت لما رجعت من (بونعمان) فى شعبان عام ١٣٣٠ هـ اسلمت القياد لسيدى الحسين التامكونسى وفوضت اليه فى نفسى . فكان يربينى تربية صعبة على حالته المعروفة . فلما أراد الله أن يستنقذنى من صعوبة تربيته . وجه الىَّ سيدى سعيدا . فانتزعنى منه انتزاعا ظاهرا وباطنا ، فقد كنا نشرب الاتاى ونحن اذ ذاك فى (تاينزرت) فمد الى سيدى الحسين كأسه لأشربها ، فقال له سيدى سعيد : بل كأسى أنا هى التى سيشربها . فمد الىَّ كأسه فشربتها . وهذا ظاهر ما كان ، ولكن فى الواقع ان فى تلك اللحظة انتقال زمان تربيتى وتوجيهى الى يد سيدى سعيد الرحيمة الهينة اللينة التى لا عوج فيها ولا أمت . وقد كان قال يوم كتب اليه سيدى الحسين ان انتقل الى (تاينزرت) من قرية (أساكا) بعدما انس ما اسبح فيه من النعم : هدى الله سيدى الحسين . فانه لايكاد يرى فقيرا موسعا عليه . حتى يدفعه الى ضيق جديد . ثم قال أتبعه فى هذه المرة . وان كنت لاتربح شيئا من (تاينزرت) لا حسا ولا معنى . فكان الامر كذلك . وقد كان سيدى الحسين اقترح أن أتزوج امرأة فأبى والدها . فحاول من ذلك ما حاول . وانا لذلك كاره . ثم لم ينفذنى من ذلك أيضا الا سيدى سعيد . وقد كان من عادة سيدى الحسين أن لايتخطى أيضا ما يريده سيدى سعيد . قال : ثم لم يزل سيدى سعيد يرفع همتى عن الاكوان . ويدفعنى الى العمل وحدى فى التوجه الى الله قائلا : ان أصحاب الشيخ الكبار الذين يعينون الفقير على الذكر الذى ينفع القلب قد انقرضوا . وأما هؤلاء فانما يتبرك بهم . قال : ولم يزل على تلك المذاكرة حتى قال لى : ان الطريقة قد انقضت لبابتها . فاعمل لنفسك وحدك . ولا تبال بعد بأحد . وكانت وصيته هذه لى قبل فجر يوم ٢٦ من رمضان عام ١٣٤٣ هـ وأنا أقيم له الاتاى منفردين . لما عدته اذ ذاك وهو مريض مرض موته . واذ ذاك أيضا فارقنى الفراق الاخير . وهكذا ودعنى رحمه الله فى نفس الوقت الذى ودعنى فيه الشيخ رضى الله عنه . ثم التحق بالرفيق الاعلى عند الفجر .

ذلك ملخص ما حكى عن اتصاله بالشيخ ثم بسيدى سعيد . وقد اتبع هذه الوصية فاقبل وحده على ربه اقبالا ملأ أوقاته كلها . ولكن بلا تزمت ولا تكلف . فمتى صادف فقيرا فانه يشغل معه وقته . والا فانه امة

وحده . لايمل ولا يضجر ، وعليه من الحمول ما استظل بظله الوريف . ولا اعرف الآن بعد سيدى مولود له نظيرا فى اصحاب والدنا . فقد صاروا كلهم الى رحمة الله . فبه وبسيدى التهامى المركنى وبسيدى عبد الحميد القاضى اتصل فقط فى ميدان القوم . بعد اقفال النادى . واقفار الوادى .

بيني وبينه

بهذا الصوفى العظيم ذقت الشربة الاولى من كاس التصوف . فقد ساقه الله الىّ وساقنى اليه عام ١٣٣٧ هـ ، فلازمته ما شاء الله . ونحن نتنقل بين الفقراء فى (حاحة) و (الشياظمة) وقد استحوذ علىّ . ووجه همتى الى أن ارتضع من شيخنا سيدى سعيد رضى الله عنه . وقد كنت اذ ذاك غرا غير مستقيم الاخلاق . غير مستوى التفكير . بدويا وقوحا بما حصلته من معلومات. وحمق الشباب وطيشه مستحوذان علىّ . ولكن للباقته وللملاطفة التى يلازمها مع الناس كلهم استطاع أن يجرعنى تلك الجرعة الاولى التى لا أزال الى الآن احمد الله عليها . وحين سكرت من تلك الجرعة وعزمت على أن أوجه كليتى أيضا الى التصوف جاء سيدى سعيد فقال له : قل لفلان ان كان يتبع نصحى أن يتوجه كل التوجه الى استتمام تعلمه . حتى يكون عالم العلماء . واما عالم الفقراء فانه ليس بعالم حقا . ولينظر الى أنا الذى كنت عالم الفقراء فمن أنا بين العلماء . وأما هذا الذى يحبه من عالم التصوف فأنا أضمنه له. وماعليه الا ان يشتغل الآن بالتحصيل التام للمعلوم. وهكذا كان سيدى سعيد رحمه الله يوجهنى التوجيه الصحيح بواسطة المترجم . حتى انه لما قرأ عليه ماكنت قلته فيه من القصيدتين الدالية والقافية المتقدمتين. أثنى وقال له: ان (فلانا) فى تقدم . وسيكون له ويكون ـ وقد ألممت بكل هذا فى ترجمة سيدى سعيد ـ المتقدمة ـ

ثم لم أزل انتفع بهذا السيد الجليل منفعة تامة من ذلك الوقت الى الآن . وهو شيخى الكبير ، ولى فيه اعتقاد تام . ومتى نظرت الى وجهه أرى فيه من نور قلبه ما أرى . ومتى جالسته اكون مجالسا لامام فى الارشاد . يعرف كيف يضع الدواء على الداء العياء . ومتى كاتبته كتب الىّ بما يوجهنى الى ربى . وما يدفع بى الى المحجة البيضاء التى ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك أو مبتدع . فاستمع الى ما كتب به الىّ حين نفيت الى (الغ) مختتم عام ١٣٥٥هـ، زيادة على زياراته لى فى (الغ) وغيره قبل وبعد الى الآن فيوالى الىّ مشافهة ما يوالى :

(بعد السلام والتحية على حضرتكم الكريمة . أسأل الله لى ولكم التوفيق والاعانة على ما طلب منا من العمل بما علمنا . والاستقامة فى الادب

معه ظاهرا وباطنا . بترك التدبير والاختيار . وسلب الارادة له فى صلاح أنفسنا . فضلا عن صلاح غيرنا ، وتمثل وصية الخضرمى لتلميذه سيدى احمد زروق الفاسى رضى الله عنهما عند انفصاله عنه ، فقال له أوصنى . فقال لـــه :

سلم لسلمى وسر حيث سارت واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

وقال تعلى لحبيبه : (ليس لك من الامر شىء) ، (فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ، صدق الله العظيم فالكل ان شاء الله امارة وتوسم للخير والمحبوبية . فاشكره وارض عنه وبحكمه فى كل شىء . وانقطع له قلبا وقالبا . واذكره باستغراق قلبك فى عظمته ومحبته . وانس لمحبته كل شىء سواه . فذلك هو ثمرة العلم والعمل لان المقصود المرغوب فى كل شىء ثمرتـه وروحـه . لا الشجر والجسم . فاعرف جدا قدر هذه النعمة التى أراد الله أن يعرفك بها . ببركة همة ابيك أسد أهل الله رحمه الله . وامدنا واياكم ببركة همته العالية الداحضة كـل زيغ وشطط . وكن متاديا معه ظاهرا وباطنا . وسر على اثر قدمـه ذكرا ومذاكرة . . . واجعل لذكر الاسم (الله) ، أوقاتا مخصوصة كقرب طلوع الفجر . وطلوع الشمس . وقبل غروبها . بل واجعله ذكرك كل وقت حتى يكون لك طبعا لا تفتر عنه همتك . . . وطالع جدا كتب سير الصوفيـة . كالحكم واسقاط التدبير ، واجعل لك نصابا فى (الاحيـاء) لاسيمـا ربـع المهلكات والمنجيات . فلئن أحكمت ما هنالك علما وعملا . فستكـون لـك امامة ظاهرا وباطنا . وبالجملة فاذكر الله تر عجبا . وقد قالوا ترك المراد، سلم المراد . وقد قال عبد الله بن المبارك : يا سادتى العلمـاء ، احتياجنـا الى قليل من الادب ، أكثر من احتياجنا الى كثير من العلم . والحاصل أعرف ما أراد الله منك حيث قطع عنك الشواغل كلها ، وفرغك اليه . فوالله لقـد اهلك للخير . فتفطن لذلك . ولا تهمل ، وسد عنك الوسواس)

ذلك بعض ما يوجهنى به التوجيه الذى يهتدى به السعداء . ويحظى به من الشيوخ المريدون المسترشدون . وهذه الغرفة ما استمدت الا مـن بحر غمطمطم خضم من التصوف الصافى . واشهد اننى سمعتـه يقـول : يجب اليوم أن تحذف هذه الطرق التى تفرق بين المسلمين . وان لانكون هناك الا طريقة واحدة ، يجتمع فيها كل عباد الله . وقـد كانت لـه غيرة دينية اسلامية وطنية عجيبة . وقد كنت سمعت منه ، وأنا معه عام ١٣٦٢ هـ

على سيف البحر فى (السويرة) ان فجر الاسلام الصادق لا ينبثق الا فى عام ١٣٦٧ هـ . ويطلع النهار فى ١٣٧٧ هـ . وها أنذا أرى كما يرى غيرى ما كان . والغريب اننى ذكرته اليوم ما قالـــه اذ ذاك فنسيه كـل النسيان لانه لا يأبه بالكشوفات وامثالها .

وأما أولاده فقد كان تزوج بنت سيدى محمد العين التاكروتى كمـا تقدم . فولدت له فيما ولدت سيدى الحسين هـذا الـذى نشـأ الآن نشأة حسنة . ثم لما ماتت تزوج من (ءال أسكلو) التنانيين فماتت . ثـم تـزوج من (ءال بارزى) السويريين . وله الآن أولاد ءاخرون غير سيدى الحسين . امتعنا الله بشيخنا هذا . ورزقنا منه كل خير . وأفاض علينـا مما افـاض عليه . وهو اليوم فى (السويرة) امام وخطيب ومدرس مرشد . وقـد دب اليه الكبر . يقصده من يعرفون مقامه على قلتهم . لانه يعيش بلا دعوى .

الفقيـــه

سيدي احمد الايمشيري الزيكي

نحو ١٢٥٠ هـ = نحو ١٣٣٢ هـ

نسبـــه :

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن . ويذكر أن نسبهم يتصل بالبكريين التيميين . وجدهم الاعلى يقال له : حسين بن موسى . الرجل الصالح الذى له زوايا متعددة . يقطنها أولاده . زاوية (أغبالو) فى (ايداوبوزيا) وزاوية (تاسيلا) هناك أيضا . وزاوية (بوزامور) حيث دفن سيدى حسين . وزاوية (تركو) وأخريات فى (ايداوزيكى) وسيدى حسين سوسى يسكن فى (امسكروض) أولا . ثم انتقل تورعا الى هذه الجبال . لئلا يصيب من مال احد . لا هو ولا بهائمه ، ولا ندرى عصره .

نشأ المترجم فى قرية (ايمشيرن) من قرى قبيلة (ايداوزيكى) وكان والده الفقير محمد من الذين يرون الناس مواقع المياه . هى الآبار والعيون وهو من طائفة معلومة فى (سوس) ويقال لكل من اتصف بذلك الوصف : (مافامان) أى واجد الماء ، وذلك بأن يقف أحدهم عند مطلع الشمس . ويقول فى محل يعينه : هنا ماء كثير أو قليل . قريب أو بعيد . ويقولون : انهم يرون فى ذلك الوقت وحدهم من بين الناس رؤية بصر . عمودا من البخار ينبعث من الارض الى السماء ويقدره يعرفون قلة الماء وكثرته . وقربه وبعده والكثيرون منهم يصدقون . وكل من جربه الناس منهم . لايكاد يبقى فى داره . لتطلب الناس اياه من كل جهة . لان العادة أن لاتحفر بئر . ولا تستنبط عين الا بواسطتهم وبارشادهم . فقد عرفت انسانا بعقيليا يسمى قدورا . أدركته سنة ١٣٥٦ هـ لا يزال حيا . وهو شيخ مسن ، وقد ادرك الشيخ محمد بن ابرهيم أعجلى المتوفى ١٢٧١ هـ (١) ثم ان كل واحد فى (سوس) مومن بعمل هؤلاء فلا يقدم على استنباط ماء الا تحت نظرهم . وقد رأيت أن الفقير محمدا والد المترجم . متصف بهذا الوصف . مع صلاح وعبارة وانحياش الى الله

١) ذكر فى (الجزء الخامس)

اخبرنى القاضى سيدى عبد الحميد الزيكى عن والده سيدى الحسين التامكونسى أن احد المرابطين من اهل هذه الصفة . مر بقرية (سكات) فاراهم محل عين . فاستخرجها أهل القرية عينا ثرارة . وفيها سمك . فقال لهم الفقير محمد : ان هذه العين كنت اعرفها قبل . وانما منعنى ان ادل عليها الناس خوف المقاتلة حولها . لانها أصل العيون تحتها التى تنتفع بها قرى اخرى . وسيرى الناس أن تلك العيون تغيض بعد استخراج هذه العين . قال : وبعد قليل غاضت تلك العيون كلها . فوقع قتال بين اهل (سكات) واهل تلك القرى . فلم يهدأ حتى سدت العين . فرجعت المياه الى مجاريها . وقد كان للفقير معه حال لا يعلمه . حتى ان بعضهم راى رؤيا عند مشهد سيدى ابرهيم بن على التنانى : أن يتطلب دعاء ممن سيجده فى (ربوة سيدى على) فوق قرية (امشيرن) فجاء الرائى . فلم يجد هناك الا الفقير محمدا . ولم يعلمه فى ذلك المقام . فلم يأبه به حتى فاته . ولم يطلب منه الدعاء

وحكى أيضا سيدى الحسين أن الفقير محمدا هو الذى رأى رجلا من : (أكادير ايداوسوار) أن يستنبط (عين بلال) فكانت عينا غزيرة . ولم يقل ماؤها الا بسبب امطار غزيرة ردم بها بعضها . وقد كان سيدى الحسين يثنى على أهل (ايمشيرن) ويقول : لايغطاهم رجل فيه خير وبركة .

متعلقـــه

اخذ عن العلامة أبى سالم سيدى ابرهيم الايسقالى التنانى . المتخرج بسيدى أحمد أوجمل الامزالى . وقد كان المترجم من طبقة عنده قديمة . قبل أن يتصل به سيدى الحسين التامكونسى . وقد وصفه هذا بانه ناسخ للكتب . وهناك كتاب طبى من اثار نسخه . الا أن عمله الذى أولع به : هو مزاولة علم الاكسير . حتى انساه الاشتغال بغيره . وسمعته العلمية فى النوازل والافتاء لم تتسع . ويده فى النحو قصيرة . ويوجد اللحن الكثير فى كلامه وخطه حسن مقبول .

اتصاله بالشيخ الالغى

عجبا من الشيخ . فان من أكبر ما يلاحظه من يتقصى أخباره انه يربى كل واحد فى دائرته الخاصة . ثم لا يزال به شيئا فشيئا حتى يزج به الى المقصود . وهذا ما وقع له مع المترجم . فاننا نعرف من الشيخ أنه ينهى كثيرا عن كل ما يشتغل القلب عن الله . كيفما كان ، خصوصا هذا العلم

الذى هو علم البطالين الكسالى . الا اننا رأيناه مع المترجم يسلس له القيادة فى مزاولة علمه هذا بمعاطاة العالجة للملح الحى . بكيفية خاصة عند ارباب الفن ، حتى ان الشيخ أرسل اليه رحى صغيرة لذلك . وكان من صنائعه تلقيم الريالات الفضية . بان يردها مصقولة براقة . الى أن تكونت له بصحبة الشيخ نظرة صوفية . فصار يتحول بها شيئا فشيئا عن ذلك العلم الى المقصود الى الطريقة . حتى نسى كل شىء بذلك . وقد كان لا يرضى ان يتواضع للاميين من الفقراء . وخصوصا السود .

حكى سيدى الحسين أنه كان معه هو وسيدى سعيد التنانى . وسيدى الحسن من آل احمد أوبيهى فى طائفة من الفقراء . فجرى ذكر احترام كل من ينتسب الى أهل الله بتقبيل رأسه . وان يناديه بالسيادة على عادة الفقراء . فقال لهم المترجم : ان نفسى لا تطيب ان أقبل رأس العبد بلخير وهو فقير أسود . وان اقول له يا سيدى . وفى وسط منامه فى هاجرة ذلك اليوم قال له الشيخ : امثلك من يقول ما قلت . أوليس أن كلب سيدك سيدك أيضا . فلما استيقظ حكى الرؤيا . فتاب الى الله من احتقار السود . وقد كان الفقير بلخير عبدا أسود فوقف الشيخ حتى اشتراه انسان من سيده بريالات شارك الشيخ فيها بعشر ريالات . فاعتقه المشترى . فكان من أصحاب الشيخ الذين نالوا مقاما عظيما . حتى ان سيدى الحسين قال فيه : ان الله سلط همته على الطغاة فانها لاتفلتهم . وقال : انه من الاوتاد وقد كان أصحاب الشيخ أسسوا زاوية للطريقة عندهم . وهكذا الفقراء لاحقير بينهم لا بلونه . ولا بهاهة فيه . فهم كلهم سواسية .

من احواله

كان المترجم من الذين يعاكسون المتوكين . فيرأس مقاومتهم . فلما تغلب المتوكيون بامتداد الاحتلال . غادر سيدى أحمد (ايداوزيكى) الى زاوية (تيغانيمين) بـ (ايداوتنان) خائفا يترقب . ثم لم يرجع الا بعد حين . وقد نفعته هذه الغربة . فعاد صوفيا . حسن الاخلاق بصحبة الفقراء . فصار يميل الى المشارطة فى المساجد ، وقد فر بدينه وعرضه وماله من طغيان المتوكين فابتعد عن مسقط رأسه . فسكن فى قرية (بوزمور) وشارط فيه وهناك ظهرت منه أحوال صوفية وكشوفات . وقد أشار الى شجرة . والناس يفيضون فى سبيل الاحتلال المقبل الذى يخافون من جريه . فقال لهم: عند هذه الشجرة اخبر اليقين . فاسألوها عنهم ولا تسالونى . فكان من العجب أن مرت الطريق المرصوفة بتلك الشجرة . فقطعت فيما قطع تمهيدا للطريق فيتذكر الناس ما كان قاله . ويرون عنه امثالها .

كان لمسجد (بوزمور) الذى شارط فيه أحواض كثيرة فى معدن الملح المشهور هناك . وكانت مرهونة عند الرئيس ابرهيم بن على . فحث المترجم اهل القرية ليسترجعوها . لينتفع بها المسجد . فادى ذلك الى أن سمه الرئيس . فى ماكول بداره يوم جاء اهل المسجد بدراهم الرهن . وقد كان التسميم فى الطعام يكثر اذذاك . ولم يقل أولايذكر بالكلية الا بعد الاحتلال . فمنذ تناول ما تناول من دار الرئيس . صار يضعف . حتى أدركه اجله شهيدا ، ولم يلق الله حتى ظهرت عليه لوائح الرجوع الى الله بالكلية . اكثر مما كان .

وقد كان يزور زاوية (الخ) أحيانا مع طائفة الزيكيين . كما كان لايفارق الشيخ حين يكون فى بلده سائحا . وهناك رسائل من الشيخ اليه . لم تتوصل بها الآن . ولكن العبرة فى تاثير الصحبة . وأسلاس الشيخ له القياد . حتى خرج من طور الى طور ، رحمه الله .

من أولاده

محمد بن أحمد من حفظة القرءان . وقد اتصل بمدرسة (تيغانيين) من : (ايداوتنان) عند الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله التنانى الشهير من المتخرجين بسيدى مسعود . وهو أحد الفقهاء المذكورين فى قبيلته ما شاء الله . (وقد ذكره الكاشطى فى مؤلفه) .

اخذ عنه سيدى محمد بن أحمد معلومات لا باس بها . ثم اعتنق طريقة شيخه الاحمدية . وهو لايزال حيا الى الآن : ١٣٧٨ هـ يشارط فى المساجد . خصوصا مسجد (تاصدرت) من قبيلة (ايداوزيكى)

الفقيه سيدي

الحسين بن العربي الزيكى

نحو ١٢٨٧ هـ = ١٣٦٧ هـ

نسبه :

الحسين بن محمد بن احمد بن العربى ، وهو من سلالة ادريسية . الا اننا لم نتصل بسلسلة نسبه .

متعلمه واحواله

كان رفيق الفقيه سيدى حمو الخطابى فى مجالات أخذه . فاخذ القرءان عن الاستاذ الكبير سيدى عبد الله خرباش(١) ثم العلوم فى مدرسة (مزوضة) المباركة . عند استاذها سيدى الحنفى بن محمد رضى الله عنه . ثم زاول العدالة فى بلده . فكان قطب التوثيق . وفقيه البلد الذى به يسترشد الناس قال القاضى سيدى عبد الحميد : كثيرا مانبيت عنده أنا ووالدى اذا توجهنا لموسم (تافيلالت) الذى يقام على ضريح سيدى محمد بن الحسين الناصرى هناك. فكنا دائما متى أفطرنا صبيحة ليلة المبيت ، يذهب مع والدى سيدى الحسين على اتان له شهباء . فيسايره والدى راجلا على عادته . فنلاقى شمس المصيف فى الوقت الذى يقام فيه الموسم . فلا نصل الى الموسم الا قرب الزوال . وكان يقضى مع والدى الوقت كله فى المذاكرة . وقد كان يقايض فى التجارة . ويشارك فى البهائم . فاستغنى استغناء الكرماء . وقد كان كاتبا ملازما للرئيس المحجوب الامروشى الذى كان من عمد المتوكيين. وكان يصاحب اخاه ابرهيم الفقير الصادق .

اتصاله بالشيخ

كان اتصل بالشيخ من قديم هو وصاحبه ابرهيم الامروشى . ولذلك كان له ذوق صفى . وعزوف عن السفاسف . وكان له اتصال بسيدى

١) ترجم فى (الجزء الرابع عشر) .

الحسين الذى رايت كيف يصاحبه ويذاكره . وكذلك كان له اتصال بسيدى سعيد التنانى وأمثاله من كبار أصحاب الشيخ . فتهذب ونال ما نال . وهو الذى اشترى السطل الكبير الذى يسخن فيه الماء فى زاوية (أزيار) لما نزل فيها سيدى سعيد التنانى . وكذلك له اتصال كبير بسيدى مبارك أزكوك. ويصدقه فى كل ما يقوله من مكاشفاته . ويريشه كثيرا بذات يده .

متوفاه

قال ولده أحمد فيما نقله عنه سيدى عبد الحميد : كان أحد أولاد الرئيس السيد المحجوب الامروشى اتصل بامراة اتصال ريبة . حتى حملت منه . فالح على سيدى الحسين أن يكتب له عليها عقد نكاح . ليستتر بـه من الفضيحة . فراعى هـذا ربه . فابى غاية الاباء من أن يكذب على ربـه . فكان ذلك هو السبب حتى دس له سما فى مطعوم أو مشروب . فأودى به ذلك فنال الشهادة . وقد مات عن نحو ستين سنة .

سيدي محمد الزيكى القاهرى

نحو ١٢٧٢ هـ = بعد ١٣٣٠ هـ

هذا من الفقهاء المذكورين من قبيلة (ايدا وزيكى) الملتحقين بالطريقة الالفية . ومنشاه من فخذ الاحلاف . أحد أفخاذ الزيكيين . حدثنى عنه كثيرون من جملتهم : الفقيه الصالح سيدى محمد بن عبد الله الزيكى ثم السويرى ـ المتقدم ـ قال عرفته بالعين . ويحسب أن مسقط رأسه : قرية (أمكدول) قال : نزلت به انا وعم لى وانا صغير . فى داره بـ (القاهرة) فرأينا دارا حسنة ومحلا مهيأ للاضياف . وهو كريم يضيف من يعرف ومن لا يعرف من أبناء السبيل . ثم وصفه بانه كهل لما يشب . وهو حسن الهيأة . لطيف المحيا . وقد كانت شهرته بالسخاء أكثر من شهرته بالاوصاف الاخرى. وكان فلاحا يصاحب القائد فى بلده . فكان من الأثرياء. واما مآخذه فلا نعرفها الآن . وان كان الغالب أن يأخذ حيث أخذ أقرانه الزيكيون من المدرسة (المزوضية)

فى الطريقة الالفية

كان سيدى الحسن التامكونسى . حدثنى عنه كثيرا . ووصفه بانه من افاضل اصحاب الشيخ الالفى . وكان يعتقده كثيرا . وينزل عليه كلما ورد الى (وادى القاهرة) ويتادب معه . ويوالى اليه رسائله . لانه لا يغادر داره . ولذلك لم يزر قط زاوية (الغ) وقد كان يتأسف على ذلك . حين نعى اليه الشيخ . وقد كان أنشد يوما للمتجردين :

ان الحياة حياة الزهد والدين ... لكل عبد صفى القلب ميمون
فمن يعد لدى الانام دونهم ... وكان فى دينه فليس بالدون

الفقيه سيدى حمو الخطابي

نحو ١٣٠٠ هـ = نحو : ١٣٥٤ هـ

نسبـــه :

حمو بن سعيد بن حمو بن على .

قبيلة (ايت خطاب) صغيرة . وهى ازاء قبيلة (ايدا وزيكى)

مولده واحواله

اخذ القرءان عن الاستاذ عبد الله خرباش . ثم العلوم عن الاستاذ سيدى الحنفى بن محمد المزوغى الشهير فى المدرسة (المزوضية) وعن تلميذه الاستاذ سيدى محمد بن الحاج المدرس فى (تانارت) من قبيلة (ايدا ومحمود) وقد أرسله الى مدرستها سيدى الحنفى المذكور . وهذا الفقيه ابن الحاج متواضع حسن الاخلاق . كما وصفه من عرفه به اذذاك . ثم لما استتم تصدى للمشارطة فى بلده وفى غيره . ويزاول الافتاء والقضاء بين الناس نيابة عن قاضى (متوكة) اذ ذاك الحسن أوباها (١) . وما نال تلك النيابة الا بشغوفه بين فقهاء جهته . وقد كان فى صحبته فى المدرسة التانارتية : على ابن الرئيس المحجوب . لانه من اخوال المترجم .

اتصاله بالشيخ الالغى

كانت قبيلة (ايت خطاب) من مجالات الشيخ واصحابه . وفيها زاوية . فهناك اتصل المترجم بالشيخ . اخذ عنه اولا اخذ تبرك . ولكنه لطول ممارسته ومخالطته لاصحاب الشيخ ظهرت منه احوال صوفية مشكورة . وقدم راسخة فى علم القوم . فجد واجتهد واقبل على شانه اخيرا حتى لقى ربه على حالة حسنة . وقد ذكره جميع من يعرفونه بالهمة العليا فى باب الله . وهل يفوز الصوفية الا بالهمم العليا .

١) أو بضم الهمزة . بمعنى ابن فى العربية .

حكى سيدى محمد بن عبد الله الزيكى ثم السويرى . انه لما شارط فى (اساكا) الشرفاء فى (بانسيرة) كان يزور فى كل خميس اما المترجم واما سيدى الحسين بن العربى . قال : فاجد منهما ومن مذاكرتهما ما يجلو القلوب . ويشرح الصدور . ويحفز الهمة الى الله . قال : وقد كنت اعيى كثيرا بما أزاوله طوال الاسبوع من كثرة التلاميذ أبناء الشرفاء . فانهم كلهم يحفظون القرءان حتى لم يبق منهم أحد بلا قراءة . ومن بينهم (٢٥) يكتبون نصف الحزب . ولذلك اجهد الجاهد أستريح يوم الخميس عند هذين السيدين الصوفيين . الذين شربا من اذواق القوم ما شربا حتى طفحا . من غير دعوى تتراءى منهما . وقد رزقهما الله ما رزقهما بعلو الهمم .

الرئيس

الحاج الحسن الكاملولى

نحو ١٣٠٠ هـ = ١٣٤٤ هـ

نسبـــه :

الحاج الحسن بن سعيد بن احمد .

هذه احدى الاسر الكبرى التى ظهرت فى (حاحة) بعد ان انقرضت اسرة (ءال بيهى أو مولود) التى استمرت رياستها على جميع (حاحة) بل وعلى (سوس) كله ـ احيانا ـ زهاء مائة وعشرين سنة . وقد تلتها رياسة ءال (انفلوس) أولا . فى مفتتح عهد مولاى الحسن الذى بويع فى (بوريقى) وسط (حاحة) وقد كان نزل هناك لاستدراك ما كان واقعا على دار (ءال بيهى) التى خرّ بها الحاحيون والمتوكيون ١٢٨٨ هـ . وقد اتهم الملك سيدى محمد بن عبد الرحمن وَلِى عهده مولاى الحسن بأن لـه ضلعا فى هدم الدار. فالزمه أن يغرم ماضاع للحكومة فى ذلك. فاعطى هو ومن اعانوه مائة الف متقال . ثم أمره أن ينزل على الدار حتى تعاد كما كانت . فبينما مولاى الحسن يعالج استرداد ما نهب من الدار . وقد فرق الاعوان فى قبائل (حاحة) على ذلك . فاذا بموت ابيه المفاجىء قد بلغه . فبويع هناك فرجع . فولى القائد الاول من (ءال انفلوس) . ثم بعد ١٢٩٥ هـ اعتقل القائد فوزعت (حاحة) على قواد شتى منهم (ءال المحجوب) الكلوليون هؤلاء .

المحجـوب

هو المحجوب بن أحمد . وأسرتهم ورد أجـدادها من قبيلة (آسا) فنزلت فى قريـة (ايت أوسول) التى تبعد عن (تامانار) بنحـو ست كيلو مترات . ولم ينزل القائد المحجوب الـذى افتتحت به رياستهم فى مركز (تمانارت) الا سنة ١٣٠١ هـ . وقد كان المحجوب شيخـا تحت يـد القائد التفلوسى . ثم تعين ١٢٩٨ هـ قائدا على (ايداكيلتول) و (ايت تامر) فكان ممن مانوا جيش مولاى الحسن يوم مر الى (سوس) ١٢٩٩ هـ ثم تعين

فى الجيش المرابط فى (أيت بعمران) وقد كان متزوجا عائدة بنت الحاج الحسن التيكزيرينى ـ أخت القائد سعيد التيكزيرينى المشهور أخيرا هنالك ـ وقد كان الحاج الحسن هذا قائدا على (القصابى) فى ناحية (مكناس) منذ ثار بينه وبين القائد النفلوسى خلاف . حتى خرب القائد النفلوسى داره فى (تيكزيرين) فذهبت به الحكومة لتنتفع به هناك . ولذلك استند الى اسرته الماجدة هذا القائد الجديد المحجوب الذى لا ظهور لاسرته الا الآن على المعهود من أن أهل المجد المحدث يحبون أن يتشبثوا باذيال أهل المجد التليد مصاهرة أو مخالة أو تشبها . وسنسوق اليك ما يدل على أن للحاج الحسن مكانة عند الحكومة فى نشر رسالة بعثت اليه من مولاى عثمان بن محمد ـ كما فى طابع الرسالة ـ ونصها :

(خديم سيدنا الارضى الحاج الحسن اوتكزيرين الحاحى . سلام عليك ورحمة الله عن خبر سيدنا نصره الله (وبعد) فقد وصلنا كتابك . وعرفنا ما فيه . ووصل عيادة ايالتك . وشهدوا معنا عيد الاضحى المبارك . والحتموا من بركة دعوة المسلمين الحفظ الاوفر . والنصيب الاكبر . وادوا ما وجب . ومعهم هدية وفق ما فى كتابك . وحلت محلها كثر الله خيركم وعوضكم خلفا امين والسلام فى ١٣ حجة الحرام عام ١٢٩٣ هـ)

ومولاى عثمان هذا خليفة الملك على (سوس) لعله نزل فى (اكادير) وسيذكر أمام أثناء كلام .

ثم هاك ما ظفرنا به من رسائل مخزنية الى القائد المحجوب وما حواليه

الاولى

تتعلق بالطريق بين (حاحة) و (أكادير)

(خدامنا الارضيين أمناء ايالة الخديم الكلثومى سلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكم بتعرض (ايداوتنان) لقافلة قرب (تامراغت) ونهبهم لهم سلعة وبهائم . بعد المضاربة . وصار بالبال . فلتقابلوهم بسوء فعلهم ، واضربوا على ايديهم فى ذلك واقعدوا لهم كل مرصد . وخذوا بالحزم فى أمرهم . ولا تبقوا عليهم حيث بداوكم أول مرة . وكانوا من الظالمين . ولقد اجبنا القائد بمثله والسلام فى ٨ شوال الابرك عام ١٣٠٤ هـ)

الثانية

تتعلق بشكاية بالقائد المحجوب من جيرانه (ايداويسارن) شكاه امناء

هذه القبيلة وللامناء المكانة المكينة لانهم مراقبون على الفواد. يبلغون للحكومة جميع اعمالهم .

(خدامنا الارضين امناء (بني يسارة) وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكم بان الحديم المحجوب الكلكولي اغرى (امرداسن) من قبيلتكم على قتل شيخهم . ففعلوا وفروا لايالته . فنواهم . وصار يغريهم على افساد بلادهم بالسرقة وغيرها . كما انه افسد ايالته . حتى صاروا يمرون للقبائل ، وان امين زاويته فر لبلادكم متظلما منه . خائفا من مكره . وصار بالبال فقد امرناه بالكف عن ذلك ، وأكدنا عليه فيه والسلام في ٢٧ ربيع الثاني عام ١٣٠٧ هـ)

الثالثة

تتعلق بهؤلاء الامناء

(خدامنا الارضين امناء ايالة خديمنا القائد المحجوب الكلكولي . وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) فقد اخبر خديمنا المذكور ان العادة المقررة لديكم سالفا . ان القبيلة تجمع عشر القمح والشعير في محل . وتصرفه في مصرفه وقت مخاطبتهم به . واستأذن جنابنا العالي بالله هل يجري على ذلك او يبقيه بيد أربابه الى وقت مخاطبتهم به . فاجيب حيث كان ذلك ليس بمخالف للضابط الذي جعلناه لكم بكون العشر يقبض مالا ، رفقا بكم من جهة تعذر الحبوب وترجيح مصلحة القبيلة في ابقاء ما أفاء الله به منها فيها . ساعدناه على ذلك لما فيه من الاحتياط . وأخذ الحذر من ضياع بيت مال المسلمين . لو بقي عند أربابه بتفويتهم له . وتعذر وجدانه عند طلبه منهم . وعليه فلتحوزوها بيد واحدة انتم والعامل . ونائب القاضي . ويجعل في محل محترم ، كبعض الزوايا على يد ثقة برضاكم ورضى العامل والقبيلة ويباع في ابانه في الوقت الذي يتراضون عليه . ويخرج منه الواجب مالا، ويصرف في محله . بحول الله . كما بلغنا ان الامينين الحاج محمدا السفاني ، والطالب ابرهيم بن يوسف خرجا عن الضابط المجعول لكم بظهيرنا الشريف من كونكم تحوزون بيد واحدة جميع ما تحصل في غلل الاملاك ، وتوجهون على يدكم الجميع لأمين المستفاد بـ (السويرة) وحازا بعض ما تحصل في الشعير والفول من غير اعلامكم بذلك . ولا موافقتكم عليه . بقصد ان يستبدا به لانفسهما . ولم تفربوا على ايديهم في ذلك . كانكم جعلتم عبثا . او ما علمتم ان المدار في قبول فعلكم على اجتماعكم عليه . وفي رده على عدم ذلك والمهدة عليكم جميعا اذا تركتم احدا يستبد بشيء عمن عداه من الامناء .

من غير انكار عليه . فلتحوزوا منهما ما احتازاه لانفسهما من ذلك . ولابد . والا كان الدرك عليكم . والملامة راجعة اليكم . ثم اسلكوا به مسلك الضابط المذكور على يدكم ويدهما . وقد كتبنا لهما بما تعين فى ذلك . والسلام فى ٢٧ رجب عام ثلاثمائة وألف)

الرابعة

تتعلق ايضا بذلك .

(خديمنا الارضى امين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكلثوى الحاج على المنانى(١) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد . وصل كتابك مخبرا بما عليه أهل تلكم النواحى من الخصب والهناء وأمن السبل وصلاح الحال والحرث والماشية وعلمنا ما ذكرته من تقاعد العامة على اعشار ماحرثوه باحباس الزوايا يريدون الاستبداد به لانفسهم وطلبت اصدار امرنا الشريف بالتخلى عنه وصرنا من ذلك على بال اما تلك النواحى وما امتن الله به من الخصب فالله يزيد المسلمين عافية واطمئنانا واما عشر ما حرث باحباس الزوايا فلتحزه من جملة الاعشار وقد امرنا خليفة خديمنا الكلثوى بشد عضدك على ذلك والسلام فى ٢٩ رمضان المعظم عام ١٣٠٠ هـ)

الخامسة

تتعلق ايضا بذلك .

(خديمنا الارضى امين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكلثوى الحاج على بن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ، وافى كتابك مخبرا بان خديمنا القائد المحجوب المذكور فرض على أهل الزوايا ثمن البغلة المنعم عليكم بها وما يناسب فى الاعياد وغيرها ودفعوا ذلك طيبة به انفسهم وفق ظهيرنا الشريف وأخرت الوقوف على أملاك زاوية سيدى سعيد بن عبد النعيم لما أنت بصدده من حمل الزرع الواجب على الزوايا ودفعه لأمناء (السويرة) وصار ذلك بالبال أصلحك الله والسلام فى ٢١ محرم عام ١٣٠١ هـ)

السادسة

تتعلق ايضا بذلك

(خديمنا الارضى أمين زوايا ايالة القائد المحجوب الكلثوى الحاج على

---

١) هو من أولاد الشيخ سيدى سعيد بن عبد النعيم . وسيذكر مع أهله فى (الجزء التاسع عشر) ان شاء الله .

ابن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبعد . فقد وصل كتابك ذاكرا قضية انفلات خمسة مساجين من مساجين (بنى كزولة) من سجن خديمنا المذكور وموت من بينت فى الايالة والمتهم بالقتل وقتل القاضى الناصرى وعرفنا ما شرحت فى ذلك كله وقد بلغنا كل ذلك طبق ما اخبرت سددك الله وأصلحك ثم أمرنا فيه بالمتعين والسلام فى ٢١ محرم عام ١٣٠١ هـ)

السابعة

تتعلق ايضا بذلك

(خديمنا الارضى امين زوايا ايالة خديمنا القائد المحجوب الكلثوم الحاج على بن محمد الزرارى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبعد، فقد وصل كتاب اعلامك بدفعك لأمناء (السويرة) ثمان خراريب وأربعة أثمان من اعشار الزوايا المذكورة معتذرا عن القلة بالضعف وعدم تمام النصاب الخ ما شرحته . وصار بالبال والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٣٠١ هـ)

الثامنة

تتعلق ايضا بذلك

(خديمنا الارضى الامين الحاج على فى (ايزيران) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اخبر خليفة خديمنا القائد المحجوب الكلثوم انك ذهبت لثغر (السويرة) بقصد دفع عشر الزوايا ومكثت هنالك نحو الشهرين ولم تعلمه بما دفعت ولا بما آل اليه الامر فى ذلك مع أنه فى انتظار ما علمته ليطلع به علمنا الشريف وعليه فلتبين سبب بطئك ثمة والحامل لك على عدم اعلام العامل بما كان ولابد وعجل باعلامه ليكون على بال منه ويمضى فيه على ما عنده به الامر والسلام فى ١١ ربيع الاول عام ١٣٠١ هـ)

التاسعة

تتعلق ايضا بذلك

(خديمنا الارضى امين الزوايا الكلثومية الحاج على بن محمد والامين الطالب احمد المناني وفقكم الله وسلام عليكما ورحمة الله (وبعد) وصل كتابكما بقبض خليفة خديمنا القائد المحجوب الكلثوم على قاتل الحاج الطيب امتثالا لشريف أمرنا وبيعه عليه جمله واثاثه بثمان عشر ريالا وطلب اولياء دمه حقهم واعلمتما بدفعكم للخليفة المذكور عشرين ريالا من قبل التعزية كما اخبرتما بهناء هاتيك النواحي وكثرة الخصب فيها وصار بالبال أما

قبض الخليفة على قائل المذكور فقد أدى ما عليه وقام بواجب الامتثال وأما عن جعله واتاوته فقد وجهه لعل مقامنا واما طلب اوليائه حقهم فيعطاهم فى موجب من متاع من وجب عليه وأما ما دفعتموه له من قبل التعزية فقد وجهه ايضا عوضكم الله خلفا وأما هناء تلك النواحى وخصبهما فادام الله ذلك والهمكم الشكر عليه وزادكم والمسلمين من نعمه وفضله قال مولانا جل علاه : (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال النبى عليه الصلاة والسلام : من شكر النعم فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها . والسلام فى ١٦ رجب الفرد عام ١٣٠١ هـ)

العاشرة

تتعلق أيضا بذلك

(خديمنا الارضى أمناء ايالة الخديم الكلثولى وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله (وبعد) وصل جوابكم عما أمرناكم به من احصاء مطامير قمح وشعير الخديم المحجوب الكلثولى المتوفى بأنكم لما أطلعتم ولد العامل واخاه على كتابنا الشريف بذلك أجاباكم بما ذكرتم وكتبتم للعامل ووجهتم له نسخة من الكتاب الشريف فاجابكم بان ذلك لعله كان قبل ملاقاته مع جلالتنا الشريفة وعلى كل حال الامر متعلق على حضوره وصار بالبال فقد جدنا الامر لأمناء (السويرة) باحصاء المطامير المذكورة وبعد دما فى كل مطمورة منها واعلامنا فلتقفوا معهم على ذلك حتى ينفذ على مقتضاه وظهروا الاعلام بما تحصل فى ذلك عزما والسلام فى ١٩ رجب الفرد عام ١٣٠٨ هـ)

الحادية عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكلثولى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد رفع الشكاية لحضرتنا الشريفة التاجريولى النجليزى بـ (السويرة) انه كان نهب له (بنو تامر) ستمائة ريال وواحد وعشرون ريالا . وان كاتبنا الحاج ادريس ابن ادريس كان قبل دعواه بذلك وفاصلها . فعجزت القبيلة المذكورة عن اداء ما فاصلها به بالمسغبة التى كانت وقتئذ فامرنا المكلفين بفصل الدعاوى بـ (السويرة) بالبحث فى ذلك . وان الفوه كما قال بيّنوا لك القدر من الدراهم التى وقع بها الفصال على يد المذكور والا فطالعوا علمنا الشريف بحقيقة القضية . وعليه فاذا بينوا ذلك . فنامرك ان تستوفيه من القبيلة المذكورة . وتدفعه للمدعى على ايديهم . وقد امرنا امناء ايالتك بالوقوف فى ذلك والسلام فى ١٨ محرم الحرام عام ١٣٠٣ هـ)

الثانية عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكيلتوى . وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فما كان دفع لمن كان قبلك من بغال (الهوير) (١) السعيد نامرك بوصوله اليك ان توجهه لأخينا مولاى عثمان صحبة المكلفين بها على العادة . ومن ينوب عنه فى تقليدها . وسطرتها فى محضره . فقد أمرنا مولاى عثمان باحضار (البياطرة) ويحضر هو بنفسه معهم . ومن عيناه للحضور معه على ذلك من خدامنا ويختبروها ، فما وجدوه منها صحيحا أو عيبه ليس بظاهر . يقدر معه على الحمل . بحيث اذا استعمل فلا يحصل له على(٢)يقبل. ويعجل بتنفيذ للخديمين المذكورين بعد من غير انتظار كمال العدد وما كان راكا . أو عيبه ظاهرا . لايقدر معه على الحمل . أو كان قارحا لايظهر فيه علف ولا برء يردوه لك ، وأنت عوضه بالصحيح السالم عزاه . ووجهه لحضرتنا الشريفة . وقد أمرنا أن يوجه السامع المسطر صحبة المكلفين به من قبلك للخديمين القائد عبد السلام بن رشيد . والحاج المعطى بن الكبير . يبقون مع ذلك حتى نامرهم بما يكون به العمل . والسلام فى متم ربيع الثانى عام ١٣٠٢ هـ)

الثالثة عشرة

(خديمنا الارضى القائد المحجوب الكيلتوى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل كتابك بأن أمرنا الشريف بتخريص زرعكم . لما أبطأ عليكم وخشيتم من فساده . احضرتم المكلفين بذلك . وخرصتموه على العادة . ولما ورد عليكم كتابنا الشريف به وجد أن تم فيه الامر باحضار الحاج عبد السلام السويرى مع المكلفين بالتخريص . وان خليفتنا لم تصل اليه قبيلة (كزولة) قط منذ سافرت باغراء من سميته . وصار بالبال . أما تخريصكم الزرع حيث خشيتم فساده فقد أصبتم فيه . أصلحكم الله . وليكن علمكم على احضار المذكور بعد على ذلك . وأما كون قبيلة (كزولة) لم تصل لخليفتنا فلا يعود عليهم ذلك بخير . والسلام فى ١٢ قعدة الحرام عام ١٣٠٤ هـ)

---

١) اسم لجماعة البغال والخيل وامثالها التى تكون للحكومة . وقد ترسلها الى المسارح حتى يحتاج اليها ـ وهو بكسر الواو ـ

٢) المقام مقام الاعياء . لا العى .

وهذا القائد المحجوب هو الذى مر الشيخ الالفى بداره يوم ذهب الى الحج سنة ١٣٠٥ هـ فذكره فى رحلته (١) بقوله لما نزل مركز (تمانار) :

ثم الى المحجوب من عمال (حاحة) وهو من ذوى الفضال
مرامنا البيع لبغلة لنا علىّ بنقده تلثم شملنا
ومثلها يحبها العمال وعندهم قد توجد الاموال
قبل غروب الشمس قد طلعنا لكن من الدخول قد منعنا
وشددت حجابه علينا وسددت رماحهم الينا
فأبوا التقريب والترحيبا وءاثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا الى الجدار ثمت احتللنا
ونحن كل ذاك بالافراح من ربنا الفاعل وانشراح
وكان عنده كثير فقها عرفنى من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف ونحن بالزاد وهذا صيف
لموضع فى خارج قد ملنا مع جميع الفقها وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا اذان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل من حيلة يجنى بها ما يؤمل
لكى نبيت احسن البيات مع جميع الفقها السادات
فقيل لى سلم عليه حينما يريد أن يدخل كيما يعلما
لانه فى خارج بمعزل عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب والناس منه فى هوى ومرهب
وليس يجترى عليه أحد كأنما يخطر منه اسد
حاجبه يقوم ليس يجلس يلازم العبوس ليس ينبس
يرعى له بطرفه الخواطر وكيف ان أشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة قلبه ملئان بتلك الخمرة
فحد ءادابهم الظواهر وفى بواطنهم المناكر
فقمت امشى فتلاقيت معه مسلما فلم يرد أن يسمعه
فدخل الدار بغير رد سلام من سلم بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا تحت الجدار ما رأينا الكنا
الى ورا العشا وقد نعسنا تحت الجدار وبه انسنا
جاء الينا حاجب محجوبه وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال لم فسيدى يدعوكا لا كان من يا سيدى يجفوكا

١) طبعت على حدة

وذاك انه جرى في النادى ... وهم يجولون بكل واد
ان قال بعض الفقها بات هنا ... فلان من فضله الهنا
بالعلم والصلاح والخيرات ... ووعظه يطير بالمهجات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم ... ونفخوا وهما بغير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل ... فاشتاق ان ينال خير نائل
فقال للحاجب قم وائت به ... لنستضيء بسنا مطلبه
فقمت في الحين بقصد الوعظ ... له بحالى أولا واللفظ
وجدتهم في قبة مصنوعة ... بزينة وفرش مرفوعة
واذ رءانى زال عن منصته ... يشير للجلوس في اريكته
مرحبا بقلبه وقالبه ... وقال كل مرحبا اذ قال به
فهو كقلب وهم كالجسد ... يبتدرون ان أشار باليد
فقلت اذ رأيته قد اقبلا ... وكان للنصح له مستقبلا
ليس سبيل للكلام غير أن ... رأيت نفسك بنصحنا قمن
فقال لى أهلا بنصح الله ... جزاك عن نصحك لى الهى
فقلت للحاضر من رعيته ... ومن بناديه من أهل طاعته
هل أنتم تأتمرون طرا ... نهيا اذا نهاكم أو أمرا
فقال كلهم انحن نهمل ... منه أوامره حين تقبل
فقلت ان امر بالخمس لكم ... هل تتركون فى الوقوت شغلكم
فابتدروا بقولهم لو أمرا ... بالعشر أديت بوقت لامرا
فقلت للقائد ها أنت ترى ... من الذنوب ما عليك فى الورى
فكل من ترك في حكومتك ... اى صلاة فهى فى رقبتك
فى سائر البلدان اذ حكمتنا ... عليهم جهلت أم علمتا
ضيعت دين الله فى احكامكا ... وهى عظيم ذاك فى اسلامكا
ان الفريضة عمود الدين ... كما رووا عن النبى الامين
فقد رأيت من بحول داركا ... تركها بله اخا جوارکا
احسن كونك عاملا ولا ... تجعل فى الصلاة ذاك العملا
بالوعظ والضرب وقتل الحد ... وذاك فى الدين تمام الجد
أنت خليفة الامام الاكبر ... فانت بالتنكيل فى ذاك حر
فارسل الرسول للمؤذن ... فجاءه فى الحين فورا لم ين
فقال من لم يرد الصلاة ... اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما ... يرده لها الى أن ينعما
فقلت تبنى مسجدا فى الداخل ... تجمع فيه مع كل داخل

فقال قد وعدت بالبناء له بذا العام بلا مراء (١)
ففرح المجلس والاسماع وفى الصباح حصل الوداع

كان القائد المحجوب ككل قواد جيله يتظاهرون بالاتصال باهل الخير وبمحبة العلماء . وبايوانهم اليه . ولذلك رايت هؤلاء الفقهاء يحلقون حوله، ومنهم الاستاذ ابرهيم الكادورتى الايسى فقد اتصل به وهو فى (بمعرانة) مرابط فى جيشه ادالة هناك ما شاء الله فاتى به معه . واسكنه فى قرية (تاسيلا لبنزكنت) وهو استاذ كبير من اصحاب ابى العباس احمد اوجمل مشهور بمجموعة حول الابيات التى يحتاج اليها المدرسون من (الفية ابن مالك) فى كل باب . وقد رايناها وعرفناها . وان كان البعض ينكر ان تكون له . ويراها أقدم من عصره . توفى القائد المحجوب اوائل سنة ١٣٠٨ هـ قبل رجب فى (قصبة ايت الربع) فى (تادلة) وقد كان مع الملك مولاى الحسن فى جيشه .

القائد سعيد بن احمد

اخو القائد المحجوب . وهذا هو العفريت النفريت الذى زعزع (سوس) سنوات . فقد استطاع ان يصل ما بينه وبين الوزير الدكتاتور احمد بن موسى . فجعله أحد قائدين حكوميين بعثهما الى (سوس) اثر استقراره مع المولى عبد العزيز ـ محجوبه ـ فى(مراكش) وقد قوم كل اعوجاج فى القبائل ما بين (فاس) و (الحوز) فصار يتوسع بذلك فى الاطراف . فكان من حظ (سوس) الباشا حمو المكناسى الذى نفاه أحمد الى (تارودانت) من مركزه بـ (مكناس) فجزاه جزاء سنمار بعدما أعانه على الجامعيين الوزراء قبله حتى اعتقلهم عنده فى (مكناس) فجعل له الباشوية على (تارودانت) كما تجعل الحالبة صورة البوّ (٢) أمام أعين البقرة التى تريد حلبها . فتوجه الباشا حمو . فكان له هناك ما كان مما حكينا بعضه فى اخبار القائد الناجم فى (الجزء العشرين) وتوجه القائد سعيد الى ناحية (تيزنيت) و (اداولتيت) وما اليها . وقد ذكرنا فى اخبار ال الحاج العربى الكسيميين فى (الجزء الرابع عشر) بعض ما يتعلق بالكيفية التى دخل بها القائد سعيد (سوس) وان (كسيمة) وما اليها ، لم تكن من الايالة التى أسندت اليه . وانها فى ايالة الباشا حمو. ولكن طلبها من الحكومة لتتصل ايالته الحاجية بايالته التيزنيتية فزالت بذلك يد ال (اينزكان) عن الانفراد بالرياسة فى (كسيمة) فعلت يد ال الحاج العربى فيها . وتفصيل هذه النقطة مبينة هناك . فهاك ما كتبه

١) هذا المسجد موجود الآن فى مشور الدار .
٢) البوّ : جلد العجل المملوء تبنا يوقف أمام البقرة كانه ولدها .

المعاصر لحوادث هذا القائد فى (تيزنيت) وفى الجبال . العلامة الثقة الاستاذ أبو فارس الادائى . انقله من خطه (لعند جهينة الخبر اليقين) :

(فى جمادى الاولى الاخيرة ١٣١٤ هـ نزل قائد من قواد السلطان امير المومنين عبد العزيز بن مولاى الحسن فى (هشتوكة) فى (بويكـرا) ـ ابى الضفادع ـ فى (ايداوعنحمد) وهو عدى الكيلولى الحاحى . ثم بعد نزل قائد اخر قرب (أيت أبى الطيب) من (هشتوكة) فـى (تابوحنايكـت) وكتب السلطان الى قواد ماورا، (وادى الغاس) أن ينزلوا على الذى فى(تابوحنايكت) ويكونوا معاونة له ورفدا . فاجاب بعض . وامتنع بعض . ثم وقع نزاع بين (رسموكة) وأهل (المعدر) وبين ذلك القائد الحاحى على شأن (أيت أومريبض) وشان (أيت ايزويكا) فالقائد الحاحى اراد أن يغرموا . ومنازعوه أبوا . ثـم فى اليوم الاخير من رمضان اغارت قبيلة (رسموكة) و (المعدر) عـلى الذين فى (تابوحنايكت) فنهبوها . واحتووا على ما فيها .بعد قتل بعض من فيها، وقد حازوا فيها القناطير المقنطرة . ثم وقع النداء فى موسم مارس فى منتصف شوال لرد ما اخذ فى (تابوحنايكت) فنزل الشريف سيدى محمد بن الحسين الايليغى فى (توبوزار) اذا، (وادى الغاس) فاقام هنالك ذا القعدة وذا الحجة ، يسترجع من (رسموكة) و (سملالة) ـ يعنى أهل المعدر ـ ما اخـذوه مـن (تابوحنايكت) فردوا البعض فقط . فرد ما أخذ الى سيدى عبد القادر بن مسعود الشاوى قائد الادالة فى (تيزنيت) ثم وقـع الصلح بـين الشريف والكيلولى . بعد أن أخذ من يد سيدى عبد القادر ما توصل به مما نهب من (تابوحنايكت) على أن يعطى أهل (امريبض) و (ايزويكا) أربعة الاف ريال فجمعها بعدما فرضها أهل (المعدر) فغدر الكيلولى بعد أن أخذ بعضها . ثم انه أرسل السيد عبد القادر فنزل فى (اغبالو) فجمـع أهل (ماسـة) فقرا عليهم أمر السلطان أن تعطى كل قبيلة عشرة الاف ريال غرامة . على أن لم يقاتلوا (رسموكة) و (المعدر) وقت انتهابهما ما فى (تابوحنايكت) ـ ثـم يكون فرض المال بعد الغرامة ـ ولما قرا السيد عبد القادر تلك الرسالة . اخرج له الشريف أمر السلطان أن يعطى أهل (سوس) رباثة لكل عتبـة، فتفاقم الامر بينهما . وانحاز سيدى عبد القادر الى (أغبالو) فمكث فيه اياما حتى ايس من صلاح أهل (ماسة) وحزبهم (رسموكة) و (المعدر) فرجع الى محلة الكيلولى . كل هذا واهل (المعدر) وحزبهم يعزمون محاربة الكيلولى . وقد جمعوا همتهم على ذلك . وان الشريف رئيسهم عازم على ذلك . ففرض المئونة على أهل (اكلو) و (المعدر) و (رسموكة) و «ماسة» والكيلولى لايبالى بجمعهم . بل اقبل على شانه من جميع الاموال فى(هشتوكة) و(الوادريميين)

وقبائل ما هناك (١) ثم في يوم الثلاثاء ٧ محرم ١٣١٥ هـ اقبل الى (ماسة) بجنوده . بعد ان قدم اخاه بجيوشه . فنزل في موضع من (ايت بلفاع) لم نزل هو عليه . فلما اقبل الى (ماسة) فرق عسكره على فرق اكثر من اثنى عشرة فرقة . فما زال ينزل فرقة على كل ربوة من مناخه ، الى (وادى الغاس) فانزل معظم عسكره في (السمايسة) ثم شن الغارات على الماسيين . فبلغت غارته الى مناخ الشريف في (توبوزار) وقد اخبرني بعض من شاهد عسكره فقال : والله لقد كنا في (ايت وودرين) في (ايك المؤذن) فلا ترى العين الا بسائط مستحلسة بالناس . فلا ترى موضع قدم الا ورجل فيه او فرس، ثم انه ناوشهم القتال . فقتل من عسكره ثمانية . ثم رجع الكيلولى الى مناخه كل هذا وبعض اهل (المعدن) قطعهم عسكر الكيلولى الى جهة (ايزويكا) ، فلما رجع الى مناخه خرج اهل (المعدن) المحاصرون في (ايزويكا) فاجتازوا على الشريف . فقالوا له : الراى ان نامر (ايزويكا) وكل من كان منا ان يعبروا الوادى . ويخلوا بلادهم للكيلولى ، فقال لهم الشريف : اذا اخليتاهم ذلك الجانب فسنخل لهم هذا الجانب ايضا ، فنكص على عقبه . فجمع رحله؛ وولى هاربا. فصل العشاء في(عين ابرهيم اوصالح) ، فما اصبح الا و(ايلبغ) بين عينيه . ثم رمى الله الرعب في قلوب عباده . فما بلغت ظهر الاربعاء . الا و (المعدن) خاو على عروشه بحيث لم يبق من اهله من ينفخ فيه النار . وكذلك (رسموكة) وكل من له نسبة الى اهل (المعدن) فانه نفض يديه مما يملكه . واقبل يبغى النجاة بنفسه . ثم انقض اهل (تيزنيت) و (بعقيلة) ينتهبون اموال (المعدن) و (رسموكة) وكل من لاقوه في الطرق . وقد نزلوا في وسط (المعدن) يخربون البيوت . ويذهبون بالابواب . وينقلون الشعير. ويقتلون من لاقوه في الطرقات وغيرها . انا لله وانا اليه راجعون . على هذه المصيبة الشنيعة . واتفق ان ذلك اليوم يوم الاربعاء ثامن المحرم ١٣١٥ هـ كان فيه حر شديد . فلا تسل عمن هلكوا في الطرق بالسموم من عجائز وصبيان وهرمى وضعفة الناس . ووضعت الحبالى . قال ابن العويسل . و (بعقيلة) وحزبها في الطرقات يقطعون الطرق على الناس يقتلهم . والفتك بهم . واكل اموالهم . كانهم في امان من الله ان لايصيبهم مثل ما اصاب القوم . من كان في داره نزلت عليه المصائب . ومن خرج يبغى ملجئا

---

١) كان الايلاليون و (ايت مزال) وكل تلك القبائل حاربوا القائد سعيدا في (ايسى مقورن) من (ايكونكا) ثم سعى اليهم بالاموال التى يسر بها اليهم فتفرقوا عن (ايت مزال) فدهمهم وخرب (اكادير نيت مزال) فلم يبن بعد الى الآن . واذ ذاك استولى على (أيت وادريم) .

اختطفته المصائب . فلا نفقا يفضى الى بطن الارض . ولا سلما يصعد به الى السماء . ثم من العجائب ان هذا الفتق وصل الى (بعمرانة) و (أولاد جرار) فبعضهم وثب على (العوينة) فغوروا أعينهم . وأكلوا شعيرهم . وخربوا ديارهم ، فهلك من ضعفتهم فى الطرق ما الله تعلى عالم بـه . ووثب أهـل (بعمرانة) على أهل (الكرايمة) فى (الساحل) فاخرجوهم من بلادهـم . فالتجأوا بزاوية (سيدى وكاك) وبعض الجرارين وثبوا على أهل (المنكب الابيض) ــ ايغير ملولن ــ فقتلوا وحرقوا الديار . ونهبوا الاموال . كل هذا فى يوم الاربعاء . ولم يغن غناء فى هذا اليوم الا أهل (ماسة) لو كان لهم أعوان . فان المشئوم الكيلولى داوم القتال معهم . ففى كل يوم يعيثون فـى محلته . فقتلوا أول يوم أربعين . وفى اليوم الثانى نحو مائة وستين على ما بلغنا . فلله در الماسيين . فما أصبرهم على اللقاء . واشد باسهم فى الهيجاء. واف وتف لـ (رسموكة) واهل (المعدر) فان جبنهم أورثهم عارا . لا تغسله البحار . وشنارا لايخلق على مر الليل والنهار . هم أسرع الناس الى ايقاد الفتنة . وأول الناس نكوصا وهروبا منها . وياليتنى حكمت فيهم . فاقطعهم اربا اربا . فلو صبروا صبر الكرام وذادوا عن محارمهم وأموالهم . وقاتلوا حتى يقتلوا عن اخرهم لفعلوا فعل الاحرار . ثم دخـل الكيلـولى حضرة (تيزنيت) يوم الجمعة الثالث من جمـادى الاولى ١٣١٥ هـ بعـد أن درس (رسوكة) و (المعدر) و (أكلو) و «ماسة» و «الساحـل» ونهب أموالهـم . وخرب بلادهم . وتركها شذر مذر . وفعل الافاعيل التى تصم السمـع . وتعمى الاعين . وها هو الآن أناخ بكلكله على الفريق الآخر . أتاح الله له جائحة . وصاعقة تحرقه . وسحابة تطهر منه البلاد والعباد . ثم ان الكيلولى لما اطمأن فى (تيزنيت) بث سراياه . فبعث سرية فاناخت فـى (أنزاض) قرب (تيرمسان) وقائدها عمر ابلاغ . فقاتل (رسموكة) الجبل ، فاقاموا فى (أنزاض) نحو أربعين يوما . وفى يوم الجمعة ١٦ من جمادى الثانية قاتلوا (رسموكة) بعد أن فرقوا عليهم البارود فى موضعين أحدهمـا (ايكرومـا) والآخر فى (تيزى نتعزا) فانهزم جيش الكيلولى . وقتل منه نحو عشرة . ثم فى يوم الخميس انقطع جيشه . فرجع الى (تيزنيت) وتركوا أمتعتهم فى (أنزاض) وقد ردهم الله خاسئين. وبعث سرية أخرى الى (بنى حامد) فنزلت على (تيلكات) فعاثت هناك بقطع الاشجار . وتفوير المياه . فقاتلها الحامديون فقتل فى عسكر الكيلولى اناس وفى الحامدين اخرون . فلمـا ايسوا مـن الاستيلاء على (بنى حامد) انقلبوا خاسئين . ووافق الانقلاب عن الحامدين ذلك الانقلاب من(أنزاض) فظهرت من ناحية (اصبويا) من (بعمرانة) سفينة

للنصارى خرجوا فى (اساكا) ـ موضع هناك ـ بمشاورة بعض البعمرانيين فنهض اليها الكيلولى بجيوشه . فقبض على اولئك النصارى واصحابهم من البعمرانيين . فدخل (تيزنيت) فرحا ظافرا . بعد ان طمع الناس فى نكبته وافتضاحه . ولم يقدر عليه شىء . بل تشتت تلك القبائل التى تتكلم مع النصارى بتخريب ديارهم . وجلائهم عن مواطنهم . فاقبل الى مقره فى (تيزنيت) فبعث بالنصارى واصحابهم مصفدين فى الاغلال الى السلطان . وذلك قرب رمضان من السنة . ثم قعد على اكل أموال الناس . فدخل الى أموالهم من كل باب . حتى انه ياخذهم باعشار قسمة التركات . حتى من كان وحده ياخذه بذلك . فاذا قال انا لم اقاسم احدا . ولا معى من اقاسمه اجابه بانثى اخوك الذى يقاسمك . أو يقول له دار المخزن اختك . فاعطها حظها من مالك . فطالما غمطتها حظها . فلقى الناس منه بسبب ذلك عنت القرية . حتى لم تبق دار فيها وراء (اكادير) الا أعطى ذلك . كل واحد بقدر ماله . وفى يوم الاثنين الثالث من ربيع الاخير . والثلاثة بعده سنة ١٣١٦ هـ حاصر نائب الكيلولى وهو ابن عمه الحاج احمد (تانكرت) وهى موضع فى(افران) فانه استجاش بجميع مافدر عليه من(حاحة)و(هشتوكة) و (بعمرانة) وجميع قبائل (سوس) فخيم بجميع عساكره فى قصبة (احنادو) نهض الى مقاتلته يوم الاثنين المذكور . والايام المذكورة بعده . فادام عليهم البارود فى الايام . فقتلوا فى عساكره ما يناهز ثلاثمائة رجل . ومن الخيول ما لايحصى . وقتل من أهل (تانكرت) ثلاثون رجلا . ثم كانت العاقبة لهذا الظالم . فاستولى على (افران) وكسحهم واكل أموالهم . وتركهم شذر مذر . فالله ينتقم منه بمحمد وآله . والذى تولى كبر ذلك فقيه (افران) الحاج الحسين الافرانى (١) لانه فى (تيزنيت) يومئذ . وفى الحديث شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم . منهم تخرج الفتنة . واليهم تعود . اللهم انا نمدنا اليك ايدى الضراعة . ونبغنا اليك بالسن الاستكانة ان تكفينا وجميع الامة المحمدية شر هؤلاء الظالمين . ثم فى الثالث والعشرين من شوال عام الف وثلاثمائة وستة عشر . حصر هذا اللعين وجيوشه فى (وجان) وذلك فى يوم الاثنين . وقد نزل فى دار موسى بن احمد ابن بكاس وحوله عساكره فانتدب ابطال (ولنيتة) فحاصره . ثم بعد ان كسروه كسرة شنيعة

---

١) هذا هو الاستاذ الجليل الشهير وقد كان ما بين الفقهين غير خافى . هذا وقد تركنا هذا المؤرخ ما يتعلق بحروب مجاط . وقد ذكرناها فى كتاب (من أفواه الرجال) .

فى (عقبة ادريس) وقتلوا صناديده . واشرفوا على قبضه بنفسه (١) ولما رجع الى (وجان) اقبل على الشيخ عمر بن ابرهيم ابلاغ فاودعه المطبق فى (تيزنيت) ثم استعدت شجعان (ولتيتة) اهل الخيل من (بعقيلة) و «رسموكة» و «سملالة» ومن وراءهم من التملليين . فانقضوا على عسكره يوم الاثنين المذكور . فاوقعوا به وقعة منكرة . شتت الله شمله . وأراح اهل الملة من شوكته وفتنته ، فقد تركت العقلاء حيارى . متضرعين الى الله تعلى فى ازاحة شره عن البلاد والعباد . وها نحن أولاء منتظرون فرج الله سبحانه على عباده وانكساره من (عقبة ادريس) كان يوم السبت المؤفى أربعة عشر يوما من الشهر المذكور . وخلاصة الواقعة أن أبطال (ولتيتة) انتدبوا للعيث فى عسكره . فانقضوا عليه سحر يوم الاثنين المذكور . فعاثوا فى محلته بالقتل والنهب . فتفرق عسكره شذر مذر . وقتل فيه ما يناهز سبعين رجلا . ثم لما اصبح الصباح نادى مناد ان انحسروا لمنتهى الجبل . حيث لاتلحقكم فيه الفرسان . فامتنع بعضهم رغبة فى الغنيمة . فاجتمع عليهم بقية عسكر اللعين فطردوهم بشرذمة من الخيل . فسلك الفل (هوت سيدى الغياث) وهم يقتلونهم . فقتل من (ولتيتة) نحو ثلاثين رجلا . وقطع رؤوس بعضهم. وحملوها على عادتهم من ارهاب الحمقى بحمل الرؤوس . ثم تراجع الفل . وكرت الابطال على الابطال . فرد الله كيد اللعين فى نحره . نعم انقطعت الشرذمة من عسكر (ولتيتة) فدخلوا دارا فى (وجان) تعرف بدار(ايدشفى) فتحصنوا فيها . ورام اللعين أن يخرجهم . وجعل يضربهم بالانفاض . فلم ينجع عمله . فلما جن ليل الثلاثاء خرجوا بعدما اضرموا النار فى بقية المحلة وحرقوا أخبية . وغنموا أشياء منها . ثم ان أهل (ايسن) وماردة (أساكا أوبلاغ) أتوا جيش (ولتيتة) وقالوا نحن اخوانكم وقد سئمنا خدمة هذا اللعين. فكانوا معهم يدا واحدة على محاربته. ثم ان هذا اللعين قام الى البارود وخرج اليه صبيحة يوم الاحد الاخير من شوال عام ١٣١٦ هـ وهو التاسع والعشرون من شوال . ففرقهم فى أماكن من (بيرة وجان) و (الذئاب) ـ اوشان ـ (وبنى عثمان) ، فقاتل الغرسان . فكمن له الرماة فى خنادق واخاديد من الارض . لانه يقاتل بالرصاص الانكليزى . وهو يرمى من بعيد فيصيب ولذلك لايقاتلونه الا بالرجالة . فقتل من عسكره خمسة عشر رجلا واصيب من (ولتيتة) ثمانية . ماتوا وقد خرجوا من الاخاديد . وغنم اللعين منهم بغلا . وغنموا منه فرسين . ثم ان اللعين قام الى البارود يوم الاربعاء ١

---

١) لم يحضر القائد سعيدا المعركة ذلك النهار بل كان فى (تيزنيت) وانما ذهب منها الى محل المعركة فى اليوم الثانى . بعد ما خربت البصرة .

من القعدة فطمع فى أهل (ولتيتة) الذين فى مدشر (أوبوشتى) فى (الفحص) فدفع اليهم بخيله . وتركوه بحيث لم يرمه واحد . حتى فعل ذلك مرارا . وفى المرة الاخيرة دفع اليهم بجميع عسكره . فشرعوا حينئذ فى رميه بالرصاص . حين تمكنوا منه بين الديار والبحائر . فقتل من عسكره أربعة عشر رجلا . وقتل فى (بيرة وجان) ستة رجال من عسكره ايضا فى ذلك اليوم يوم (أوبوشتى) لانه فرق البارود . ولم يصب من (ولتيتة) الا واحد جرح ولم يمت . والناس حيارى من فتنة هذا الظالم . تراهم سكارى وما هم بسكارى . ولكن هذه الفتنة شديدة . اللهم اكفنا هذا الظالم بما شئت وكيف شئت . انك على كل شىء قدير . واعلم ان هذا الظالم لما قام الى (أوبوشتى) فرق عسكره الذى اقامه اليه ارباعا . فامر كل ربع ان يدخل فى ربع مدشر (أوبوشتى) ، فلم يقدر على شىء بل رجع عنه مفلولا ملتطخا . ثم ان الله تعالى اراد فتنة (ولتيتة) فاوقع بينهم اختلاف الكلمة . فمشت فرقة منهم جواسيس الى هذا الظالم . وهو فى (وجان) فدلوه على ثغر من ثغور (ولتيتة) وذلك ان (ولتيتة) اتخذوا مكانامن ازاء وادى (تازاروالت) من ربقة (شبور) فوق (بنى باها) الى (ذئاب وادرارين) فكل قبيلة بمكمنها . واعنى بالمكامن «ايشبارن» قبيلة «بنى عمرو» بمكمنها . وهكذا الى «اخرها . وكان مكمن قبيلة (بنى حامد) فوق (سكة الخميس) وكان من عادة (بنى حامد) وبعض أهل (ايسمن) اذا امسوا ان يتركوا (ايشبارن) ويبيتوا فى القرى فذهب اولئك الجواسيس الى هذا اللعين فقالوا بكر بكور الغراب الى مكمن (بنى حامد) ومكمن أهل (ايسمن) ومكمن (بنى عمرو) فانهم لا ياتون اليها الا بعد ما يطلع النهار . فبكر اليها بعسكره . فحين رجع اولئك الى مكامنهم وجدوا عسكره قد سبقهم اليها . وجاز بعض عسكره الى ديار (بنى باها) و (بنى امسعيد) و (أوريز) فنهبوها . فقاتله (بنو حامد) خصوصا ، وهرب أهل (ايسن) و (بنو عمرو) فقتل من (بنى حامد) ٢٥ رجلا . وقتل من (بنى باها) ثلاثة او اربعة . ومن بنى ام المهابل) ثلاثة . وأهل (اوريز) ثلاثة فجملة القتل من (ولتيتة) نحو من ٣٥ قتيلا . وعسكر الظالم كان فيه القتل ولم تتحقق الآن عددهم (نعم عددهم ٢٠ بالتحقيق. وقيل ازيد) (بل اخبرنى من اثق به انه قتل فيه ذلك اليوم ٦٠ رجلا من غير نقص . ان لم يزيدوا على ذلك) فحين تسامع الناس هذه الهزيمة الشنيعة . قذف الله فى قلوبهم الرعب . فازمعوا رأيهم على الرحيل . فرحل جميع من وراء (بوشتى) الى (اعجلين) من أهل (اساكا) وأهل (التراب الابيض)و «الذئاب» و (بنى باها) و(أهل العيون) الاعلين والاسفلين وغيرهم . فانهزم عسكر (ولتيتة) من

جميع المواقع التى هو فيها . فانه بلغ الى الدخيلة . وقام منه ومن (أساكا) و (الذئاب) وجميع المواضع التى عمرها . فانحاز الى حد الجبل . فهو نازل فيه الآن . ولا أظن اقامته فيه . لان القوم أهلكهم الاختلاف . فان منهم من يطلع العدو على العورات . ويميل اليه . ومنهم من أتى بمال أعطاه له لاعدو ليفرقه فى ذوى البطون ممن أراد هلاك الامة . وهذا الرجل لايهلك القبائل ولا يغلبها باتقان الحرب . وكثرة الجيوش . انما يهلكهم بالاختلاف فانه يعدهم ويمنيهم . وما يعدهم الا غرورا . فاذا أوقع بينهم الاختلاف تلاشت ريحهم . قال تعلى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) والاختلاف أصل كل الشر. كما ان الاجتماع أصل كل خير . وكل هذا وقع صبيحة يوم السبت السادس من ذى القعدة بعد واقعة (بوشتى) بيومين . وأصهارنا أولاد (سيدى باكريم) من رقبة (ايمونان) نهبت ديارهم صبيحة يوم الاحد بعده . فاجتيحت دوابهم وكسوتهم وأثاثهم. فهم الآن نازلون علينا فى (أدوز) . فالله يجعل لنا من هذه المصيبة فرجا ومخرجا . ثم ان أهل (تيغمى) و (بنى عمرو) وأهل (ايسمن) أتوه . فذبحوا عليه بعيرا . وأظهروا التوبة . فانزل قائدا من قواده فى (أساكا) فى ديار (ايلاغن) وقائدا اخر فى ديار (وادراين) و (الذئاب) نهبت أموالهم وخربت ديارهم . وكذلك (بوشتى) و (العيون) العليا والسفل. و (أساكا) و (التراب الابيض) و (أم المهابل) و «بنومسعود» و «بنو باها» وتبين أن الذين أكلوا مال هذا الظالم ثمانية رجال . بعضهم فى (تيغمى) وبعضهم فى (ايسمن) والبعض فى (ايد باها) و «أماسين» خرجوا من ديارهم فملأوا (شفا السطح) بأثاثهم . وشيوخ (أساكا) راحلون فتشتت أمر (بعقيلة) الا أهل (وادى الجبل) وبعض قبيلة (زيلالة) والباقون فمنهم من قام فى (أنزى) . ومنهم من جاز الى المرابطين الشبيين فى (بنى حامدة) ومن الناس من جاز الى (شعبة المولود) . ومنهم الى (سملالة) كل بما أداه اليه الحال من البلاد . وهذا الظالم أظهر الفرح العظيم يوم الثلاثاء التاسع من ذى القعدة . بأعمال المفرحات . باخراج الانفاض . واجراء الخيل. واخراج كثرة البارود ، وخرج بنفسه . حتى طاف أحوال (أساكا) ووردت عليه القبائل من كل فج . من (بعمرانة) و (عشتوكة) وغيرهم مظهرين أنهم حزبه بعدما ابطأوا عنه . متوقعين نكبته على يد (ولتيتة) لسئامتهم منه ومن عسفه وظلمه . وكل قبيلة تتوقع هلاكه على يد الاخرى . وان ربك ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم العجب (١) من شرذمة ممن

١) وجب على المطالع ان يكثر التأمل فيما ياتى .

انتسبوا الى العلم، واتسموا بسمته انهم يسمون من قاتلوا هذا الظالم البغاة ويعجم ويعجم . كانهم لم يراقبوا الله عز وجل . كانهم لم يروا الشريعة قط وهذه كتب الفروع تنادى عليهم بحقيقة الباغى . لم يريدوا نكث خلافة السلطان ولا عزله . ولا منعوا له دفع الزكاة . ولا ما يدفع لبيت المال . والسلطان لا يقاتل الا من بغى عليه بهاتين . وما عداهما يجوز للرعية ان تدافع عن نفسها اذا طلبت به . وبهذا ملأت دواوين الفقه . وفى مختصر خليل (الباغية فرقة خالفت الامام لمنع حق أو خلعه) انتهى . قال الدردير: لمنع حق اى لله أو لآدمى وجب عليها كزكاة . كأداء ما عليهم مما جبوا لبيت مال المسلمين . كخراج الارض ونحو ذلك . انتهى . قال الدسوقى : قوله (كخراج الارض) أى العنوية الذى أمرهم بدفعه قال ويؤخذ من كلام المصنف وتعريفه الباغية ان الامام اذا كلف الناس بمال ظلما . فامتنعوا من دفعه واعطائه . فاتى لقتالهم انه يجوز لهم ان يدافعوا عن أنفسهم . ولا يكونون بغاة بمقاتلته . لانهم لم يمنعوا حقا ، ولا أرادوا خلعه . انتهى مباشرة . على أن فى الرهونى أن المعتمد عدم جواز القتال . فراجعه .

ان هؤلاء الولتيتيين لم يمنعوا حقا . ولا أرادوا خلع السلطان . فان قلت انهم منعوا ما يجبى لبيت المال قلت : ما يدفع لبيت المال محصور فى سبعة أمور . معروفة عند الفقهاء . مجموعة فى قول القائل :

جهات أموال بيت المال سبعتها ... فى بيت شعر حواها فيه كاتبه
خمس. وفىء . خراج . جزية . عشر ... وارث فرض . ومال فضل صاحبه

فان قلت أرض (سوس) فتحت عنوة . فخراجها لبيت المال . فهو دين لترتب فى ذممهم . واستغرق أموالهم . فهى برمتها حلال للسلطان . قلت بذلك يقول من أضله الله على علم . واتخذ الاهه هواه . وهو مضطر الى دليل يساعده بعد أن يبين أى ارض فى (سوس) فتحت عنوة . أسهلها أم جبلها، وفى أى زمن فتحت . ومن فتحها . ولا يجد ذلك الا أن يجد الابلق العقوق. و يحصل بيض الانوق . وأنى له ذلك (١) على أنه لايحكم بذلك اذا حكم فى الارضين على حفلة أو بلدة . بل يحكم أن الارض تورث وتباع وتوهب وانها مملوكة لأهلها يتصرفون فيها كيف شاءوا وكيفما شاءوا . وأى شىء تذاكره مع من لا يستقر على حال . ولا يعتمد على رجل . بل كلما عن له أمر

---

١) الحق أن أرض (سوس) أسلم عليها أهلها كغيرها من أراضى المغرب . ولا أدل على ذلك من ترك الارض فى يد أهلها من غير خراج عليها . من زمن موسى بن نصير ٨٧ هـ فى القرن الاول . ومن عهد الادارسة ١٧٢ هـ . وقد تكلم الناس كثيرا فى هذا الموضوع فى كتب النوازل والتاريخ .

نظر الى ما يوافق فيه هواه . وان هدم ما قال قبل ونافضه . يتلون في الاحكام في كل يوم . وفي كل وقت وساعة . اللهم العن الشيعة . ومغيري الشريعة :

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ثم اعلم ان الله اقتص من (بعقيلة) واخذ منهم ثار أهل (المعدر) كما تدين تدان . فلا تجد دارا في (تيغمي) ولا (أماسين) الا وقد رحل أهلها هاربين بدوابهم وشعيرهم وأثاثهم وصبيانهم ونسائهم . متجولين في رؤوس الجبال فمنهم من أوى الى دار من ديار من رحلوا اليهم . فلا تجد دارا الا وقد نزل على أربابها أربعة كوانين من الراحلين فاكثر . ومنهم من نزل في الخلاء حتى ان منهم من ينزل في السكك . وترى الناس ياتون من كل فج عميق حتى امتلات بهم الطرق . وحتى اجتمع في عشية من تلك العشايا في سوق (أماكا) قرب (شفا السطح) ١٥٠ بقرة لاهل (أماسين) فقط . وأما أهل «تيغمي» فلا تسأل . فقد بلغت قلوبهم الحناجر . وظنوا بالله الظنون . فرحلوا بأجمعهم . فمنهم من أخذ اثاثه وأولاده . وطلع الى ما فوق (شفا السطح) ينظر الى (تيغمي) يترقب طلوع عسكر الكيلولي . لنهب (تيغمي) ومنهم من حاز الى مسجد (موزايت) وسكن فيه بعد أن اخرجوا امامه وطلبته واتخذوا مقصورته مراحا للغنم . وقامت سوق عظيمة حذاء (موزايت) من كثرة الناس . كل هذا من غير داعية تدعوهم الى ذلك . غير أنهم لما وقعت تلك الكسرة في(الفحص) خافوا هم وأهل(أماسين) أن يتبعهم عسكر الكيلولي وهو أيضا خائف من أن يطرقوا عسكره ليلا . كما فعلوا أولا . فقد حدثني من اثق به أن عسكره في هذه الليالي سمعوا خروج مكحلة في الليل . فتدافعوا وفزعوا . فما استقروا الا بعد ردح من الليل . وكذلك كان الامر فانه خاف من وراء وادي (تازاروالت) الى (القبلة) وعسفه وظلمه لم يتجاوزا ما وراء الوادي الى الجوف . الا (بني باها) وأهل (ايسن) ثم اغارت فرقة من عسكره من أهل (وادي نون) على أهل (تيغمي) ، ففنموا منهم عشرة ابعرة و ٢٠٠ من الغنم أتوهم من قبل (تازاروالت) وباجملة فلا تسل عما الناس فيه من الضيق والحرج (فما استقل بهم ربع ولا ظلل) ثم ان (ولتيتة) (١) الجبل مما وراء «تيكيوت» ـ الزقوم ـ استعصوا على الكيلولي فارسل الى قريبه الحاج احمد الذي زعم انه فتاح البلاد . وانه مثل قتيبة بن مسلم الباهلي . فاتى في شرذمة من بلده (٢) من العسكر . فنزل في (وجان)

١) هذا كلام ابتداه من جديد . والمقصود به تفصيل ما تقدم .
٢) كان جاء اولا مع القائد . ولعله رجع ثم استدعي الآن .

فجعل يقاتل البودراريين ـ الجبليين ـ فاغار على (اكريز) وهو محل معروف فوق (مرة) وحذا (انزاض) يوم الثلاثاء الرابع عشر من الحجة ١٣١٦ هـ فقاتل (البودراريون) ـ اى الجبليون ـ فقتلوا فى عسكره عشرة . فرجع مفلولا الى (وجان) ثم ترك البارود ثلاثة ايام . فخرج يوم السبت . فاغار على (لم هوت تاسمرت) . فكاد ياخذ مدشر (ايد سموكن) و (الايفلالين) وانتدب له ابطال أهل الجبل . فردوه خاسئا . وقتل من عسكره نحو من ٢٠ وحرق أهل الجبل واحدا أدركوه . فرجع خاسئا . ومات من أهل الجبل نحو سبعة . فرجع واشتغل بساقية (تامورت) يقطع أشجارها . فقطع فيها ما الله عالم به من النخل والتين والعنب والرمان والزيت فلعنة الله عليه وعلى ،ابائه . ثم ترك البارود يوما . وبكر يوم الاثنين الى (ايكر نعشرا) قرب (بنى حامد) فهزموه فيه ايضا . وقتل من عسكره نحو ١٥ فانقلب راجعا الى (وجان) وقتل من الفريق الآخر نحو اربعة . والذى يوجب له كثرة الموتى فى جيشه . وقلتهم فى أعدائه أن أعداءه ياخذون له الجبل. ولايخرجون الى السهل . لان عنده رصاصا انكليزيا . لايقوم له فى السهل شىء . والناس فى حيرة عظيمة من هذا الرجل . واضافوا الى مصيبته جدب العام . فالله يجعل لعباده فرجا ومخرجا . فانهم تركوا من أجله كل سبب . فلا تجد من يشتغل بالكسب . والناس يستعينون اذا اجدب العام بحراثة بساتينهم وسواقيهم . ففى هذا العام عطلوا كل شىء من أجل ما هم فيه . وكل هذا وجيش ،اخر من (حاحة) ومن كان معهم . يدا واحدة نازلون على بنى (عمارة ـ اى اداكمار ـ يقاتلونهم كل يوم . والى الله المفزع من هذه الفتنة .

ثم ان الفقيه العلامة سيدى الحاج أحمد بن عبد الرحمن المجشتيمى توسط بين الكيلولى وبين (ولتيتة) فاقبل من بلده . ونزل فى (ترمسان) فبات فيها . وجاز الى (وجان) . ثم الى الطاغية فى (تيزنيت) فلم ينجع سعيه والحق سعده . ورجع الى (ولتيتة) وقال لهم لم اجىء اليكم الا باحدى ثلاثين اما ان تكونوا أحد الناس ـ يعنى تطيعون ـ واما التشمير للمقاتلة . وبات عند (هرجانة أوعدى) قرب (ايسكدال) وحين أصبح شيعه كبراء (ولتيتة) وعامتهم . بانه ليس للكيلولى عندهم الا ما يكره . ويرغم انفه . غير واحدة ان اراد ان يفك أسارانا نعطيه مائة ريال عن كل اسير . وجملتهم نحو ثلاثين فرجع الفقيه والناس ينتظرونه .

ثم دخلت قطعة من العسكر (١) (تيزنيت) جاءت من (مراكش) فى عاشر المحرم ١٣١٧ هـ والناس يفيضون فى شانه فمن قائل جاء للرحمة .

---

١) هذا العسكر هو الذى قاده القائد الناجم كما ذكر فى ترجمته .

وانقاذ الناس من الهلاك . بعزل الكلولى وابعاده عن هذه البلاد . وان عيشه في أموال الناس وتلاعبه بمحاربهم . وسفكه لدمائهم . بلغ السلطان . فقد قيل له : ان كانت له رغبة بـ (سوس) فداركه . فان الكيلولى طوح باهله فتلاف بقيته قبل تلافه. ومن قائل جاء مددا للكيلولى حين أرسل الى السلطان يشتكى اليه ان القتل استحر في عسكره الذى معه بالوقائع السابقة . وكذلك كان الامر . لان عساكره قد تلفت واستأصلها الموت . حتى لم يبق معه الا القليل من الكثير . كحصاة من ثبير . ثم تبين أن ذلك العسكر جاء مددا فشمر عن ساعد الجد لاستيصال (ولتيتة) فانزل بعض جيوشه في (تازاروالت) في (أكجكال) وقد انزل هناك قبائل (بعمرانة) و «الاخماص» و «أهل برابيم» مع قائد من قواده يدعى أوتسوكا . فقابل بهم الثغر الذى في (فم تيغمى) وانزل (رسموكة) الفحص في (ايمكوت) في داخل «ايسمن» وانزل (بعقيلة) الفحص . وقائد من قواده مع بعض (حاحة) في (تالبرجت) يراقب بعض الثغر الذى في (انزاض) وتاريخ نزول الجيش بـ (اكجكال) يوم الاحد ١٨ من المحرم ١٣١٧ هـ والمتول لتعبئة الجيوش على تلك الحالة هو صنديدهم وطاغيتهم الحاج أحمد ابن عم القائد سعيد الكيلولى فهو الذى أضرم النار . وتأل على الله ان لايدع شاذة ولا فاذة الا استأصلها ومعظم العساكر معه في (وجان) لم يبرح به . فرد عليه القاضى والدانى ، ممن كان يسعى في فساد الامة . ومعه معظم (حاحة) وجميع (هشتوكة) وأهل « المعدر » وأهل «الساحل» وأهل (أكلو) والعسكر الذى جاء من (مراكش) والذى بقى معه في أمم كالجراد . وكل هذا وقائده الذى أنزله على «ايداكمار» يدعى بورغا على حاله . ومعه قبائل (مجاط) و (اقران) و «أيت وخا» و (أيت واقفا) ومن انضاف معهم والشريف ابن هاشم استنوق جمله . فكان مع أوتسوكا . يقاتل معه من قاتلهم . وكانوا معه يدا واحدة ، ثم اجمعوا أن كل من سمع غارة أو بارودا في ثغر أن يضرم النار في ثغره هو . ثم قاموا الى القتال والبارود الثلاثاء ٢٠ من المحرم فصبح كل واحد ثغره . فاضرم فيه النار. فطلع الحاج احمد الى (عقبة ادريس) فدخل اليها من ناحية (ايغلالن) فقتل في عسكره ١٥ كما قتل من (ولتيتة) رجلان . فرجع الى «وجان» واما ثغر (تيغمى) فلم يقتل في الفريقين واحد . وانما ارسلوا غارة الى (تيمدرت) فحرقوا زروب «ايكوزالن» وتبنهم . فرجعوا . ثم عاودوا القتال يوم الاربعاء ٢١ من المحرم . فارسلوا جيشا كثيرا الى (تيغمى) فقاتلوا أشد المقاتلة . فاضرموا نارا في (تامودينت) فقتل من فريق المخزن ١١ مع عدد من الخيل لا أدرى عددهم . وقتل من هؤلاء واحد من اهل

(منكليموس) . ثم ان الحاج احمد طلع الى (عقبة ادريس) بعدما سمع البارود في (ايغمى) ناويا ان يفجأ هذا النفر على غرة . وان يغلبه الناس اشتغالا بالمقاتلة في «تيغمى» فطلع بجيوشه . وقائدهم والمطلع على عورات (بعقيلة) كبراؤهم الساكنون بالفحص . الذين بايالته ـ كمسعود بن ابرهيم المراوى وأحمد بن على بن موسى ـ من (عين ابرهيم بن صالح) . والطاهر بن الحسن ابلاغ . فلما بلغ العسكر المكان الذى بين (تيغلالن) وبين (عقبة ادريس) قال الحاج احمد لقائد من قواد العسكر : هذا المكمن واشار الى (اشبار) كائن هناك وقال : ان لم تخرج الناس الذين فيه نتفنا لحيتك مقفلنا من هنا اليوم . وقال لبعض كبار (حاحة) : اتبصرون تلك البروج واشار الى ديار (بنى حمو بن مبارك) من (اماسين) ان لم تصل غارتكم الى تلك البروج نتفنا لحاكم ان رجعنا . وقال : وانا اكفيكم (عقبة ادريس) فانقض العسكر على ذلك المكمن انقضاض البزاة على الصيد . فاخرجوا منه نحو ٢٠٠ فالجأهم الى ديار (عقبة ادريس) فدخلوها . وانقضت (حاحة) وبعض (بنى بعقيلة) من الفحص ممن ذكرنا على «اماسين» فأوصلوا غارتهم الى ديار (بنى حمو بن مبارك) ثم توجه الحاج احمد الى (عقبة ادريس) فقتلهم هذا الديار . فكان من لطف الله ورحمته بـ (ولتيتة) ان اصابت الحاج احمد رصاصة عابرة فى راسه فكان كامس الدابر . فخر صريعا (١) للبدين وللفم . ثم ضرب الطبل . فانكشفت العساكر . وبقى الحاجيون الداخلون الى (اماسين) فانقض عليهم الولتيتيون من كل أوب من جهة (هوت النحاس). طلع منه الفارغون من قتال (تيغمى) ومن جهة ديار (عقبة ادريس) خرج الذين فى الديار . وطلع اخرون من (وادى ايمنودن) أتوا من (انزاض) فانقضوا على اولئك انقضاض البزاة . فقتلوا منهم نحو ٧٥ كما غنموا أكثر من ٤٠ فرسا . وقدرا من المكاحل الانكليزية ـ ساسبو ـ لا يدرى عددها . وأسروا كبير من كبراء (بعقيلة) الفحص وهو احمد بن على بن موسى المذكور . فجزوا ناصيته واطلقوه . وبالجملة فلا تسال عما جرى . وفرح الناس غاية الفرح بعد أن يئسوا غاية اليأس ثم فى يوم الاحد الذى هو الثالث عشر من ربيع الثانى عام ١٣١٧ هـ اجتمعت جيوش (ولتيتة) مما رده وادى التاملين الى (رسموكة) و (سملالة) و «بعقيلة» وغيرها . فخربوا دار المقدم احمد بن محمد بن عدى من (كردوس) فانه الحامل لراية الظلم . الجرىء على اهل هذه البلاد الذى اضرم نار الفتنة من كل اوب . وهو الذى اجاز الكلول الى هذه البلاد . والحمد لله على قطع

---

١) لم يمت الا بعد أيام

دابره . واستئصال شافته (فقطع دابر القوم الذى ظلموا . والحمد لله رب العلمين) . وفى الحديث ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته . أخبر من راى داره انها صارت بلاقع خاوية بما ظلموا . وصارت معششا للبوم والغربان فحمدا حمدا . وشكرا شكرا . اللهم عليك ببقية حزب الكيلولى فانه اباد دينك . وأهان أهلك . وأذل حزبك . اللهم انت المرجو لكشف ضره . واخماد ثائرته . اللهم العجل العجل .

ثم ان القائد الكيلولى قوض خيامه وارتحل من (تيزنيت) راجعا الى بلده . وقد كتب اليه السلطان بالطلوع الى (مراكش) بعد موت (بًا احمد) وزير السلطان . وكان يوم خروج المجرم المبيد . الشيطان المريد . الذى ليس له نصيب من الايمان ولا الاسلام الكيلولى من (تيزنيت) يوم الاثنين رابع ربيع النبوى عام ١٣١٨ هـ فنسال الله العظيم أن لا يرى للناس مثله . فلقد خرب (سوس) وأكل زواياها . وخرب مدارسها . وفعل افاعيل تصم وتبكم . فاخزى الله آثوابا عليه . وأخزى الله ما تحت الثياب . ومخازى الرجل لو دونت لكانت أزيد من مائتى سفر . وحاصله انه أمات الدين المحمدى . وأحيا دين الكفر . فطهر الله الارض من مثله واذاقه وبال فعله . . . . .)

انتهى ما كتبه الاستاذ الذى كان شاهد عيان لما وقع اذ ذاك . وقد استفدنا كثيرا من تواريخ ما وقع للقائد سعيد هناك . مما كان يعوزنا فى كثير من حكايات الحاضرين اذ ذاك . غير ان الاستاذ لم يعتن الا بتفصيل ما وقع فى جبال بلده (بعقيلة) وما اليها . واما ما وقع فى (بعمرانة) وفى (مجاط) و (ايفران) وغيرها . فانه لم يلم به الا تحلية للقسم . وسيجد المطالع تفاصيل آخرى عما كان من هذه الجيوش الكيلولية فى ترجمة القائد الناجم فى (الجزء العشرين) وفى ثنايا أخبار عن (مجاط) و (افران) و (أيت واقفا) و (الخ) و (هشتوكة) فى أماكن أخرى من مقدمة (طاقة ريحان) ومن كتاب (أفواه الرجال) ومن تراجم أخرى فى كتابنا هذا (المعسول) مثل ما كتبه الفقيه المانوزى . ويوجد فى (الثالث) من الكتاب .

قوافى مدحها

ثم ان هناك قوافى للشاعر الافرانى . وللاديب الحبيب الجرارى . وللاستاذ على بن عبد الله الالفى . فى جناب هذا القائد نسوقها كترويح للادب . لا لموافقتنا لمدح مثل هذا الانسان . ونحن نعذر هؤلاء ان قالوا فى مثله . لان للحاجات أبوابا قد تكون قوافى الادباء احد مفاتيحها .

فاما ما قاله فيه شيخنا الافراني فمن ذلك مـا خاطبه بـه اول ما ورد استجابة لاقتراح سيدى الحاج الحسين الايفراني :

تبين نـور الحق واتضح الهـدى ... وأصبح ركن الدين ركنا مشيدا
وقام بتقويم المعالم ماجـدا ... أبان سبيل المجد بالباس والندا
همام تعـود السيادة كلما ... تبدت لـه راياتها بسط اليـدا
جرى فى ميادين الكمال مبرزا ... الى أن حوى فى سبقه قصب المدا
اذا استصعبت يوما من العز رتبة ... فليس لها الا سعيد بـن احمدا
يرى كنور البدر فى فحمة الدجا ... وعـزم كما سل الحسام مهنـدا
على شرف لا يخمد الدهر نـوره ... وهمة نفس دونها النجم مقعدا
اذا جد يوم الروع او جاد بالندا ... حكى الليث باسا أوحكى البحر مزبدا
وان عقدت للحرب رايات جيشه ... تقدمهـا نصر من اللـه مسعـدا
بكـل فتى ثبت الجنـان مشيـع ... تعـود من حر الوغى ما تعـودا
اذ اشتعلت يومـا تقحمهـا ولا ... يعرد فيمن كان عنها معردا (١)
بصير بـد الطعن والضرب كلما ... رأى بطلا أهدى له تحفة الردى
يخوض غمار الموت فوق مطهم ... كما انقض نجم الرجم فى اثر العدا
اغر بذا (مصبوبة) رغم انفها ... ومن قبلها ابطال (منسة) شهدا
تدارك سوسا بعدما كاد نوره ... بظلمة ليل الظلم ان يتخمدا
فاصبح وجه الدين والعدل والهدى ... يلوح منيرا ما بمرءاته صدا
تتبع أقصى الداء حتى ابادە ... بحسم أريمات الغواية والعدا
وانعم اهل الفضل جودا ومنة ... وارغم انف من عتا وتمردا
فلست ترى فى سائر القطر غيرمن ... تسربل ثوب الامن واليمن وارتدى
وقرت عيون المسلمين بيمنه ... وعاد به جفن الضلالة ارمدا
وقام بامر الله حتى استقامت الا ... مور وعاد الدين غضا مجددا
وحتى اطاع الناس بالكره والرضا ... جميعا (أمير المومنين) المؤيدا

* * *

فيا قائدا عم البريئة فضله ... وياسيدا قد راح فى المجد واغتدى
بقيت لعز كنت شمس سمائه ... تلوح على برج السيادة سرمدا
سلام على تلك الشمائل ما شدا ... حمام على غصن الاراك وغردا
وما شام برق المجد فى جو ساحة ... سموت بها عالى المكارم فاهتدى

ومن ذلك ما هنأ به خليفته الحاج احمد يوم احتل (تانكرت) :

لك العلم المنصور يا علم العصر ... فهنئت بالفتح المبين وبالنصر
فحمدا لمن أولاك عزا سما به ... مقامك حتى حل فى مقعد النسر

١) عرد فى المعركة تعريدا : اذا تلكأ عنها .

فاصبحت بدرا يستضيء بنوره ... اذا ضل فى سبل المكارم من يسرى
ولا تجد الا ما حويت ولا تندى ... سوى ما همى من صوب راحتك الغمر
ولا طيب الا ما تضوع كلما ... جرى ذكرك العذب المتردد من نشر
فانت الذى عم المغارب صيته ... وطبق ما بين السواد الى (مصر)
ودانت له (سوس) على طول ماجرى ... بهم فى ميادين الهوى فرس الجور
فتم به نظم الشتات وامنت ... جميع بلاد الله فى السهل والوعر
وقمت لحرب الـ(تانكرت) بعدما ... اضلهم الشيطان فى مهمه الخسر
جلبت لهم جيشا يموج عبابه ... بكل فتى يسطو عن النظر الشزر
فلما اجلت الخيل فى عرصاتها ... واذهلهم عن شانهم شدة الذعر
رحمتهم لما قدرت عليهم ... واعتقتهم من ربقة القتل والاسر
وقابلت بالعفو الذى انت اهله ... ذنوبهم والعفو اولى بذى القدر
وامنتهم من كل خوف فاصبحوا ... يجازون نعماك العظيمة بالشكر
فيا ايها المولى الخليفة والذى ... تضيء به الامال فى مظلم الامر
ويا خير من يأوى العصاة لبابه ... فيلقاهم فى غاية البسط والبشر
لك الله من فذ تكفل سعده ... بأن لايرى الا على ذروة الفخر
فلازلت ملحوظ الجناب معطر الـ ... ـسناء مصونا من أذى كل ذى شر
موفر امال . مبرء ساحة ... معانا على ما تبتغيه من الخير

ثم خاطبه أيضا بقوله :

صبت الخليفة طبق الارجاء ... فسعت اليه مخافة ورجاء
فالمعتدى قد خاف حد حسامه ... ورأى المحب ندى يديه فجاء
بالسيب أو بالسيف عود كفه ... فسما بذاك على السماك علاء
لطف وعنف فى محل واحد ... كالريح اعصارا ترى ورخاء
فاذا همى من مزن راحته الندا ... أروى عفاة المكرمات سخاء
واذا سطا يوم الكريهة سيفه ... أفنى كماة المعتدين بلاء
جد تذوب له الهضاب وهمة ... لاترتضى الا سنى وسناء
وشمائل كالروض صافحه الندا ... سحرا فتم على النسيم ذكاء
ان المكارم والمحاسن والندى ... جمعت اليه وعفة وحياء
لا زال طول الدهر رونق عزه ... وجمال سؤدده يروق صفاء
وتحية موصولة منى على ... عليائه تفنى الزمان بقاء

وله أيضا فى بعض هؤلاء الحاجبين . ويسمى ابن عواد ـ هكذا نقلت من خط ابن شاعرنا ـ :

عليك سلام طيب رائح غاد ... يفوح كما فاحت حلال ابن عواد

سلام محب هزه الشوق والهوى ... اليك كما هز الصبا سرحة الوادى
سبى مجدك المأثور عنك فؤاده ... فحبك سمعا قبل أن يجمع النادى
ونم شذا ذكراك عنك فدله ... عليك صريحا والشذا مرشد هاد
فدونك ضيفا يطلب القرب لا القرا ... ويخطب صرف الود لا طرفة الزاد
فلا زالت الآمال تنجح ساحة ... نزلت بها غيث الفدا نجعة الصادى

ثم لما هلك الحاج احمد رثاه بقوله :

دهى حادث فاغتال انفس ماذخر ... وجار على بدر السيادة والفخر
واودع بطن اللحد نفسا تجسدت ... من المجد والعلياء والفضل والبر
هماما سما للمكرمات فلم يزل ... الى أن علا فوق المجرة والنسر
وسار مسير الشمس فى الجو فضله ... واغنى نداه الجم عن وابل القطر
والقل اعناق الرجال امتنانه ... فاضحت له الافواه ملأى من الشكر
هو السيد الصدر الخليفة احمد ... سليل الكرام الصيد والسادة الغر
فتى لبست ثوب الاسى رتب العلا ... عليه وسالت أدمع البيض والسمر
وذابت حشاشة العلا بعد فقده ... وضم فؤاد المجد منه على الجمر
مضى فى سبيل المكرمات معطرا ... ثناء مصون العرض مرتفع القدر
بعيد المدا فى شاو كل فضيلة ... أبيا كريما طيب السر والجهر
عكوفا على مايكسب المجد لايرى ... لغير طلاب الحمد أو طلب الاجر
فقدس رب العرش فى الخلد روحه ... وامنه بالعفو والصفح والغفر
وعزى بحسن الصبر والاجر عمه السـ ... ـعيد الهمام المرتضى الواسع الصدر
واولاه فى اولاده مـا يسده ... واغناه عن زيد سواهم وعن عمرو
وظفره فى كل امر يرومه ... وانجده بالعون منه وبالنصر
وقاد له بالرغم كل ممنع ... وارشده للقصد فى كل ما أمر
وطوق اعناق العدا بحسامـه ... وجرعهم كاس المذلة والاسر

* * *

فما قائدا عم البريئة سعده ... وفاض ندى كفيه فى كل ما قطر
تعز عن الارضى خليفتك الذى ... غدا صارما مهما ضربت به يفرى
فهيك وفى ابنائك الغر او بنى ... اخيك غنى فى ساعة البيسر والعسر
فلا تجزعن من فائت جل قدره ... ولاتخضعن مهما دهى حادث الدهر
فهذا سبيل الخلق طرا فما على الـ ... ـبسيطة الا من يصير الى القبر
ولق بالذى أولاك نصرا سموت فى ... ذراه فلم تحتج الى نصرة الغير
فمن كان بالله العلى انتصاره ... أتاه الهنا من حيث يدرى ولايدرى
فلا زالت فى امن وعز مؤيد ... تقابلك الآمال بالبسط والبشر

ولازلت مسرورا بما تشتهيه فى ... بنيك وفى اخوانك الانجم الزهر
بجاه اجل الخلق والفخر آله ... واصحابه والتابعين الى الحشر
عليه مدا الايام ثم عليهم ... صلاة كما هب النسيم مع الفجر

واما ما قاله الاديب سيدى الحبيب الجرادى . فهاكه منقولا من خط أبى فارس الادوزى . رحمهما الله .

(ولصاحبنا الاديب البارع . الفائق أهل عصره فى الترسل والنظم . سيدى محمد الحبيب بن على السكراتى مادحا القائد سعيدا الكيلولى سامح الله لأخينا فى ذلك :

على قدر سعى المرء تاتى المكاسب ... وهذى المعالى لا الامانى الكواذب
واكبار من لم تختبره جهالة ... واكثر نفث المادحين معايب
فما المجد فيما يحسب الناس حيلة ... اذا لم توطده السيوف القواضب
ولا كان نيل المستلذ غنيمة ... اذا لم تخد بك الفلاة النجائب
يرى الحرب سلما غير ملتبس بها ... ولا شاب الا من لقاها الذوائب
عرتك ابا عثمان منها شدائد ... تجلت لكل الناس فيه العجائب
صبرت لها ثم اكتسبت مفاخرا ... كفى كل سعى منك للفخر جالب
فما اختل منك العزم منذ عقدته ... ولا لان منك للكريهة جانب
سما بك صدق العزم من بعد همة ... تطاول شهب الجو منها المناكب
ولما ترفت فى الضلال جهالة ... قبائل (سوس) واقتضت من تحارب
رماك امير المومنين لدائها ... طبيبا لبيبا حنكته التجارب
رمى بك سهما صائبا لنحورها ... لقد عظمت فى المارقين المصائب
وكانت عيون الحرب عنهم هواجعا ... فايقظتها والحق للداء غالب
فسرت اليهم فى لبوث جريئة ... واين من الاسد الضوارى الثعالب
قد اكتنفتهم من لدنك صواعق ... سماواتها(الورواز)(١) انقضات هارب
فما نفع التحصين منك بشاهق ... ولا منعتهم من رداك السباسب
فبعد اللتيا اخلصوا الله توبة ... ومن خامرته الموت (٢) لابد تائب
فامسى بغى النفس منك أباعد ... واحرز عز الدهر منك الاقارب
بنيت بهذا الفتح مجدا مشيدا ... تمنى منال القرب منك الكواكب
خدمت به باب الخلافة ناصحا ... سنتحمد عند الله منك العواقب
واحرزت دون الناس عليا لو سما ... لها آمل ضاقت عليه المذاهب

١) نوع من البارودات الاجنبية الحديثة اذ ذاك .
٢) الموت يذكر .

واومت اليك فابتدرت اجابة ... لترضيها كفتا لديك المراتب
واضحى مع الاقدار زندك واريا ... فلم يستطع عدا لما نلت حاسب
يهاب من الاقطار باسك جانب ... ويرجوك للفضل الذى فيك جانب
بمقدار ما تثنى عليك الركائب ... وتاتى انقيادا فى رضاك المطالب
رسا فى فؤادى ودك المحض قد صفت ... لذى مقة فى الناس منك المشارب
اعثى على صرف الزمان فانه ... برتنى على الاشهاد منك النوائب
وجد فى اقتناء المكرمات فانما ... نوافل اهل الخير عندك واجب

ولما وقف عليها شيخنا العارف بالله تعلى. العالم الربانى سيدى الحسن ابن مبارك التامودیزتى انكرها وقال : الم تجب سيدى الحبيب لما وقفت على كلامه . قلت : لا . قال : لم يكن فيك وازع ايمانى . قلت : لا ادرى ما اقول قال : اكتب :

سفر القلوب الى الاله كرامة ... ونزاهة ما مثلها للمتقى
سفر النفوس الى الامير ندامة ... ومذلة ما مثلها للمعتدى

فلما املى علىّ هذين البيتين قال : زد على هذا فلما اقحمنى . اقتحمت فقلت وان كان نفسهما أعلى من نفسى . بل لا علو فى نفسى . فقلت :

خطب اجل ترقب المتصوف ... بدل الملوك واخذه من متلف
عكس القضية منتم للعلم اذ ... وافى الامير بعلمه المتشرف
جعل الكريم وراءه وامامه ... جعل البخيل وذاك فعل المسرف
نفسى الركون الى العتاة وانه ... سبب لمس لظى الجحيم المتلف
اولم تكن سوق السماح تقام فى ... جو الليالى من فقير مدنف
وردت به الاخبار هل من مجتد ... او مستقيل من ذنوب مقرف
اخشيت ويحك ان تؤوب بخيبة ... ان رمته والله ليس بمخلف
لله ما احلى السؤال لخالق ... لا تلفين مثله للملحف
صن حر وجهك لاتذله لامرء ... لا الفينك ضارعا للمترف
وتضعضعن لله ثمت اظهرن ... للشامتين تجلدا وتكلف
سفر القلوب الى الاله كرامة ... ونزاهة ما مثلها للمتقى
سفر النفوس الى الامير ندامة ... ومذلة ما مثلها للمعتدى
لاتئسين خبرا لمن خبر الورى ... فغدا يجدر كل مرء منصف
(ما نال باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بتكلف)
والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تكتفى
تعد الجبابرة النجادة اذ انوا ... عند الاله وانهم من يصطفى
كذبتك نفسك ليس ذاك مقامهم ... ان العذاب جزاء من لم يسعف

واخال انك عابث بالقوم اذ ... وعد الاله لهم لظى لا تنطفى
والله ما ابتنتهم لتزيدهم ... شرفا ولكن تيك رقية ملحف
فبأى ما قدم سعوا نحو الهدى ... عرضت نفسك للبلاء فخوف
أباكلهم مال الخلائق كلهم ... وعتوهم ومروقهم للمدنف
يردون من لفح العذاب مواردا ... جمعت مجاجة أيم متغضف
أكل الاثيم من الزقوم وشربه ... ماء الحميم اذا أتى للموقف
ومن العجائب أن وقت همم الورى ... أهل القلوب وأهل هذا المصحف
افلا تذوب قلوبكم اخواننا ... مما دهانا من عدو متلف
يا حسرتى لحمية الاسلام قد ... ضعفت وكانت قبل ذا لم تضعف
من لم يمت كمدا لعظم الخطب لم ... احفل به وبدمعه فليذرف
اخواننا ضجوا وعجوا فالذى ... تدعونه يجلو البلا بتلطف
وتوسلوا بمحمد وباهله ... وبصحبه ياتيكم اللطف الخفى
اخواننا صلوا عليه وسلموا ... وسلوا الشفاعة فى البلاء المتلف

وأما ما قاله الاستاذ ابو الحسن الالفى فقد وقفنا له على قصيدة رائية فى القائد سعيد يوم فتح (هصبوية) اثر اتصالهم بالاجنبى الخارج باذنهم هناك :

لك البشر والبشرى بفتح به عنت ... وجوه العتاة العمى للحق عن قهر
به جبر الرحمن للدين صدعه ... فاصبح بعد العسر والضيق فى يسر
وقرت عيون المومنين به كما ... به قذيت عين الضلالة والكفر
أقمت قوام الدين بعد اعوجاجه ... وامنت سربه المروع من ذعر
وجددت من أركانه كل ما وهى ... فعادت بحمد الله عالية القدر
واصبح حزب الكفر دام وبالهم ... وفسرهم بالقهر فى ذلة الاسر
اتى ان منهم من تولاهم فما ... لـ(هصبوية) صبت الى الظلم والضير
رئيسهم الغير المبارك من دعوا ... بنجل (يكو) يدعو الى الشرك والكفر
يمنيهم الشيطان نصرهم وما ... يمنيهم الا غرور ذوى المكر
هم الفاسقون المارقون بدينهم ... مروق السهام السمر من حشوة الجر
هم ندموا ولات ساعة مندم ... وليس يحيق المكر الا ذوى غدر
فاموالهم مباحة ودماؤهم ... تراق بسيف الشرع من دون مانكر
لذاك ترى الشجعان تنقض فى الشوا ... مخ النسم فيهم كالبزاة على الطير
لقد قمت يا سعيد فى نصر ديننا ... قياما به تستوجب الحمد عن شكر
بمثلك يامن الطريق ويسلم الـ ... ـسغريق من الحريق لازلت فى نصر
ولا زلت فى حفظ الاله ومن اذا ... ك لا زال فى حرب عوان وفى حصر

ولا زلت فى رضا الامير كما تحـ ـب عناك رضاء لا يعقب بالنزر
امام جواد ماجد نال فوق ما تمناه من نصر ومن رفعة القدر

ومن خاطبه اذ ذاك الاستاذ محمد بن مسعود المعدرى بقوله :

اسيدنا الخليفة المرتضى البحرا ودرة هذا الملك قلدها نحرا
سعيد بن احمد السعيد الرضى البرا مدل عناة سوسنا السهل والوعرا
حبتك المعالى المجد والعز والفخرا ولافيت فى العقبى المثوبة والذخرا
ولا زال منهلا بصيب رحمـة على ربعك السلام والروح والبشرا
اتتك على الرغم السعادة اذ وفى بها طالع السعود عن عجل تترى
ومكنك العزيز فى الارض باسطا على بابـك الآمال فاغتـنم الشكرا
وهذا ضعيف جاء يهدى مدائحا يؤمل من عليائك العرف والبرا
وما ذاك الا فكة عان جرت به الـ مقادير فى(تيزنيت) قد كابد الاسرا
وذلك قد جرى به سبل فتنة حوى شؤمها العاصى فى الناس والبرا
وكان له اخ منا لدينا مجاور برسم ابتغاء العلم من نجبا القرا
ومن خاصة الاصحاب والعلم شانه عزيز عليكم ان عرفتم لـه قـدرا
وكان الذى فى السجن يكفيه ما اهم ـه من امور تشغل البال والفكرا
كما كان للمحبوس حق تعلم الـ قران وهذا الحق اعظم به قدرا
وكانا جميعا قبل فى حرمة الوقا ر من سلف ابقت له الحرمة الذكرا
وكانا من الانصار من جاء فى الحديـ ـث امر بعفو عن مسيئهم وزرا
وهذا على فرض الاساءة والذى يظن باهل الخير ان يكسبوا الخيرا
ولم يدخلا مداخل الشر بل هما بغيضان فيمن يطلب البغى والشرا
من الفئة المستضعفين ولو راوا سبيلا لبانوا عن مواطنهم هجرا
وفى مثلهم قد جاء فى الذكر انـه تعل اسمه من ضعفهم قبل العذرا
وذاك اذا ما هاجروا نحو يثرب ومكة قبل فتحها استوطنوا دهرا
وسيدنـا اولى بعفـو محمـد عليه صلاة الله ما بدت الشعرى
بقيت مخلد المكارم وافى الـ مجادة محفوظا بدينا وفى الاخرى

رسائل تتعلق بالمترجم

اتصلنا ببعض رسائل حكومية . فاخترنا ان نسوقها كنآثار تاريخية وفيها ما يوضح بعض اعماله فى (سوس) .

الاولى

(خديمنا الارضى القائد سعيد الليلول وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله (وبعد) وصل كتابك مؤكدا ما قدمت الاعلام به من استقامة الاحوال . وهنا، الطريق. عدا ما رامه (ماسكينة) و(ادوتنان) من اخراج الخديم الكسيمي من (أكادير) وتخبر عن شيوع الفساد بنواحيه التي من جادة طريق (السويرة) واشرت الى اسناد النظر فيه اليك . لاتصال ايالتك به وان الخديم الشيظمي لازال مكبا على ما يشتت القبائل وصار بالبال . أما اضافة (أكادير) الى نظرك فحتى نكون بالحوز ان شاء الله . ويظهر . وأما ما عليه الخديم المذكور فنحن منه على بال . والسلام في ٢٩ رمضان عام ١٣١٢ هـ)

(هذه الرسالة كانت قبل ان يذهب القائد سعيد الى (سوس) وقد اسند اليه (أكادير) بعد ذهابه)

الثانية

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله سلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بأنك لما ظهر منك صلاح أهل الاسهل من(هشتوكة) صرفت الوجهة لاهل الجبل منهم . المبينين بطرة كتابك . حيث لم يظهر لك منهم مفيد . فالفيتهم مصممين على الانحراف . ظانين تمنعهم بحصونهم . فنهضتم اليهم . فتعرضوا لكم بمحل وعر وناوشوكم بالبارود . فصممتم نحوهم . فلم يلبثوا الا قليلا حتى انهزموا . هذا لايلوى على هذا . واسلموا الحصن. ولم يتركوا فيه الا صبابة من اراذلهم . واستولت الايدى على ما فيه بعد تحريقه . ولو لم يفتكم الليل لتم استيصاله . ثم صحبتموهم من الغد فولوا الادبار . وتم المراد فيهم . وتشتتوا شذر مذر . وهرب موقد الفتنة المتربص . ولم يعرف له قصد بعد البحث عنه . واستشهد من اخوانكم اثنان . ومن العسكر واحد . وضاع فرس ، وصار بالبال . فقد جريتم على المعروف من نجدتكم . وحسن بلائكم . وحزب الشقاق خذله الله . وفزتم انتم برضا الله . قواكم الله باعانته . وزادكم من الظهور ما تحصلون به المراد فيما تؤمله منكم حتى تكونوا من جنابنا العالى بالله نعم الانصار والاعوان . ومن توفى فاز بالشهادة . وما على ميتة عز من ندم والسلام فى ٢٣ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الثالثة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اشتكى كاتبنا الطالب محمد الكردودى بانه كان خرج للبحث فى قضية ساقية المجاهدين بـ (اكادير) حيث تشكى الشداخ

بغصب الكسيمى بلاداتها . ولم يدفع له الكسيمى ما نقدنا له سخرة . وذلك مائة ريال . وعليه فنامرك بتوجيه ذلك ليدفع . والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الرابعة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله (وبعد) فقد بلغ علمنا الشريف ان نائب الكمبانية النجليزية الذى يروم الخروج بسواحل (سوس) هيا بابورا حملوا بالعدة الرومية والقرطاس . وغير ذلك من لوازم الجراحات . وعزم على الورود به للساحل المذكور . بقصد النزول هنالك . زاعما ان له اتفاقا مع كبراء القبائل السوسية للخروج ثمه. وعليه فبوصوله اليك نامرك بالقيام على ساق الجد فى جعل الارصاد والعيون بسائر مراسى السواحل المذكورة والتحيل على قبض جميع من نزل من النصارى هنالك . بجميع ما معهم من العدة والقرطاس . وتحصيل الكل تحت يدك . من غير ان تفلت منهم احدا . واطلاع علمنا الشريف . واحذر من أن تتراخى فى هذا الامر فانه هو نتيجة توجهك لهنالك وطير الاعلام بكل ما حدث عزما . والسلام فى ٦ شعبان عام ١٣١٥ هـ)

الخامسة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل جوابك كما امرناك به من توجيه النصارى المقبوض عليهم فى (اصبوية) لعامل (السويرة) على يد خليفتك من غير جديد . صحبة من فيهم الكفاية من اخوانك . لحراستهم فى الطريق . وموجبه جمع ما كان لهم من الاثاث الى مرسى (السويرة) حرسها الله . وكذلك ما كان عندهم من الكنانيش والكواغد . والحظ وكن ثم على بصيرة فى سواحل (سوس) وقد نفذت شريف امرنا.كما صار بالبال ماوجهته لحضرتنا الشريفة ممامرناك به وقد وصل ملككا عليه والسلام فى ٣ حجة عام ١٣١٥ هـ)

اقول : تتصل بهذه الرسالة رسالة اخرى كانت قبل هذه المتقدمة نصها :

(خديمنا الارضى القائد احمد بن مبارك الزلفنى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لشريف علمنا ان البابور الذى كنت اخبرت بورود لساحل (ايت بوعمران) مكث به نحو للاثة عشر يوما . وكان بخرج المدافع . ويجاب بالبارود من البر . وعليك فنامرك ان تبالغ فى

الله (وبعد) وصل كتابك مؤكدا ما قدمت الاعلام به من استقامة الاحوال . وهناء الطريق. عدا ما رامه (ماسكينة) و(ادوتنان) من اخراج الخديم الكسيمي من (اكاديز) وتخبر عن شيوع الفساد بنواحيه التي من جادة طريق (السويرة) واشرت الى اسناد النظر فيه اليك . لاتصال ايالتك به وان الخديم الشيظمي لازال مكبا على ما يشتت القبائل وصار بالبال . اما اضافة (اكاديز) الى نظرك فحتى تكون بالحوز ان شاء الله . ويظهر . واما ما عليه الخديم المذكور فنحن منه على بال . والسلام في ٢٩ رمضان عام ١٣١٢ هـ)

(هذه الرسالة كانت قبل ان يذهب القائد سعيد الى (سوس) وقد اسند اليه (اكاديز) بعد ذهابه)

الثانية

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله سلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بانك لما ظهر منك صلاح اهل السهل من (هشتوكة) صرفت الوجهة لاهل الجبل منهم . المبينين بطرة كتابك . حيث لم يظهر لك منهم مفيد . فالفيتهم مصممين على الانحراف . ظانين تمنعهم بحصونهم . فنهضتم اليهم . فتعرضوا لكم بمجل وعر وناوشوكم بالبارود . فصممتم نحوهم . فلم يلبثوا الا قليلا حتى انهزموا . هذا لايلوى على هذا . واسلموا الحصن. ولم يتركوا فيه الا صبابة من اراذلهم . واستولت الايدى على ما فيه بعد تحريقه . ولو لم يبغتكم الليل لتم استيصاله . ثم صحبتموهم من الغد فولوا الادبار . وتم المراد فيهم . وتشتتوا شذر مذر . وهرب موقد الفتنة المتربص . ولم يعرف له قصد بعد البحث عنه . واستشهد من اخوانكم اثنان . ومن العسكر واحد . وضاع فرس ، وصار بالبال . فقد جريتم على المعروف من نجدتكم . وحسن بلائكم . وحزب الشقاق خذله الله . وفزتم انتم برضا الله . قواكم الله باعانته . وزادكم من الظهور ما تحصلون به المراد فيما تؤمله منكم حتى تكونوا من جنابنا العالى بالله نعم الانصار والاعوان . ومن توفى فاز بالشهادة . وما على ميتة عز من ندم والسلام في ٢٣ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الثالثة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد اشتكى كاتبنا الطالب محمد الكردودى بانه كان خرج للبحث في قضية ساقية المجاهدين بـ (اكدير) حيث تشكى الشداخ

بغصب الكسيمى بلاداتها . ولم يدفع له الكسيمى ما نقدنا له سخرة . وذلك مائة ريال . وعليه فنامرك بتوجيه ذلك ليدفع . والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٣١٤ هـ)

الرابعة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله (وبعد) فقد بلغ علمنا الشريف ان نائب الكمبانية النجليزية الذى يروم الخروج بسواحل (سوس) هيأ بابورا حملوا بالعدة الرومية والقرطاس . وغير ذلك من لوازم الجراحات . وعزم على الورود به للساحل المذكور . بقصد النزول هنالك . زاعما أن له اتفاقا مع كبراء القبائل السوسية للخروج ثمه. وعليه فبوصوله اليك نامرك بالقيام على ساق الجد فى جعل الارصاد والعيون بسائر مراسى السواحل المذكورة والتحيل على قبض جميع من نزل من النصارى هنالك . بجميع ما معهم من العدة والقرطاس . وتحصيل الكل تحت يدك . من غير ان تفلت منهم احدا . واطلاع علمنا الشريف . واحذر من أن تتراخى فى هذا الامر فانه هو نتيجة توجهك لهنالك وطير الاعلام بكل ما حدث عزما . والسلام فى ٦ شعبان عام ١٣١٥ هـ)

الخامسة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد وصل جوابك كما أمرناك به من توجيه النصارى المقبوض عليهم فى (اصبوية) لعامل (السويرة) على يد خليفتك من غير جديد . صحبة من فيهم الكفاية من اخوانك . لحراستهم فى الطريق . وموجبه جمع ما كان ثم من الاثاث الى مرسى (السويرة) حرسها الله . وكذلك ما كان عندهم من الكنانيش والكواغد . والحظ وكن ثم على بصيرة فى سواحل (سوس) وقد نفذت شريف أمرنا.كما صار بالبال ماوجهته لحضرتنا الشريفة مماامرناك به وقد وصل ملككا عليه والسلام فى ٣ حجة عام ١٣١٥ هـ)

أقول : تتصل بهذه الرسالة رسالة اخرى كانت قبل هذه المتقدمة نصها :

(خديمنا الارضى القائد احمد بن مبارك الزلفنى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لشريف علمنا أن البابور الذى كنت اخبرت بوروده لساحل (ايت بوعمران) مكث به نحو ثلاثة عشر يوما . وكان يخرج المدافع . ويجاب بالبارود من البر . وعليك فنامرك ان تبالغ فى

البحث والتنقيب . لمن هو هذا البابور من الاجناس . وعمن كان يجيبه بالبارود من البر . ويتكلم معه من اهل تلك الناحية . وما لبث عندك فى ذلك طير لنا الاعلام به عزما . والسلام ٢٢ رجب ١٣١٤ هـ)

السادسة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك بانك بعدما كتبت بما صدر من ضرب فساد(بجاطة) وقبضك منهم المساجين . وحجزك منهم الرؤوس . وجهت على حركة اخوانك (حاحة) وورد عليك خليفتك ووجهت الكل لقبيلة (الاخصاص) بقصد ضرب الفساد . ولما وصلوا لدى الخليفة الاول المخيم هناك (صاكو (١) وكسروا جموعهم وقبضوا منهم مسجونين . وسلموا لهم خمس مكاحل . وحرقوا لهم دورا . ودخلوا عليهم فى أعز أماكنهم . حسبما بكتاب خليفتك الذى وجهته وبعثت بحركة أخرى طلعت على جبل (باعقيلة) وخيمت بحد بلاد (مجاطة) زيادة على المحلة التى بـ(الذراع الابيض) وضاقت الارض بما رحبت بالفساد فمنهم من أتاك بالذبائح والهدايا . ومنهم من عزم على ذلك . وعما قريب تطير الاعلام بما تجدد من امرهم . وصار بالبال . فتلك سنة الله فى أهل الزيغ والفساد . والسلام فى ١٧ حجة الحرام عام ١٣١٥ هـ)

السابعة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله . وسلام عليك ورحمةالله (وبعد) وصل كتابك بانك وجهت ما تحصل من الدفع من عند بعض (هشتوكة) حسبما بمضمنه . وثمنه مبين بالورقة التى وجهت صحبته . وان ذلك محسوب مما وظف على (هشتوكة) من مؤونة المحلة التى كانت مع عمنا مولاى عثمان . عدا ما هو من قبل (ايزويكا) فهو من الذعيرة . وما هو من قبل (ماسكينة) فهو من الباقى مما كان استوفاه منهم وصيفنا للقائد حمو بن الجيلانى . وصار بالبال . فالذى وصل مع الدفع هو ما استوفاه من اهل عدوة وادى (ماسة) القصوى . وأما ما اخبرت به أنك وجهته من دفع بعض (هشتوكة) فلم يصل والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣١٥ هـ)

الثامنة

(محبنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . أمنك الله . وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله . (وبعد) وصل جوابك عما أمرت به من بيان

١) المقصود بـ (صاكو) ساقوا ، أى حملوا حملتهم على الاعداء

ما كان نهب بايالة القائد عبد الملك المتوكى . من الدفع الذى كنت وجهت بانك اعدت قائمة بعدده وكيفيته وانواعه . وقيمته قد وجهتها طى كتابك لحضرة سيدنا الشريفة . وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف به . وقد وصلت القائمة المذكورة وأصدر سيدنا اعزه الله شريف أمره للمتوكى . بتوجيه قيمة ذلك للحضرة الشريفة . وعلى المحبة والسلام فى ٨ رجب عام ١٣١٦ هـ) .

التاسعة

خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى . وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل كتابك طالبا تمييز عسكر اخوانك الخارجين معك عن غيره بالكسوة والعدة . وصار بالبال . فاصل عسكر اخوانك ثلاثمائة نفر . والذى كان منه بحضرتنا الشريفة قبل . وأمرنا بتوجيهه لك عدده اثنان واربعون عسكريا . وصحبوا معهم ثلاثين مكحلة من عدة مارتينى . وكان بذمتهم قبل اثنتا عشرة مكحلة من عدة كومبلى . وبقى تحت يدك مائة مكحلة مارتينى من الثلاثمائة مكحلة التى كانت توجهت بقصد ادائتى(ايت بوعمران) و(وادى نون) ولازالت معك هنالك وحساب ماصحبته ثمان وستون مكحلة من عدة مارتينى يجتمع فى ذلك ما قدره مائتا مكحلة تثنية . وعشر مكاحل . فرقها على عسكر اخوانك . بحسب سبعين مكحلة للمائة مع الكسوة المبينة طرته بطربوشها والسلام فى ١٣ شعبان عام ١٣١٦ هـ)

وتتصل بهذه الرسالة رسالة اخرى كتبت الى خليفة القائد فى بلده (حاحة) نصها :

(خليفة خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد كنا قدمنا لك أمرنا الشريف باجراء العمل فى توجيه عسكر ايالتك . على أن يخدم بمحل خدمته الشريفة سنة كاملة . مبدؤها ربيع النبوى الانور الفارط . وعليه فنامرك أن تكون توجه لحضرتنا الشريفة راتبه . بان توجه أولا راتب نصف السنة . وقبل تمام نصفها توجب راتب النصف الآخر . ليكون يدفع لكل عسكرى ثابت فى الخدمة راتبه شهرا بشهر . ليدوم فى الخدمة بتشوفه لقبض راتبه مشاهرة . ولابد . والسلام فى ٤ شعبان الابرك عام ١٣١٤ هـ)

العاشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولى وفقك الله . وسلام عليك ورحمة

الله (وبعد) وصل كتابك بان ولد اخيك الحاج احمد الذى قدمت بانه جرح فى قتال (باعقيلة) قد توفى بعد عشرة أيام من ذلك . وصار بالبال . فرحمه الله وما على ميتة عز من ندم. والسلام فى ٢٢ صفر الخير عام ١٣١٧هـ)

الحادية عشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلول . وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فقد بلغ لعلمنا الشريف ان الخديم ابرهيم الاخصاص(١) لما أصدرنا أمرنا الشريف له بالرجوع لمحله فى أمان الله ورسوله . وآماننا الشريف . بادر بالامتثال . وتوجه مع اخوانه . فلما حل بداره وجهت اليه حركة اخوانك مع العسكر والقبائل . واحاطوا به . وضربوه من كل ناحية ففر بنفسه . وأكلوا داره وهدموها . وحلوا انقاضها وما فيها لـ (تيزنيت) كما خربوا دور اخوانه . ونهبوا متاعهم . وتوجهوا لدار الخديم على بن بوهيا بوحلاس . ونهبوها ودور اخوانه ومتاعهم كذلك . ولم يفر الا بنفسه . ولا زالوا بها . وحصل الرعب بذلك لـ (الاخصاص) و (أيت باعمران) ففروا للجبال . وعليه فان صح ذلك فهو منك افتيات . وما كان من حقك اقتحام ما لا يصدر لك شريف أمرنا به . ونامرك ببيان حقيقة الواقع فى ذلك . والسبب الحامل عليه . والسلام فى ١٩ محرم عام ١٣١٨ هـ)

الثانية عشرة

(خديمنا الارضى القائد سعيد الكلول . وفقك الله. وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) وصل جوابك فى شان (ايلالة) الذين استاذنت فى توجيه المحلة اليهم . واشكل الامر فيهم . وأمرناك ببيان هل هم زاوية أم غيرهم . بانهم قبائل شتى من قبائل (سوس) التى عليها المدار فى الجلب والدفع . وبهم يتقوى من ركن الى العناد من جوارهم (هشتوكة) و (بعقيلة) و (ايت براييم) لمحاذاتهم لـ (هشتوكة) من ناحية الجبل . ولا يبعد أن يحنووا على الزوايا كغيرهم من قبائل (سوس) وصار بالبال . فكان من حقك أن تبين هذا من أول وهلة . وعليه فان كان الغرض لازال داعيا لذلك . فلتطير الاعلام به . لنومر بما يكون عليه العمل فيه . والسلام فى ١٨ حجة عام ١٣١٨ هـ)
(أقول) يفهم القارىء فى هذه الرسالة كثيرا مما لم يعرفه من غيرها .

اخبار اخرى حوله

كانت (سوس) بعد أن زارها الملك مولاى الحسن سنة ١٢٩٩ هـ وسنة

١) هو القائد بوهيا .

١٣٠٣ هـ هادئة ساكنة نسبيا . وان تعين فيها قواد على القبائل . لكن القواد لم يجروا جريان أمثالهم فى جميع المغارم . وفتح السجون . الا ما كان من (هوارة) الى (أولوز) حيث يد الحكومة والقواد دائما ضاغطة عاركة . على توالى الاجيال فكانت المحاربة لاتكاد تهدأ بين القبائل لأدنى سبب. خصوصا مابين قبائل (تاحكات) وقبائل (تاكوزولت) الى أن أراد الله الانتقام من الجميع أتاح هذين القائدين : الكيلولى المترجم والباشا حمو . فكان اكفهرسى رهان فى الذى يعاملان به الناس . فلم يتركا بغلة ولا جملا ولا حليا ولا اثاثا منظورا . ولا رجالا لامعين . فلم ينج الا قبائل لم تخضع لهما فقاومت . او اخريات تسكن فى أمكنة بعيدة عن(تيزنيت) مركز الكيلولى وعن(تاوردانت) مركز الباشا حمو. فقد حكى لى الباشا ادريس(١) منذو أنه كان اذذاك أتى برسائل رسمية من الوزير احمد الى (تيزنيت) فى شأن الاجنبى الذى خرج فى (بعمرانة) ــ وقد تقدم ذكره ــ فنزل على القائد سعيد . قال فلا زال اسمع فى بيت مجاور للمحل الذى أنزلنا فيه رنين الريالات . تحسب من مطلع الشمس الى ما وراء العشاء بكثير . وذلك مما يرد من المغارم . ومن أثمان ما يقدم كهدايا جمالا وبغالا وأكياس سكر . فكل ما يقدم من هذه صباحا أو مساء وقت جلوس القائد فى المحكمة . يمال به الى تجار يشترونه فى الحين فيدفعون الثمن . وهكذا دو اليك . ولو اقتصر الامر على ما يصل القائد انعام سعيدا الكيلولى بـ (تيزنيت) لربما خف الخطب . ولكن فى دار كل قائد من قواد القبائل يقع مثل هذا فهناك القائد عبد السلام الجرارى . والقائد بوهيا الاخصاصى . والقائد الماسى. والقائد سعيد المجاطى وأمثاله من قواد (أزاغار) و (الساحل) و (بعمرانة) ما من واحد منهم الا مثل مثل هذا الدور فانه يغرم الناس كل ماوجد اليه سبيلا بالقهر والسجن وبكل وسيلة . فلذلك يمكن للقارىء أن يدرك ما الناس فيه من الويل والغم وهذا فى القبائل التى ألقاها القدر المحتوم تحت كلاكل هؤلاء . وأما القبائل التى تقاوم وتدافع عن نفسها هذا الظلم الفادح . فقد رأيت من كلام الاستاذ أبى فارس وصف ذلك وصفا شافيا . ولم ينج من كل هذا الا القبائل التى حفظها الله من أن تنضوى تحت كلاكل الجبابرة . ومن ان تدخل فى لحمار المقاومين كـ (ايلالن) و (أيت عبلا) و (ايسافن نايت هرون) وأمثالها التى لاتصطلى بهذه النار الا من بعيد .

اقلاع القائد سعيد من (سوس)

هناك فى (وادى نون) قائد كبير تسلسل من فحول لايقبلون الضيم . وهو القائد دحمان من (ءال بيروك) وهو ممتاز . قائم مقاما عظيما للحكومة

١) فى كتاب (حول مائدة الغداء) كل ما كتبته عن هذا السيد رحمه الله

فى نحر الصحراء . يعتمد هناك عليه وعلى ابائه(١) من قبل كل الملوك. فيعدونه هو وابناءه من الناصحين لهم . فكان من لطف الله أن ناوا هذه السياسة الجبروتية من الكيلولى فيوالى الى الحكومة الشكايات هو وبعض قواد كالقائد بوهيا لم يوافقهم هذا الجو . قبل وبعد وفاة الوزير احمد بن موسى ١٣١٨ هـ الذى كان يماد الخيل للقائد سعيد . وعندما حل وزراء اخرون مقامه . بعثوا الى القائد سعيد ليقلع من (سوس) اقلاعا كليا فاقلع فى ربيع الاول ١٣١٨ هـ فلم ينفعه ماكان يواليه من الاموال والعبيد والمال والبغال والخيل الى رجالات دار المخزن . فاذذاك استشار الشيخ الالغى ماذا يفعل . وقد خاف من السجن . لأنه مغضوب عليه من الحكومة فاشار عليه أن يتوب الى الله فيما بينه وبينه أولا . وان ينوى الحج . وان يطلب ذلك من الحكومة . فلعل ذلك ينجيه من السجن . وهكذا فعل . ثم لم يكد يرجع من حجته حتى وافاه أجله ٢٧ شعبان ١٣١٩ هـ فكان أهله بهذه الاثارة من الشيخ يعدونها كرامة نجا بها صاحبهم مما كانوا يتوقعونه له . وقد كان للقائد سعيد نية حسنة فى الشيخ . حتى انه اذا ورد عليه فى (تيزنيت) يعلن الفرح به باطلاق الحلبات فى الميدان . لكنه لم يتبع رايه فى عدم محاربته للجبليين . فوقع له ما وقع . والشيخ يقنع من أمثاله بما يتيسر منهم من المصلحة العامة .

القائد مبارك

خلف القائد سعيدا فى ايالته بـ (حاحة) ولده مبارك . وهو أكبر أولاده فبرز فى الميدان . وقد كان احد رجالات الاسرة . وقد حضر فى حروب (تازة) ضد أبى حمارة. ثم توصل ايضا بالقيادة على (سوس) اثر النفلوسيين الذين كانوا خلفوا أباه القائد سعيدا فى (تيزنيت) الى أن أعفوا من قيادة (سوس) حوالى ١٣٢١ هـ وكاد القائد مبارك يتم امره هناك . بل وصل الى (كسيمة) بجيشه فوقعت هناك حرب ذكرنا تفاصيلها فى ترجمة الرئيس عبد الرحمن من ءال الحاج العربى فى (الجزء الرابع عشر) ثم حدثت حرب بين (ايدا كيلول) وبين ايالة انفلوس . فاضطر الى الرجوع ليدافع عن ايالته والحكومة صارت تضعف شيئا فشيئا حتى صارت لاتبالى باطراف المملكة بعد محارباتها مع أبى حمارة فلم يزل قائدا على ايالة أهله المعهودة بـ(حاحة) الى أن مات ١٣٢٩هـ وقد كان الشيخ الالغى يلم به. فيبدى له من الاحترامات ما بعد عهده من أمثاله لامثال الشيخ . فقد كان الرئيس البشير ابن بلا الايشتى صاحب الشيخ مرة وهو ينوى (السويرة) فحين نزل الشيخ باصحابه فى (تمانار) قامت الدار كلها وقعدت بالفرح بالشيخ . فخرجت

١) ومن أحفادهم القائد دحمان الذى لايزال حيا اليوم فى(أكلميم) وسنتكلم على هذه الاسرة ان شاء الله فى (الجزء التاسع عشر)

الخيل الى المضمار للحلبة . اظهارا لمنتهى الفرح على العادة . فقال البشير : ما كنا نعد شيخنا هذا بلغ عند امثال هؤلاء القواد هذا المبلغ . وكنا نحن لانزيد على مطلق التعظيم له . فمنذ ذلك الحين ازداد غبطة بصحبة الشيخ الى أن مات . وبعده قال الحاج ابرهيم البنيرانى : ما كنا نعد سيدى الحاج على شيخنا كسيدى احمد بن موسى حتى سمعنا ذلك من فم سيدى ابرهيم ابن صالح التازاروالتى .

القائد عبد الرحمن بن سعيد

ثانى اولاد القائد سعيد . وقد كان خليفة لاخيه مبارك . فحين مات تولى مكانه فصادف سنة ١٣٣٠ هـ سنة الانقلابات والحوادث الجلل فى المملكة فقد اعلنت الحماية . واشتد تخاصم (المانية) و (وفرنسة) على السياسة المغربية . وقد كانت لالمانية سياسة خاصة نحو (سوس) فقد اشترت فيه بوساطة اعوانها السريين معادن كثيرة واراضى . فتدعى أنها الاولى باحتلاله وقد كان التاجر بوشعيب السويرى المشهور من عملاء التجارة الالمانية . فاتصل الخبل به باهل (تمانار) فكانت دار اهل (تمانار) ممرا لهؤلاء الاعوان السريين . بل هناك اجانب من (المانية) يتسترون يمرون على أيديهم الى (سوس) فقد اعتقل واحد على يد اهل الحاج العربى الكسيميين . ففدى على يد هؤلاء بمال كثير . واخر على يد الشيخ على الديلمى الهشتوكى . ولاريب أن هناك اخرين لم يعتقلوا. ولهذا الاتصال بين اهل (تمانار) وبين (المانية) تفتحت "كوة سياسية لاثارة (سوس) ضد الفرنسيين وقد كان الشيخ ماء العينين رضى الله عنه يلم باهل (تمانار) هؤلاء . ويعتقدونه ويتعارفون مع اولاده . وبسبب هذا التعارف انبثق ما انبثق من اولاد الشيخ ماء العينين . فقد هاجروا من الصحراء فرارا بدينهم من الفرنسيين . فتمكنت العداوة . بينهم وبينهم فوجدت (المانية) بابا مفتوحا لما تريد . فابرمت ما ابرمت مع اهل (تمانار) فقام هؤلاء بلباقة . فحسنوا للشيخ أحمد الهيبة أن يتدارك المغرب قبل أن يطفح عليه ما غمر كل ارجاء الصحراء . ولاريب أن نية الهيبة وماله حسنة . لانهم لم يدركوا ما وراء الاكمة . وقد وجدوا سرا من اهل (تمانار) من المساندة للمال والجاه والتشجيع ما وافق حرارة ايمانهم . فرأوا أن الله عيا لهم فى الجو ما يؤدون به الواجب الذى يرونه واجبا . ولكون كل هذا الذى يقوم به اهل (تمانار) كان سرا . نكص هؤلاء عن الاتصال ظاهرا بـ (تيزنيت) حتى يتم الامر فى (مراكش) . ولهذا أوعزوا الى الهيبة أن لايسلك طريق (حاحة) الى (مراكش) بل يسلك الطريق اللاحبة المطروقة دائما للجيوش الحكومية وهو طريق (امسكروض) فتم الامر على ذلك ثم لم يتحرك اهل (تمانار) بل وكل الحاحيين حتى دخل الهيبة (مراكش)

فاستسلم القواد الكبار : الباشا منتو وعبد الملك المتوكى . والمدنى . والتهامى الاكلاويان فلم يدخلوا (مراكش)الا نحو ٢٢ من رمضان . مع ان الهيبة دخل ثالث رمضان. وكل هذا ما فعل الا تعمية للسياسة المرسومة سرا. ولاريب أن هذه السياسة كان القائد مبارك أول من نسج من خيوطها . ثم أتمها بعده القائد عبد الرحمن . وقد كان اعلان الحماية جاء اخيرا . فكان كرد من السياسة الفرنسية على السياسة الالمانية . ثم لم يمض الا أيام قليلة . فاذا بجيش (فرنسة) متوجه الى (مراكش) ليحتلها . ففر الهيبة الى (سوس) على طريق (وادى نفيس) كما فر الحاحيون الى جهة بلدهم (ولم ينظر الغادى الذى هو رائح) فتبخرت بذلك السياسة الالمانية السرية . فوقف أهل (تمانار) ينتظرون جزاء ما فعلته أيديهم . فاذا بثورة التكنافيين على الفرنسيين بعد ما قدموا الطاعة لهم . فوقع ما وقع من حرب قليلة . حوصر اثرها جند فرنسى فى دار هناك . ثم اغاثته حملة فرنسية نزلت من باخرة قرب تلك الدار . ففكت عن الجند الحصار . وقد كان أهل (تمانار) شاركوا مشاركة ما فى هذا الجهاد . ثم استولى الفرنسيون على كل (حاحة) يوم تقدم كل قوادهم بالطاعة أخيرا . فاعتقل القائد عبد الرحمن . وجىء الحاج الحسن من بنى عمومته قائدا فى مكانه . فسيق القائد عبد الرحمن الى (مكناس) مسجونا . وليس معه الا عبد له. حكى لى ادريس منتو أنه كان معه اذ ذاك مسجونا . كل واحد فى بيت . قال فكنت أراه يلح على عبده بالاهانة والضرب . فكان العبد يشتكى على ، فالوم القائد على ذلك . ولكن الطباع لا تتغير . فمرض العبد مرضا شديدا . فأفضى الى بأن القائد عبد الرحمن لو أحسن الى لدللته على خزينة مال كنزتها أنا والقائد مبارك أخوه . لا يعرفها أحد الآن بعد موت القائد مبارك الا أنا . وها انذا سأموت فيموت خبر تلك الخزينة . ثم لم ينشب أن مات . ثم بعد سنين كثيرة سمح للقائد عبد الرحمن أن يرجع به اهله الى دارهم فى (تمانار) وهو مريض . فلم ينشب أن مات ١٣٤٤ هـ رحمه الله .

القائد الحاج الحسن بن محمد

هذا أخو الحاج احمد المقتول فى (بعقيلة) وأبوهما يسمى محمد أوفقير تولى فى مبدأ الاحتلال . كما رأيت على عادة الفرنسيين الذين يحافظون هكذا على مكانة العائلات الرئيسية . فبقى ككل قواد الاستعمار . له الغنم وليس عليه الغرم . وكان غير مصون الاخلاق فيما يقال . وقد تقلصت الايالة . لان قبيلة (أيت تامر) كان عليها قائد جديد . وهو الفقيه الحسن ابن ابرهيم الذى صار باشا بعد على (أكادير) فبقى القائد الحاج الحسن

فى مقامه الى أن توفى ١٣٥١ هـ فانقضت بموته القيادة فى (ءال المحجوب) ثم ذهبت اموالهم فاصبح أولادهم فقراء مدقعين . بل تركوا ديارهم فى (تامانار) فرجعوا الى دار جدهم الاصلية . فرحم الله الجميع . اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة (هذا والحاج الحسن هذا ينطق بسينه مسكنا . والآتى بفتح السين)

الحاج الحسن بن سعيد

هذا اخو القائد ابن مبارك وعبد الرحمن المتقدمين . وهو أصغر منهما. وقد كان والده القائد سعيد ندب الى تعليمه هو وعبد الرحمن الاستاذ سيدى أحمد بن محمد الالياسى الماسى (١) . ولكن لم يجد منهما ميلا الى التعلم . فغادرهما وقد تعين الحاج الحسن هذا خليفة لاخيه مبارك على (اكادير) الذى كان اخيرا يتبع (تمانار) قبل الاحتلال . فيكون فيها من ينفذ اوامر قائد (تمانار) وقد كان فيها الحاج الحسن خليفة من قبل ١٣٢٤ هـ فظهر هناك بمظهر المستبد حتى على اخيه مبارك أحيانا . حتى أدى ذلك الى ان تحيل عليه حتى اعتقله اعوانه فى داره . أرسلهم اليه أخوه . فاركبوه على بغلة مهياة . فطاروا به الى (تمانار) فلما بلغ الخبر شيخه الالغى الذى كان هو نفسه أحد اتباعه . ومريدا بين أصحابه المريدين توجه اليه الشيخ . قال : من صاحب الشيخ يومذاك : دخلنا الى دار القائد مبارك . فبعد السلام المعهود قال الشيخ للقائد مبارك : اين اخوك الحاج الحسن . ائت به امامى الآن الآن الآن . فاراد القائد ان يقدم اعذارا فلم يدعه الشيخ ان يتكلم . بل والى عليه بهمته المعروفة : اطلقه الآن وائت به امامى . فلم يجد القائد ـ الذى كان يحترم الشيخ كل أهله ـ مناصا من الانصياع . فامر فاتى به يعجل فى قيده . فاستدعى حدادا فحاط عنه كبله . فسلم على الشيخ . وهو متأثر بما رءاه من هذا الاعتناء العظيم من شيخه به . فاستلقى عليه باكيا . يقبل رأسه ومنكبه . ودموعه تتدفق على محاجره . والشيخ يهدئه . ثم قال الشيخ للقائد : انما هو أخوك وابن أبيك وأمك . فان لم تصبر انت فمن ذا الذى يصبر له بعد . ثم قال : ان هذا اليوم يوم عيد بانطلاق اخيك مما كان فيه . فمر بخروج الخيل الى الميدان لاظهار الفرح بتسريحه وبرضاك عنه . وبرجوع المياه الى مجاريها . ثم أوصى الخليفة الحاج الحسن ان يراعى منصب الاخوة . وان يكون عند أمر القائد . ثم حثهم على الصفاء . وطهارة

---

١) ترجم فى (الثامن عشر)

السريرة بينهم . ثم لما انحلت العقدة رجع الشيخ فى الحين مع فقير واحد هو الذى صاحبه وحده ذلك اليوم . وقد ترك طائفته الكبرى حوالى (كسيمة) وقد حاول الشيخ أن لا يقبل من الحاج الحسن بغلة فارهة قليلة النظير قدمها اليه . ولكن بتطارحه على الشيخ لم يمكن للشيخ الا ان يقبلها . وهى بغلة أدركناها سنوات ١٣٢٦ هـ الى ما بعدها . ثم عاشت بعد وفاة الشيخ . ثم ان الحاج الحسن ازداد محبة فى الشيخ . فكان يخدمه ويقدم له احسن ما يملكه . وذلك كله بتأثير الفقير أبى جمعة البوعشراوى الكسيمى من كبار أصحاب الشيخ . ولم يتوف أبو جمعة هذا الا نحو ١٣٦٩ هـ . وقد كان الحاج الحسن وهو رئيس (أكادير) يتسابق فى خدمة الشيخ هو والرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمن الكسيمى . فوصل موسم ١٣٢٧ هـ فنمى الى الحاج الحسن أن سيدى محمد بن عبد الرحمن سيحضر فيه بين الفقراء فى (الغ) فابى ان يسبقه صاحبه اليه . فتسرب هو وأبو جمعة المذكور فى اعوان . فساروا فى طريق (هشتوكة) الى (وجان) حيث يجدون رفيقا يخفرهم من البعقيليين الموتودين منهم . منذ أن وقع من القائد سعيد ما وقع . ثم طلعا فى ثنية (افود) مع الطوائف المتوجهة الى الموسم . فباتا فى قرية بـ ـ (ايت وافقا) . فبلغ الخبر الشيخ . فارسل ليلا خديمه وابن عمه ابرهيم بن عسّدى . فاتى بهما مكرمين مبجلين . فلقاهما الشيخ بكل اكرام هما ومن ورد معهما كسيدى المدنى وسيدى عمر اخوى سيدى محمد ابن عبد الرحمن الذى لم يتيسر له أن يحضر فاتاب اخويه هذين . فهناك فاز الحاج الحسن بهذه المزية . ففاق بها منافسه . ثم جالس الفقراء . وقد طرح عنه ابهة الرياسة . فاهتزت له (الغ) فجاء الرئيس الحاج ابرهيم الايغشانى فرحب به . ثم استدعاه الى داره . ثم بقى من يوم الاحد الى صبيحة الاربعاء . أيام الموسم المعلومة . فودعه الشيخ . ووصاه ان يحافظ على ما بينه وبين ربه ، لئلا يحبط هذا العمل الذى عمله حين أحنى هامته حتى جالس الفقراء المساكين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه . ثم لم يزل يخدم الفقراء ان نزلوا عنده بنفسه . فيصب الماء على ايديهم بنية صادقة . وقد كان طلب من الشيخ أن يترك عنده فقيرا يربيه على أحوال الفقراء . فترك عنده الفقير المتجرد سيدى أحمد الحاحى المذكور فى كتاب (منية المتطلعين) ثم لما توفى الشيخ بقى على عهده . الى ان أكفهر الجو فقامت دولة الاعراب . ورجع الهيبة من (مراكش) فطرده الاعراب من (أكادير) وقد لقيه القائد الناجم فيما بين (أكادير) و (تمانار) كما ذكرنا ذلك فى ترجمته فى (الجزء العشرين) وهو على بغل موكف . ثم دار الدهر

على اهله يوم قلب لهم ظهر المجن . فذهبت فيادتهم . وتقلص ظلهم. وتبخرت اموالهم . ولا يغنى عنهم ابن عمهم الحاج الحسن بن محمد القائد الجديد شيئا وقد قيل ان أموال الحاج الحسن المترجم ذهبت بين أموال الحاج بوشعيب المعتقل يوم استولى الفرنسيون على (السويرة) من جراء انه مع الالمانيين. فوقع له ما وقع للقائد عبد الرحمن ـ كما تقدم ـ وقد سكن الحاج الحسن المترجم فى عزبة له . خارج (تمانار) يزجى الايام من سنة ١٣٣٠ هـ الى ١٣٤٤ هـ يفلح ويكسب ما يتعيش به . ويلم بـه الفقراء الى ان توفى اثر القائد عبد الرحمن اخيه سنة ١٣٤٤ هـ

ومما يتعلق به أن الاستاذ سيدى محمد بن مسعود كان صاحب الشيخ على نية التجريد من (المعدر) فسافر معه الى أن وصل (تمانار) فهناك وصلته رسالة من اهل (بونعمان) يطلبون منه أن يرده اليهم لعمارة مدرستهم . فرده الشيخ من هناك . فمر بالحاج الحسن فى (أكادير) فاكرمه غاية الاكرام فكتب اليه أبياتا رائية مشهورة . ولم أجدها الآن اذاى لأسجلها هنا

الصوفي سيدي
الحسين الكزميري الحاحي

نحو ١٢٦٥ هـ = ١٣٤٢ هـ

فقير ممتاز زاهد من اكابر اصحاب الشيخ الالغى الذين اخذوا عنه اخيرا . ثم كان له شغوف . واصله من الفخذ المسمى (ايكزمرن) من قبيلة (ايداويسارن) احدى قبائل (حاحة) . حفظ القرءان . ثم صار يشارط ويعلم القرءان . واعتنق الطريقة الناصرية فاحسن العمل فيها بينه وبين ربه . فكان حسن التوجه الى خالقه. فبينما هو مشارط فىمسجد قرية(تامارزاكت) اذا بسيدى سعيد التنانى الم به فى طائفة من المتجردين . فجالسه بلطفه المعهود . فاذا به يتاثر بلطفه . فوصل بينه وبين الطريقة الالغية . ثماتصل بعد ذلك بقليل بالشيخ . وقد حكى كيف التقى معه فى دار القائد النكنافى قال : وقفت امام البيت الذى فيه الشيخ . فرفعت عقيرتى ببيت من الملحون ينشده الزائرون لرجالات (وكماكة) :

جيناكم يا ناس افضال نطلب الله الكريم . اسقينا من فضلكم

(تعريبه) :

(جيناكم ايها الناس الفضلاء نطلب الله الكريم أن يسقينا الله من فضلكم)

قال فحين سمع الشيخ مافلته امرنى بالدخول عليه مستبشرا . فلاقانى احسن ملاقاة . ثم قلت له لا ادخل يا سيدى فى طريقتك الا ان كنت على ضمان من خمسة امور . الاول الخاتمة الحسنى عند الممات . والثانى أن أوفق عند سؤال الملكين . والثالث الفوز عند تطاير الصحف لآخذ كتابى بيمينى والرابع ميل كفتى بالحسنات عند الميزان والخامس ان اجوز الصراط بسلامة . فقال لى الشيخ الامور كلها بيد الله وحده . وهذه كلها سهلة بفضل الله لمن استقام باذن الله واذن رسوله كما يسهل ازالة عمامتى هذه

ثم ردها . ففعل الشيخ ذلك بعمامته (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وانا اريد من اصحابى ان يعرفوا ربهم . فان من عرف ربه واتكل عليه وعمل ما امره به فان الله لا يخيبه فى كل ما يرجوه منه ـ انا عند ظن عبدى بى ـ

وقد حكى لى الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الزيكى عن المترجم ان له أحوالا راسخة فى التوجه الى الله . وقد اجتمع فيه كل ما يطلب من المريد نحو شيخه . فانه منذ لاقى الشيخ قام بجد فى كل ما يطلب من العبد نحو ربه عبادة واخلاصا ومحبة لاهل الخير . وقد كانت له مكاشفات عرف بها من قبل ان يتصل بالشيخ . حتى اشتهر بها . فكان القائد احمد التفلوسى يرسل اليه . ويتبرك به . ويستشيره فى كل ما يقدم عليه لحسن ظنه به . ثم لما التقى مع الشيخ نسى كل ذلك . فاقبل على ربه . واعرض عن هذا المقام وقد جمع همته كلها فى الله . وقد كان قطب الفقراء اتباع الشيخ فكانت داره فى قرية (الزياتين) من (ايداوكرض) حيث داره زاوية لهم . لانه تزوج امرأة هناك . ففارق مسقط راسه . وكان يختلف دائما الى (الخ) فى الموسم وفى غيرها قبل وفاة الشيخ وبعده . لا يتخلف عن الفقراء . وحين تحول شيخنا سيدى سعيد التنانى الى (أزيار) سنة ١٣٣٨ هـ ذهب فى طائفة من الفقراء نحو اربعين فزاروه . وفى حين وقع بينه وبين شيخ القبيلة مبارك بن عبد النبى تفاقم. لانه لايحترم أمثاله من أهل العنجهية التى فى هذا الشيخ . فاعتقل احد اولاده . ففر هو الى الزاوية بـ (الخ) حيث بقى ما شاء الله . ثم رجع فذهب الى القائد العربى خبّان . وكان لامثاله من المحترمين . فنهى عنه الشيخ مباركا . فانكف عنه . فبقى محترما الى ان توفى . واحدى بنات المترجم هى التى تزوجها الفقيه احمد الطيبى التنانى من (ال الطيبب) التنانيين التانكرتيين . والمنتقل من هناك والده . فسكن فى قرية (الزياتين) حيث ولد الفقيه . الآخذ علومه من احدى مدارس (ايت صواب) ثم لازم حياته مدرسة (سيدى محمد بن عبد الله) من (ايداوكرض) وهو الذى يتولى نوازل القبيلة الى ان توفى نحو ١٣٧٤ هـ . وقد كان بينه وبين مبارك بن عبد النبى صحبة والفة . فائتلفا حتى على معاداة المترجم . فاصيبا معا منه بما كدر عليهما اخر عمرهما . فقد سقط الفقيه عن بغلته . فلزم مقعده الى أن مات . مع ما لاقاه من قضاة (السويرة) من هتك حرمته كما أصيب مبارك باختلال فى عقله سنوات . الى ان توفى هذه السنة ١٣٧٩ هـ . ولأولاده الى الآن يد فى الرياسة الواسعة . حتى بعد الاستقلال ولا يخلون من خير .

واما سبب وفاة المترجم فقد حكى سيدى محمد بن عبد الله انه كان ظهر منه شيء انكره عليه بعض الفقراء من عدم اصاخته لرأيهم العام . اجتهادا منه حسنا . قال : فرأيت فيما يرى النائم أن الشيخ قال لى : قل لسيدى الحسين ياتى الىَّ . فذهبت فذكرت له ذلك . فاعرض عنى . كانه لا يصدقنى . فرفعته بيدى الى امام الشيخ . ثم استقظت فاذا به توفى بعد ثلاثة أيام بعد مرض خفيف . رحمه الله ورضى عنه . وأولاده الآن هم الذين لا يزالون يتقدمون فى أمور الفقراء ولا يتخلف بعضهم عن الموسم بـ (الشيخ) .

الصـــوفى

سيدي محمد بن عمر التملى

ثم الزمزمي الحـاحى

نحو ١٣٨٠ هـ = ١٣٤٠ هـ

سيد جليل القدر . من الحافظين لكتاب الله . ومن الملمين بمعلومـات عربية . يستطيع ان يطالع بها الكتب . نشأ ببلده . وهناك اخذ ، ثم انتقل الى (حاحة) فقطن فى قبيلة (ايداوزمزم) فهناك كان ظهوره بعدمـا التقى مع الشيخ . فكان فذا من أفذاذ اصحابه البارزين فى تربية الفقراء . وقد كانت له اخلاق لطيفة . وكرم وبسطة من جميع النواحى . فيملك القلوب بسرعة . وسبب ملاقاته للشيخ انه صادف سيدى سعيـدا التنـانى اولا ، حتى انخرط على يده فى الطريقة . ثم وصله بالشيخ . ثم صار يسيح مـع الشيخ احيانا . ويفد عليه فى (الغ) الى أن نال ما نال . وقد بنى الزاوية بداره فى قريـة (الخصينات) فكانت موردا ومصدرا للآتين والذاهبين من أصحاب الشيخ . ثم اتسعت الطريقة على يده فى (الشياظمة) حتى تكونت له هالة اعتقادية خاصة . وذلك من قبل ١٣٢٢ هـ . وقد كانت والدته حية فى بلده . ولم يزل يزورها كلما قصد موسم (الغ) وكان اولا يقدم زيارتها. ثم صار يؤخرها كاشارة من الشيخ . وقد كان وقافا عند اشارته على عادة المريدين الصادقين مع أشياخ التربية . وقد كانت اجتماعات عظيمة تقـع فى محله وقد كادت قبيلة (ايداوزمزم) تكون كلها صافية لـه من القـالد (محمد كرما) الى آخر ضعيف منها . ولاسيما حين كان هذا القائد من اتباع الشيخ . فقد أقام الشيخ يوما هناك موسما عاما . احتفلت فيه القبيلة بأمر القائد بالاطعمة بأنواعها. ولكن الشيخ حال بين الفقراء وبين الاطعمة الدسمة العالية . ولم يأذن الا باكل عصائد وكساكس مما اتى به الضعفة . واما ما أتى به الاغنياء عن اذن القائد فقد عزله . فدخل الفقير سيدى مبارك ازكولا الى المحل الذى فيه تلك الاطعمة فى اليوم الثانى . فقال للشيخ : اتحمض

الاطعمة الدسمة هنا والفقراء فى احتياج اليها . فقال له الشيخ لان تحمض فى اوانيها خير من ان تحمض فى بطون الفقراء . قال سيدى مولود : ومقصود الشيخ أن لايتاثر الفقراء باكلها . فتثور شهواتهم . وكلهم شبان . ولذلك يحول بينهم وبين مافيه شبهة كهذه الاطعمة التى صنعت باذن القائد. وكان المترجم ربما يغلط كمريد أمام شيخه . ولكن الله يحفظه من النكوص على عقبه النكوص التام . فقد كان يصاحب بعض اصحاب الشيخ سيدى الحاج الحسن التامويزتى . ويتاثر من أحوالهم بالورع الكثير على ما هو معروف عن هذا الشيخ رضى الله عنه . وربما يؤديه ذلك الى أن يوازن بين حال شيخه وحال الشيخ التامويزتى . وكذلك كان يتصل باصحاب الشيخ مولاى عبد الرحمن الدرقاوى فى (السويرة) لانه كثيرا ما يتخذ خلوته فى احد بيوت صومعة مسجد (ابن يوسف) فى (السويرة) فيعجب به من هناك . ولذلك لما جاء مولاى عبد الرحمن سنة ١٣٢٢ هـ الى (السويرة) طلب المترجم منه وممن معه أن يشرفوا زاويته فى (ايداوزعزم) فخرجوا اليها فى ركب كبير من أهل الحضر . فحين جاء الشيخ عاتبه وقال له : انك يا سيدى محمد تخلط ومن بنود الطريقة أن التخليط فسق . ثم قال له : ليت شعرى ماذا عسى أن يحصل للفقير البدوى المدقع من مخالطة اهل الحضر . فهل عنده الا فرشة والاوانى التى يالفها اهل الحضر . ولو اقتصر الفقير البدوى المدقع على أمثاله الذين يتساوى معهم لتجاوب قلبه مع قلوبهم . وازداد بعضهم من بعض المعنى . فاذ ذاك حصل للمترجم ما يحصل لأمثاله عن ذلك فثار ثائره . فكان ينكص على عقبه . لولا أن سيدى سعيدا التنانى جاراه ولاطفه . فصار يريه المقصود . ومغزى كلام الشيخ من توحيد الوجهة . ثم جره مع الفقراء الى سياحة . فجبر الله كسره بها . حتى زال ما الم به . فعاد الى ما هو افضل منه ، وهذا مما عنون من أحوال الشيخ . فانه على كثرة مواخذته لبعض أصحابه لاينكسر البيض فى يده (١) وذلك كله ١٣٢٢هـ ثم علا شانه بعد ذلك . حتى صار احد كبار الطريقة مقصودا . وبحرا فياضا وهكذا العارفون الكبار لا يخسر احد ايا كان أمامهم . الا من لم يسبق له الا الخسران . ولكرمه يلازمه الفقراء المدقعون كالفقير المجد سيدى محمد بن بيهى الزيكى . فانه كان فى فقر وشدة احتياج فى قريته من قبيلة (ايداوزيكى) أمام عين سيدى الحسين انامكونسى . حتى لا يملك الا دجاجة واحدة . ومع ذلك ياتيه نصيبه من مغرم القائد المتوفى على الزيكيين . وكلما اشتكى على سيدى الحسين. وأراد أن يرحل يابى عليه ذلك . الى ان

١) مثل شلحى يدل على الملاطفة والسلامة مع كثرة المزاولة .

اكثر عليه . فكتب معه رسالة الى الشيخ . فقال له فيها ما يطلبه سيدى محمد بن يبهى . واقترح على الشيخ ان يامره بالصبر . لانه اعانة للفقراء فقال له الشيخ : لا تتبع سيدى الحسين . فارحل الى (ايداوزمزم) وما اليها حيث الرزق موسع . فان الفقير لايكون مغفلا . فلا يمكث الا حيث يجد قلبه فجاء فنزل على المترجم . وأقام عنيته فيسيح معه . فنفع وانتفع . وكان يالف ويولف ، هكذا رضى الله عنه .

هكذا حال المترجم حتى بعد وفاة الشيخ . فقد عمر مقامه الى ان توفى عن حالة حسنة رحمه الله .

القـائـد

محمد كرما الزمزمى الحاحى

نحـــو ١٢٩٥ = نحو ١٣٥٠ هـ

من أسرة (ءال كرما) قواد قبيلة (ايداوزمزم) وأول قائد منهم والد المترجم . وقد كانا معا بارزين بين القـواد الحاحيين فـى العهدين العزيزى والحفيظى . وكان يوالى القائد عبد الملك المتوكى . وقد كان معه . يوم جلا أحمد الهيبة عن (مراكش) ١٣٣٠ هـ ثم لما مدت حكومة الاحتلال يـدها الى (حاحة) أعفته من القيادة . وولت من الاسرة القائد مباركا . فصال وجال . واكتنز من الاموال ، مع ان قبيلته صغيرة . حتى اثرى الثراء فوق قدره . ثم لم يزل قائدا الى ان مات . فتولى على قبيلته القائد المختار الزلفنى ما شاء الله الى أن جاء الاستقلال .

أما المترجم القائد محمـد . فانه صار يزجى الايام بعد ان اعفى من القيادة . وقد قل ما فى يده . الى أن احتاج أن يغادر مسقط رأسه . فالتحق بمطقة الشمال حيث حكم (اسبانية) فكان عونا فى احد المراكـز . فبقـى هناك الى أن توفى .

اتصالـه بالشيخ الالغى

كادت قبيلة (ايداوزمزم) تكون كلها منخرطة فى الطريقة الالغيـة . فلذلك اندمج فيهم رجال من أسرة القيادة . فكان القائـد نفسه كذلـك . فكان يعلن أنه من أصحاب الشيخ . وحالته حسنة . فلا جبروت ولا ما يعلم من أمثاله . الا ما لا يخلو منه طبيعة من كان اذ ذاك فى مركزه . وقد نفعته معرفة الشيخ يوم زويت عنه القيادة . فحسنت كل أحواله . واكتسى حلة حسنة . وقد عرفته انا . وزرته فى داره يوما فى احدى زياراتى لـ (سوس)

(وبعـد) فان لهـذه الاسرة اخبـارا لم أحصلها الآن كمـا ينبغى . وساجتهد ان ابينها ان شاء الله فى رحلة (من الحمراء الى الـخ) وفقنـا الله لتخريجها . وانما حرصت على ذكر المترجم هنا ولو بنقص الترجمة لئلا يخلو منه الكتاب الذى يذكر فيه امثاله .

الاديب الصوفي

الفقيه سيدي محمد بن علي

السويري

نحو ١٢٧٠ هـ = ١٣٣٧ هـ

نسبه :

محمد بن علي بن عبد الله .

أصل أهله من قبيلة (اكلو) بـ (سوس) فهناك ولد أبوه علي بن عبد الله . ثم نشأ في (اكادير) حيث حفظ القرءان . ثم صار يتردد اولا بين (اكادير) و (السويرة) الى أن تولى أمينا في مرسى (اكادير) رسميا . ثم بعد ما غادر تلك الوظيفة استقر في (السويرة) ثم التقى فيها بالشيخ الالغي . فاخذ عنه الطريقة . فرءاه مجتهدا في اقامة الصلوات في داره . وقد اعتنى فيها بالاذان في علية له في الصبح في الزاوية الدرقاوية . فدام على ذلك هو واولاده الذين من بينهم المترجم . ولم يزل على ذلك الى ان توفي ١٣٣٧ هـ وقد كان غنيا ذا أملاك .

متعلم المترجم

أما محمد بن علي ولده هذا . فانه نشأ تحت همة والده . وبعد ان حفظ القرءان أرسله الى (مراكش) فربض ما شاء الله للاخذ في مسجد (ابن يوسف) وكانت سكناه في مدرسة (ابن يوسف) ولم نجد من نستقي منه تفصيلا عن أحواله في هذا الطور . وعن أسماء أساتذته واجازاته منهم على العادة .

في التجارة

كان للمترجم بعد صدوره من الاخذ متجرٌ ازاء الزاوية التيجانية . يبيع فيه «الات الترف . من «انية الطاووس . والامتعة الرفيعة الممتازة . وقد ذكر لي عارفوه اذ ذاك ان دكانه منفرد بذلك حينئذ . وهو معلوم

بالثروة لما ورثه عن والده هو واخوه مبارك من الاملاك الواسعة . وقد حافظا عليها حتى أورثاها لأولادهم . فتدر عليهم أكرية يعيشون بها الى الآن .

مع الشيخ الالفي

رأيت كيف أن والده كان ينقاد للشيخ الالفي . وقد نشأ هو على ذلك وقد كان يرى له وحده المشيخة . ويتعصب له . ولم يكن يذهب الى الزاوية الدرقاوية العامة . الا اذا كان فيها الشيخ في زياراته لـ (السويرة) فبقي على عهده الى ان مات عن ولده سيدى محمد صاحبنا المعروف بالاتجار في الكتب الآن في (السويرة) أعانه الله .

أدبه

ذهبت «اثاره كلها من بين كتب خزانته التي تفرقت اثر وفاته . فذهبت بذلك «اثاره . وقد ظهر لنا مما ستراه أمامك . وهو كل ما له عندنا . ان له يدا طولى في قرض الشعر . وحب الادب . ولولا هذا الذى بقي لنا لما عرفنا له هذه المكانة الزاهية المرموقة .

«اثاره

كان يكتب الى الشيخ في كل فرصة . ويخاطبه متى ورد الى (السويرة) فاجتمع من ذلك هذا الذى انقله من خط شيخنا سيدى سعيد التنانى رحمه الله . ونصه :

(هذه رسالة لبعض المريدين . وهو الفقيه الاجل سيدى محمد ابن (الحصني) اصلا (السويرى) سكنى . الى شيخنا الرباني . القطب الصمداني سراج المريدين . وعلم اهل اليقين . أبي الحسن على بن احمد الالفي رضى الله عنه وأرضاه . وعنا به ، يستفرحه ويستنجده اذ هو أهل لذلك .

(بقية الصالحين . وقدوة الاولياء العارفين . وروح مجمع اهل الكمال وأهل المعارف والاحوال . تاج الاتقياء . وعلم الاصفياء . سراج الاولياء . غيث الانام ، غوث الاسلام . بقية السلف . عمدة الخلف . قدوة المحققين . وامام العارفين . محيي معالم الطريق بعد دروسها . ومظهر «ايات التوحيد بعد أفول اقمارها وشموسها . خلاصة اهل العرفان . والمتخلق بمقام الاحسان . فريد دهره . ووحيد عصره . الفقيه الاجل . والنبيه الاكمل .

ذو الفضائل والفواضل . الحاج البركة المتصف بالرحمة . شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة . السيد علي بن أحمد بعد السلام الأقعد الأقعس. على مقام مولانا الانفس . ورحمة الله وبركاته .

ورد الكتاب فلا عدمت أنامـلا ... كتبت بها حتى تضمخ طيبا
فكأن موسى قد أعيد لأمه ... أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

أشتمل على نهى ووعظ . فجزيت خيرا . ووقيت خيرا . نعم نحب من السيادة المولوية . والتحية المصطفوية . أن يمن علينا بما يسر الخاطر . ويفرح به القلب ويرحم العبد القاصر :

عسى عطفة منكم علىّ بنظرة ... فقد تعبت بيني وبينكم الرسل

فهذا عبدكم قبل الاعتاب بين يديكم . يرجو ما يرجوه المقصر . والعبد المذنب المغتفر . ويطلب من سادتنا العطفة . دمتم في حفظ الله وكرمه وجوده واحسانه . «امين» .

وله أيضا نظما الى الشيخ المذكور رضى الله عنهما :

قصدت حمى ذى الجباه المديد ... كريم تسامى بغير نديد
على المقام . فريد الانا ... م . امام الكرام . لفضل مزيد
شريف الاصول . ومن أمره اتـ ... ـسباع الرسول الكريم الوحيد
جـلى المناقب قطب المعا ... رف والمرتقى أفق برج سعيد
عباب المكارم ذو المعلوا ... ت (علي بن أحمد) بيت القصيد
ذكاء المعارف بدر العلا ... ونجم الهداية بين العبيد
مغيث المنادى . وغيث الندى ... ربيع النزيل . وخصب الجهيد
شفاء العليل . وجبر الكسيـ ... ـر . وكهف الضعيف . ومأوى الطريد
وعز الذليل . وكنز الفقيـ ... ـر ويسر العسير . وقرب البعيد
وباب عظيم . لمولى كريـ ... ـم . به يدرك القصد كل مريد
اليك أتينا لنحرز مـا ... نروم . فما زلت أعلى مفيد
وحاشا يغيب الذى أمكم ... بشوق شديد . وقلب عميد
أشيخا عليا ويا ذا العلا ... ويا من حوى كل وصف حميد
قصدنا حماك السنى فقـل ... لنا (مرحبا) يا سليل الحميد
وجد بالقرى لضيوف طوو ... اليك من الشوق شقة بيد
ومنّ بعطف وجد برضا ... على من يمت بحب أكيد
نقبل أعتاب بابك بل ... نعفر شيبتنا بالصعيد
ومقصدنا نفحة منك كى ... يعود أخو الغى مثل الرشيد
وتسمو مراتبنا للعلا ... بفضل الاله الحميد المجيد

فقد طال اخلادنا للهـوى ... وامـادة باتبـاع المريـد
وزاد عـل شهوات النفـو ... س تهافتنا كالفراش البليد
شربنـا كؤوسا من الغفـلا ... ت ذهلنا بها عن رقيب عتيد
ولـم نعتبر بجهـالتنـا ... بقوم نراهم كزرع حصيد
نميـل اختيالا كانـا خلـو ... دٌ ونحن نرى كم صغير فقيد
خسرنا اذا فاتنا العفو أو ... شفاعة خير الانام الاحيـد
فيا رحمـة يا امـام الـورى ... لمن ظل حول حماك الفريد
فقد اخجلته عيوب . وقـد ... علته ذنوب . بغير عديد
وسل عطفة من نبى الهدى ... يعود بها يومنا يوم عيـد
ومن ربنا فلتسل سيـدى ... لنا الخير فى ظل عيش رغيد
وحفظا لنا ولآبائنـا ... من الازمات وكـل عنيـد
وعلما ومعرفـة وتقـى ... ونيل طريق العلا والعبيد
واسنى شفاء لـداء الفـؤا ... د . وجسم عل الداء غير جليد
وحسن ختام بعاقبـة ... تعـود بفوز وسعد جديـد

وله أيضافيه رضى الله عنهما :

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ... يأوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ولبابهم يسعى الفقـير فينثنى ... بعزيز مطلبـه قرير المحجـر
فحماهم السامى حماية خائف ... وحباهم الطامى حيـاة المقتر
ان ازمة بك انشبت أظفارها ... فبهم عـل فتكاتهـا فاستنصر
واذا رُميتَ من الزمان بحادث ... فبهم دفـاع الحـادث المتنمر
فاقصدهم للنصر أو للامن أو ... للبذل بل ليسار امر معسر
فهم مفاتيح كل خير فى الورى ... وهم الوسائـل للمقام الاكبر
فبهم توسـل للالـه فانـه ... يعطيك ما تبغى بغير تعسر
لاسيما ان جئتـه متوسـلا ... ببنى النبى المصطفى المدثـر
كوحيد هذا القطر قطب سمائـه ... شيخى (على) الامـام الازهـر
شمس المعارف ذى العوارف من له ... جود كسح الغاديـات الهمثر
بحر الندى. نجم الهدى. بدرالدجى ... كهف اللجا . حامى حمى المستنصر
قصد الوفود محط أحمال الرجا ... حرم له فضل الصفا والمشعر
من أمّـه فى حاجة فقضاؤهـا ... بـالله حالا مثـل لمح المبصر
يا شيخنا انا حططنا رحلنا ... فى بابك الاعلى فجد بالاوفر
حاشا أذاد وأنتم بحر الوفا ... ولكم راينا واردا لـم تنهر
فارغب الى المولى يفك وثـاقنـا ... ويزيـل عسراها لنـا بالايسر

ضاق الخناق وسيلنا بلسخ الزبى ... من سوء خطب قد غدا كالقسطو
فلتشفعوا فينا فقد ضقنا بما ... لسنا نطيق من الزمان الاكدر
ولتسألوا المولى . ينفس كربنا ... وينيلنا فرجا بهى المخبر
بأبيك (أحمد) الرضا وأبيه عبـ ... ـد الله والحسن المثنى الاطهر (١)
والسبط والزهرا البتول وبعلها ... صدر الاعالى ذى المعالى حيدر
وبخاتم الرسل الكرام محمد ... وبآله وبصحبه والمشعر
صلى عليهم ربنا ما فرجت ... كرب الفقير البائس المتحير
وحوى كمال مراده لما انتهى ... لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر

وله أيضا فيه رضى الله عنهما ـ وقد وقع له فى القافية ما لايقبل فى القوافى ـ :

أمولاى يا (على) ناداك فارع ... ببابك قد ضاقت عليه المذاهب
يمت اليك باجوار وغربـة ... وأنت لذى الوصفين واف وواهب
وانت الذى نرجو النجاة بقصده ... وتغمرنا من راحتيه المواهب
حنانيك انى قد تكنفنى العدا ... فواش يرى عضمى وساع وناهب
وأنت الفتى الحامى الذمار. وانتى ... اذا لم تغثنى يا(ابن احمد) ذاهب
كانى بكم غرتم لعبد دعاكم ... ودارت عليه بالهلاك غياهب
دخلت بكم حصن الامان. وانتى ... بكم راغب خيرا وللصد راهب
لبابك أم الآملون وأملوا ... وجدت بهم فى البيد جرد سلاهب
وعادوا بموصول الرجاء يحفهم ... قبول ويعلوهم سنى ومواهب
وعار اذا ما كنت ارجع خائبا ... فانك فى كشف الخطوب مجرب
فلو الوزر تحتاج الى العطف منكم ... فكن مسعفا فالجود شرعا مجيب
فيا أيها القطب الفريد معاليا ... ويا من له القصاد تسعى وتطلب
ويا من اذا ام الورى نحو بابه ... يرون مسرات بها الهم يذهب
له اليد فى كشف الشدائد والعنا ... مجيب لداعيه اذا هو يطلب
فكم رد ملهوفا معافى من الردى ... وصد عن المكروب ما الهم يجلب
هو الشمس الا أنه غير آفل ... فاشراقه مسترسل ليس يغرب
هو البدر فى (سوس) السعيدة ساطع ... ولولاه فيها ما زهت وهى لهيهب
ومن حوله قوم نجوم شوارق ... لهم فى سماء المجد والعز موكب
له مدد فاق البحار مداده ... فقل للذى يحصى الى اين تذهب
معارفه يهدى بها كل عارف ... وما عارف الا بها يتقرب

---

١) هذا القائل يظن أن الشيخ شريف . مع أنه ليس كذلك . راجع (الجزء الاول) فى ترجمة جده سيدى عبد الله بن سعيد. ثم الكلام حول نسبه

واوصل مقطوع الوصول بهديه ومن يبد انكارا فلاشك يعطب
فكم التوا فى ضبط احواله التى
كما الشمس فى وقت الضحى كيف تحجب
ولم يبلغوا عشرا لها عند ضبطهم
وان هم اطالوا فى حلاها واطنبوا (١)
عليك سلام الله ثم رضاؤه وسائر من ينمى اليك وينسب
مدى الدهر ما حاد ترنم قائلا (ببابك منضاقت عليه المذاهب)

وله ايضا فيه رضى الله عنهما وفى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بات عندهم الشيخ رضى الله عنه ليلة (المولد) فخاطبه وجماعته بهذه الابيات رضى الله عن الجميع :

احبة خير الخلق امته التى توالت لها البشرى وقرت بها عينا
وتاهت به فخرا لدى كل مشهد وعزت به عزا تكامل فى المعنى
وأدبت على كل الانام كرامة وحازت به كل المفاخر فى الحسنى
ونالت به أسنى المراقى واصبحت تلألؤ من نور لمولده الاسنى
هنيئا لكم بـ(المولد) الاسعد الذى به انتشرت شمس الهداية فى المغنى
هنيئا سعدتم بالبشير الذى له مراتب فى العلياء عالية المبنى
هنيئا لكم فى الكون اعظم رتبة وفى العود لاتخشون ضيما ولاهونا
فاهلا بـ (مولـود) ترفع قدره على جملة الاقدار طرا بلا استثنا
فاهلا بمن قد زين الله عرشه بنقش اسمه والكون من نوره استغنى
فاهلا بنور النور والقبطة التى تقسم منها النور من غير أن تفنا
فاهلا ببدر تم فى طالع العلا جمالا بديعا لا تماثله الحسنى
فاهلا بينبوع الفضائل كلها ومتبوع كل الخلق فى الموقف الاعنى
فاهلا بمحبوب عزيز على الذى يراه فيابشرى الذى رمق الحسنى
فاهلا بمحبوب ومن شأنه غدا يقوم مقام الحمد من ربه يدنى
فاهلا وسهلا مرحبا بالذى له مناقب لاتحصى ولواتعب اللسنا
لمولده لاحت بوارق أسعد على صفحات اليمن تخترق الكونا
وأضحى جمال الله فى الكل بارزا على حلل من كل حسن ترى لونا
وأشرقت الايام نورا وبهجة ونكست الاصنام وارتدت الحزنا
وأصبح للايام عيدا وموسما سعيدا وبالافراح مورده الاسنى

١) فى الشيخ نحو ست مؤلفات لأصحابه . بله من ترجموه فى كتب التراجم .

فطب وتنعم واستمع لمديحه ... فقد شرف المولى بامداحه الاذنا
وهم به وجدا وافن وابغ سبيله ... فقد عظم المولى لمنصبه الشانا
عليـه صلاة لا انتهاء لقدرها ... من الله تترى لا تبيد ولا تفنى
وءاله والاصحاب أهل التقى ومن ... لدين رسول الله قد شيدوا حصنا

وله فيه أيضا رضى الله عنهما ـ وقد وفد عليه ـ :

أقلبى لذ بالواحد الاحد الصمد ... فليس سواه فى المهمات يعتمد
وان ضقت ذرعا بالذنوب وحملها ... وأمسيت فى هم واصبحت فى نكد
فزر قطب اهل اللـه والسيد الذى ... لـه السؤدد المخصوص عنـد ذوى الرشـد
امام ذوى العليا (على بن احمـد) ... له همة والمكرمات بلا عـدد
ولـى زكـى فاضل متفضـل ... فليس يضيع من لجـانبه استند
حباه الاله الخلق مجدا ورتبة ... تقاعس عنها كل من قام او قعـد
أيا ابن الكرام زائرون ببابكم ... أناخوا ركابا كلهم يرتجى المدد
فانجز قراهم سيدى من نداكم ... فحاشا يخيب من الى جودكم وفـد
اجـازة وفد سنـة نبويـة ... بها امر المختار حقا بلا فند
فكم من كسير قد جبرتم ومعدم ... كسوتم ثياب اليسر والعيشة الرغد
وكاسف بال قد رددتم بجبرة ... وذى علة اعيت فزالت الى الابد
فيا ابن المعالى عطفة وتكرما ... على عبدكم قد جا ليصلح ما فسد
أفيضوا عليه من عنايتك التى ... ترويه والاباء والاهل والولـد
بجاه الشفيع سيد الخلق احمد ... عليه صلاة لا تحد ولا تعـد

وله فيه أيضا رضى الله عنه :

أشيخى يا (على) يا ملجا الورى ... وياغوث أهل الجود والمجد والفخر
اتيت كسير القلب مما اصابنى ... من الذل والهوان والضيم والفقر
أغثنى أغثنى ان فقرى أضر بى ... فمن فيض جودكم ندى البر والبحر
وجد لى بما ارجوه منك تكرما ... وفضلا وابدل حالة العسر باليسر
وذلى عزا والهـوان كرامـة ... وضيمى نصرا لا انفصام مدى العمر
فلازلت أرجو من جنابك نصرة ... أنال بها امنا ويمنا بـلا مكـر
لانك باب الله فى كل وجهـة ... وقاصدكم فى الامر من صولة الدهر
شفيعى اليك المصطفى نخبة الورى ... ملاذ جميع الرسل فى موقف الحشر

عليه صلاة الله ثم سلامه ... بلا منتهى والآل ما غرد القمرى
وما شاد منشد بباب حماكم ... كسير الجناح يرقم المدح بالخبر
اشيخى يا (على) شمس عصرنا ... وملجأ هذا القطر فى العسر واليسر
تكالفنا أسد ضوار وانا ... على تلف ان لم تغثنا على الفور
اننا الرجا وامنن علينا بعطفة ... مؤبدة دامت وعزت مدى العمر
عليك من الرحمان ازكى تحية ... معطرة الاذيال طيبة النشر

القاضي

سيدي مسعود الشياظمي

١٢٩١ هـ = حـــــى

نسبه ومولده

مسعود بن العياشي بن الهاشمي بن محمد بن منصور .

مسقط راسه قرية (الصاهلة) من قبيلة (الكرايمات) احد افخاذ قبيلة (الشياظمة) الكبرى . والاسرة لايعرف لها اصل خاص . ولا شيء تمتاز به . الا ان الاصل الاصيل من العرب الذين انتشروا في بوادي المغرب . منذ دخولهم من اخر القرن السادس . وكانوا اولا يتنقلون . ثم استقرت كل فرقة من الفرق الداخلة الى (تامسنا) و (دكالة) وما اليها في مكان خاص . فاشتهر كل مكان بالفرقة التي نزلت فيه . ومعلوم ان كل هؤلاء العرب الذين ملأوا ما وراء (سلا) الى (السويرة) كلهم من (بني هلال) وحلفائهم وهم المنتشرون في شمالي الاطلس . واما في (الصحراء) في الغالب انهم من اليمنيين واحلافهم . ولكنهم اختلطوا في الشمال بعد حين لنزوح كثيرين من (الصحراء) الى (الحوز) وما اليه .

من فرقة من احدى الفرق النازلة في هذه الجهات من (بني هلال) اصل المترجم كما رايت . وكفاه شرفا ان يكون عربيا . وهل كان للمغرب مجد ديني اخلاقي حضري الا بالعرب ودين العرب ولغة العرب ؟

وام محمد بن منصور سباعية من اهل (عبد الله بن مبارك) وهم مشهورون بـ (اولاد ابي حسين) بين السباعيين . وكذلك ام المترجم نفسه سباعية . وهي ايزا بنت الطيب بن الحاج الحسن من (الرحاحلة) من (اولاد عمران)

وفي سنة مولده هدمت دار القائد عمر بن بلا" (ازروال) قائد كان يسكن في (الخشان) من اكابر القواد في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن . وحينمات هذا السلطان . وقامت ثورة العامة ذهب فيمن ذهب من

القواد على العادة المعهودة فى قواد الحكومة اذ ذاك . اذ ينسفون نسفا من قبائلهم كلما قامت هيعة اثر موت ملك من الملوك .

مبدا تعلمه

لم يدخل المترجم المكتب حتى ناهز عشر سنين . فالتحق بمكتب القرية ١٣٠١ هـ فيأخذ القرءان عند الاستاذ سيدى محمد ابن سيدى رحال السرغينى . وكان صالحا تلوح عليه مخايل الخير . فعليه وحده جمع القرءان حفظا على حرف ورش . ثم أخذ حرف المكى عن الاستاذ سيدى مبارك بن الحسين البعمرانى . كان مشارطا فى مسجد القرية . بعد موت الاستاذ قبله . وكلا الاستاذين مدفون فى مقبرة (الصاهلة) ولهذين الاستاذين ما يذكران به . اما الاستاذ محمد بن رحال السرغينى . فانه كان نزل فى (هوارة) بـ (سوس) . وكان يذكر بالصلاح والاستقامة كابيه . وهما كركبتى الفارس فى الخير . بل تؤثر عن ولده الاستاذ محمد بعض كرامات. توفى ١٣١٨ هـ . واما الاستاذ مبارك فهو شريف النسب من فرقة وزءانية نزلت بـ (الساحل) فى (سوس) . وهو عالى الكعب فى الاستقامة . توفى فى ذى القعدة ١٣٤٤ هـ وهما معا من القراء الكبار السوسيين .

مشيخته بالمعارف

ان الذين اخذ عنهم ورضع بهم من ثدى العلوم الفقيه المقرىء الصوفى سيدى محمد ـ فتحا ـ البرابيمى . والعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلالنى . والفقيه الذاكر الخاشع سيدى عبد الله ابن القاضى التيملى . والمدرس المخرج سيدى العربى السباعى . فبين ايدى هؤلاء جلس حتى قام عالما ثم قاضيا . واليك تفاصيل عن متقلبه بين محافلهم العامرة .

فى (تازنتوت)

قال : لما حفظت القرءان . وحصلت على حرف المكى . تطلعت الى ان اكون حمزاويا ثم فقيها . فغادرت اهل من غير استئذانهم الى جهة (سوس) لما نسمعه من ان كل ما يريده الطالب من القراءات ومن العلوم موجود فى (سوس) مع ما يجده الطالب فى المدارس هناك من الاعانات . ولذلك تتسع (سوس) من (الشياظمة) و (حاحة) وما اليهما . خرجت وانا اذ ذاك فى طور المراهقة كما بلغت . وذلك فى سنة ١٣١٠ هـ فعزمت على ان لا ارجع الى اهلى حتى ارجع بكل طلباتى . ثم تبعبحت الطريق الى

(سوس) فدلني دال على الاستاذ سيدى محمد البراييمى المشارط فى قرية (تازنتوت) من قبيلة (ايدا وتنان) . فاذا به لا يتقن حمزة . وانما يتقن حرف البصرى . وحرف المكى . فلما الفت عنده . سلمت فى قراءة حمزة . فاعدت هناك ختمة من حرف المكى . ثم افتتح لى الاستاذ مبادىء العلوم العربية . فاخذت الاجرومية والزواوى والجمل وربعا من الالفية وابن عاشر والرسالة وربع العبادات من المختصر (١) . وبعد اربع سنين هناك جاء حافز «اخر جديد . كاد يحول بينى وبين دراسة المعارف .

فى الطريقة الالغيمة

قال : كان اذ ذاك للشيخ الالغى صيت طنان فى التربية . قد اتبعه كل من له تشوف الى أن يعرف ربه . ومن بين الغريقين فى طريقته استاذنا سيدى محمد البراييمى . وكان الفقراء بطوائفهم وباحوالهم الاخاذة بالقلوب تسيل بهم الطرق السوسية . وكثيرا ما يتنابون استاذنا هناك . فنصيبنا نفحة من نفحاتهم . حتى استولت على أنا احوالهم . فلم أشعر حتى صاحبت الفقراء الى الشيخ فى (الغ) على نية التجريد بين أصحابه . وقد عزمت على ان لا ارجع الى المدارس . وقد انستنى احوالهم لـذة الدراسة فقدمت بين نجواى الى الشيخ سلهاما جديدا . فذكرت له ما أريد . فصار الشيخ يسالنى عن احوالى منقصيا لها . ثم بعد أن مادنى الخبل فى المذاكرة . امرنى ان ارجع الى القراءة . وأن لا ابتغى بما انا فيه بديلا .

اقول : ان قولة الامام ابن عرفة المشهورة : من رأيته يصحب الصوفية فاعلم انه لا ياتى منه شىء . المقصود بها أن من ذاق ما عند الصوفية فانه ينسى به لذة العلم . فلا يقضى من العلم شيئا . وليس فيها ذم للتصوف . لان ابن عرفة نفسه من اكابر الصوفية . ومثل هذه المقالة ما يتداول عند العلماء العارفين بالله . من أن من يراد به الخير . فانه يشتغل فى مبادئه باخذ العلوم حتى يستتم دراسته . ثم بعد ذلك يتوجه الى ما عند القوم فيجمع ما بين الحسنيين . وقد وقع ذلك لمثل الغزالى والعارف ابى زيد الفاسى . وقد كان الشيخ الالغى لا يترك من فيه استعداد لاتمام دراسته يمكث وسط الفقراء المتجردين . وكم وكم تلميذ وجهه الى الدراسة بعد ما كان توجه الى ما عند الفقراء . كهذا المترجم . وسيدى الحاج مسعود الوفقاوى . وسيدى الحسين التيمولاى . وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى .

---

١) يوجد هذا الاستاذ بين (اهل سيدى عمر) البوئعمانيين . فى (الجزء الثانى عشر) ان شاء الله .

ونظرائهم كما تقرأ ذلك في تراجمهم . كما انه يوصي اصحابه من العلماء المدرسين او المقرئين على لزوم التعليم . كابن العربي الهواري وسيدى عبد الله البركراكي . وسيدى عبد الله الايديكلي . وسيدى عمر الايكضيني . وسيدى محمد وسيدى احمد المسعوديين . وكثيرين امثالهم .

في مدرسة سيدي يعقوب بـ (إيـلالن)

ارسل الشيخ المترجم الى هذه المدرسة التي فيها هذا الاستاذ الجليل الذى يعد من اصحاب الشيخ الاخصاء . وان كان لا يرد الى (الخ) سيدى الحاج عبد الحميد . وقـد حكى عنه المترجم انـه كلما سمـع اذكار الفقراء ومواعظهم تسيل دموعه . ويقول : اتمنى أن لا أزال أسمع أذكارهم . وكان من عادته اذا كان عنده الفقراء أن يجلس بعيدا عنهم . فيبكى طوال امتداد ذكرهم . وكان رقيق القلب (١) .

قال : وقد وصى علىّ الشيخ الاستاذ وكل فقراء تلك الناحية . فاخذت عنه الالفية وبعض المختصر . والمنهج للزقاق . والمقامات الحريرية التى احفظ منها كثيرا . وبعد سنة توفى الاستاذ سنة ١٣١٦ هـ .

فى مدرسة (أضاض) التحلية

لما توفى سيدى الحاج عبد الحميد أرسلنى الشيخ الى الفقيه الصالح الذاكر سيدى عبد الله ابن القاضى التيملى . فاخذت عنه الالفية والفقه من المختصر والميراث . وقد تيسر لى اذ ذاك أن اخذت الاستعارات عن فقيه يسمى سيدى محمد من (فوكرض) وقد كانت حالتى فى هذه المدرسة مع الفقراء كما كنت فى التى قبلها . فاسيح احيانا . وأرد الى الشيخ فى (الخ) فى كل فرصة . وقد كان زار بلده فى طائفة من الفقراء اذ ذاك حين عزى فى والده الذى توفى .

في مدرسة (الساعدات)

قال : ثم ادتنى خاتمة المطاف الى الاستاذ سيدى العربى السباعى . وقد كنت سمعت ثناء عطرا عليه من فم الفقيه سيدى محمد بن عبد الله الكثيرى التيملى . فاقمت هناك سنين كثيرة حتى تحصل ما تحصل . فاذ ذاك انتهى زمن الاخذ . وقد لبث فى (الساعدات) من ١٣٢٠ هـ الى ١٣٢٨ هـ

١) توجد ترجمته فى (الجزء السابع عشر) مع أهله .

رأيت أن المترجم تأصلت فيه النزعة الصوفية جبلة . فلم يلبث اثر التقائه بالقوم أن فنى فى محبتهم . ورءاهم وحدهم أهلا للصحبة . وقد تلقح ذلك من استاذه البرايشمى ومن كبار الفقراء الذين يردون عليه . كسيدى سعيد التنانى . وسيدى الحسين التامكونسى والفقير محمد اوجدى التنانى . وأمثالهم ممن يردون كثيرا من عند الشيخ الى تلك الناحية. فشرب بصحبتهم كاس الصوفية الى ثمالتها . قال : بينما أنا أعرف الفقراء هؤلاء وحدهم . اذا بالشيخ ورد علينا فى طائفة كبرى على حالة تطير بها الافئدة . فجددت عليه الورد . بعد ما كنت تلقنته من الفقراء الكبار . وفى موسم من مواسم (الغ) ذهبت مع طائفة كبرى من أهل (ايدوتنان) ومن اليهم . فحضرنا الموسم فرأيت كيف تفيض الاسرار . وتتالق الانوار فازددت عزيمة فى أن أتجرد وان القى عنى كل ما سوى التوجه الى الله . فلما تفرق الموسم بقيت بعـــد اصحابى . واذ ذاك ذاكرنى الشيخ كما تقدم . فارسلنى فـى طائفة مـن الفقراء فسحنا فى القبائل التى بين (الغ) و (ايلالن) وقد أوصى ان وصلنا (ايلالن) ان ابقى هناك عند سيدى الحاج عبد الحميد . فبقيت هناك . فصار كل فقير أو طائفة تمر من تلك الجهة يسألون عنى . وانا فى أشواق ربانية وهمة عالية . وقد اثر فيّ حال الاستاذ الذى يغضى طرفه بين الفقراء اجلالا لهم وهيبة . وكان كثير الحياء طبيعة منه . وكنت امضى فى زمن العواشر الى (الغ) فيكثر الشيخ السؤال عن الاستاذ مما أظهر لى أن له عنده مكانة مكينة وقد كنت فوضت للشيخ أمورى كلها . يقلبنى كيف يشاء كما هو شرط المريد مع شيخه .

وكن عشده كاليت عند مغسل يقلبه ما شاء وهـو مطاوع

قـال : وكانت تعتريني أحوال من الجذب . وأمور روحانية . منها اننى كنت مرة مع الفقراء وقد خرجنا من الزاوية (الالغية) فبتنا فى قرية (تارسواط) ثم قصدنا قبيلة (أملن) والشيخ معنا . فلما اقبلنا على قرية (تافراوت) وقد خرج كل أهل القرية للاقاة الشيـخ . والشوق فائض . والقلوب مرفرفة . وتاثير الحال غالب على الجميع . والذكر من الفقراء الذين يقولونه بصوت واحد عند توجههم للدخول الى قرية . قد ملأ الجو . اذا بى أسمع ـ والله شهيد ـ كل الاشجار والاحجار حولنا تعلن ذلك الذكر بدورها قال : كان الشيخ اذن لى أن اتذاكر مع الفقراء مـن الكتاب فى المجلس . فشاهدت فى الذى أقوله للفقراء فتحا واسرارا . كأن الشيخ يقول لهم ذلك على لسانى . وقد وقع لى مع الشيخ كشف عجيب مرارا .

ومن سياحاته معالفقراء سياحة كان فيها مع كل المتجردين. ورئيسهم

سيدى سعيد الثانى . خرجوا من (الخ) الى (أزاغار) الى (هوارة) فـ (داوزيكى) فـ (ايمينتانوت) و (الشياظمة) فزرت من استاذى سيدى محمد بن رحال المذكور وذلك فى سنة ١٣١٧ هـ .

وسبب رجوعه من مدرسة (أملن) الى الحوز وصول الخبر بان والده مشرف على الهلاك . قال : فاستاذنت الشيخ فى مراجعة أهلى . فاذن لى . وحثنى على اتمام دراستى ولكنه نهانى على أن أحفظ قلبى واخلاقى . حتى لا يتلوثا من المعتاد بين طلبة المدارس . ثم قال الشيخ : ان الانسان الذى يطلب العلم بين هذه المدارس الساقطة الاخلاق . السائد فيها الاعراض عن تقوى الله . يجب عليه أن يعد نفسه كمن دخل الى مستراح . فيقضى فيه غرضه الذى لا يقضيه الا هناك . فاى علم استفاده الطالب من هذه المدارس اذا ما تخلق بما نراه من اخلاق الطلبة الغافلين السادرين فى غلوائهم . ولكن لما كان العلم لابد منه . فلابد من هذه المدارس على علاتها .

قال : ثم انتى صرت أيضا مشوى للفقراء يمرون علىّ فى مدرسة (الساعدات) حتى ان الشيخ نفسه صار ان ساح الى (الحوز) يمر بتلك المدارس . مدرسة (سيدى أحمد أوعلى) ثم مدرسة (بوعنفير) ثم مدرسة (الساعدات) فيؤثر حاله المستنهض فى الطلبة وفى كل الاساتذة غاية التاثير . وكان الشيخ ان لم يلم بالمدرسة او قارب أحوازها . يرسل الىّ . ويعتنى بى رضى الله عنه . كما يعتنى باخصاء الفقراء . وقد ارسل الىّ مرة وهو فى قرية (أيت هادى) فى (شيشاوة) فبمجرد ما القى علىّ نظرته سمعته يقول: رحم الله سيدى عبد الله ابن القاضى . فمد مع ذلك كلمة (الله) كذلك تذكر الشيخ سيدى عبد الله ابن القاضى المتوفى وشبكا برؤيتى . قال : وكان أستاذنا سيدى العربى يحترم الشيخ ويجله ويعتقده . ككل الاساتذة فى مدارس هذه الجهة . الا ما كان من الفقيه سيدى أحمد المسفيوى فانه يروغ عن الشيخ . وينكر عليه . فكان هؤلاء الفقهاء يناهضون المسفيوى فى ذلك . وقد اجتمعوا مرة فى مجلس . وذكر بينهم الشيخ فلاح المسفيوى سيدى العربى على اجلاله للشيخ . فلم يزد سيدى العربى أن قال له : من اتانا وهو يعلن لا اله الا الله . ولا يشتغل الا به فلابد ان نهتبل به . ان كان من مطلق الناس فكيف بهذا الشيخ الجليل . فوافقه الحاضرون فسكت المسفيوى على مضض (١) . ومما وقع للمترجم فى (الساعدات) أنه كان

١) كان سيدى أحمد المسفيوى فى الركب الكبير الذى سافر مع سيدى الحنفى سنة ١٣١٢ هـ الى (تيمكيدشت) فحين نزلوا فى زاوية الشيخ فى (الخ) قال المسفيوى للشيخ : لما لاتشتغل بتعليم الطلبة العلم . وتنبذ عنك هؤلاء أصحاب المرقعات والقمل والاوساخ . فما زاد الشيخ على أن تبسم فى وجهه . ولم يجبه كأنه يعلم حاله . ـ قال تعلى : واعرض عن الجاهلين ـ

مهتما ان يرتحل لياخذ عن الفقيه سيدى عيسى العبدى . وكان فقيها مشهورا بعلم الفرائض فكتب الى شيخه سيدى العربى يستاذنه فى ذلك فى ضمن ابيات من جملتها :

أيا ابن على يا سليل أولى النهى فقل مرحبا فالسيل قد بلغ الزبى

فوقع له الاستاذ فى الجواب : قد بلغنا كلامك نظما ونثرا . زادك الله بسطة فى العلم والجسم . وأما ما ذكرت من قراءة الميراث . فسأتفرغ لقراءتها معك بعد العيد ان شاء الله .

قال : وقد وقع لى حين كنت انشىء هذه الابيات أن طالبا مراكشيا دخل علىّ . فاخبرنى بانه رءانى منامًا . وأنا مكب على فخذ الاستاذ سيدى العربى وأنا أبكى . فصار هو يربت على ظهرى بيده . يهدئنى ويسكن من جاشى . فكان تأويل ذلك ما مضى .

يستقر في أهله

بعد هذه الرحلة الطويلة الممتدة من ١٣١٠ هـ الى ١٣٢٧ هـ رجع الى دار أهله ممخوض الوطب . عامر القلب . حى النفس . وقد أخذ من العلمين العلم المدروس . وعلم القلوب الذى لا يكون الا موهبة . فكساه الله حلتى العلم والعمل . فاستطاع باخلاقه الهادئة . وبكرمه وبحسن مواتاته . أن تكون حوله هالة محبة واجلال بين ذويه . فينادى بالفقيه . وان كان هو فى نفسه لم يعد أن يكون فقيرا فملأ الله به تلك القبيلة الشاغرة من العلم فضلا وشهرة .

في مدرسة القبيلة

شارط ما شاء الله فى مدرسة (الكرايمات) وزاول قليلا من التعليم . الا أنه لم يعط الحظوة فى ذلك الميدان . وقد كنت مررت به هناك حوالى ١٣٣٩ هـ فتعرفت به . فوافق خبره ما كنت أسمعه عنه من الخبر الحسن .

واستكبر الاخبار قبل لقائكم فلما التقينا صدق الخبر الخبر

في خطة العدالة

كان تولى هذه الخطة من سنة ١٣٣٢ هـ فسار فى ذلك كما يسير امثاله . الا أنه حين يتحرى الحق . ولايتخطى الحدود . نبه ذكره بين العدول حتى رقاه الله عليهم . وهكذا يترقى كل من له همة فى نفع العباد فى مثل تلك الخطط .

في خطة القضاء

في سنة ١٣٣٦ هـ طرق خطة الفصل بين الناس في الشرعيات . في عهد قيادة حمو الفرد . والقضاء الرسمي اذ ذاك في البوادي لا يزال في حكم العدم . فمنته الادارة الى القضاء . فصار يقضي بين الناس . من غير أن يكون له طابع القضاء . وأحكامه يمضيها القائد والمراقبة . فطالت أيام هذه الخطة حتى اذا «ان أوان ما هو أعلى من ذلك جاءه في ابانه :

وسحاب الخير لها مطر ... فاذا جا الابان تجي

وفي سنة ١٣٤٩ هـ تولى القضاء الرسمي على (الكرايمات) بالطابع يوم تنظم القضاء في بعض البوادي . وقد ارخ ظهيره بذلك بالثاني من ربيع الثاني من تلك السنة .

نباهة شأنه

نبه مقام المترجم يوم ساوت كتفه اكتاف القواد . فلم يجدوا منه بعد مدخلا للائتمار باوامرهم . منذ كان في حصانة من وظيفته . كما انهم في حصانة وظائفهم . فاعل الله شانه عليهم . الا أن نبهاء الناس دائما خصوصا أهل العدل وأهل الخير . لابد ان يبتليهم الله بالحساد والماكرين . سنة الله في خلقه . فقد نال المترجم حظه من ذلك بأحد من له اليه ماتئة بالمصاهرة فقد صار يفتل له بين الدروة والغارب عند القائد سعيد خبان . حتى أفسد ما بينهما . فاذا بقبيلة (الكرايمات) تصيخ للقاضي اكثر مما تصيخ للقائد حتى كتبت القبيلة الشكوى بالقائد . وجرى كذلك القائد جرى القواد المعتاد في مثل هذه القضايا . فلم يترك نقيصة الا نسبها للقاضي . ولكن لن تؤذى بعوضة قرن الثور . فقاومه القاضي بالاعراض . فيؤدي مهمته مع المراقبة التي تعرف كل شيء والقبيلة تظاهر القاضي . فمشت الايام على ذلك ما شاء الله . الى أن مات القائد سعيد . وكنت اذ ذاك في (مراكش) فواعدت القاضي في دار صهره الشيخ ابرهيم . فذهبنا توا الى دار «ال القائد المتوفى . فلم يشعروا بنا حتى ولجنا عليهم . فلاقانا الخليفة السيد عبد الله سيد «ال خبان . ومحمد ابن القائد ـ الذي صار قائدا بعد ذلك ـ فصفيت الامر بينهم وبين القاضي . وقد سهل ذلك بسبب طهارة سريرة الخليفة المذكور . وبذلك انقطعت تلك العداوة . واجتثت من اصلها . فامر ذلك الحاسد الذي كان يفسد ذات بينهما أن يمسك لسانه عن القاضي . فطويت تلك الصحيفة . بحمد الله . ثم لم ينشب ذلك الخليفة أن توفي مبكيا عليه . نحو ١٣٧٠ هـ .

نتف أخرى عن القاضي

رأيت مكانة القاضي في الطريقة (الالغية) فكان ذلك هو السبب حتى أصهر الى أخينا الفقيه الصولي سيدي عبد الرحمن باحدى كرائمه . وذلك في نحو ١٣٥٤ هـ وهي التي انجبت هذا النلميذ النجيب المهدي بن عبد الرحمن الذي نرجو له أن يحفظ خلقه . وان يستتم معارفه . ليكون مفخرة الاسرة في جيله (١) .

وكان سيدي مسعود انقطع عن مواسم (الغ) منذ التحق بمدرسة (الساعدات) ثم لم يعد الى الحضور فيها الا بعد ١٣٦٥ هـ حتى منعه الكبر يومأن خلع العمائم الثلاث (٢) بسبب انقطاعه عن (الغ) والشيخ لايزال حيا كتب اليه العلامة سيدي محمد بن مسعود عن أمر سيدي سعيد التنائي ما يلي :

(أخونا في الله تعلى ، الفقير الصادق . المحب الوامق . أبو السعادات سيدي مسعود بن العياشي الشياظمي . كان الله لنا ولكم . وسلام عليكم ورحمته تعلى وبركاته . من أخيكم في الله الفقير الى الله سعيد بن محمد التنائي . آخذ الله بيده . ولا زائد بحمد الله الا خير . وموجبه ارادة تجديد العهد بكم . واخباركم بما نحن عليه ، كي يتجدد بذلك معناكم وانسكم . من نظرات القلب الى مشرب الصفاء . ومحل الوفاء . حضرة أهل الله الذين اذا رؤوا ذكر الله . فسيدنا الشيخ رضي الله عنه بخير . كما تحبون . وقد ساح الى (مراكش) المحروسة و (السويرة) وأحوازهما في هذا العام من مبدئه . ورجع بسلامة وعافية بحمد الله . وقد طالت غيبتكم عن الشيخ وعن سادتنا الفقراء . وما نحب لكم الانقطاع عن تلك المشاهد التي هي أبواب لعزة الرحمن :

منازل كنت تهواها وتألفها ... أيام كنت على الايام منصورا

وقد ذكرناكم أنا وبعض الاخوان ـ يعني الكاتب ابن مسعود نفسه ـ وذكرناما سمعناه عنكم بانكم اشتغلتم بالبناء تتأهبون للتزوج . فندبت الاخ المذكور لتنبيهكم بما حضره من الابيات . عسى القلب ينجلب بما الفه من ذلك النمط الى سالف الخيرات . فكتب في ذلك :

مسعود لازلت في الخيرات مرتضعا ... ثدى المعارف عياش بن عياش
تقتات من نورها قوت القلوب وتنـ ... ـشى برفع الحجاب نشوة الناشي

---

١) وقد كان كذلك . فخلف والده في مكانته . كانا لم نرزأ بوالده لي زلزال (آكادير) رحمه الله .

٢) يعنون بها لون سواد الشعر، ثم لون الاشمط، ثم اللون الابيض بالشيب

مسعود لاتنس أسباب السعادة اذ ... وانك ينزاح منها الكدر الغاشي
مالك في فترة انسنك انديـة ... للوصل غاب بها الرقيب والواشي
تستبدلون بروض جنة زهرت ... أنوارها غمما ينتابها العـاشي

وكتب في ذلك المعنى أيضا :

مسعود لا تله عن سر العزيز اذا ... ما ذقتـه نلت عزا خالد الابـد
وصرت لا أنت بل ماثم غيرك يا ... يـاما أحيلى مدام حضرة الاحـد
مسعود يدعوك منك الحق هب ولا ... تضع جواهر عمر منك في كبد
فاخلع نعالا من الاغيار وانج الـى ... حضرة قدس وصاحب فتية الرشيد
مسعود أسعدك المولى أتامل فـي ... نهج المحبة في امن بلا نكد
مسعود ويحك لاتترك لزخرف ما ... يفنى وفي طيه الاكدار بالرصد
واختر فديتك مايبقى وماهو الا الـ ... ـه فاغنم سعود الوقت عن بلـد
مسعود لو قطرة ذيقت نسيت بها ... خمر الجنان وكل العيش ذا رغد
فاعمد بعزمك للشرب الهنيء ولا ... تجنح الى فتنة الاموال والولد
وانهض بعلياء همة اليـه ولا ... تخلد لارض الهوى وارحل الى الصمد
لايستوى القاعدون والمجاهد في ... سبل السعادة لا تغتر بالفند
اني نصحتك هبني ما انتصحت فان ... لم تصغ تندم عليها اخر الامد
في (الخ) ويحك نور الحق فاغن به ... دهرا ومت موتة تحيا الى الابد
مغتسل بارد ينقيك من درن ... ومشرب طاهر يرويك في الخلد
أكرم به من رحيق صرفه سكـر ... يرقى أريكة ملك جنة الخلد
فالله يقسم لي من فضله ولكم ... من ذاك أوفر حظ فانت العدد

والاخ المذكور يسلم عليكم كبقية السادة الفقراء . وعلى من هناك من الاخوان . أصلح الله للجميع كل شأن . «امين . والسلام يعود عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته . وكتب في أواخر ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ) .

مختتم

ذلك هو القاضي سيدى مسعود . الذى يتجاذب بين الفقهاء والفقراء . فكانت للفقراء بدايته ونهايته . وكان للفقهاء أواسط حياته . فقد امتزج من أحوال الفريقين . وقد تأثر من ففقهاء (الساعدات) كل التاثر . فحبب اليه ان تكون له مثل هالتهم من العلم والشهرة . فاعطاه الله من ذلك ما

أعطاه فها هو ذا الآن يغبطه جيله . والجيل الذى بعده . وله أولاد أدركوه فنفعوه . ومن بينهم سيدى عبد الرحمن الذى يتتبع الآن دراسته فى جامع (ابن يوسف) . وقد ظهرت منه نجابة . ولعله يكون خليفته فى المعارف . فان الذى سيعرف من أبيه انما هى معارفه التى ينفع بها العبـاد . وأمـا ما ياكل وما يلبس وما يملك وما يزاول من حرث . وما يدخر من المطامـير فان ذاك كله سيكون هباء . وقد لازم داره يوم اقيل من منصبه فى القضاء فى عهد الاستقلال . وهو حى الآن مختتم ١٣٨١ هـ

سيدى الهاشم الشياظمى

نحـــو ١٢٧٠ هـ = بعـد ١٣٠٨ هـ

فقيه يذكره الفقراء القدماء . وقد ورد على الشيخ . وانقطع اليه اول سنة ١٣٠٧ هـ فى اليوم الذى ورد فيه سيدى سعيـد التنانى . وسيـدى الناجم الوانكيفماى . قال الزكرى : بينما نحن سائحون فى (أيت صواب) اذ ورد علينا بعض الفقراء من الزاوية (الالغية) فاخبرنا بأن ثلاثة من العلماء وردوا على الشيخ بنية التجريد . وكنا اذ ذاك نكاد نطير فرحا كلما سمعنا بورود واحد على قصد التجريد . لهمتنا المحصورة فـى السير والسلوك الى الله . وبالاستكثار من الاخوان . وحين سمعنا بهؤلاء الثلاثة ازداد فرحنا أضعافا مضاعفة حين كانوا كلهم علماء . قال : ثم لم يبطئ سيدى الهاشم فتوجه الى بلده . وكان غير قادر على أحوال الفقراء المتجردين من كل وجه. لضعف نيته . ولعدم استيناسه بالشلحيين أهل هذه البلاد . وهو اعرابى ولعدم قدرته على شظف العيش الذى يتسابق اليه الفقراء المتجردون عـن رضا وطيب نفس . وكان لا تفارقه ففة يضع فيها متاعه . قال : ثم انه بعد ان ذهب لم نر عنه خبرا . ولا عرفنا بعد أهن الاحياء هو أم من الامـوات .

(أقول) لم أقف له انا ايضا على جلية خبر . ولا عرفت عن مداركه ولا عن اسرته ولا عن تقلباته شيئا . وكذا لم أعرف كيف اتصل بالشيـخ ولا الحامل له على أن يسافر من بلده الى تلك الجبال .

سيـدي

عبد القادر بن العربي السباعي

١٣٠٦ هـ = ٢٥ - ١١ - ١٣٦٨ هـ

نسبـــه :

عبد القادر بن العربي بن علي بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

وينتهي النسب الى عمران . ثم يرتفع الى عامر الملقب ابي السباع. دفين جبل (أغاض ميدني) بـ (سوس) وهو من أهل القرن الثامن - على ما يظهر - والسباعيون أولاده منتشرون كثيرون . حتى تكونت منهم ومن الزج فيهم ممن ليس منهم قبيلة كبيرة في (الصحراء) ثم قدم الى حوز (مراكش) فريق كبير منها . ويتفرق الذين يصح نسبهم منهم الى أبـي السبـاع الى (أولاد عمرو) و (أولاد عمران) وهـم معروفون بالتواتر عنـد نسابانهم .

ولهذه القبيلة تاريخ مجيد في الكرم والشجاعة . لايقبلـون الضيـم . ولا يرضخون لمن يسومهم الخسف وهذا حالهم لا في (الصحراء) ولا في (الحول) وقد لاقوا مرارا صدمات من أجل ذلك . لكونهم يقاومون دائما القبائل التي تجاورهم كـ (الشياظمة) و (متوكة) وقبائل الجيش . وقـد اجلاهم الملك سيدي محمد بن عبد الله في أواخر القرن الثـاني عشر . فتشتتوا فـي (سوس) وفي غيرها ثم تراجعوا ونموا . ورجعوا الى عزهم . ثم لاقوا ايضا في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن . وولده مولاي الحسن . اعتقالات في اكابرهم . ولا يزالون على أنفتهم هذه الى أن جاء الاحتلال . فحاول أن ينزع من أيديهم الارض التي يقطنونها بحجة أنها مخزنية . ولكنهم دافعوا متفانين ولا يزالون يدافعون عنها حتى بعد الاستقلال . ولهذه القبيلة تاريخ مجيد يستحق أن يجمع في كتاب لوقائع وحوادث ولرجال نابغين . وعلماء كبار. وقد ألمّ ببعض ذلك صاحبنا الفقيه سيدي محمد الصغير في كتابه الـذي كتبه عن والده سيدي عبد العاطي الشهير . ولئن اشتهر بنو (ابي السباع) بالقواد الكبار في عصورهم الاخيرة . فقد اشتهروا في هذا العصر وقبلـه بعلماء فطاحل . وصالحين لهم طلال وريفة . وكفاهم شرفا سيـدي المختار

يا قوتهم . وحفيده سيدى الجيلالى الحافظ الكبير . ثم تتابعت حلقات علمائهم فى القرن الثالث عشر وفى صدر هذا القرن فى (الحوز) وفى (سوس) فممن كانوا فى (سوس) العلامة سيدى محمد الضوء السباعى . وهاك ما كتب الينا حوله :

(العلامة سيدى محمد الضوء البكارى المغراوى الفارس المغوار . وقد بلغ من ثبات جاشه أنه ينام على ظهر فرسه فى أثناء المعارك التى كانت تقع بين (أولاد أبى السباع) أو بينهم وبين جيرانهم . وقد حدث عنه حفيده مبارك بن عبد القادر بن محمد الضوء بأن جده هذا هو ابن عبد الوهاب بن أحمد الامغارى . أخذ عن الاستاذ التونسى الدكالى فى زاويته قرب (الجبل الاخضر) ثم أخذ عنه بعد ذلك الغالى ابن التونسى ـ ابن شيخه ـ ثم سكن بين أهله (أولاد البكار) وداره مشهورة قرب دار القائد (احمد بن الشيكر) وكان يدرس فى مدرسة (ابن الشيكر) عهد قيادة هذا فى زمن مولاى عبد الرحمن . وبعد ١٢٧٦ هـ ارتحل الى (سوس) فقطن (واعرون) ثم (اكلميم) ثم (اصبويا) وهنا دار له مشهورة . وكان يدرس فى مدرسة هناك سنين مديدة . ثم سكن قرب (وادى أساكا) وديدنه التدريس دائما ولـه اتصال بنال (تيمكيدشت) فهذه رسالة من الشيخ سيدى الحسن اليه :

(محبنا فى الله تعلى الفقيه الشريف سيدى محمد الضوء السباعى . حفظك الله وتولاك . ومن سوء المكاره وقاك . (هذا) وقد بلغنا كتابك . وسرنا خطابك ، وصار بالبال ما ذكرت فى شأن الرجل . فاعلم أننا ان شاء الله من أهل الصدق والتصديق . وممن يحبون سماع الخير . وأحاديث أهلـه . فزدنا مما عندك ، زادك الله رغبة فى الخير وأهلـه . وبهذا يجب الاعلام وعلى المحبة والسلام) ثم طابع فيه (الحسن بن احمد التيمكيلجتى اصلحه الله) (١) وله تلامذة بـ (سوس) لا يحصون . وقد مكث هناك ٤٥ سنة . ثم رجع الى دار أهله الاصلية فى (أولاد البكار) فمكث فيها الى أن توفى سنة ١٣٢٧ هـ وضريحه مشهور يزار . وهو مظنة استجابة الدعاء . وجد بخطه ما نصه : (بشرنى أخى فى الله شيخنا وقدوتنا امام الافاضل الشريف مولاى احمد ابن محمد بن محمد الدرعى قال : قلت لرسول الله انى اريد أن القن حبيبى فى الله سيدى محمدا الضوء اسمه تعلى (الجبار) فقال عليه الصلاة والسلام اخر ذلك حتى نجتمع مرة أخرى . فقلت أو نجتمع أيضا يا رسول الله . فقال نعم سنجتمع فى وقت يرضى ربكما . ولكن مره أن يصلى علىَّ بصلاة

---

١) هكذا تيمكيلجت باللام . وهكذا ينطق بها غالبا . وقد ينطق بالسدال كما نكتبه نحن دائما .

النجاة (١) أربعين مرة فى كل يوم . وبشره أنه لايموت حتى يكون من أهل الديوان . وبانه وانه . . . الخ انتهى

وقد كانت له مصاهرة مع اصقائد احمد بن الشيكر . ويفد معه على مولاى عبد الرحمن . فعرا بنت الملك هذا مس من الجن . اعيا الاساة والراقين . فرقاها فشفاها الله . فاقترح عليه الملك أن يطلب ما شاء . فقال لا اطلب الا رضا الله وحده فاعطى له جارية رزق منهـا اولادا) .

(اقول) : ومن تلاميذ سيدى محمد الضوء : العلامة محمد بن مسعود المعدرى المترجم فى (الجزء الثالث عشر) وقد ذكرنا هناك اجازته له . ثم لم نظفر بترجمته الا اليوم وهاك رجالات نسبه نظما لتلميذه سيدى محمد ابن صنبا بن على بن احمد السباعى . ومطلعه :

قال عبيد ربه القفور ... محمد لقب بالمذكور
مبتدئا باسم الاله القادر ... مصليا على الرسول الطاهر
وآله وصحبه الاخيار ... ومن تلاهم من الابرار
وبعد خذ معرفة الاجداد ... من عندنا الى الرسول الهادى
بالنقل عن اسلافنا الكرام ... ذوى النهى والفضل والاكرام
اعنى الذين نسبوا (مغراوة) ... من نسل امغار جدا (شيشاوة)
مع اخوانهم (بنى السباع) ... ذوى النهى وأهل الانتفاع
الى اخرها

وهى مشهورة عند السباعيين . فيها زهاء ستين بيتا .

وأما الذين فى (الحوز) فقد بنوا مدارس كثيرة فى قبيلتهم ، حتى لاتسمع الا المدارس السباعية المتكاثرة التى تحمل مشاعل العلوم فى (الحوز) فتمد كل مافى جوارها من القبائل. فكانت مدرسة (الساعدات) ومدرسة (بوعانفير) ومدرسة (بنى عبد المولى) ومدرسة (سيدى الضوء المومنى) من بعض هذه المدارس التى بثت من العلم والارشاد ما بثت مما لايزال الى الآن ذكره غضا طريا على كل لسان . وقد تعدد العلماء من أهل (الساعدات) وهاك قائمة علمائهم :

١ ـ محمد بن على
٢ ـ العربى بن على
٣ ـ عبد القادر بن العربى
٤ ـ الضوء بن العربى
٥ ـ الفاضل بن العربى
٦ ـ سيدى العربى بن عبد القادر
٧ ـ سيدى المختار بن عبد القادر

---

١) اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا به من جميع الاهوال الخ .

فهؤلاء هم الذين ارتفعت بهم راية التدريس فى (الساعدات) زهاء مائة وعشرين سنة .

الاول محمد بن علي

قال فيه على بن محمد الهوارى فى كتابه (النور الحنفى) :

(ومنهم الفقيه العالم العلامة الشريف العفيف سيدى محمد بن على السباعى الساعدى . كان رجلا فاضلا عارفا بالله . أدرك فى العلم درجة عظيمة . ونال حظوة كبيرة . من غير كد ولا تعب ولا عناء . ولامقاساة شدائد وانما هجم عليه الفتح هجوما . ببركة شيخه . وقد صح أنه كان ينام عند الدرس . وربما أيقظه بعض الطلبة . فيقول لهم الشيخ دعوا الشريف . ولا تزعزعوه ولا تروعوه . فان الله معطيه ما هو له سابق من الخير والعلم والسر . ثم أرسله الشيخ الى زاويته فى (الساعدات) فاقام فيها بعد ان بنى بها مدرسة مباركة .وعمرها بالتدريس . واقبلت عليه الطلبة . وخرج على يده خلق كثير ، وله كلام ورسائل نظما ونثرا . عويصة الحل . وربما أعجزت فحول أهل زمانه . ولازال على ذلك الحال من التدريس والتعليم الى أن توفاه الله)

هذا ما قاله الهوارى . وقد توفى سنة ١٣٠٦ هـ . وهذه الرسائل التى ذكرها له الهوارى لم تتصل الا ببعضها ، منها رسالة كتبها على لسان القائد عبد الله بن بلعيد الى عالمين فى (الصحراء) . وقد أسس مدرسته ١٢٦٠ هـ وكان من عادته أنه يخرج فى شهر مارس من كل سنة فيدور على جميع السباعيين (أولاد عمران) و (اولاد عمرو) فتجمع له القبيلة أعشارها وزكاتها . وذلك باذن من الحكومة . وهناك ظهائر الملوك فى الاذن له بذلك . فبهذه الاعانات يقوم بالمدرسة مئونة وبناء مساكن . وقد كان فى عهد القائد ابن الشيكر المشهور الذكر فى السباعيين الى الآن ونسبه من (أولاد عمرو) وكان يسوى بين الناس فى مصالح القبيلة فكان ياخذ من الفقيه سيدى محمد بن على ما يتويه من الغرامات بين الناس . فكان يؤدى عنه القائد عمر المزوضى نصيبه من الغرامات . الى أن اجتمع ابن الشيكر يوما والفقيه . فجرى ذكر عرف العود . فنطق به الفقيه بفتح العين فرد عليه القائد وكسرها . فروجعت المسألة . فاذا بالفقيه هو الذى صادف الصواب . فاذ ذاك أدناه اليه القائد . وعرف قدره . وازاله من صفوف الغارمين ، وقد كان المترجم معروفا بالتحصيل والعلوم . خصوصا علوم العربية . وقد كان محبوبا فى قبيلته . لانهم ينظرون اليه بنظرة العشيرة . ان كانوا ينظرون الى أمثال سيدى أحمد بن مبارك الرسموكى

بنظرة المعاشرة فقط . وقد كانت له مكانة مع القائد عبد الله بن بلعيد حتى كان لايفارق حضرته . بل كان يكتب عنه الرسائل التى لايامن عليها غيره . ويذكر اهله أن ملك ذلك العهد أرسل الى ابن بلعيد ليامر المترجم بالالتحاق بحاشية الملك . ليطوق وظيفة . فامتنع الفقيه ترفعا عن الوظائف المخزنية فى حكاية يحكونها ، وقد أدرك ثلاثة ملوك : مولاى عبد الرحمن . وولده محمدا. وحفيده مولاى الحسن. وقد عاصر الشيخ سيدى الحسن التيمكيدشتى وقد لاقاه فى احدى وفاداته الى (مراكش)

ظهيران يتعلقان بالمترجم

أولهما للملك سيدى محمد بن عبد الرحمن سنة ١٢٨١ هـ ونصه :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره . وجعل فى الصالحات طيه ونشره . أنا سدلنا على حامله الفقيه الناسك الخير . السيد محمد بن على السباعى الساعدى أردية التوقير والاحترام . وحملناه على كاهل المبرة والانعام . وحاشيناه من المطالب الامامية . والكلف المخزنية . والوظائف السلطانية ، وكذلك أخواه اللذان معه على حالة واحدة . وهما السيد العربى والسيد عمر . واذنا له فى صرف زكاته وزكاتهما وأعشارهم على الزاوية التى أعدها لترتيب الطلبة . وعمرها بالقراءة . اعانة له على هذا الفعل المشكور . ولما بلغنا من خبر ديانته . واشتغاله بما يعنيه . فنامر الواقف عليه من خدامنا ، وولاة أمرنا . أن يعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله فى جمادى الثانية عام ١٢٨١ هـ)

الثانى للملك مولاى الحسن سنة ١٢٩٣ هـ . ونصه :

(كتابنا هذا الظاهر الآيات . المشرق الايات . يستقر بيد ماسكه المستمسك بالله ثم به الفقيه البركة سيدى محمد بن على السباعى الساعداتى ويتعرف منه أننا أسدلنا عليه ذيل الاحترام . وفق ما فى ظهير مولانا الوالد المقدس بالله . واقررناه هو وأخوه السيد العربى . والسيد عمر . على ما تضمن من التوقير والاحترام . والحمل على كاهل المبرة والاكرام . وحاشيناه عما يطالب به العوام من الوظائف المخزنية . والتكاليف الامامية والاذن لهم فى دفع زكاتهم وأعشارهم لزاوية السيد محمد المذكور. التى أعدها للطلبة . وعمرها بالقراءة . اعانة له على هذا الفعل المشكور . الذى لا يصدر الا من أهل الدين المتين . وسبيل المهتدين . فعلى الواقف عليه من عمالنا . وولاة امرنا ، أن يعمل فيه . ولا يناقضه ولا ينافيه . صدر به امرنا المعتز بالله تعلى فى مختتم ربيع النبوى الانور عام ١٢٩٣)

اثر بقلم المترجم

هذه هي الرسالة التي اجاب بها القائد بلعيد بقلم المترجم علماء السباعيين من (الصحراء) كتبوا الى القائد يعاتبونه على ما وقع منه للقبيلة من الحيف . وذلك في سنة ١٢٩٢ هـ . ونصها :

(من عبد الله بن بلعيد السباعي . الوالي في الحال . كان الله له يوم الفزع وهداه الى اكرم المساعي. الى النقاريس العظام . المراغيس الكرام(١) جهابذة الفنون . العالمين بالنصوص والفصوص والمتون . السيد مبارك بن الحرش العزيزي وسيدي عبد العزيز بن عبد القدوس . وكافة الاخوان من الفقهاء والاعيان بـ (الصحراء) الشاسعة . والبيداء الواسعة . غفر الله ذنوبكم . وستر عيوبكم . ومحا حوبكم (٢) وأرشدنا واياكم . وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . سلام السنة والمحبة . طيب النفحة والهبة . عن خير مولانا المنصور الاسد الهصور . دامت سعادته . وتوالت مجادته ، وطالت سيادته (وبعد) فقد وصلنا كتابكم العزيز . واتصل بنا خطابكم الوجيز . كانما خط بخالص النضار وصافي الابريز . فملاتم بالحكمة الاذان . وصقلتم بحسن الطلاوة ولذيذ الحلاوة القلب والاذهان. وأيقظتمونا لما عسى ان نكون اغفلناه من الحقوق . وارشدتمونا لحسن السيرة وسواء الطريق . وعلمنا ما اوردتم على ذلك من الآى وكلام الحكماء من العرب. وعلمنا أنكم انما قبلتم عذرنا على لسان سيدي مولاي محمد ابن المحرم الذي اعتذر لكم عنا عما جرى لاخواننا (أولاد ابي السباع) اعلموا رحمكم الله . وبارك فيكم . أنكم عقلاء . واعيان الكبراء . لا يكاد يخفاكم حال اخواتكم واخواننا منذ كانوا . ولو استقاموا مع ما قبلنا سواء احسن السيرة فيهم ام اساء . لقيل ان الاعوجاج واتباع الهوى واقع منا . فينجه العتاب نحونا . ولكنهم ما استقاموا قبل مع وال . ولا اقاموا معه على حال . كما تعلمون ذلك . وما ذاك الا لكثرة اوباشهم . وكثرة اخلاطهم، فيلجؤون الى سوء السيرة . ولو اجتهدت كل الاجتهاد . فالله يهدي . وقد ابتلينا بهم ، فكلما احسنت الى الواحد منهم اساء اليك . ووقتما ادنيته منك تباعد عنك. مع ما يرتكبه صعاليكهم كثيرا من الحسائس المؤدية الى تخليص الحقوق منهم . واقامة القصاص عليهم . مثل السرقة والتلصص والحرابة . وشق العصى . والخروج عن الطاعة . مما لا يمكن الاعراض عنه بحال . والا ادى الى ما هو أعظم في الحال والاستقبال الى غير ذلك . مما علمتموه منهم بالتواتر القاطع . ولا يكاد يتفوه منهم هنالك بما لا يناسب الا من كان أوعد من جملة هذا

١) النقريس كزبرج : الدليل الحاذق الخريت . والمرغوس : المبارك والكثير الخير . ٢) الحوب بالضم : الذنب .

الجيل . واما نحن فوالله لا نكره من يسير معنا سير الاخوة . فاخوك هو الذى يواتيك . وبالنفع والسلامة ياتيك . والا فانه اعدى الاعادى . ومع هذا فاننا صابرون على ايذائهم . ونغتفر زلاتهم . ونقبل عثراتهم . ونقبل من المحسن والمسىء ونتجاوز عن سيئاتهم . فما قابلنا سيئة بسيئة قط . بدليل أنهم قاموا علينا بغيبة السلطان نصره الله . وحشدوا جموع البربر وقبائلهم . واتوا بها لدارنا . الى الشرذمة التى بها من اخواننا ، وقاتلوا فيها حتى فعل الله ما فعل . ولله الحمد . وما اسمعنا منهم واحدا كلمة سوء . ففضلا عن فعلته الآن . والله ما سجنا غير رجلين لم يوسع الشرع تسريحهما . وما زلنا الى اليوم نستخلص من السلطان المساجين المقبوضين على يديه . على حسب الامكان . وما كنا رضينا مذلة من دونهم من الاتراب والاقران . فابوا الا اتجاه ذلهم وصغارهم وقلهم . ومتى نهيتهم انفوا منا . وتباعدوا وانحرفوا عنا . وعاقدوا خلاف شنشنة الاحرار . والحرّ يرى المنية دون الدنية . ويموت كريما . ولا يعيش لئيما . وعلى كل فقد قبلنا خطابكم الممزوج بحلو الخطاب . كأنه فتات المسك والرضاب . وقبلته . وهل السحر والنحر وضعته . فالاخوان ، انما هم اعوان . والصبر على اودهم . خير من عوزهم . وانفك منك وان كان اجذم (١) ويدك منك وان كانت جذماء . فلا بد لنا من احتمال اذاهم . والصبر على اعوجاجهم . والثواب بقدر التعب (ولو شاء ربك ما فعلوه) (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقال عليه السلام فى الواقعة المعلومة : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

قال دريد :

وهل أنا الا من غزية ان غوت ... غويت وان ترشد غزية ارشد

وقال آخر :

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وكنت أريد منهم كما قيل :

ان أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وطالما وطأت لهم الكنف . وخفضت لهم جناح الذل . ليرجعوا عن الاصرار . وينزعوا عن طريق السوء والقفار . وما يزدادون الا اباية والعياذ بالله . فالحر ان احسنت اليه ملكته (وقيل ما هم) فقد قيل : (ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا) وما يسرهم الا شماتة الاعادى والحساد . التى هى انكاء للمرائر من العباد .

١) أصل المثل المعروف : انفك منك وان كان اذنٌ . اى يسيل مخاطا .

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد

وانى واياهم كما قيل :

واخوان تخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها فى فؤادى

الا فاشهدكم كبيرا وصغيرا . واشهد الله وملائكته انى سامحت جميع اخوانى كبيرهم وصغيرهم . بحسنهم وسيئهم . واقبل عذر من اعتذر الى منهم والله . واستحلهم مما عسى أن يكون فرط منى مما تؤثره البشرية . والغريزية الداعية . وان مد الله فى عمر احد منكم . ولفظته الاقدار . الى هذه الاقطار . فسيرى منا ومنهم خلاف ما كان يسمع عنا . وليس راء كمن سمع . وأنتم بارك الله لنا فيكم . وقوى ظهورنا بكم . علمنا أن ما حملكم على الكتاب المشحون بالنصيحة . الفصيحة الصحيحة . والوصية المليحة . الا الشفقة علينا وعلى قبيلتنا . والمحبة فينا وفيهم . والله يجازى على حسن النيات . وصدق الطويات . وما نكره أن نقيم الحجة بين أيديكم . على ما ليس فينا ممن يرد عليكم من هذه الاقطار والنواحى . ولربما كان ورد علينا بعض الفضلاء منكم . فسقط فى يده ما كان ينقل اليه . ونعوذ بالله . وشتم أولياء النقلة بين أيدينا . أقول هذا واستغفرالله عن عمدى وخطاى . ونسيانى وخطلى . هذا واخوانكم (أولاد أبى السباع) المقيمون فى البلد القائمون بطاعة الله ورسول الله والسلطان . ورد عليهم كتابكم . وطرق اسماعهم كتابكم وخطابكم . وردوا جوابكم باحسن التحيات . وافضل البركات . وسروا به كسرورهم بكم . حيث أنتم . لاعتنائكم بشانهم . اذ ما يصدر مثل كلامكم هذا الا من صدر مشفق حنين . والقلب السليم المكين . أدامكم الله ركنا متينا . وأبقاكم حصنا معينا حصينا . ويبارك لكم فى المال والذرية والاعمار . ويرزقنا واياكم اتباع السنة والسلامة من الاكدار . ويغفر لنا ولكم جميع الاوزار . ويسلم عليكم اخواننا وابناؤنا . وخاصة دائرتنا . وجميع أعيان قبيلتكم ، ونسئلكم صالح الدعاء والسلام)

الثانى سيدي العربي

هذا هو الاستاذ الثانى فى (الساعدات) فقد تخرج بصنوه المتقدم بعدما لازمه أزمانا . وقد كان يرد الى مدرسة (مزوضة) فى حياة شيخه سيدى محمد يتبرك به . فياخذ عنه ما يسنح ما شاء الله . وقد قال فيه الهوارى المذكور بعد ما ذكر اخاه المتقدم (وأقيم مقامه أخوه الشقيق . الذى هو بكل خير قمن وحقيق . الشيخ الكبير . والبركة الشهير . الشريف العالم

العلامة الفقيه المفتى . سيدى العربى بن على . فسار سيرة اخيه . كان اكثر منه محبة واعتقادا فى الشيخ سيدى محمد واولاده . وذكر لنا غير ما مرة . انه جاء للاخذ والقراءة على الشيخ . فقال له ارجع الى محلك . فكل ما طلبت فهو فيه موجود فاذهب اليه على بركة الله ودعا له بكل خير . فاستقامت له الامور . وقام رحمه الله بالتدريس والتعليم . وعمارة المدرسة والزاوية الى ان توفاه الله فى فاتح صفر سنة ١٣٣٧ هـ . وقد اشار الى تاريخ وفاته ولده الابر الفقيه الانور سيدى عبد القادر فى منظومة له فى ذلك . مع وفاة ولى الله سيدى حامد بن سيدى الزوين المتوفى فى وسط جمادى الاولى ١٣١٢ هـ ـ يعنى سيدى الزوين ـ (ثم ذكر بيتين فيهما أن وفاة سيدى حامد كانت سابع ربيع الثانى من ١٣٣٧ هـ) ثم قال فى سيدى العربى (وقد حضر دفنه وتولى الصلاة عليه شيخنا قوت القلوب ـ يعنى سيدى الحنفى ـ رحمه الله ورضى عنه) ثم ذكر ولديه سيدى عبد القادر وسيدى الضوء .

(أقول) كان سيدى العربى أكثر حظوة من أخيه من كل ناحية . فقد زخرت المدرسة فى عهده بالطلبة . حتى كثر الآخذون عنه . وحتى صارت ثالثة ازاء مدرسة (مزوضة) ومدرسة (بوعنفير) وبعد هذه الثلاث تاتى المدارس السباعية الاخرى . ومدارس القبائل التى تجاور تلك الناحية مما يؤسسها تلاميذ هذه المدارس الثلاث . وقد مشى سيدى العربى جدو القدة بالقدة على سنن أخيه . بل كان يدرس من أواسط عهده فى المدرسة ، منذ نحو ١٢٨٢ هـ . كان سيدى محمد بن على يختلف الى القائد ولد بلعيد . فيبطئ هناك فى دار الكتابة عنده . وقد احبته قبيلة السباعيين . وتمحضه الاخلاص . فلا ترى معه احدا من أصحاب المدارس الاخرى . ثم لما توفى أخوه سنة ١٣٠٦ هـ استقل بالمدرسة وحده ، وقد كان فى مسلاخ الصالحين . زاهدا ورعا . محبا للخمول . وقد اخذ عن الشيخ ماء العينين فى احدى المرات التى يمر فيها الى (مراكش) فاختار من بعض افعاله ما لازمه طوال حياته حتى انه يتحين أن يصلى بالسور التى كان الشيخ رضى الله عنه يصلى بها . ولما ظهر القائد عبد الملك المتوفى الذى كان معززا باحترام الطلبة مطلقا . والعلماء خصوصا . كان عنده سيدى العربى فى مكانة مكينة . فيجعل قريته زاوية . يامن كل من يأوى اليها من المقاوم . كما فعله بزاوية (بوعنفير) أيضا . فزخرت عمارة الزاويتين . باللاجئين اليهما . فيخدمون المدرستين . فانتفع الطلبة بذلك . ومع ذلك كان لزهد سيدى العربى اثر واضح فى عدم تاليه لاى ملك من الملاك .

على خلاف مال (بوعنير) (ولكل وجهة هو موليها) وقد لازم التدريس من نيف وثمانين من القرن الماضي . الى أن استوفى في ذلك الميدان نيفا وخمسين عاما . فتخرج به جماهير كثيرون . كانوا اضواءا للقبائل . ومنارات للارشاد ومعالم للخير . وحين جاء مولاى أحمد الهيبة فى جيشه ذهب معه فى جميع علماء تلك الناحية . فبينما هو فى بعض أزقة (مراكش) هو والاستاذ سيدى الحنفى . اذا بمجذوب تكلم بكلام فهما منه أن يسرعا بالخروج من المدينة قبل أن يقع فيها شيء . فخرجا فى الحين . فلم تنشب الهيبة أن قامت ضد الهيبة ومن معه . فحفظ الله الفقيهين مما اصاب غيرهما . ثم سمعت ان هذه الواقعة كانت مع سيدى الحسن الرسموكى لا مع سيدى العربى . وقد كان له ود لكل من ينحاش الى جانب الله . وبهذا كان يتلاقى مع الشيخ الالغى . وان لم تجمعهما طريقة خاصة . فكان يسلم له ويجادل فى ذلك أمثال سيدى أحمد المسفيوى . ولكنه مع مخالطته لاهل الطرق لا يتزعزع عما هو فيه من ملازمة التدريس . وقد كانت له فى عمارة الاوقات وملازمة اعمال الخير . أخبار يتحدث بها الركبان . كما كانت له مواقف رجولة لا تزال المسامرات تتقاطاها الى الآن .

منها أن القائد عبد الملك المتوفى الذى كان السباعيون الرقم الاول من أعدائه فيما يرى . كان دائما . قبل ان يستولى على السباعيين . يشتكى من الظاهرين منهم المتبوعين . وفيهم سيدى العربى الذى يحترمه السباعيون ولا يتخطون رأيه . فكان يكتب به الى الحكومة لتعتقله . وحين نزل مولاى عرفة ١٣٢٢ هـ فى (رأس العين) من (شيشاوة) وكان للقائد عبد الملك اليد الطولى اذ ذاك . ذهب سيدى الحنفى المزوضى . وسيدى الحسن الرسموكى البوعنفيرى . مع سيدى العربى ليصالحا بين سيدى العربى وبين القائد . ومعهم جميع طلبتهم . وفى الطريق تاخر سيدى العربى قليلا عن صاحبيه. فاذا به سار سيرا حثيثا حتى لحقهما ثم تجاوزهما . فاقبل ببغلته المعروفة على معسكر القائد . فاسرع الاعوان الى القائد يعلمونه بمجيء سيدى العربى وحده . فامر بالخيل فاصطف فرسانها أمام فسطاطه بسرعة . ثم امر به فدخل . فصاروا يتكلمان فوصل سيدى الحنفى وسيدى الحسن . فوجدا الطلبة يجارون بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على العادة الناصرية لا يبالى بهم أحد . وسمعا ملاجة سيدى العربى مع القائد . فاعتراهما دهش خوف أن يبطش القائد بالفقيه . ثم بعد لأى أمر القائد بكراسى توضع أمام فسطاطه . فدخل الفقيهان . ثم جلس اليهما مع سيدى العربى فقال لهما : كنت قبل اليوم اهاجم سيدى العربى . واليوم انا الذى أتولى الدفاع عنه

بنفسي . وهكذا صار لسيدي العربي منذ ذلك اليوم مقام عند القائد مكين . ومن ذلك الحين صار عنده في عين التعظيم . ثم لما صار الخلاف يبتدئ بين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ استبسرا لنفسه فاوى ما شاء الله الى زاوية (سيدي الزوين) فهناك رسالة عزيزية يوصي فيها عليه . ويوصف فيها بانه من الذين يشتغلون بخويصة انفسهم . وقد كان يزور دائما الزاوية (الزوينية) في كل سنة . لانه كان ممن عاشروا مؤسسها (سيدي الزوين) وحين اشتد على سيدي العربي مرضه صار يودع اهله وانشدهم:

اودعكم واودعكم جناني ... وانثر عبرة مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الزمان

هذا وقد كنت ممن حضروا وفاة المترجم . فانه توفي بعد نزول عند ولده سيدي عبد القادر بستة أيام . رحمه الله . حيث آخذ سنة تامة .

الآخذون عن سيدي العربي

ان الذين أخذوا عن هذا الاستاذ الجليل كثيرون جدا . ولكن ليس عندي الآن الا هؤلاء .

١ ـ سيدي مسعود الشياظمي القاضي
٢ ـ سيدي احمد بوستة المراكشي ـ غير الاديب المشهور ـ
٣ ـ العربي الناصري في (تيعزات) بـ (الشياظمة) مدرس في المدرسة هناك الى الآن ١٣٨١هـ ـ وهذا سيد صالح رايت حوله رؤيا حين وصلت هنا ـ
٤ ـ محمد أخوه توفي منذ سنوات
٥ ـ عبد الله الحمري القاضي المتوفى قبل ١٣٦٠ هـ
٦ ـ عياد الرحماني مؤسس مدرسة (كدالة) ـ وستري ترجمته امامك .
٧ ـ سيدي محمد بن عبد القادر صاحبه في ذلك ـ وستراه ايضا ـ
٨ ـ عبد الرحمن بن مولود الرحماني . كاتب القائد الشرادي . توفي نحو ١٣٧١ هـ .
٩ ـ عمر المطاعي المدرس في مدرسة (أولاد مطاع) توفي نحو ١٣٦٩ هـ
١٠ ـ الطاهر المطاعي المدرس في تلك المدرسة أيضا
١١ ـ احمد المطاعي نائب القاضي (امزميز) الآن
١٢ ـ الضو المومني القاضي المتوفى ١٣٦٣ هـ . صاحب المدرسة المضافة اليه في (اولاد ابي السباع) ولا يزال ولده الفقيه سيدي مبارك حيا . ولد ورث من علم والده .

١٣ - ابرهيم المومنى مدرس فى مدرسة فى (اولاد مومن) توفى منذ سنين .

١٤ - عبد السلام المومنى صاحب مدرسة أخرى هناك لايزال حيا الآن ١٣٨٠ هـ

١٥ - أبو جمعة المريدى الشياظمى . توفى قبل ١٣٦٠ هـ

١٦ - عيسى الحاحى توفى قبل ١٣٦٠ هـ

١٧ - عبد الرحمن الحاحى . توفى ١٣٥١ هـ

١٨ - محمد بن العبدى مدرس بلده . توفى ١٣٥٢ هـ

١٩ - ابرهيم الكدميوى العلامة الكبير . توفى ١٣٣٦ هـ . بعد ما كان قاضيا ومدرسا . وله تلاميذ وآثار أدبية . كان يصاحب أمثال الكنتافى

٢٠ - الطاهر العزوزى مدرس مدرسة اسسها بنفسه. توفى ١٣٥٥هـ

٢١ - عمر العزوزى يدرس مع اخيه . توفى نحو ١٣٥٩ هـ

٢٢ - الحسن الجعفرى الشيشاوى توفى ١٣٦٢ هـ

٢٣ - عمر الناصرى . توفى نحو ١٣٥٣ هـ

٢٤ - الطيب الخنبوبى من أهل (الساعدات) توفى ١٣٤٥ هـ . وهو ابن أخت سيدى العربى وقد انشدنى يوما اذ انا فى(الساعدات)

دينار يحيا زائد النقصان وبه علامة سكة الحرمان
أهداه مكتتما الىّ برقعة فوجدته أخفى من الكتمان

وله ولد نجيب ورث من علم والده . بيننا وبينه صحبة . لايزال حيا ١٣٨٠هـ وغير هؤلاء ممن لم نستحضرهم الآن .

ظهير حوالى المترجم

الاول عزيزى سنة ١٣٢٣ هـ . ونصه :

(يعلم من كتابناهذا أعلا الله قدره . وجعل فى الصالحات طيه ونشره . اننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . سدلنا على ماسكه الفقيه الخير السيد العربى بن على اردية التوقير والاحترام . والرعى الجميل المستدام . والمحاشاة عما تعامل به العوام . هو وأولاده بحيث لا يسامون بمكروه . ولا يلحقهم ضيم بوجه من الوجوه . رعيا لما قام به من وصف العلم الشريف . الموجب لمراعاة من استظل بظله الوريف . فنامر الواقف عليه من خدامنا . وولاة شريف امرنا ان يعلمه ويجرى على مقتضاه . ويراعى زاويته التى له بد (أولاد ابى السباع) حتى لايلحقها اهتضام والسلام فى متم حجة الحرام عام ١٣٢٢ هـ)

والثانى عزيزى أيضا سنة ١٣٢٢ هـ . ونصه :

(أخانا الارضى مولاى عبد الحفيظ وفقك الله . وسلام عليك ورحمة الله (وبعد) فنامرك تكون على بال من الطالب السيد العربى بن على السباعى وان لا تسمع فيه كلام أحد . لظهور خيرته . واشتغاله بنفسه . وأمر زاويته حتى لا يلحقه أحد بمكروه . والسلام فى متم حجة عام ١٣٢٢ هـ)

والثالث حفيظى سنة ١٣٢٣ هـ

(خدام سيدنا الارضيين قواد (أولاد أبى السباع) كافة وفقكم الله . وسلام عليكم ورحمة الله . عن خير مولانا نصره الله (وبعد) فكونوا على بال من الفقيه السيد العربى السباعى . وأجروه على ما بيده من الظهير الشريف المتضمن توقيره واحترامه . حتى لايلحقه سوء ولامكروه . فى جميع الوجوه والسلام فى ٨ ربيع النبوى الأنور عام ١٣٢٣ هـ)

الثالث القاضي سيدي الضوء بن العربي

ولد سنة ١٣٠٨ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذين : عـلى بن أحمد . والحسين التيزنيتى . وهما من طلبة المدرسة . يأخذان عن سيدى العربى ثم لازم دروس والده وحدها . حتى استنشف كل ما عنده . وحصل تحصيلا تاما لما له من الذكاء والفهم والذوق من كل ما يتكفل له بالتفوق على الاقران ثم صار يدرس فى المدرسة أواخر ايام والده . ثم فى عهد أخيه سيدى عبد القادر . الى أن تولى القضاء رسميا . «اخر ١٣٦٢ هـ ، الى ان توفى ١٣ محرم ١٣٦٥ هـ وقد كان زينة تلك الناحية فى حياته مشاركة . وله فى الفقـه وفى اللغة وفى الادب أيد طويلة . وقد ذكره الهوارى فى كتابه المتقدم وذكر أن بينهما مكاتبات ومساجلات أورد بعضها فى كتابه المذكور . لانطيل بايرادها . لان بعضها من البضاعة المزجاة فى الادب .

ومما يتعلق بما كان بين الهوارى وبين المترجم انهما حضرا معا مـع علماء تلك الجهة فى موسم (سيدى أحمد أوعلى) فرأى العلماء جبـة مخططة على الهوارى . فتناوله بعضهم ممازحة بالمعاتبة على لبس مثلها . مع أن شعار العلماء لبس البياض (١) ومن بين معاتبيه سيدى الضوء المترجم . فكـتب الهوارى هـذه الرسالة فى جوابهم :

(الحمد لله الذى سلب عن عباده الاختيـار . وشرع لهـم الاختيـار . (وربك يخلق مايشاء ويختار) والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبـى المختار . وعلى اله واصحابه الاخيار . والتابعين الابرار . (وبعد) فهـذه أسطر سميتها (الجنة الممطقة ، على الجبة المخططة) وسبب ذلك انه ندبتنى

١) وذلك مذكور فى الموطـا .

الاقدار السعيدة الى مجلس فيه اخيار جماعة سديدة . تنفق فيه اللئالى من الكلام . وما جادت به الليالى والايام . بمقام العلم والصلاح . والنوروالفلاح. محل ابى المفاخر . من شهد له الدهر الفاخر . بانه من اكرم العناصر . وانه بحر العلم الزاخر :

علامة لا يجارى فضله احد فهامة لا يدانيه اخو فطن
سامى الفخار نبيه القدر ذو شرف حاو لاقصى علوم السر والعلن

الفقيه العلامة الصفى . سيدى احمد ابن الشيخ سيدنا محمد الحنفى رحمه الله وألحقه ببيره الحنفى . ولطفه الخفى . وذلك بموسم ختمه لصحيح البخارى على العادة والحال الجارى . حيث تجتمع العلماء الاخيار والاحرار . والصلحاء الابرار . من جميع الآفاق . علما منهم بانه سبق فى علم الخلاق . انه لا يكون فى هذا الموسم المبارك الا من سبقت له العناية وساد وفاق . ولا يشينه الا من فيه نزعة من النفاق . ولذا لما تعطلت عن الحضور فيه فى بعض السنين . قلت فى ذلك الحين :

ألا قل لمن قد صار يحدو جماله لموسم احمد الفقيه مثاله
فعرض بذكرى حين تسمع صوته وقل ليس يخلو ساعة منك باله
عساه اذا ما مرّ ذكرى سمعه يقول فلان عندكم كيف حاله

فاتفق فى هذه السنة أول رجب الفرد عام ١٣٥٨ هـ أن اهدى لى بعض الاحبة حلة فى طيها جبة . وصادف ذلك الاهداء . السفر الى محل الاعتداء . ولم أجد من لبسها بدا اذ لم ألف لها بديلا . ولا لتركها سبيلا . وكفى بذلك حجة ودليلا . وكان صاحب الموسم المذكور :

أعنى الامام الهمام الشيخ احمد من شاعت فضائله فى البدو والحضر

اعد محلا خاصا يكون بالكرام من العلماء والادباء خاصا . وميدانا لرهان الاذهان . ومضمارا لكل ضليع لايخاف فيه زائره من مراقب . ولا يبد فيه الا كل نجم ثاقب . مجلس يحار فيه الوصف . لايرى فيه لهو ولا قصف . وكنت عند الجميع معروفا غير منكور . ومقربا غير مدحور . فكان من فم المجلس السامى من أرباب المعالى فى هذه السنة . جملة وافرة مستحسنة . من أهل النجابة والفطنة . لم أر فيه من أهل المبانى العالية . والمعالى السامية . الا من علا كعبه . وبدا نجمه . وارتقى نجمه (١) كابى البركات محمود السكون والحركات . صاحب الكمال الظاهر . والرونق الباهر . والبركة أعلمنا الله مع الاكابر . الفقيه العلامة السيد الحسن بن احمد الرسموكى .

ومنهم الذى مجده أثيل . ونصبه جليل امام عصبة العلم والسادات المتوج بتاج العز والسعادات خير اهل البيت الجعفرى الفقيه العلامة السيد التهامى بن احمد الناصرى قاضى (وارزازات)

ومنهم السامى المقدار . المشكور فى الايراد والاصدار . الحسن المجاملة والطيب المعاملة . حامل راية فضل (وادى مالة) الفقيه العلامة السيد محمد ابن الحسين الوريكى .

ومنهم رأس مهرة علم اللسان . وناسج حلل البدائع الحسان . الاديب البارع صافى المساعى. الفقيه العلامة السيد محمد الضوء ابن العربى السباعى .

ومنهم الرضى المرتضى والحسام المنتضى من ساد وطاب. المعرب العجب العجاب. من الملاحة والملح . واتفق العالم كله على حسن خلقه وخلقه واصطلح ، الفقيه النجيب السيد محمد الركراكى السكتانى .

ومنهم الذى حقه واجب . وفضله راتب . وكلامه يستحق ان ينظم فى سلك القلائد . باعناق الولائد . من ياخذ الحق ويعطيه . ويرمى الغرض ولا يخطيه . ورضيع الفضل من ابيه . الفقيه العلامة السيد الحسن بن حميد المزوضى الكدالى . وغيرهم من اهل الظرف والظفر والنصر بين ادباء العصر. فما تمت التحيات بين ذوى الحيثيات حتى التفت احدهم مباسطا ، وقال منبسطا . ما هذه الجبة التى عليك يا فلان ؟ قلت : وما فيها من العيب والنقصان . أليست بزيوية . أليست ضافية . ألم تكن مخططة صافية . ملونة بالوان حريرية . ولها حاشية بالحرير منسوجة . وخطوطها بالابيض والاسود ممزوجة. مفصلة تفصيلا عبد اللّويا (١) وقبها واسع الاطراف يغطى الراس ويلتوى على الاكتاف . وذيلها يخفى الاعقاب . ولا يعفى الاثر . مخيطة بالحرير الاخضر والاسود والاصفر . فقال : لاعيب فيما قلت بلاريب غير ان العالم ينبغى له أن يتميز بين العالمين بهذا اللباس الابيض الخالص . فى هذا الزمان الناقص . ولذا قيل :

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

فقلت له : نعم وربك العالى . غير انى لا ابالى . بما عليه الاهالى . من النائق المؤدى الى الالتباس . كما وقع لابى على اليوسى اذ التفت عليه جماعة من أهل (فاس) . حرسها الله من كل باس . وكلهم فى زى واحد ولبسة فاخرة ما بين حائك ودائرة (٢) وكانت بينه وبينهم منافسة دائرة . فلما لم يفرق بينهم الظالع من الضليع . أنشد لنفسه النظم البديع . قال :

---

١) نسبة الى خياط يسمى عبد الله . وهذه الخياطة مشهورة فى المواضر

٢) الدائرة فى عرف الناس : السماهام من الملف .

توافت عوارتها الجلال واشكلت فلم يدر منها اعربى ومقرف (١)
فلا معرب يدنو اليها يميزها ولا هى تدنو للرهان فتعرف

وما احسن قوله فى رائيته الدلائية :

فان كنت لا تعتد الا بلمبس فسيان من يكسى العمائم والخمرا

ثم تتابعوا فى الكلام . وتناسقوا فى الملام . فقال الآخر من أولئك الكرام : والله لقد خفيت عنى يافلان . حتى ما كدت أعرفك بين الاخوان . مع أنك أعرف عندى من الضمير البارز. أو من جامع المسلمين بباريز . وما الظن انك لهذه الجبة لابس. غير أن الزمان يأتى بكل رطب ويابس . فضحكت له نصف ضحكة وقلت : لابأس. بتغيير اللباس . ان كان اللباس خاليا من الالتباس . كما قال صاحب الاختلاس :

لبست الخميصة أبغى الخبيصة وانشبت شعبى فى كل شيصة

ولكننى أقول كما قال ابن عطاء الله :

الله يعلم اننى ذو همة تأبى الدنايا عفة وتلطفا

وكما قال الشافعى الامام :

على ثياب لو يقاس جميعها بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها جميع الورى كانت أعز وأكبرا

وان شككت فى أمرى فسل غيرى . كما قال الشاعر :

سلنى وسل عنى الاقوام مختبرا لا يعرف المرء الا حين يختبر

على أن العبرة بالسيف لا بغمده . كما قال الشافعى الشهير بشعره :

وما ضر نصل السيف اخلاق غمده اذا كان عضبا حيث وجهته فرى

وكما قال اليوسى فى مرثيته الدلائية :

فان الفتى بالسيف لا اللبس مجده فما شان ذراكون أصدافه كدرا
وماذا على العضب الذى رث جفنه اذا كان فى الهيجاء ينعمك البترا

ثم نطق ثالث القوم متكلما على الجبة : يا سيدى على . وحق قدرك العلى. ان فكرى الخالى . لمتحير فى أمرك الحالى . أرغبة فى مزاحمتك العامة . أم رغبة عن حالك النامة ، أم حبا للشهرة السامة . فقلت : كل ذلك والله لم يكن . بحق (اقرا ولم يكن) (٢) انى ما لبستها الا على مقتضى الحال من غير ازب . كما قال شاعر العرب :

وما عن رضى كان الحمار مطيتى ولكن من يمشى سيرضى بما ركب

---

١) الجل بضم الجيم : ما يجعل على الفرس . والمقرف بضم الميم وكسر القاف : من الخيل ما ليس بجيد . ٢) السورتان فى القرءان .

ثم تفرقت الاراء في النعوت والاوصاف . لهذه الجبة من كل وصاف والكل حائر عن الانصاف . وزائغ عن الاعتراف . فقال بعضهم على سبيل البسط والتحميض . لاعل الحط والتخفيض . والله انها لجبة اهل الحظة . فقلت : لقد كدت توافق الميز لو انك ابدلت الحاء بالعين . وبعضهم قال على سبيل النبز والتحريض . لا على الامتعاض والتمريض : ان هذا النوع من الجبب لا يعرف الا للصيادين . لا لاهل العلم والطالبين . فقلت له : انك بالحق لناطق . وفي قولك لصادق . انى من اهل الصيادة والقنص . لكل غلم وحكمة بالفحص . ليس الامام سحنون الذى اجره غير ممنون . يقول :

العلم صيد والكتابة قيده ... قيّد صيودك بالحبال الموثقة
ومن الحماقة ان تصيد حمامة ... وتركتها بين الاوانس مطلقة

ولذا كان من دابى انى لا افارق آلة الكتابة سفرا وحضرا مخافة الكتابة كما قال من حصلت له فوات فائدة . لعدم وجود آلة سائدة :

فقلم الدواة خير صاحب ... وكونها معك امر واجب

ومما احسن قول الآخر :

لا يدرك المجد الا كل مشتغل ... بالعلم همته القرطاس والقلم

ثم بعضهم قال على سبيل المدح والتقريض . بيد انه نحا منى اللفز هذه الجبة لعجيب . وحق صاحب النجيب . حيث ان جبتنا لم تذكر . ولكن جبته هى المذكورة فتشكر . فقلت نعم ونعمتك المشهورة . انها الجبة والمشكورة . اذ صارت فى هذا المجلس السعيد مذكورة . كما قال صاحب الحضرة الطاهرة . نجم مكة والقاهرة :

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ... ذكرت تم على ما فيك من عوج

ثم بعضهم قال على سبيل المدح والتقريض بيد انه نحا منى اللفز والتعريض (١) انها لجبة فارس . ظنا انى للفروسية غير ممارس . فضحكت بملء فى وانشدت فى وصفى مشيرا الى الفارس وابن فارس :

اقول لهم بالشعب اذيا سرونني ... الم تعلموا انى ابن فارس زهدم

والابن له صنعة ابيه . وبها يكون به شبيه . وانشدت قول الشاعر :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت ... به قلة الجودى والليل دامس
باطيب ما فيها وما ذقت طعمه ... ولكننى فيما ترى العين فارس

فقلت سادتى فداؤكم ذاتى . ما هذا الاستغراق فى الكلام على هذه الجبة باللام . اعرضوا عن هذا الموضوع . واكرعوا فى كلام مرقة يشوع .

---

١) التقريظ : هو المدح لا التقريض بالظاء المعجمة .

الم تعلموا أن مجلس العلماء روضة من رياض الجنة . فلاعملنّ تاليفا . فى هذا ظريفا . يحكى كلاما لطيفا . ويتضمن ذكرا شريفا . قلت :

ذى الجنّة الانوار فيها تفجرت ... وبنفس انفاس الكرام تأرّجت
يا مجلس الاخوان منك تبددت ... عنّى الهموم بجبّتى وتفرجت
جلت محاسن جبّتى وتبلجت ... لاسيما اذ بالخطيب تفلجت
وّهو الهوارى الفقير تخرجت ... وبه (العوينة) بالعلوم تبرجت

وتتميما للفائدة اعرف بالمدرسة السعيدة السائدة المعروفة بـ (العوينة) هى مدرسة الشيخ المرحوم بكرم الله سيدى محمد الحنفى المتوفى ١٧ صفر الخير عام ١٣٤٩ هـ

قد غاب عنى فلم تدر الكرى مقلى ... ارعى النجوم ودمع العين منهمر
فلعمرى أنه يوم مات رحمه الله انشد حال ذلك الزمان :

سطت الهموم وصالت الاتراح ... ونأى السرور وشطت الافراح
والارض حالكة الاديم فلا يرى ... شمس ولا قمرٌ ولا مصباح

أسسها والده الشيخ العلامة . المربى الفهامة . سيدى محمد بن محمد الهلالى اصلا. النحلى دارا ومرارا. المتوفى قرب عصر يوم السبت ١٣ شعبان الابرك عام ١٢٧٧ رحمه الله . وتعرف بالنحلية لانها بنيت فى الارض المنسوبة للشيخ الابرك سيدى أحمد بن على المشهور بالنحلى المتوفى يوم الجمعة فاتح رجب الفرد عام ١١٥٥ هـ . فلم تزل تلك المدرسة روضة للاذهان والادب . وحديقة للفضل والحسب . منتدب المتأدبين . ومبتغى الطالبين كما أنها ما زالت عامرة بالعلماء النجباء والادباء والصدور . على ممر الازمنة والدهور . ولقد ظفرت منها والحمد لله بحظ وافر . بين كل حاظ وظافر . ولازمتها شطرا من الزمان . لتحصيل علمى الفقه واللسان . والحديث والبيان . حتى صرت من الاعيان . وأشير الىّ بالبنان . ولذا كانت تجنح منى اليها الافكار . جنوح الطير الى الاوكار . ويكلفنى الخاطر. ذكرها فى كل تاليف لى خاطر . فلله درها من مدرسة . على العلم والتقوى مؤسسة ما يلازمها أحد يسيرا من الزمان السائر الا عد من الاكابر . وتعقد عليه الخناصر . ولايرمى بالسوء من كل قاصر . الا باء راميه غير قادر (وما له من قوة ولا ناصر) ولذا كانت الافواه بخصائص اهلها والثناء عليهم فاغرة وتعترف لهم الدنيا بالمزايا الفاخرة . ولا يشك فى أن لهم مكارم ومآثر جمة . تنجلى عنها الظلماء . ومزاجها عسل وماء . الا من لاخير فيه ولا نعماء . فلو قال متمثلا ، ولأمر الله ممتثلا :

خليلي عهد الله ان جزتما الحمى وعايشتما قلبي بيداء يجار
املا عليه نفحة الجد والثنا لهم من حديث الصب ما يتيسر

وأنشد مسلما عليها شاكرا لأهلها :

سلام على تلك المعاهد من فتى مقيم على العهد الذى لم يحول
اذا نفحته نسمة منه خالها (نسيم الصبا جاءت بزيا القرنفل)

قلت وثناء خفيفا لهؤلاء الكرام . السادات الاعلام . فلقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الجبة . فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه جبة شامية . فصببت عليه الماء فتوضأ وضوءه للصلاة . فتعاطفوا يتذاكرون . ولما فى أوقاضهم يتنائرون . فافضت بهم المذاكرة الى الكتب القديمة والموجودة والعديمة . وفى اهل الصلاح واصحاب الملح . فقال أحدهم وهل لأحدكم عشور عل (التمهيد) على موطا مالك لابن عبد البر . فاتفقوا على أنه فى المغرب لم يذكر وقد شغف به أكابر العلماء والمدرسين فلم يجدوا له اسما ولا رسما فى الدواوين . الا بعض أجزاء عند بعض الاعزاء . فقلت وانه سبعون (١) جزءا فالامر به كاد أن يكون هزوءا . كما فى (التشبيت) وروى انه كان ينشد لنفسه :

تذكرت من يبكى على مداوما فلم ألف الا العلم بالدين والخير
علوم كتاب الله والسنن التى أتت عن رسول الله فى صحة الاثر

توفى بـ (شاطبة) فى ربيع الآخر سنة ٤٦٣ رحمه الله .

(الخاتمة) ينبغى لكل فقيه عالم فى هذا الزمان المنحوس . أن يحسن الناموس ويتحلى بالانقباض والعبوس . ويلتزم الهيئة الخسة فى الملبوس والا لم تسمع له نصيحة ولا فتوى . ولا موعظة ولا دعوى . وان كان فى العلم مالكا . وفى التقوى سالكا . وذكر ابن السبكى فى (الطبقات) ان الشيخ ابن رضوان القليوبى استنبط من قوله تعالى (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) . ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الاكمام وكبر العمائم ولبس الطيالس . حسن وان لم يفعله السلف . لان فيه تميزا لهم يعرفون به ويلتفت الى فتاويهم واقوالهم . وفى حاشية الخطاب على (الرسالة) قال القرافى فى حاشية (الجلاب) قال ابن شعبان فى

---

١) توجد نسخة تامة للتمهيد فى احدى خزائن اصطنبول . وفى المغرب اجزاء هنا وهناك . وما أولى الكتاب بالنشر . وهو فى أحد عشر مجلدا . فى (اصطنبول) .

(الزاهى) لا ينبغى أن يضيق الكم . وقد رد شريح شهادة رجل ضيق الاكمام من أجل ذلك . لما فيه من المجرحات . وقال مالك ضيق الكم . مثلة اى عيب تجرح به الشهادة . وقال فى مختصر (المدارك) لابن رشيق قال مالك حياة الثوب طيه وعيبه قصر اكمامه . وحد الطول أن لا يتجاوز الرسغ . وقال عمر رضى الله عنه اياكم والبسنتين : لبسة مشهورة ولبسة محقورة . ولبعضهم :

أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد . وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لبس من الثياب الفاخرة . وأكل من اللذيذات الطيبات الطاهرة .

يقول مؤلف هذه الاسطر على بن محمد الهوارى غفر الله له ما يبدى ويوارى (هذا) اخر ما تيسر ذكره أنسا مع الاحبة . وتلميحا مع الادباء وسلاما على عباده الذين اصطفى . فرغ من الرسالة يوم الجمعة تاسع رجب ١٣٥٩ هـ) .

(أقول) انى كنت أخذت عن المترجم سيدى الضوء حين كنت مجاورا فى مدرستهم ١٣٣٧هـ فى العلوم التى كان يدرسها فهو من أشياخنا رحمه الله . وقد اعقب خمسة ذكور . منهم محمد الذى يذكر اليوم وعبد الحميد . وعبد الحى . وهؤلاء الثلاثة أساتذة الآن . فى المدارس الحديثة . فقد أخذوا فى مدرستهم . وفقهم الله .

الرابع العلامة سيدي عبد القادر بن العربي :

شيخنا الهمام . سيد أقرانه . والدرة اليتيمة فى عقد اهله . ممن تنشرح الصدور باخبارهم وتمتلئ القلوب توا بمحبتهم . ولد ١٣٠٦ هـ فى حجر والده . واسمه اسمها المومنة بنت احمد بن مبارك الرسموكى البوعنفيرى المتوفاة نحو ١٣٣٨ هـ . فانه معم مخول . اسبل الله عليه نعمه فى الطرفين ثم أخذ القرءان عن الاستاذين المذكورين فى ترجمة القاضى أخيه المتقدم ثم لازم والده ملازمة تامة . فنجب وحصل . ثم لم يقتصر على والده بل أخذ أيضا عن تلميذ والده سيدى ابرهيم الكدميوى أفضل نجباء أقرانه المشاركين . فقد أخذ عنه اللغة والادب وبعض علوم أخرى . فبه تفتح ذهن سيدى عبد القادر . فلم يكن جامدا فيتعالى الى كل الفنون . ويجب أن يجتهد وان يختار لنفسه قولا من الاقوال المختلفة ولهذا يخالف بيئة أهله المتزمتة المنكمشة على نفسها . فيحب المناظر الجميلة . والشارة الحسنة . والمركب الفاره . والاوانى اللامعة . والفرش الممتازة . وقد دخلت مدرستهم قبل

وفاة والده سيدى العربى بستة أيام ، فادركت ما كان عليه سيدى العربى من الاقلال . وخشونة العيش . وتزجية الايام بما تيسر من الفرش الوضيعة والاوانى الساذجة . والاطعمة المبتذلة . فلم يكد المترجم يتسلم زمام الامر بعد والده . حتى تبدلت الحالة غير الحالة . فكانما يد الساحر مرت عـلـى (الساعدات) فاذا بها تكتسى من الخضارة والرونق ما قرت به أعين الزوار الذين صاروا يتكاثرون لما انسواه من كرم الاستاذ .

كنت احضر دروس شيخنا هذا والصلاة وراءه . ولم يكن يتخلف عن أى صلاة . وكانت له همة واقدام ونال بهما مقاما رفيعا من كل جهة . فنفعنى الله بدروسه وبدروس اخيه . وكنت اذ ذاك متحفظا لا اخالط احدا . ترفعا بنفسى ان يشار الىّ بما لايليق . وقد كانت المدرسة مكتظة بالطلبة بنحو مائة يلازمون . ولطلبة تلك المدارس منافسة محمودة فى التحصيل . وفى المحافظة على حسن السمعة . فكان شيخنا هذا قطب الجميع فى كل المحامد. وهكذا عرفت هذه المدرسة التى لازمتها سنة تامة مباركة . ثم غادرتها الى (مراكش) وقدكان الفقيهان سيدى الحنفي المزوضى وسيدى الحسن الرسموكى هما القطبان لعلماء تلك الجهة اذ ذاك . فاستطاع شيخنا الشاب أن يشاركهما بما لـه من مكـانة موروثـة تليـدة . ومكانة محدثة طريفة . فيكون له مع الحكومة ومع القائد عبد الملك اتصال وثيق . حتى انه اختير فى وفد ذهب الى (باريز) بين مقاربة فى وفد ملكى . ثم لما ظهرت قضية الدفاع عن ارض القبيلة . كان أحد البارزين فى ذلك . وكان أكرم الناس بما يملك . واكثر الناس اعتمادا على ما فى الغيب . قبل أن يعتمد على ما فى الجيب . وهذه الصفة مما تشربه من التصوف الذى حبب اليه .

ملاقاتـه للشيخ الالغـى

كان من عادة الشيخ الالغى أن يزور العلماء . فلذلك يقصد بطائفة هؤلاء العلماء السباعيين . فيلاقونه ملاقاة احترام واجلال واكبـار . فمتى علموا انه مقبل عليهم يخرج الاستاذ وطلبته فيتلقون الشيخ خارج البلـد بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . والشيخ واصحابه يذكرهم المعلوم ثم يبيت الجميع عـلى الذكر . ففى بحبوحة هـذا الحـال اختطف المترجم . والشيخ واصحابه نازلون عندهم . فكاد ينخرط فيهم . لولا والده الذى اخذ بحجزته . ولكن سيدى عبد القادر ان لم يكن معهم بقالبه . فهو معهم بقلبه . فيستدعى اصحاب الشيخ المجاورين لـ (الساعدات) ويذكر معهم ويعتريه حالهم . ويكاتب الشيخ كتابة مريد مستسلم الى شيخه المربى . وكان هذا الاتصال فى اخريات أيام الشيخ . ثم دام على هذا الحال مدة عمره

وقد زار مرة الزاوية (الالغية) ويتمنى لو دام له الاتصال باهل الله . وهو الوحيد الذى اخذ عن الشيخ كمريد بين العلماء السباعيين .

نتف أخرى من أخباره

له مواقف تشبه مواقف والده . فقد واقف القائد ابرهيم بن عبد الملك المتوكى فى قضية أرض القبيلة . وصارحه فى الكفاح المحقق عن ذلك وفى ١٣٦١ هـ ، جرف سيل عرم قرية (الساعدات) فاصيب كل ما فى القرية . فتهدمت دار الاستاذ . فاضطر الى أن يصلح دار القائد ولد بلعيد. فاعانه كل محب لجانبه . فسكن فيها . وحين كان المومن يصاب لم تكن هذه اول مصيبة اصابته . بل دب اليه مرض (الروماتيزم) من نحو ١٣٥٣ هـ . فلم يزل يتكاثر حتى اشتد نحو ١٣٦٠ هـ فكان لايقدر ان يسير على رجليه بل كان يرفع بكرسى . وقد كان يرد علينا بـ (مراكش) بعد ١٣٦٥ هـ . فيحمل الى دارنا فى حالة تذيب النفوس . ووجهه مع ذاك وضىء مستنير . يقطر بشاشة . وعلى هذه الحالة زار (الخ) ويختلف الى الحواضر . وهو فى السيارة جالس وفى غيرها محمول .

كان كثير الانشاد . يستحضر الابيات . رقيق القلب فى مجالس الذكر سائل الدمعة . خاشعا اوابا . مع علو نفس . وعزوف عن السفاسف . ملازما للبزة البيضاء . فيكون فيها كالبدر فى عليائه ليلة الصّحو . ولم يزل فى هذا المرض الذى يسافر معه كما رايت الى ان توفى فى الخامسة عشية يوم الاثنين ٢٥ من ذى القعدة ١٣٦٨ هـ

وله مو الاولاد الذكور الفقيه سيدى محمد العربى المولود ١٣٣٧ هـ وله معلومات لا باس بها ولكنها دون معلومات اهله . ولا يزال حيا . وهو الآن عمارة دار والده وبركتها .

والسيد المختار المولود ١٣٤٥ هـ . قد قرأ القرءان وبعض معارف فى مدرستهم وقد حبب اليه اهل الخير ويحضر مجالسهم. ومعه معارف لابأس بها ويتولى دروس الارشاد فى (الرباط) منذ سكنها . ويميل الى التصوف . وفيه سلامة الصدر . والنية الحسنة .

والسيد محمد الحبيب المولود ١٣٦٣ هـ ، وهو الآن يتتبع فى (الكلية اليوسفية) .

الأخذون عن سيدى عبد القادر السباعى ـ ومن بينهم الأخذون عن اخيه (الضوء) :

١ ـ محمد المختار الجامع لهذا المجموع
٢ ـ عبد الرحمن الاخ الشهيد فى زلزال (أكادير)
٣ ـ المختار ابن القائد العربى بسن الكوش استنتم فى (فاس) توفى ١٣٦٥ هـ
٤ ـ العربى المسكينى المتوفى منذ سنوات .
٥ ـ محمد المسكينى اخوه الحى الآن ١٣٧٩ هـ
٦ ـ الحسن بن ابرهيم الكنميوى الساكن الآن فى (ابن ملال) وهو ابن ذلك الاستاذ المذكور
٧ ـ العربى الحرائى الشياظمى الكاتب فى (السويرة) ولا يزال حيا
٨ ـ عبد القادر الشياظمى المتوفى قبل سنين .
٩ ـ مولود الشياظمى الكاتب الآن فى (البيضاء)
١٠ ـ عبد الكبير الشياظمى عدل فى (بوجعد) لا يزال حيا
١١ ـ الحاج احمد الحمرى الحاكم المسدد فى (السويرة) الآن
١٢ ـ عمر الشياظمى عدل فى (السويرة) حى
١٣ ـ حماد الشياظمى المتوفى قبل سنين .
١٤ ـ عمر الحاحى مدرس فى مدرسة ببلده
١٥ ـ الحسن الملال قاضى (جمعة السحائم)
١٦ ـ محمد فاضل بن الطاهر السباعى قاضى (تاغنجيجت) اليوم الرسمى .
١٧ ـ الحسين التوبجرى عدل فى (شيشاوة)
١٨ ـ عبد المجيد السباعى نزيل (ابن رشيد)
١٩ ـ عبد العزيز المزوكى السباعى . لايزال حيا
٢٠ ـ الراضى البكارى نائب قاضى (شيشاوة)
٢١ ـ الحسن الناصرى الشيشاوى . عدل فى (شيشاوة)
٢٢ ـ مبارك الخلوفى السباعى عدل فى (شيشاوة)
٢٣ ـ بلخير المطاعى مدرس فى مدرسة (أولاد مطاع) حى

هؤلاء من تيسر ذكرهم والا فهم اكثر من ضعف هؤلاء .

اثار من اديباته

من ذلك ما خاطب به الملك محمدا الخامس حين زار (شيشاوة) ١٩٢٧ م

ـ وله فيه قوافي ـ :

هب النسيم وطابت الارواح ... وتنوعت بنسيمها الافراح
وتمايلت طربا تهيم بسكرة ... بين الورى وذكائها الاشباح
وتشرفت بين البلاد بلادنا ... وتزينت بين البلاد ملاح
وتمتعت بخطا الامير محمد ... من وصله رشد لنا وفلاح
نجل الامير ابي المحاسن يوسف ... ذلك الامير جديلها الوضاح
نجل الرسول المصطفى خيرالورى ... هادي الانام دليلها المفتاح
فخر الملوك اميرنا وعزيزنا ... وسعيدنا طيب لنا فواح
أنت الامام ابو المفاخر والعلا ... أنت الهمام أميرنا الفتاح
أنت السراج المستنير بضوئه ... أنت الهصور الضيغم الجحجاح
أنت القبور المستعد بحزمه ... لدفاع من يبغي . وذاك صلاح
ان الامير هو الحياة وما لنا ... الا الامير قوامه الاصلاح
سعدت بزورتك البلاد واهلها ... وتنفست من قبلها الارواح
فخر صميم لا ينال بحيلة ... مجد الاصول لنا به استفتاح
بشرى لنا طابت معالم ارضنا ... بعد الكآبة واستبان سماح
أكرم بليل الاربعا لما اتى ... فيها البشير فبشره لواح
فهناك ما بين الربوع تناشدت ... امداحها البلغاء والمداح
مولاي يا بحر السماحة والندى ... نور العباد ان اغتدوا او راحوا
قد حزت في الاقطار كل فضيلة ... بهرت قلوبا جودها سحاح
دامت لمولانا الامير مهابة ... ومئاثر ونباهة ونجاح

وقد كان شيخنا المترجم كتب الى في الليلة التي سيصبح فيها الملك في بلدهم يستحثني ان اقول قصيدة على لسانه . فارسلت اليه هذه بنت وقتها :

(قال المسيو) ريه راشد رحمه الله ـ ٧٤

لمن موكب من هالة العز يشرق ... وجند كاسراب الدبا يتدفق (١)
وجيش عظيم لا يعد عرمرم ... تفيض به فيح البطاح وتفهق
منظمة تترى كأن صفوفها ... نجوم باكناف السما تتالق
فبالق تعلوها فيالق هيبة ... ففي الارض فيلق وفي الجو فليق
عليهم من النقع المثار سحائب ... بانوار هاتيك الوجوه تشقق
وجوه من الشم العرانين ان بدت ... تبدى من ارجاء الظلام تالق
من الصيد ان لاقوا فاسد خلقية ... وان جولسوا غضوا حياء فاطرقوا
يقودهم فخر الملوك محمد ... سليل عظام هم الى المجد سبق
أيمة هذا الدين بدءا ودائما ... ومن بهم وجه البسيطة يشرق

(١) الدبا بفتح الدال : ولد الجراد .

مليك له تعنو الملوك مهابة ... واين من الشماء المتوج بيدق
ترعرع من حجر الجلالة يافعا ... فاصبح وهو بالجلال مطوق
يرى الشعب منه أى شهم يقوده ... الى الفوز منه اى ملك موفق
صرامة عزم لا تفل وهمة ... تزعزع أطواد الجبال وتفلق
ورأى سديد لا يطاق طعانه ... وللطعن بالرأى المسدد أصدق
علاما علا لكن اذا ما شهدته ... تشاهد برا بالرعية يرفق
لطافة اخلاق ولين عريكة ... كما فاح زهر بالرياض مفتق
محبته الذئب الزلال ومشهد ... لديه الرحيق السلسبيل المروق
وكل فتى قد فاز منه برؤية ... فذاك هو الفوز العظيم المحقق
فهاذى قلوب الناس ترقص بهجة ... بزورته (ءال السباع) وتخفق
فيا طالما نرجو المفاز بحضرة ... جميع المنا تقضى لديها وتصدق
فلما تجلى بيننا اليوم وجهه ... تجلى لنا فجر الرجاء المصدق
الا ان هذا اليوم عيد محقق ... ويوم عظيم بالسرور مخلق
ظفرنا بها والحمد لله نظرة ... نمت بها يوم الفخار ونعلق
سنبدأ تاريخا جديدا بيومها ... وننشىء ما آتى البراعة منطق
وننشر فى الآفاق كنه سرورنا ... وانا على الجوزاء صرنا نحلق
فدم يا أمير المسلمين محببا ... الى الشعب تقضى مايشا وتحقق

ظهير المترجم

هو محمدى مؤرخ بسنة ١٣٥٧ هـ . ونصه :

(يعلم من كتابنا هذا أسماه الله واعز أمره أننا بحول الله وقوته . وشامل يمنه ومنته . جددنا لمسكته المتمسكين بالله ثم به الفقيه الخير السيد عبد القادر بن العربى بن على السباعى واخوانه . حكم ما تضمنه الظهير الشريف الذى كان بيد والدهم رحمه الله من التوقير والاحترام . والحمل على كاهل المبرة والاكرام. والرعى الجميل المستدام بحيث لايسامون بمكروه ولا يلحقهم ضيم بوجه من الوجوه . رعيا لما قام بهم من وصف العلم الشريف الموجب لمراعاة من استظل بظله الوريف . وحاشيتهاهم وعائلاتهم الخصوصية من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام . تجديدا تاما . نأمر الواقف عليه من عمالنا . وولاة شريف أمرنا . ان يعلمه ويعمل بمقتضاه . ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه . والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى فى ٢٣ محرم عام ١٣٥٧ هـ . قد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ٢٢ محرم عامه الموفق ٢٩ مارس ١٩٣٨ م)

الخامس محمد فاضل بن العربي

ولد ١٣٢٠ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ ابرهيم الكدميوى ـ غير الاستاذ المتقدم ـ ثم أخذ العلوم عن أخويه المذكورين . ثم خلفهما فى المدرسة فعمرها بالتدريس مرابطا مصابرا وان قل من فى المدرسة الآن . (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) . وهو الاستاذ الكبير الذى بقى بعد حلبته ولسان حاله ينشد :

هذا جزاء امرء أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

سيدى احمـــد الدمناتي

نحـــو ١٣٠٤ هـ = ٢٢ - ٦ - ١٣٧٥ هـ

نسبـــه :

احمـد بن سعيد بن عـلى

من (ايدجوطان) فخذ من (ايحناش) من قبيلة (آيت تامر) بـ«حاحة» ويسمى هناك أهل (ايت واكناو) قبليّ (أفرنى) بـ (الجبـل) . انتقل والده سيدى سعيد الى « دمنات » حيث ولد المترجم .

سعيد بن علي والده

سعيد كان رفيق الاستاذ سيدى عبد الله الركراكى فى الاخذ . أخذا معا عن سيدى على الخياطى. وسيدى على التنانى. الشهيرين بالقراءات السبع. فى (سوس). قال المترجم: جلست يوما بلوحتى الى سيدى عبد الله الركراكى فسألنى عن نسبى فذكرت له والدى . فقال : اذن هو والدك . فقد كنا معا ناخذ القرءان عن أشياخنا بـ (سوس) . ثم ذهبنا معا الى (حاحة) فشارطت انا فى مدرسة (سيدى غانم) بـ (حاحة) وسافر هو لطيته .

قال المترجم : كان سبب مغادرة أبى لمسقط راسه الى (دمنـات) ان قبيلة (آيت تامر) الزموه ان يشترى فرسا. فاشتراه فذهب به الى القبيلة . فقالوا له : اننا نريد فارسا لافرسا . فتولى عنهم . فذلك هو السبب حتى ارتحل فساقته الاقدار الى (دمنات) فشارط فى مسجد قريب من المدينة . فاعتنى به القائد (اوعبثو) قائد (غجدامة) اذ ذاك . فاقبـل عـلى تعليم القراءات السبع . يرتحل اليه فيها وتكونت به مدرسة هناك للقراءات . ثم اشتغل بالتجارة مع عدم انقطاعه عن التعليم. جمع بينهما بهمته . وكان فى المدينة القائد الحاج الجيلالى . من القواد الكبار . وكان يذكر بخير . يحب الطلبة والغرباء . ويرد عنهم العوادى . الى أن سقط بيد طالب فى مسجد الجمعة يوم جمعة . وفى عهده شكا الدمناتيون الى الملك مولاى الحسن ان الماء الذى ياتى الى المسجد الجامع هناك متغيرا وهو يمر بملاح اليهود فيحمل اوساخهم فلا يصلح للوضوء . فامر القائد ان يبنى لليهود خارج المدينة .

فبيعت ديارهم . فاشترى سيدى سعيد بن على واحدة . وهى التى تزوج فيها فولد له ولده المترجم .

توفى سعيد ١٣١٥ هـ بعدما تخرج به كثيرون هناك من طلبة قراءات السبع . وينبغى أن يجعل ازاء القراء الكبار السبعين الحاجين .

متعلم المترجم

كان أخذ عن أبيه الختمة الاولى هناك . ثم اتقن الحفظ على سيدى البزيوى. من تلامذة والده . وعلى رفيق لوالده . واسمه سيدى على بن الحسين الدمناتى . وقد اتقن على العشر فى (مراكش) مع المامه بالعلوم عند العلامة سيدى على بن سليمان الدمناتى الشهير . توفى على بن الحسين هـذا بعـد ١٣٢٢ هـ بقليل .

ثم ان المترجم راجع (حاجة) ليتفقد املاكهم . فاتصل هناك بالاستاذ سيدى الحسن بن الحاج التامرى الواكناوى . من بنى عمومته . وكان مشارطا فى مدرسة (سيدى عبد الرحمن) هناك . وكان متقنـا ايضـا للعشر ممن اخذوها عن والد المترجم . واخذ العلم من (جبالة) و (فاس) وقد تصـدر للقراءات . فلازمه المترجم ثمانية شهور . فمشى هناك خطوات فى السبـع بعدما كان ألم بها فى (دمنات) وذلك سنة ١٣٢٢ هـ وقـد توفـى سيدى الحسن ابن الحاج هذا وشيكا حوالى ١٣٣٥ هـ بسم من زوجه .

ثم ألقى المترجم مراسيه فى قرية (المزار) عند الاستاذ الركراكى عامين اثنين اولا . ثم عامين ثانيا تخللتهما شهور . انقطع فيها لاخـذ بعض الفنون عند الفقيه سيدى الطاهر السماهرى فى مدرسة (اتلو) (١) . ثم سنة شارط فيها فى مسجد (اسكراد) من (ايغير ملولن) . فهؤلاء أساتذته ومنهم حصل فى القراءات .

فى الطريقة الالغية

أول ما اتصل بالفقراء كان فى (المزار) فقد تلقن اذكارهم من عنـد سيدى محمد المزارى . الفقير المجد الكبير المقام . ثم صار متى ذهب فقراء (المزار)الى الزاوية الالغية يذهب معهم. وكلما سمع بهم ساحوا قرب المزار يسبح معهم . فيحضر فى الموسم الالغى دائما . ثم لما أتم السنتـين الاولين عنـد الاستاذ الركراكى . استاذنه فى أن يقرأ العلم العربى . فاحاله على الشيخ ليستاذنه . قال : فسافرت الى (المعدر) حيث الشيخ اذ ذاك . فاستاذنت

١) ترجم فى (الجزء الثالث عشر)

عليه وهو فى بيت منفردا فيه عن الفقراء . فأمرنى حين سلمت عليه ان اكل من مائدة امامه . فيها عسل وخبز . فاستحييت . فخرج وتركنى ، ثم خرجت . فخدمت مع الفقراء فى مطمورة يحفرونها . وفى حائط يبنونه وبعد ثلاثة أيام افضيت اليه بمقصودى . فقام معى حتى طرق الباب على الاستاذ سيدى محمد بن مسعود . فخرج فى مرقعته كادون الفقراء . فأمره أن يكتب رسالة الى الفقيه سيدى الطاهر السماهرى . ليهتبل بى . وليمونني من عنده . فأرسل معى رفيقا الى قرية (الدشيرة) حتى أرانى طريق (اكلو) فبقيت هناك اربعة أشهر . فوصل الموسم الالغى الذى سالت اليه الطرق من كل جهة . فحضرنا فيه . ثم سلبنى حال الفقراء المتجردين. فابى ذلك على الفقيه السماهرى . الا أننى صدقت عنه الى ذلك بعدما استاذنت الشيخ . وذلك فى أواسط شعبان ١٣٢٦ هـ ثم أرسلنا الشيخ . ونحن ٣٢ مع سيدى الحسين بن مبارك المجاطى (١) فسحنا فى (آيت صواب) وفى (أملن) الى ٢٧ رمضان من تلك السنة . ثم بقيت فى الزاوية ثلاثة اسابيع . فادركت انى عاجز عن التجريد . فتوجهت الى (تازاروالت) فبت مع رفيق فى (تاوريرت ايفغلال) ثم الى (اسكراد) حيث شارطت سنة . فوجدت هناك تلاميذ كثيرين . ثم راجعت الاستاذ الركراكى . فلما مرض الشيخ ١٣٢٨ هـ وذهب الفقراء باخل من (السويرة)اليه . صاحبت سيدى محمدا المزارى . وسيدى بوجمعة رفيقه الى عيادته . فمن الله علىّ برؤيته . فلما توفى كنت فى المعزين . وهكذا كنت دائما مع الفقراء . لان قلبى متعلق بهم . وان كنت لا اقدر على التجريد دائما أمثالهم . ثم صاحبت سيدى سعيدا التنانى مع ثلة من الفقراء فى (ادا وتنان) فى (ايدا وزيكى) ثم ارسلنا مع فقراء اخرين الى (السويرة) ثم (ادا وزمزم) ولد ولع لهم هناك . وهم عند سيدى محمد بن عمر مقدم الزاوية أن سيدى محمدا هذا ذهب الى بعض معاريفهمن جيران الزاوية . فقال له : ان هنا فقراء وليس فى الزاوية أدنى شىء يتعشون به . يريد أن يتعشى الفقراء عنده . لان عنده عرسا . والطعام موجود . فقال صاحب العرس . اننا الآن فى شغل شاغل بالمعرسين والواردين والصادرين . وسنتذكر الفقراء اخيرا . فرجع سيدى محمد بن عمر منكس الخاطر . وصل الفقراء المغرب . فاذا بانسان جاء واستدعى سيدى محمد بن عمر . فابطأ ما شاء الله عنا . فلما جاء حكى أن أهل العرس استدعوه . وقالوا له تعل اقرأ على العروس . فقد

---

١) مذكور فى (منية المتطلعين)

مسها جنّي . قال فقرات عليها حتى غادرها جنيها . فاذا بالزوج العروس مجنون أيضا . فصرت اقرأ عليه بنوبته . فاذا به قد استفاق فدخل الجني احدى نسائهم ايضا . قال سيدى محمد بن عمر : فقلت لهم افهموا عن الله وعشوا الفقراء أولا فهكذا فعلوا . فزال الضرر عن أهل العرس فى الحين. فكانت كرامة للفقراء . ثم من هناك الى (ايدا وزيكى) ونحن فى قلة وجوع. قال : وكان معنا سيدى مبارك بن الحسين التوزونينى الذى ثار بعد هـذا العهد فى (تافيلالت) فرأيت منه عجبا . وذلك ان أهل (السويرة) أعطونا زجاجتين كبيرتين من ماء الزهر لنوصلهما الى الزاوية . فقال لى التوزونينى ان هذه وعين احداهما . ستتكسر لك فى الطريق . والاخرى تسلم . فردت عليه ما زعمه . الا ان الاقدار صدقته فى الطريق . فانكسرت التى عينها . وسلمت الاخرى . فأوصلتها الى الزاوية .

قال : اننا قاسينا فى تلك السياحة الجوع الكثير للقحط العام . وذلك ١٣٢٩ هـ حتى اننا قصدنا (ايدا وزيكى) من (حاحة) فبقينا أياما بلا ذواق أصلا . ولما بتنا فى زاوية (بويكودوين) عند سيدى الحسين التامكونسى . ظننا اننا نجد ما يقوينا . فاذا بلقمة قليلة ما سدت ولو معى واحدا منا (أقول) ان المترجم يتعجب من هذا . وأما المتجردون الذين ابطأوا فى التجريد فهذا هو غالب حالهم فى السياحات بل قد يواخذون أنفسهم بذلك فينة بعد فينة . وان كان الخير موجودا . قال : الا اننا لما اتصلنا بسيدى سعيد التنانى الذى لا يفارقه الجمال . وجدنا كل خير . فقد لحقنا به فى قرية من قرى (ايداوزيكى) . فسحنا معه هناك فى كل تلك النواحى . ثم رجعنا من هناك . فبتنا عند الاستاذ سيدى على التنانى فى (سيدى بوسحاب) فلما وصلنا (المسزار) جلسنا ايضا عند أستاذنا المركراكى . فقال لى : انك من اولادى . وهذه دارك . ولست كمطلق الطلبة. فسح مع الفقراء ما شئت . ثم ارجع الى دارك هذه . قال : وكان شغل عنده تعليم الولدان . لاشتغاله هو بالقراءات العشر مع الكبار . وكذلك اسخن ماء الوضوء فى المسجد . قال : فبقيت هناك حتى قام الهيبة فى جمادى الثانية ١٣٣٠ هـ . فلما جاء خليفة الشيخ سيدى محمد مع الفقراء فى محلة الهيبة الى (بيكرا) بـ (هشتوكة) زرتهم هناك . فرايت الفقراء كثيرين . والزحام موجود . وما معهم الا ثلاثة قساطيط كبرى . هى التى أعطاها لهم الهيبة . فرجعت عنهم الى (المزار) وفى رمضان غادرت (المزار) فمررت بـ (ماسكينة) فـ (ايداوتنان) فـ (ايمى نتانوت) فى الزاوية عند مقدمها

سيدى سعيد الاسحاقى التنانى (١) الذى كان فيها . ثم قصدت (مراكش) فتلاقيت مع سيدى المحجوب الراسلوادى (١) فى(مجاط) ثم دخلنا (مراكش) فلم نجد الفقراء فى الزاوية . فاذا هم قد انزلهم الهيبة فى (الباهية) . قال: فمكثت معهم هناك أربعة عشر يوما . قال : فوجدت يوما من الايام الاخيرة فى أحد أبواب (مراكش) بعض السوسيين يتعدون على الناس المستوردين بضائعهم الى المدينة . من فحم وخضر . قال : فشرت فيهم قائلا : اتحسبون أن قدرتكم السوسية . وقوة سواعدكم هى التى أوصلتكم الى (مراكش) . فاخذ بطرف ثوبى أحدهم . فقال : ليس هذا من شأنك . فاذهب الى حال سبيلك . قال : فانطقنى الله بقولى : الآن وشيكا سترون عقبى ظلمكم هذا . فاذا بالهزيمة من (ابن كرير) ثم من (سيدى بوعثمان) ٢٣ رمضان . قال : وفى صبيحة يوم خروج الهيبة ٢٥ منه كنا فى المجلس . وقد قرانا الحزب بعد الصبح . وابتدأ مقدم الفقراء فى الاذكار سيدى مولود (حسبنا الله ونعم الوكيل) فزاد على المائة المعلومة . فاذا بمناد ينادى : العجل العجل . فوموا قوموا . فان الناس قد ذهبوا لحال سبيلهم . قال : فأمرنا سيدى سعيد التنانى . أن يحمل كل واحد منا بعض الاوانى فتوجهنا الى (القصبة) فاذا بالبارود من أصحاب المتوكى . فانزلنا ما حملناه من الاوانى فى ركن الزاوية حائط . قال : فذهبنا الى الزاوية بـ (الرميلة) ولم يمسنا أحد . لان علينا ثياب المساكين . وأما الاعراب فلا يرون من الناس الا القشل الذريع . والشلحيون السوسيون يسلب ما عليهم ان لبسوا ما يسلب . فبقينا فى الزاوية ما شاء الله . ثم أرسلنا سيدى سعيد الى مولاى ابرهيم فى (الجبل) لنتفقد الفقراء . فوجدنا الخبر بان السالكين لـ (وادى نفيس) قد سلموا كلهم . فرجعنا الى (مراكش) ثم بعد العيد سافرنا أنا وسيدى عبد الله السكسيوى مع سيدى سعيد التنانى فى رفقة القائد محمد كورما الحاحى مع أصحابه . فأصبحنا فى (افروكن) فنجونا الى (متوكة) بعدما بتنا فى (اولاد صولة) بـ (اولاد أبى السباع) وكان القائد فى ستة عشر فارسا . من بغال كثيرة . ثم نزلنا عنده فى داره يومين . ثم الى (ايمى "نتليت) . فالى (ايداكلول) عند الحاج الحسن الكيلولى . ثم سحنا فى (ازغار) حوالى (تيزنيت) فى (بعمرانة) . قال : ثم بعثنا سيدى سعيد الى سيدى الطاهر ابن باكريم البعمرانى . لناتى من عنده بعنبر للتداوى . ثم رجعنا الى (ايت جرار) فـ (تالعينت) ثم الى (تازاروالت) ثم الى قرية(ايسكيوار) عند

---

١) مذكور فى (منية المتطلعين) .

الكريم سيدى عبد الله (١) امام مسجدها . ثم الى الزاوية . ثم بعد زمن توجهنا الى (ايداوزكرى) معسيدى مولود فى تلة . ثم من هناك الى(ايداوزيكى) برسائل من عند سيدى مولود . وكان خليفة الشيخ اذ ذاك هناك . قال : فمررنا بالفقيه سيدى الحاج عابد الشهير . ففرح بنا وطلب الله لخليفة شيخنا أن يوفقه . حتى لايفارق طريقة أبيه . ثم تعرض لنا لصوص فى (ادميم) قال : فقاومناهم انا وسيدى أحمد التاسادمتى (١) . فسلبونا بعد ما شدخوا راسى . فذهبت الرسائل التى معنا . ثم من ذلك الوقت فارقت (سوس) فمررت بـ (مراكش) الى (دمنات) قال : كان جذب أصابنى بين الفقراء . فاثر فى كثيرا . فكنت فى هيئة زرية . فبينما أنا فى الطريق قبل وصولى الى (دمنات) تلاقيت مع أناس يسألوننى من أنا . فاذا به اخى فاركبنى على بهيمة كانت معه . فأوصلنى الى دارنا . فاتى بكسوة تامة جميلة . فبقيت هناك . اختلف الى زاوية الفقراء فى (دمنات) فوجدت هناك سيدى على بن سيدى العربى من (فركلة) الذى فتك به الثائر مبارك النوزونيتى بعد ذلك الحين (٢) هو وكل من اليه . وكان سيدى العربى الهوارى ثم أولاده من أصحاب الشيخ سيدى محمد العربى المضفرى . الشيخ الشهير . وكان سيدى على بن العربى ماذونا له فى الارشاد . فابى من الظهور . فهرب الى (دمنات) ثم جاء اليه الفقيه سيدى محمد بن الحاج الفلالى البحياوى الذى كان كاتبا للشيخ سيدى محمد العربى المضفرى فى حياته . فى رفقة سيدى الحاج الحسن المرغادى . ليرجع به الى زاويته . والحاج الحسن هذا من أكابر أصحاب الشيخ سيدى محمد العربى المضفرى وله اخوان : الحاج محمد . والآخر يلقب بالسكبيوش . يسكن فى (غريس) من (كلميمة) ثم ان الفقيه ورفيقه ذهبا بسيدى على بن العربى الهوارى . قال وكنت فى صحبة سيدى على اذ ذاك . فطلب منى أن أرافقه فاعتذرت له بانني ليس منى أدب الصحبة . فقال : نادِ ربّك والق اليه نفسك . فقد قال بعض العارفين : اللهم لاقنى مع عارف بالله . ثم لا أبالى ان أقع فى بحر من الذنوب . يعنى أن صحبة العارفين هى التى تجتث أصول الذنوب. فصاحب أولا العارفين تجتث منك جذور المعاصى . قال : فصاحبت سيدى عليا مقدار عامين . أسيح معه فى (غريس) الى (تافيلالت) وأكون معه فى زاويتهم اذا (تينجداد) الى أن وقع بينى وبين أناس حادث مؤلم . فامرنى سيدى على أن اذهب الى محل عند أناس فى جوارهم ، حتى يندمل الجرح

---

١) ترجم فى (منية المتطلعين) .

٢) راجع ذلك فى (الجزء السادس عشر)

الواقع . ثم ضقت ذرعا بالمكث الكثير هناك . فصاحبت فقراء منهم عن اذن سيدى على الى (مراكش) فمررنا بالرجل الصالح سيدى مولاى عبد المالك الدادسى . رحمه الله . ثم ذهبت من (مراكش) الى (دمنات) فابى أهلها أن يفارقونى . الى ان اذهب مع الفقراء الى زاوية سيدى على بن العربى الهوارى . فذهبت معهم الى (تينجداد) ثم رجعت الى (دمنات) ثم الى صحبة سيدى ابرهيم ابن البصير . وذلك حوالى ١٣٣٧ هـ ثم ارسلنى الى فقراء من (اولاد سعيد) من (بنى معدان) فلم ءالف كثيرا هناك . ثم من عندهم الى زاوية (سيدى على أمهاوش) فى (قصبة بنى ملال) وهى عامرة بالطعام وبالفقراء . وبنت سيدى على هذا تزوجها الشيخ سيدى محمد العربى المضغرى . وهى أم مولاى التقى الذى كان قائدا بعد الاحتلال . قال : وكان الشيخ ـ فيما تواتر ـ يسميه اسما ءاخر . وقد مات وبقى اليوم ولده القائد بتاسيدى الحى الآن فى (قصر السوق) (ثم لم ينشب بتاسيدى بعد كتابة هذا ان توفى ايضا مريضا)

قال : وبيت (ءال أمهاوش) بيت شهير. خصوصا فى علم الحديث. واستطلاع الغيوب . ولافرادها ذكر متكرر فى تاريخ جبل الاطلس الكبير . وكذلك اصهر (ءال أمهاوش) الى أحد أبناء سيدى العربى الهوارى . باحدى بناتهم. وهى أم الموجودين الآن . وسيدى على أمهاوش ربانى كبير . له سطوة كبرى على تلك الجبال . وهو من أصحاب سيدى محمد العربى المضغرى الشيخ الكبير رضى الله عن الجميـــع .

بقى المترجم فى (بنى ملال) ثمانية شهور . اماما لهم فى الصلوات . ثم صاحبهم الى زاوية (سيدى على أمهاوش) قال : فوجدناه فى (أركو) من قبيلة (ابن أحمد) على رأس (وادى ملوية) ومن عادته من القبائل أن كل قبيلة تضيفه بالتناوب . فتكون ضيافة القبائل تدوم فى كل قبيلة الى نحو شهر . فيجتمع عليه المئات من الناس كل يوم . قال : فلما مضى الزوار حبسنا نحن عنده نحو ستة وعشرين يوما . وفى هذا الوقت لايزال اهل الاطلس خارجين عن حكم سلطة الحكومة . قال : ثم رجعت الى (بنى ملال) ثم غادرتها الى (ايت عتاب) بزاوية (مولاى المكى) الشريف البلغيثى العلوى. دفين مشهد هناك . ومولاى المكى من أصحاب سيدى محمد العربى المضغرى اسس هناك زاويته . قال : وجدته مات . فحاول ولده أن يخلف اباه فى زاويته . فابى أصحاب أبيه . فاختاروا غيره . فقال قائل له : اذكر الله حتى تصلح أن تكون خليفة أبيك . والقائل هو سيدى محمد بن على البدوى . المدفون فى (ابن صالح) بـ (مراكش) قال : بقيت فى تلك الزاوية نحو

ثلاث سنوات . اؤم في الزاوية . واعلم الولدان . ثم لما استولت الحكومة على (ايت عتاب) هاجرت فيمن هاجروا . ثم بقيت في مهاجرى ما شاء الله ثم ذهبت الى (دمنات) فاتجرت فلم يتيسر شيء من التجارة . ثم ذهبت الى زاوية سيدى ابرهيم ابن البصير . في (بني عياط) حيث جلست سبعة اشهر في تعليم الولدان . ثم انتقلت الى (بني شكدال) بـ (تادلة) ثمانية شهور. ثم بعد تقلبات تزوجت رغم انفي بـ(دمنات) حيث بقيت سنة ونصفا ثم لم يقع الاتفاق بيني وبين الزوجة . ثم راجعت (اولاد عريف) من (بني موسى) من (بني عون) بـ (تادلة) حيث بقيت نحو ١٠ سنوات . ثم انني ذهبت لازور أحد اخواني لله في (البيضاء) فادى ذلك حتى انقطعت اليها . فبقيت الى اليوم .

وممن زارهم من أهل الخير . الرجل الصالح سيدى الحاج محمد النقيفي . قال : صليت معه يوما العصر في زاويته بـ (مراكش) ثم صافحنا كما هي عادته مع كل من صلى معه . وممن زارهم سيدى أحمد بن الجيلالي من أولاد (سيدى على بن ابرهيم) من أصحاب سيدى محمد التيلضيبي الحاحي . وكان يجيء الى (أولاد عريف) والى (بني شكدال) وكان يغلب عليه كثرة الاذكار . وربما يقول عن نفسه أمورا لايصدقه احد فيها كشطحات تصدر منه وكانه مغلوب على حاله فيها .

قال : كل هؤلاء المشايخ اعلاهم كعبا . واحسنهم أدبا . واكثرهم انهاضا وتهذيبا هو الشيخ سيدى الحاج على رضى الله عنه الذى اتخذته وحده شيخي ووسيلتي الى الله . ولم يعمر عيني غيره منذ عرفته . بل لم أجد في همته وتأثيره في القلوب له نظيرا . لو تطلبت له نظيرا .

قال ـ وقد سألته سؤالا منفهم عن أحوال من لاقاهم : سمعت سيدى محمد بن الحاج اليحياوى يقول . ونسب المقالة الى سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه : اياكم وتنقيص أحد من أهل نسبة أهل الله . فان لله طرائق على عدد انفاس الخلائق . ولكل مشرب . فتحن وكافة أهل الله كفلقتي الرمحي . من دخل بيننا يسحق . والذى يدخل بيننا هو الذى يقول الشيخ فلان أكبر من الشيخ فلان . أو أصحاب فلان افضل من أصحاب فلان . ومصداق ذلك في قوله تعلى : (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى من ماء واحد ونفضل بعضا على بعض في الاكل) والمقصود ان التفضيل الحقيقي هو معلوم عند الله وحده . وأما الناس فبحسبهم التسليم . لانهم لايدركون البواطن التي بها يقع حقا التفاضل . وكل من ادخل نفسه في المفاضلة التي لا علم له بها فانه كاذب . ولان

نلغط فى التفضيل . قال : فليفهم مقصود القوم ولكل وجهة هو موليها . نعم ان الامر كما قال سيدى محمد الشرقى: (والله ما نقول سدى بن سدى غير "لحل" تيودى) أى والله لاأقول سيدى ابن سيدى الا لمن حل فيودى

وحكى أيضا عن سيدى محمد بن الحاج اليحياوى المذكور أن الشيخ سيدى محمدا العربى رضى الله عنه كان يقول :

(اننا وان أمضينا ثلاثين سنة فى التربية . لاندعى الى الآن اننا تجاوزنا مقام الاسلام . الى مقام الايمان . فضلا عن مقام الاحسان) . قال المترجم : لما كنت فى مبادئى فى (المزار) كثيرا ما أرى فى عالم المثال أمورا . فتقع كما أراها وهى وقائع لم أرد اليها بالى . فاستحضرها الآن . ومما ذلك الا ان الشيخ الالغى يربينا دائما على عدم الاهتبال بمثل ذلك . جزاه الله عنا خيرا . ومقام العبودية هى المقام العظيم الذى منه منبع معرفة الله .

فى البيضاء

واخيرا استقر فى (البيضاء) وجعلها خاتمة المطاف . فاوى الى المسجد الصغير الموجود الآن فى (بوسبير) القديم . فى زنقة (بولا) يؤم فيه . ويعلم فيه الولدان القرءان . وقد عزم على أن لايتزعزع عن ذلك طوال حياته . وقد دخل هذه المدينة سنة ١٣٥١ هـ قال : قد كنت فى بيت اذاء هذا المكان أعلم فيه القرءان لأولاد المسلمين حتى بنى المسجد . والذى بنى المسجد الحاج ابن داود بن محمد الحريزى الصالح . من (أولاد صالح) أتممه فى رمضان ١٣٥٢ هـ . وقد تخرج به تلاميذ كثيرون . حفظوا القرءان كله على يديه ، وهؤلاء المعلمون للقرءان فى المدن اليوم ، خصوصا فى (البيضاء) ان نصيبهم ضائع ، وحقهم لايقوم به أحد . مع أنهم يقومون بواجب كبير فى المحافظة على القرءان . ويؤسف كثيرا من انصاف متعاقلين . يتخذون هؤلاء المعلمين موضوع سخرية . ونعوذ بالله من ذلك . وسوف ينقضى هذا الجيل فينقضى حفظ القرءان معه . ومتى تقلص القرءان تقلص الاسلام .

حاله واخلاقه

رأيت ترجمة حياة هذا السيد الجليل . وقد كتبتها من فيه يملى فاكتب أمامه . وليس لى فيها الا التعبير العربى الفصيح . والا فالكل منه . اطنب فيما رأيت الاطناب فيه أولى . واختصر فيما هو أولى بالاختصار . وقد رأيت انه زوار لصالحين . طلعة الى أن يقتطف من كل شجرة . ويشم من كل زهرة لا يتعصب لشيخ على شيخ . ولا يرى لنفسه مقاما يكتفى به عن الازدياد .

وهو اليوم وهو ابن السبعين لا يزال هو هو . وقد يحسن بامثال الفتى . فيشد رحلته الى فيجلس الى كأنه يمثل امام أحد أولئك المشايخ الكبار فاستحى من ذلك . وما حمله على ذلك الا كونى ابن شيخه . وهو هين لين . زاهد متكمش . قد يبقى اذا أرسل تلاميذه بعد أن يحفظوا منزويا وحده . لايراه أحد الا فى الصلاة اماما فى مسجده . وقد ألقى الله عليه محبة كل من يعرفه فترى الذين يلمون به يذكرونه باكبار واجلال . ولا يذكر بلسانه الناس الا بخير . وهو اليوم ضعيف المنة . ضعيف البصر . خطواته متقاربة . كأنه أوفى على الثمانين مع أنه دونها بكثير . وهو عزب لا ولد له ولا زوجة . فتراه مع كبر سنه . ورقة جسده . يزاول شئونه الخاصة بنفسه . وكلما دخل عليه داخل يجد المأكول والمشروب مهيأين ولا يتكلف بالمفقود . ولايبخل بالموجود . وصوته الخافت اذا حادث أحدا لايكاد يبين من فيه . ممن يمشون على الارض هونا . وقد جعل يوم معاده بين عينيه . فلا يبالى ما يأتى به غيره زد على ذلك انه وان كانت القلوب والظنون تشم منه ما تشم من أرباب أصحاب الباطن . لاترى منه أية اشارة الى ذلك . ومتى طلب منه طالب مايحوم حول شىء غيبى . لايعدو أن يدل على الله . وان يأمر بالاعتماد عليه . وهذه الاحوال . التى تختبط فيها الامة اليوم من الاستعمار لانسمع منه حواليه الا التفرع على الله بكل عزيمة أن يفرج الازمة . ولا تحس منه من الاشارات ما هو مألوف من أمثاله . وقد أثنى عليه العارف بالله سيدى مولود وكذلك سيدى التهامى الركنى . ومثلهما من تصح منه التزكية .

ثم انه اثر مرض لم يطل به لفظ نفسه الاخير . فبكاه الفضل والتهجد والخشوع . وتعليم القرءان . وامامة المسجد . حين لم يترك من الاولاد والاهل من يبكيه . رحمه الله ، وألحقنا به مسلمين . وقد جرى ذكره فى كتاب (منية المتطلعين) لانه على شرط ذلك الكتاب . وهذا الكتاب مطبوع اليوم بحمد الله .

الصوفي الكبير

سيدي محمد التادلي الرباطي

نحو ١٢٩٠ هـ = ليلة مفتتح رمضان ١٣٧٢ هـ

نسبه :

محمد بن علي .

صوفي من اكابر المولعين بالمقالات الصوفية ومراتبها. ولد في(الرباط) كما احسبه ذكره لي من أسرة العلامة سيدي ابرهيم التادلي الشهير . ويقول ان جد الاسرة هو الشيخ المسمى سيدي جابرا دفين (تادلة) . ومن هناك جاءت هذه النسبة التادلية لهذه الاسرة المباركة .

كان يحكي لي عن أوليته . وانا أساله عنها . ولكنني لم اكن اقيد ذلك حينئذ . فذهب غالبه وانما استحضر أنه ذكر انه اخذ عن العلامة ابي العباس ابن الخياط الفاسي وامثاله . ثم حببت له احوال الصوفية محبة غريبة . وينتسب من قديم الى الدرقاوية . وقد حكى انه ربما كان في مبدأ امره يبيت في المساجد غريبا من غير شعور المؤذنين . حتى انه بات مرة في مسجد فلامر ما دخل تحت المنبر . وفي الصباح لما دخل المؤذن الى المسجد احس بحركة تحت المنبر . فتوهم ان هناك جنيا فاوجس في نفسه خيفة . في حكاية يذكرها لم استوعبها كما هي . ولكن هذا لبها :

كان تعرف بمشايخ عصره البارزين كابي زيد مولاي عبد الرحمن بن الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي المجوطي . وامثاله . وكان لايسلم لهم حالا لانه يرى لهم ما لايوافق ما يعرفه هو. على حسب ذوقه الخاص ـ من طريق القوم . وما كان يرضى الا عمن يتسم بالاحوال التي يتسم فيها رجال (الرسالة القشيرية) وهو الكتاب الذي يكثر من مطالعته في مبادئه كما يطالع امثاله . حتى رسخت في قلبه تلك الاحوال. وطبعت على لسانه اقوال رجالاتها فلا تكاد تسمع عنه الا قال ابو علي الدقاق . قال ابو عبد الرحمن السلمي. قال الجنيد . قال سهل التستري . قال فلان وفلان ممن ذكروا في الرسالة القشيرية . واخوات الرسالة القشيرية . وكان فياضا بذلك في مجالس الفقراء ان حلقوا عليه . وجلس في صدارتهم .

اتصاله بالشيخ الالغي

سألته عن سبب اتصاله بالشيخ الالغي . قال كنت اذ ذاك في (زطاط) ازاول تجارة . ثم ورد عليّ وارد . فالتحقت بـ (السويرة) فصادفت هنالك سيدي سعيدا التنائي مع ثلة من الفقراء المتجردين . فلم أكد أتصل بهم . واشاهد أحوالهم . واقبالهم على شأنهم . واكبابهم في اركان الزاوية الدرقاوية التي نزلوا فيها على ذكر (الله) بالمد سرا منفردين . يمر بهم يوم فيوم فثالث وهم لايملون ولايضجرون . حتى شعرت بانني عشت حتى رايت نمطا ممن كنت قرأت عنهم في (الرسالة القشيرية) و (عوارف المعارف) للسهروردي و (المباحث) لابن البناء . فقلت هكذا يكون الصوفي المنقطع الى ربه . فلا تطيبه شهوة . ولا تستمليه جولة في المدينة . ولا يهمه أن يتطلب ذواقا . قال : فاقبلت على ما عندي انفقه عليهم . وقد رأيت من فقراء (السويرة) عدم المبالاة بهم . حتى اذا تم ما عندي ملت الى ثيابي ابيعها ثوبا ثوبا . ثم لما تهيأوا الى الصدور الى الشيخ في (الغ) عزمت على المثول بين يديه . لأرى في حياتي شيخا صوفيا على الحقيقة . يقدر ان يهذب امثال هؤلاء الرجال حتى يخرجهم هذا التخريج . وحتى يكبوا على شأنهم . ناسين غير الوجهة التي توجهوا اليها . فعمدت الى كيس من القنب فصنعت منه قميصا فافرغته عليّ اخشيشانا ونكرانا للذات . وقد القيت عني حلة الحضريين. ليمكن أن أكون مثل هؤلاء الذين ساصاحبهم . وهم في مرقعاتهم . قال : هكذا طلقت الدنيا . فعزمت على الانقطاع الى الله عند الشيخ الالغي . فسافرت من (السويرة) راجلا على ضعف بنيتي . يحدوني الشوق الى رؤية هذا الشيخ العجيب . ويقودني التوفيق من الله . ثم لما قاربت الزاوية . رأيت في المنام الشيخ على الهيأة التي رأيته فيها يوم رايته . ثم لما حللنا في (الغ) والوقت وقت برد . وتلك البلاد الجبلية من أشد البلاد علينا أهل الحضر من كل ناحية . من ناحية المطعم . ومن ناحية الاخلاق . بله اختلاف اللغة . فادركت مقدار ما أنا فيه من الشدة الهائلة التي لاتطيقها بشريتي . وان تجلدت ما تجلدت . فتثور عليّ نفسي . ولكنني أعزم على اثبات قدمي. رغم انني في بيئة لايمكن ان يتحملها مثلي . فكل الفقراء الذين هنالك من المتجردين بدويون أصحاء . لايهتبلون من أجل قواهم المتينة بكل ما هم فيه فان كان الذكر كانوا جبالا . لايمكن لمثلي ان يدخل معهم خصوصا في ذكر القيام – يعني العمارة – وان كانوا مستريحين من ذكر الاجتماع انفرد كل واحد منهم في ركن من أركان المحل . فلا احاديث مؤنسة . وان قدر ان

هناك شيئا منها . فانها بلغة الشلحة . وهى غريبة عنى . واما اذا قام الفقراء لمزاولة شغل من أشغال الزاوية . فانهم عفاريت لا يطيق مثل مجاراتهم . وقد قاموا يوما لمزاولة عمل أمرهم به الشيخ . فقمت وانا صائم وكل منای ان يريحنى الشيخ . لانى عاجز عن أى عمل . فما برزت من مكانى نحو محل الشغل حتى نادانى الشيخ ارجع انت الى محلك . ثم خرج الشيخ والفقراء الى السياحة . فصرت امشى بقدر ما أستطيع . وانى يمكن لى أن أماشيهم . وهم أقوياء بدويون وانا حضرى ضعيف البنية . فبلغ منى الجهد مبلغا عظيما . ونفسى تثور علىّ حتى اذا لم يبق فى قوس الصبر منزع . اندلقت من بينهم صباح يوم . فغادرتهم فى مسجد قرية . وذلك فى (رسموكة) فتوجهت الى جهة الحواضر. وانا لا اعرف الطريق . ولا لى لسان شلحى أقدر به أن أسأل كل من لقيته فاويت ذلك النهار الى دار . فلم يدخلنى ربها . فدخلت الى محل صغير مغطى أمام باب الدار . فصادف أن بات يهودى عند رب المثوى . فانزله فى غرفة فوقى . فيخرج فى الليل فيهريق ماءه من أمام الغرفة التى فوقى . فترشنى الريح القاصف برشاشات بوله على وجهى . فكنت أقول لنفسى : هذا ما تستحقينه حيث أبيت ان تصبرى مع أهل الله . ثم طلعت من ثنية (ويشدان) فنزلت من (وادى نفيس) الى (مراكش) هكذا يحكى رحلته الى (الغ) وقد سمعت شيخنا سيدى سعيدا الثنانى يحكى هذه الرحلة . ويقول انه لما أعجب بحالنا فى (السويرة) واستهيم بما نحن فيه . أبى الا ان يصاحبنا الى الشيخ . فصرت أراوده . على أن يتخلف لشيئين . احدهما أنه لايطيق ما نحن فيه . وقد تفرست منه ذلك . وثانيهما اننا نسمع الشيخ مرارا يقول لنا : لا تاتونى أبدا بكل من وراء (وادى الغاس) فان مقصودهم قلما يخلص كله شه . فكنت أتوقع من الشيخ عتابا ان أتيته بمثل هذا السيد الخضرى . ولكن لما رأيته صمم وأبى الا تنفذ ارادته أبديت أنا عذرا على أن لا أصاحبه الى الشيخ . فارسلته مع سيدى محمد المزارى الكنسيمى بمجرد ما خرجنا من (السويرة) فملت أنا الى (اداوزمزم) بـ (حاحة) . ثم بعد أيام لحقت بهم . وقد دخلوا الزاوية فى (السخ) ثم ان سيدى محمدا الرباطى ـ وبذلك يناديه الفقراء اذ ذاك ـ بلغ الجهد منه مبلغا عظيما . فقد صرخ فى سحر يوم . وقد استفقنا من مصل الزاوية يقول يا سيدى سعيد قد كفرت ما هذا الذى أنا فيه . يقول ذلك بحالة تقطع القلوب شفقة عليه . فصرت أهدىء باله . فاقول له بملاطفة : مالك يا سيدى ؟ فقال : انى أجنبت وماذا أعمل ؟ وأين أجد مغتسلا . يعنى الحمام . فقلت له : لا باس . فهداته فذهبت الى احدى مغتسلات المتوضا بالزاوية . فغسلته وجمرته بجمر كثير

وبخور . حتى حصل فيه دف، ما . فصاحبته اليه ، فاغتسل . ثم لما خرجنا الى السياحة كنت اراه فى انقطاع عن الفقراء . لانهم كلهم فى صمت متصل ولانهم كلهم لايعرفون لغته العربية . فجاذبته وقتا . وقد أهوينا للنزول فى شعب طويل عميق فى جهة جبال (رسموكة) فاردت ان أونسه بحديث فقلت له : يا سيدى محمد هذا وادى النور ، فبادرنى مجيبا : لا والله بل هو (وادى النار) قال سيدى سعيد : ثم فى صباح اليوم الثانى نادانى الشيخ فقال : ان سيدى محمدا الرباطى . قد ذهب عن الفقراء . وما ضيق عليه الا حين لايجد مؤنسا . ثم عاتبنى عتابا مرا . حين لا أكون الاحظه دائما بالمؤانسة حتى يالف . وهكذا وقعت من الشيخ فى المعاتبة التى كنت تهربت منها أولا . ثم ناولنى الشيخ ريالات . فقال : اجتهد أن تلحقه . فتمكنه اياها ليركب بها من (السويرة) الى (البيضاء) حيث يقرب من أهله ، فان جيبه خال . قال : فسرت فى الطريق متوجها الى ناحية (السويرة) فلم أصادفه ، فتبين بعد ذلك انه سالك غير ذلك الطريق حين توجه الى ثنية (ويشدان) الى (مراكش) . قال : وكان مقدار مكثه عند الفقراء ١٧ يوما فقط . وحكى لى سيدى عمر(١) الحوزى : ان من جملة الاسباب الحافزة للرباطى حتى غادر الفقراء . أن فلانا من الفقراء وسماه كان حديث العهد بالانخراط بين الفقراء . فرأى الشيخ يوما أمر فقيرا من المتجردين أن يناول سبحته الكبيرة للرباطى . فعلقها الفقير المامور فى عنقه . فتابى سيدى محمد الرباطى منها. ظانا أن ذلك من الفقير من عند نفسه ولذلك قال له : ياسيدى اننى أريد سبحة فى ملكى . يحصل لى أجرها . فقال له الفقير : انها لك وكل اجرها . فانقلب ذلك الفقير المبتدئ على التادلى . يقول له : أرأيت ما فعل بك اليوم . فكانى بمرقعة غليظة . من هذه المرقعات الثقيلة ملقاة عليك غدا . ثم لاتقدر ان تتحرك بها . فان الناس اذا أرادوا أن يلقوا البردعة على البغل يلجمونه أولا . يداعبه بذلك . فتاثر الرباطى من ذلك وهو مجد لايتسع صدره لمثل تلك المداعبة . ففى اليوم الثانى ذهب لحال سبيله .

(أقول) : ان هذه الرحلة كانت سنة ١٣١٧ هـ كما حكى لى المترجم بنفسه . وهذه المدة على قلتها صبغت التادلى صبغة خاصة . فلم يزل يلهج بما وعاه فى الزاوية (الالغية) ولم يزل يكاتب الشيخ وينتسب له . فيجيبه الشيخ ويهتبل به. وهو الذى نشر السمعة الطيبة للشيخ الالغى عند كثيرين ممن يتصل بهم فى الحواضر الشمالية . كـ (الرباط) و (سلا) و (فاس) . وكان دائما يفتخر بالانتساب اليه . ولا يرى له نظيرا بين مشايخ العصر . وقد حكى لى انه كان مرة جالسا مع سيدى محمد الكتانى الشيخ الشهير فى

---

١) مذكورا فى (منية المتطلعين)

عنفوان مظهره . فرأى اقبالا عظيما من الناس . وتدفقا علميا من السيد الكتانى فكان قلبه تململ عن الانتساب لذلك الشيخ الالغى البدوى الجافى مع وجدانه لمثل هذا الشيخ الحضرى العلامة الهين اللين . وقد راى فى مجلسه اناثا وريثا . واطعمة فاخرة . قال : فقلت فى نفسى مثل هذا الشيخ هو الذى يليق باعتنائنا . فان سره على طرف الثمام . قال : فبمجرد ما خرجت من عنده . عرض لى الشيخ الالغى اراه عيانا فى بعض ازقة (فاس) بعينى هاتين فلما قابلنى ملأ فاه بالبصاق . فتفل به فى وجهى . ثم مر فمسحت وجهى فاذا بـه اختفى عنى . فعرفت من ايـن اتيت . فاستغفرت الله . وادركت مقدار هذا الاعتناء بى من الشيخ . على ظهر الغيب . وقد كانت غيرة الشيخ الالغى معروفة عندى عن أصحابه حتى شاهدتها بنفسى . هذا ما حكاه لى فاه الى اذنى . ثم لم يتيسر للتنادى ان يلاقى الشيخ الالغى منـذ فارقه تلك المرة . وليس بينهما الا المراسلة فقط . ويرى القارىء فى احدى الرسائل التى نشرناها فى ترجمة سيدى محمد بن مسعود المعدرى رسالة عن سيدى سعيد التنانى الى الاستاذ المعدرى يذكر له احدى هذه المراسلات بين الشيخ الالغى والتنادلى . ثم انه لم يزل يعلن مناقب شيخه الالغى فى كل مجمع حتى حداه ذلك الى تاليف مجموع كبير فى الذى يعرفه عن الشيخ . ثم فى ثورة من ثوراته المعروفة عنه فينة بعد فينة . احرق كتبه . فاحرق معها بعض هذا المؤلف . والباقى الذى سلم من الاحراق قد اتصلت به فخرجته وفيه بعض احوال الشيخ . واستطرادات شتى وهو فـى نحو كراسين كبيرين .

احـوالـه

كنت اتصلت بالمترجم سنة ١٣٣٨ هـ وهو اذ ذاك يسكن فـى درب (وبحاح) عند مشهد (سيدى عبد العزيز) فى (مراكش) وقـد بنى هنالك دارا . فكنت الابسه كثيرا . فادركت بكثرة المخالطة ما أقدر أن أصدر بـه عنه حكما مسمطا فيما له وما عليه بكل انصاف .

كان حقيقة من الصوفية الذين يحبون أن يجمعوا بين الاحوال والاقوال فكان ذا مجاهدات لايفتر عنها ، كقيام الثلث الاخير من الليل . فقد كنت أبيت عنده كثيرا اذ ذاك فلم أره يترك التهجد ليلة . وربما يعروه حـال غريب . يستولى عليه حتى يصرخ صراخ المغلوب على نفسه . فيستفيق كل من فى الدار . وقد وقع له ذلك مرتين . فايقظنى صراخه فزعا . لا أدرى ما وقع له . وذلك قبل ان أعرف منه هذا الحال . ثم لم اعد اهتم به ان عراه

ذلك الحال بعد ان عرفت حاله . وكذلك لم يكن يفارق الوضوء غالبا . ولا الاكباب على الذكر في سبحة . ما لم يشتغل بمحادثة انسان . او مطالعة كتاب . وان كانت لاتفارق يده السبحة في جميع احواله . وكان احيانا كريما حتى لايوكيء على شيء . وربما اداه ذلك حتى يملق املاقا متصلا . غير ان قرينته كانت من اسرة لها اراض في (زطاط) فكان بتوكيلها يبيع من حظها شيئا فشيئا . ما يرتاش به كلما حص جناحه . ولا يزال على ذلك حتى نفدت تلك الاراضي أو كادت . وقد انتقل من (مراكش) الى (الجديدة) فسكنها . ولا يزال بها الى أن توفي . وهو ذو احوال تختلف . فبينما تراه يحاسب على الدانق . اذا به يهب عشرات . ولما له من اليد المبسوطة في كل ما تملكه يده يقع احيانا في انقاض واقلال . وقد شاهدته مرة في مجلس للفقراء . طافت به الاريحية . وهبت عليه النفحات . وقد انشد منشدهم قول القائل :

من ذا يبشرني بيوم لقاء أعطيه من فرط السرور ردائي

فلم يملك نفسه أن نزع عنه جبة ملف غير قديمة . فالقاها على المنشد . ناثرا بما خامره . وملك عليه شعوره . وقد علم هذا الحال معلوما من الصوفية اقتداء بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ألقى بردته على كعب ابن زهير حين انشده قصيدة (بانت سعاد) وكان يالف أن يقيم الضيافات للفقراء كل ما كان على مقدرة على ذلك . ولم يكن بصوفي شحيح ولابحضرى يماكس دائما . حتى لاتبض منه قطرة . وكان مولعا بتسويد الاوراق بما يسميه مؤلفات . ولعمرى انها قليلة الجدوى لقلة معلوماته التي دون اذواقه بمراتب . ثم هو بنفسه كثيرا ما يجيش به الورع فيلقي هذه المسودات في موقد الحمام . وقد شاهدته مرة حين كان دخل الخلوة بزاوية (الرميلة) بـ (مراكش) نحو سنة ١٣٤٠ هـ تناول اوراقا له كثيرة . فالقمها النار . وقال انني رأيت النفس تتشوف كثيرا اليها . ذلك ما قال . وقد كان قليل البضاعة جدا في العلوم المتداولة وقد أدركت منه ذلك بكثرة المخالطة . ولم يكن له باع الا في مقالات الصوفية . مع انه يتطاول الى أن يسلم له في كل علم . وقد يعلن انه كان له في كل علم باع طويل مديد . وقد شاهدته مرة يحاول أن يتكلم حول اللفظة الواقعة في الوظيفة الاحمدية (وطريقك الاسقم) فيحمل على نفسه حملا ليستخرج للفظة ما يقر به أعين المدافعين عنها . ولكنه لم يات بشيء . كان يقول انه أفضل التفضيل من استقام . والحقيقة ان ذلك هو المقصود اصالة من الكلمة . ولكن العربية تابى ذلك . وقد حضر مرة في مجلس جمع العلامة سيدى أحمد بن الجيلالي الفاسي

الشهير . والشيخ سيدى فتح الله وسيدى محمد بن جعفر وسيدى محمد بن الحبيب . فانشد المنشد فيه :

ما بين معترك الاحداق والمهج أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى لما ودعت عيناى من حسن ذاك المنظر البهج

فدار الكلام بين الحاضرين على لفظة لما ودعت . هل هى لما بكسر اللام وتخفيف الميم . او لما بفتح اللام وتشديد الميم . وكان الشيخ سيدى فتح الله يقول انها الاولى وسيدى أحمد بن الجيلالى يقول انها الثانية . فانتصر المترجم للثانى . فذهب يحمل الكلمة على ذلك حملا فوقعت الواقعة بينهم . فحكى لى عما وقع الشيخ سيدى محمد بن الحبيب المكناسى . فحين لاقيت المترجم فى العشية . حكى لى أيضا ما وقع . فقلت له : ان الحق الذى لاينبغى ان يتوقف فيه من له ولو اصبع فى علم العروض مع الفريق الاول . فقال وقد اقر بغلطه . ما كنت أدافع الا عن سمعة (القرويين) فان الرئيس ابن الجيلالى ينبغى أن لايفرط منه غلط يعرفه عنه الناس . فقلت له لكنكم وقعتم فيما هو أشد . والمقصود أنه اقر بانه انما يدافع عما يعرف أنه غير حق . وهذا كله انما يدفعه اليه فى الحقيقة انه موقع بمسايرة الناس أحيانا مع ولوعه بالمظهر العلمى بين اقرانه . فان ما بينه وبين الشيخ سيدى فتح الله من عدم المواتاة هو الذى حمله حتى وقف ضده . وهو غير محق . ومما الاحظه عليه كثيرا أنه لايسلم لمثل الشيخ سيدى فتح الله . والشيخ ابى زيد الدرقاوى حالهما . مع أنه يشيد باحوال اخرين ممن يكابلهم الثناء . ويقارضهم الاوصاف الصوفية الكبرى من الغوثية والقطبانية والجرسية . وهكذا الرجل . وهو على كل حال فريد فذ من اكابر صوفية عصره . وكم تطاول الى الظهور الذى كان أهلا له . ولكن الله يريد به خيرا كثيرا من حيث لايشعر فلا يتم له من ذلك مراد . ولا يتيسر له منه مقصود . ومن العصمة أن لاتجد . وكان ذا معاشرة حسنة مع جميع الناس . يزور ويزار . ويداري ويماشى اخوانه . فكل من سايره فلا يرى منه الا خيرا . ولا يشاهد منه الا كل ما يسر . وما ذلك كله الا من نيته الصافية . وانما لبشريته حقها هكذا كان حاله رضى الله عنه . فالذى يعجب منه كثيرا تهجده الدائم وكرمه وحسن مواتاته . وانفعاله للخير . فقد رأى يوما سيدى محمد بن جعفر الكتانى يتاقف من ديون عليه . فغادر مجلسه فى اللحظة . فسافر فى الحين الى أن باع دارا له . فاتى بالثمن فادى به الديون التى كان يتاقف منها سيدى محمد بن جعفر . وهو بهذه الاحوال من أماثل صوفية وقته . ومثله ينبغى أن ينظر باكبار واجلال . لان أحوال البشرية مما ذكرناه عنه لاتمنع

ان يفيض الله عليه من اسراره ما شاء بفضله . وفضل الله لا يعلل . خصوصا على امثاله . ويكفيه فضلا أنه لازم باب الله بكل جوارحه . لايزيغ عنه قلامة ظفر .

زرت (الجديدة) فنزلت عند انسان من أصحابنا هناك . ففتشت عن المترجم ـ كعادتي في زيارته دائما ـ حتى لاقيته . فعاتبني على عدم النزول عنده . فاعتذرت له . ثم قال : غير انك لاتجد عندي آكل الفقهاء من مختلف الاطعمة . فقلت له مداعبا على غرار كلامه : حينئذ لاتلمني ان لم أنزل عندك ثم ترددت الى (الجديدة) فكان كلما عاتبني على عدم النزول عنده اجيبه بمثل ذلك الجواب . وورد الى (مراكش) مرة وفي يده رسوم قضية يتخاصم فيها مع ورثة رجل شاوي كان تزوج بنته فمات عليها . وله منها عقب فوصى عليها ولدا له كبيرا من غير تلك الزوجة . فقام صاحبنا يجري في ابطال تلك الوصية . ليكون هو الوصي على ارث بنته وعلى ولدها من الرجل . وقد كان الرجل ذا ثروة . فحين أراني بعض الحجج قلت له : ان ابطال مثل هذه الوصية يصعب جدا . وحججك هذه يبعد أن تنهض بما تريد . فقال لي ما يدل على انه سيتتبع القضية حتى ينجح فيها . وفعلا نجح فيها . وكان ذا عزيمة في الامور كلها . يسلك اليها كل مسلك كيفما كان .

هذا ماكنت تركت عليه المترجم حين النفي . وانني لأحبه للاوصاف الحسنة التي اتصف بها تهجدا وكرما وحلما وأريحية ربانية . بل اعرف له من الحسنات العظيمة الظاهرة والباطنة ما لايعرفه عنه الا قليل من الناس . وءاخر ما اكتبه عنه انه صوفي كبير وكفى .

بعض منشداته وءاثاره

مما سمعته ينشده ومن فيه حفظته :

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أجلك من يرضيك ظاهره ... وقد اطاعك من يعصيك مستترا

وانشد أيضا في بعض مجالسه يوما في معرض خفاء الاولياء :

واذا خفيت عن الغبي فعاذر ... ان لا ترانى مقلة عمياء

وانشد في مثل ذلك أيضا :

وجحود من جحد الصباح اذا بدا ... من بعد ما اشتهرت له أضواء
ما ذل ان الصبح ليس بطالع ... بل مقلة قد انكرت عمياء

وانشد فى بعض مؤلفاته وهو يفتخر بانتسابه للشيخ الالفى :

عبد شمس أبى فان كنت غضبى فاملئى وجهك الجميل خموشا

وأنشد أيضا فيه :

سقيا لأيام مضت مع جيرة كانت لياليها بهم أفراحا

وكان يحفظ جل كلام ابن الفارض . خصوصا التائية . ويديره فى مجالسه وفى مؤلفاته . كما انه يحفظ من أشعار القوم كالششترى والبرعى والشيخ الخاتمى الذى فى الفتوحات المكية . وكان ءاية فى استحضار ذلك . ويمليه عند كل مناسبة أثناء مذاكراته التى يملأها بكلمات الفرق . وفرق الفرق . والجمع . وجمع الجمع . والفناء . وفناء الفناء ، والبقاء . والسلوك . والجذب . والاصطلام . وما الى ذلك مما هو معلوم من كلام القوم واقول بكل انصاف . انه كان ءاية فى ذلك . ثم لم أر له مثيلا . وبذلك يتعالى على أقرانه . ويعدهم دونه . لانهم بلاريب ليسوا فى مكانته فى الاعتناء بحفظ ذلك . وهذا هو علمه . وأما الحديث والتفسير وما اليهما فقلما يعتنى به . أو يجيله فى مذاكراته . واذكر انني كنت معه فى زاوية (سيدى بو العبادة) البدوية بـ (مراكش) فذكر حديثا موضوعا فقلت له : ان هذا كذب على النبى صلى الله عليه وسلم . وهو القائل : من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فقال : اننا لانكذب عليه . ولكن نكذب له . فتعجبت كيف قال . ثم وقفت على أن لهذه المقالة فى الحديث سلفا له من بين بعض أرباب النحل . وقد غاب عنى الآن من هو رأس تلك النحلة . وقد كانت له مواصلة مع الامام الرافعى الجديدى . وقد أخبرنى انه هو السبب حتى أدرك الرافعى ماهية وحدة الوجود . والرافعى ينكر ذلك . ويستنكف أن تقع له فائدة منه . لكننى وجدت عندى أبياتا الى الرافعى من نظم المترجم كنت قيدتها عنه فى (الجديدة) نصها :

كلفتنى بوحدة الوجود والقول فى بيانها المفيد
فهاكها مجلوة يا معتقد اذا أردت الحق منها فاستفد
تكفيك عن مطول معقول لكنها كالشرح للمدلول
قلدتها جواهرا أو درا حتى حكت حسناء ثم أخرى
فى نظم سلكها أضت (١) بين الورى لم تحتجب عن أهلها كما ترى
وكم بدت فى وحدة الشهود من الخفا الى سما الوجود
مكحولة فى لحظها سحر ثوى يهفو اليها كل من لها اوى

١) يعنى اضاءت .

وربما تحجبت فى خدرها عن الغبى غيرة لحسنها

هذا ما كتبته . ولعله كتب الابيات على منثور فيه بيان ذلك . وقد علمنا أن الرافعى ممن يقولون بوحدة الوجود . ويدافع عنها . ويعلن الى الى أنه اهتدى الى كنه ما يقوله من يذهبون اليها من الصوفية . وقد كان للشيخ الخاتمى عنده مكانة عظمى كالمترجم الذى لا يرى فوقه صوفيا . وكثيرا ما يملأ مجالسه بمقالاته وبمقالات عبد الكريم الجيلى . ويرى أن ذلك هو السر المصون ومن المضنون به عن غير أهله . وربما يتكلم فى ذلك بما لا يفهم . ويدندن بالعوالم العليا . وبالاطلس الى ما الى ذلك . مما هو معلوم عنه .

واما رسائله فعندى الآن رسالتان له . احداهما الى الاخ سيدى محمد والاخرى الى سيدى سعيد التنانى اثبتهما بكل أمانة. محافظا على الفاظهما وعلى خطهما كما وجدتهما .ليرى القارىء منزلة الرجل فى العربية على الاقل .

الاولى :

(دامت بعون الله وفضله مجادة السيد الجليل . العارف الاصيل . ابى عبد الله الذاكر الفاضل . سيدى محمد . أدام المولى فى جيد المعارف صعودكم وانار بحق التحقيق شهودكم. وحمى بكم الدين. وجعلكم سلم خير للمسلمين هذا والمرجو من المولى أن يحفظنا فيكم . وفى سربكم وأهلكم ودينكم . وكل من بحماكم . ومن يدعيكم وتعلق بكم (أما بعد) فان سألتم عن عبيدكم فكما تعهدونه من صفاء الود . ووفاء العهد . ولا شىء يحول بيننا الا العواقب ومضار الوقت وخصوصا ما كنا سمعنا من جنايكم صدر ما ظهرتم به . وان كان مجبورا (١) عليكم وتاملنا خوفا عليكم . وما شأنكم ذلك . وانما شأنكم ما يرفع بالنسبة لتبقى ذواتنا وجنابنا محفوظا فيكم ومامونا . وخصوصا تلك الديار . وبلاقعها . وان كانت كذلك . ولو لم يكن الا فيه الا تعويقنا عن اللقى والرجل يدرك مامولة بزاويته بالتوجه ما لايدرك بظاهر حركته . ولكن الاقدار حركت أمرا كان مقدار . والله يا سيدى نامل كل ما تحول بيننا العواقب . حتى اثرت حركة الوقت (٢) فيها بمراد الحق سبحانه . فلله الحمد . وعليه حفظنا المولى فيكم وفى مددكم وحركاتكم وسكناكم . وان خصكم ما يقضى فعل الرأس والعين بطرفنا . وجولوا لله فينا . والراحمون يرحمهم الرحمن . وان غلطنا فسامحوا . فانا كنا نسمع من شيخنا ما

١) يعنى بذلك ما كان منه مع الهيبة من الرياسة .
٢) كأنه يعنى الاحتلال .

يدوب القلوب والاجسام . فالنصيحة كانت لنا . ومنا لكم الشفقة عليكم لان قصدنا أن تظهر شموس شيخنا بالزيادة فيكم وفى عاقبتكم الى الابد والسلام) .

والاخرى :

(دامت فى حفظ الله سعادة سيدنا العارف بالله الذاكر بجمعية ماهينه الحميم . بل القدوة . بل المربى . بصريح من كان لنا مربى (١) سيدى سعيد . سعدت بكم الامة . وكسفت بركتكم على القلوب النكبات وكل لحمة السلام عليكم ورحمة الله أما بعد تريد السؤال عنكم وتوجه مشاهدة الروح دوما لمعناكم . فان طول مدى الاشتياق للقى الاشباح أبلى الفؤاد . وعلل تقلباته لأرفع حكيم ما وجد صبرا . ولا من بتلك العهود لسمعه أفاد . وبتلك المواثق اجاد . ولا سومحت العوائق . فان الصبر على كل شىء يجمل الا عنكم . وهل للمطامع من مواعد خيالها يطيق الكرى تظفر فى حال يقظتها والظن بالله جميل . بل هو محقق بما يخبر الضمير من الاجتماع بكم ويزول الشوق . ويزداد الاشتياق . وقد تحركت انهمة الساعة لمراكوشة . والسكنى بها . وساعته أشترينا دارا . ولكن بعيدون من الزاوية . ولازالت انهمة متشوفة الى دار قرب الزاوية . فبالفضل من سيادتكم ان نجولوا فيها لله . ولابد لعبيدكم من الرجوع لـ (الجديدة) ليقطع كل علقة بها . واحمل العائلة . وقد اقتضت المحبة أن نعلمكم بالتاليف الذى جمعنا فيه أحوال شيخنا سيدى الحاج على مشتمل على ستة كراريس وختامه كراسة فيه لخصت لب العوارف . ورسالة القشيرى . نظرت أحوال شيخنا بما فى التلخيصين . وطلبه سيدى أحمد بن الخياط بـ (فاس) ليطبع مع تاليف سميته بـ (المداد الاحمدى الساري فى الختم المحمدى) وتعليقات أخريات . انى أخرت الجميع لتلقيح النسخة التى بيدى متاع شيخنا وتتميم تعليق لنا على الحكم . وهذا كله أعلمناكم به . لانى لا نكتم على جنابكم هذا . وان كان غير المقصود. ولكن من باب الشكر واظهار فضل بركة شيخنا وبركتكم أعلمناكم لتدعوا بالقبول للجميع . ونرجوا المولى أن يكون قبول الجميع بسبب نظركم . وعليه نب عنا فى أدب الخطاب للسيد الجليل . الصادق الذاكر الفاضل أبى عبد الله الخليفة سيدى محمد . وما كان ينبغى لى ان نخاطبه به من الثناء الجميل بمنكم لمعرفتكم بالمضان . وقد حيل بين العير والبعيد . والشمس على أطراف التحيل . ونحن على ما تعهد من خالص الود

١) يعنى شيخ الجميع الالغى .

واما الخاتم (١) فقد تمت دائرته ونقشه على المراد . واخبرتكم لتاخذوا حظكم من السرور والسلام)

أما مؤلفاته فهي التي ذكرها . لكنها على ما أظن مما أحرقه بعد ذلك ثم رأيت له كتابة على قصيدة موازنة للمنفرجة . أحسبها للقاضي سكيرج . وقد رأيتها مطبوعة وبعض مؤلفه في الشيخ الانفي تحت يدي في مسودته وقد وجدته مفرقا فيسر الله اتمام تخريج ما وجد منه وتهذيبه حتى كان له رواء مؤلف . بأن حذفت منه الاستطرادات .

ذلك هو سيدي محمد الرباطي كما أعرفه . وله يد على الطريقة (الالغية) حين ينشر محاسنها . وينبث أخبار شيخها في اواسط الخواضر . حتى تكون هناك ذكر كبير في (فاس) وما اليها للشيخ .

خاتمة

بعد كتابة ما تقدم يسر الله لما رجعت الى الخواضر ١٣٦٥ هـ أن زرت المترجم زيارة معتقد في (الجديدة) فوجدته مكفوف البصر . ضعيف الجسم ثقيل السمع . فامضى معه ساعة طيبة لما ظهر لي ان حاله الآن وهو على ما يرى منه أعلى وأشرف . فقد كساه الله حلة نورانية . ووضع له القبول . فتكون له أصحاب يحبونه محبة المريدين للمشايخ . فيردون عليه بنيات حسنة وبهدايا يستعين بها على الحياة . فينفعهم الله بكلامه . فكنت أقول : سبحان الله ، ان ما كان يتطاول اليه . ويسعى وراءه . حرمه وقت التطاول وحين السعي . ولما عجز وصار مقعدا . ملازما لبيته . اهله الله له تاهيلا تاما فيقصده من (فاس) ومن (الجزائر) من لايجدون الا عنده ذوق التصوف العالي الذي يقرءون منه في (الفتوحات) واشباه الفتوحات . والغريب أن سمعته تجاوزت البحار . وقد أخبرني بعض من كان في (سويسرة) أن هناك جمعية اسلامية صوفية . لها مجلة تنشر الاسلام الصوفي . فاسلم بذلك كثيرون من كبار المفكرين والادباء والدكاترة . قال المخبر : دخلت الى محلهم الذي يجتمعون فيه ، فرأيت فوق رؤوسهم صورة الفقيه سيدي محمد التادلي الجديدي الذي هو قدوتهم . ولا يسألون الا عنه في المغرب . وقد أعمل غالبهم الرحلة لزيارته . بعدما أسلموا . فراوا عنده من علوم الحاتمي ما بهرهم . (أقول) : ان احدى بناته زوجها لأحد هؤلاء الذين اسلموا . وقد سكن به في (الجديدة) .

١) كان سيدي سعيد طلب منه صنع خاتم لطبع الرسائل . مكتوب فيه حسبنا الله ونعم الوكيل . وقد كان للشيخ طابع فيه : لا اله الا الله محمد رسول الله .

ذلك هو الشيخ التادلى الذى عادت عليه بركة توجهه الى ربه بالاذكار فى الاسحار . وبركة من لاقاهم من أهل الخير . وقد اخبرنى سيدى ابرهيم ابن البصير أن الشيخ الالغى وصاه عليه كثيرا . وهكذا صدقت نظرته فيه فان الاعمال بالخواتم . ويكفى من مناقبه انه انكشف الستار عن سماسرة الطرق عند ارباب السياسة الحكومية . فلم يعرف عنه رفع قدم ولو خطوة واحدة فى ذلك . وكفاه بذلك منقبة خالدة .

وقد زرته مرة فلم أجد من أولاده الذكور من يعرفوننى . فادخلتنى خادم . فجلست اليه وهو أعمى أصم . فتناولته هدية . فدعا لى دعوة صالحة وجدت نورها فى قلبى . وهو لايعرفنى . ولا يظننى الا فقيرا عن عرض الفقراء . فكانت لى به الخاتمة الحسنى . ثم توفى الليلة الاولى من رمضان ١٣٧٢ هـ . فكانت له جنازة حافلة رحمه الله ورضى عنه . فاللهم اغفر لنا وله واجمعنافى بحبوحة رضوانك . فاللهم توبتك النصوح .

اولاده

منهم سيدى عبد الرحمن الذى قام بشئون داره من زمان . وهو رجل يظهر عليه اثر الاستقامة ولعله يكون ابن أبيه فى الانحياش الى الله . ومنهم اخر أظن أن اسمه محمد قرأ ما شاء الله فالله يحفظ الجميع .

الفقيـه سيـدي

محمد بن عبد القادر الكدالى

نحو ١٢٨٨ هـ = ١٢ ـ ٥ ـ ١٣٥٢ هـ

نسبـــه :

محمد بن عبد القادر بن موسى بن محمد بن السويرة بن البطاح .

من فخذ (كدالة) من (سلاّم العرب) وهو من افخاذ قبيلة (الرحامنة) الكبيرة . وهذا السيد فقيه كبير صوفي . عالم عامل . نفع الله بـه تلـك القبيلة بما بث فيها من المعارف والارشاد الى مكارم الاخلاق . وقد كانت له شمائل دمثة . وأريحية وكرم . وانكار الذات . عرفت منه ذلك بالمخالطة فكثيرا ما يزورنى فى (مراكش) كما ازوره فى محله . حتى فرق الـدهر بيننا .

مأخـذه للقرءان

اخذ عن الاستاذ محمد بن موسى التيكنى فى مسجـد (العروسيين) من (تيوزار) فى أحواز (مراكش) كان ذهب الى هناك صغيرا . فرجع الى اهله بحفظ القرءان الكريم .

فى السـاعدات

ثم لازم العلامة سيدى العربى السباعى من نحو سنـة ١٣١٤ هـ . فهو أستاذه الوحيد . وبه ترقى فكره . وروقت خمره . حتى استحق أن يرفع الراية فى بلده للعطاش الى المعارف . فاصدرهم وهم يضربون بعطن . وقد رجع من هناك نحو ١٣٢٥ هـ

فى تأسيس المدرسة

ابتدا تاسيسها سنة ١٣٢٦ هـ . باخصاص يقطنها الطلبة . الى ان

جاء الشيخ الالفي فعلم مكان اسس بناء المدرسة فبنيت وذلك في سنة ١٣٢٨ هـ . وقد اخذ عنه اذ ذاك . فصار ينتسب له دائما طوال عمره . وقد حث الشيخ كبار القبيلة أن يعينوه في بناء المدرسة بعدما وضع بيده الحجر الاساسي .

في الاكباب على التدريس

ثم لازم التدريس منذ ذلك العهد الى أن توفي . فممن اخذوا عنه :

١ ـ محمد ابن البناء الرحماني المتوفى مرجعه من الحج سنة ١٣٦٥هـ وقد كان حج معنا فمات في الباخرة . فالقيناه في البحر .

٢ ـ محمد بن الحاج الدكالي العمراني . وهو الآن ١٣٨٠ هـ عدل في في محكمة (أولاد عمران) بـ (دكالة) .

٣ ـ عمر بن الحاج العربي الرحماني من سلام العرب . كان امضى زمنا في تاسيس مدرسة درس فيها قليلا الى أن مات نحو ١٣٦٠ هـ

٤ ـ السيد الطاهر بن السيد المحجوب الرحماني من فخذ المحمدي مات نحو ١٣٥٥ هـ

٥ ـ السيد محمد بن الزمراني من (الصوالح) لايزال حيا ١٣٨٠ هـ وقد استتم بـ (فاس) بعد ما نزل فيها ما شاء الله .

٦ ـ السيد عمر بن دحمان . استتم في (مراكش) وهو الآن عدل في محكمة قاضي (الرحامنة)

٧ ـ السيد المهدي بن ابرهيم من قرية (العلويات) فقيه نعرفه ربانى توفي ١٣٦٤ هـ . وهو أيضا من أصحاب الشيخ الالفي . اخذ عنه في صغره

٨ ـ السيد الدليل بن عبد القادر الذي خلفه في المدرسة ـ وسياتي ذكره ـ

متوفاه

كان المترجم سافر الى (فاس) بقصد ان يزور رجال (فاس) فنزل على تلميذه ابن الزمرانية . في المدرسة (البوعنانية) فادركه اجله هنالك رحمه الله .

الثاني سيدي عثمان

هذا هو أخو الفقيه سيدى محمد بن عبد القادر . ولد ١٣١٢ هـ . وأخذ القرءان عن الاستاذ مبارك المذكور فى ترجمة سيدى عياد ـ الآتية ـ وعن الاستاذ عمر بن بوجمعة الكدالى الرحمانى . المتوفى نحو ١٣٦٩ هـ ثم لازم أخاه فى الفنون . وكذلك سيدى عياد الى أن مات . ثم استتم فى (مراكش) فأخذ عن الاستاذ سيدى أبى شعيب الشاوى . وعن العلامة سيدى محمد بن عمر السرغينى . بقى هناك عاما واحدا . ثم رجع أيضا الى الاخذ عن أخيه . ما شاء الله ، فلما توفى أخوه خلفه حينا فى المدرسة . ثم تركها لابن عمه الفقيه سيدى الدليل . واشتغل هو بالعدالة . الى أن فارق العدالة ومات سيدى الدليل . فقام بالمدرسة الى الآن ١٣٨٠ هـ . وهو الآن فقيه القرية . ومدرس المدرسة . ولا تزال عنده ثلة من الطلبة يتبع معها على قدر الامكان .

الثالث الفقيه سيدي الدليل

وهو الدليل بن عبد القادر بن على بن موسى بن محمد الصويرة بن البطاح ولد نحو ١٣٢٥ هـ . أخذ القرءان عن الاستاذ عمر بن بوجمعة . وهو عمدته . ثم لازم الفقيه ابن عمه سيدى محمد بن عبد القادر الى أن توفى . ثم استتم فى (مراكش) فهناك أخذ عن الاساتذة سيدى محمد بن عمر السرغينى. وعن أبى شعيب الشاوى . وعن سيدى أحمد أكرام . وعن الفقيه محمد بن الحسن الدباغ . ثم لما ترك سيدى عثمان المدرسة قام بها خير قيام فاجتهد حتى أصدر جماعة غير قليلة من النجباء من ١٣٦٤ هـ الى ١٣٧٧ هـ حين توفى يوم الاحد تاسع رجب ١٣٧٧ هـ فخلفه فى المدرسة سيدى عثمان وفقه الله .

الفقيـــه

سيدي عياد الكدالي الرحماني

نحـــو ١٢٦٦ هـ = ١٣٣٦ هـ

نسبـــــه :

عياد بن مولود بن ابرهيم .

اصل اسرته من (ايت واسا) من قبائل (تكنة) وبينه وبين صاحبـه سيدى محمد بن عبد القادر المتقدم اتصال نسب من جهة الامهات .

منشاه فى قرية (كدالة) نفسها وقد اخذ القرءان عن الاستاذ مبارك ابن احمد بن عبد الله ابن عم الفقيه سيدى محمد بن عبد القادر . كان فى مسجد القرية فخرج كثيرين. توفى نحو١٣١٨هـ . ثم التحق بـ(الساعدات) قبل رفيقه سيدى محمد بن عبد القادر . فلازم ذلك المحل حتى ودعهمـــا الاستاذ سيدى العربى فى وقت واحد . ثم تعاونا تعاونا تاما فى التدريس. وهو اكبر من صاحبه . وقد عرفته معرفة تامة فى داره وفـى (مراكش) حين كان يرد علىّ فى(الرميلة) وارد عليه فى داره . فكان على كبر سنـه اريحيا قد ينسى وقاره فى المسامرات . وكان مستحضرا مشاركا . مـن اكابر المتخرجين بالشيخ سيدى العربى من (الساعدات) وحين ورد الشيخ الالغى الى (الرحامنة) ١٣٢٨ هـ اخذ عنه . فبعد نفسه من اصحابه الى ان توفى . وكان يكرم الفقراء ويجالسهم . ويحسن فيهم الظن . ويذكر معهم . وقد كان يسلم لرفيقه سيدى محمد بن عبد القادر . وان كان اكبر منـــه سنا . كما ان الآخر يراعيه مراعاة تامة . فكانت صحبتهما خـير صحبـة اخرجت للناس . فانتفع بها الرحمانيون علما وادبا . ومكـارم اخـــلاق . رحمهما الله بفضله ومنته .

وللمترجم مع رفيقه سيدى محمد بن عبد القادر وصلة بالشيخ سيدى فتح الله بنانى الربانى . وباولاد مولاى المهدى الدرقاوى المراكشى . بـل بكل من ينتسب الى الخير .

الفقيه القاضي

عبـاس التادلى المراكشى

نحـو ١٢٩٥ هـ = حـــى

نسبـــه :

عباس بن المعطى بن الغزوانى بن محمد بن سعيد .

اصل الاسرة من اولاد ابن خدّو من قبيلة (ابن عمير) وليست من صميم ابن عمير . وهـؤلاء من عرب (معقـل) كما هو معلـوم . بـل هى من احفاد الشيخ سيدى ابرهيم بن خـدّو دفين الغرب . وهنا رجالات :

الاول : محمد بن الغزواني

احد رجال السلسلة ـ وكان مشهورا فى الدولة السليمانية ـ وكان عالما جيدا مشهورا اخذ فى (دكالة) ثم استتم فى (فـاس) ثم استكتبـه القائد ولد الراضى . وهو عامل كبير على (تادلة) من (ورديغة) الى قبائل الجبال من (ايت مصّاد) و (ايت عتـاب) و (ايت بوزيد) وكان قائـدا كبيرا . ولذلك اختار هذا الكاتب الجليل الذى له خط حسن ـ ثم استقدمه السلطان الى حضرته . فامره بلزوم بابه . الا ان القائد فى بعض قدماته على السلطان اعاد طلبه للمترجم . فسمح له به السلطان . فبقى ما شاء اللـه كاتبا عنده . ثم تعين قاضيا على كل (تادلة) ثـم توفى فى صدر ايام المولى عبد الرحمن نحو ١٢٤٥ هـ ودفـن فى مشهد سيدى احمد البـداوى فى (تارماست) حيث ملتقى وادى العبيد ووادى ام الربيع . وقد قيل له فى اخريات ايامه فى مرضه : قد تركت اولادك صغارا فقراء . فقال : لو كنت تقضيت فى الحواضر لتركت لهم ما ينتفعون به . الا انى لم تسمح نفسى بمفارقة (تادلة) فلازمتها الى ان اموت فيها . واولادى فى يد اللـه . فان الله هو الرزاق ذو القوة المتين . فرزقهم الله رزقا حسنا . فكان محمد اكبرهم

قائدا على (بنى عمير) من أيام سيدى محمد الى أيام مولاى عبد العزيز . ثم خلفه ولده محمد فى القيادة الى عهد الاحتلال ـ وابن الغازى هو الذى كتب اليه سلطان عصره ليعتنى بأولاده من بعده . فكان ذلك هو السبب حتى صاروا رؤساء .

الثانى : المعطي بن محمد

ترك القاضى ولده هذا صغيرا دون الادراك . ولعله ولد نحو ١٢٤٣ هـ كان ممن اخذ عنهم القرءان (الفقيه ابن صالح) صاحب المشهد فى (سول الاربعاء) التى تنسب اليه . ويقال لها (اربعاء الفقيه ابن صالح) وكان رجلا صالحا . وقد حكى عنه تلميذه هذا أنه كثيرا مايقول جهرا اخر الليل (ألا الى الله تصير الامور) ووالله لمن أتبعك يادنيا لفى غرور . وكان يصالح بين الناس . ولعله توفى نحو ١٢٧٠ هـ واحد العلم من قصبة (بنى ملال) وفى (المشبك) بـ (فم الجمعة) وفى « كدانة » بـ « الشاوية » وفى (بنى عمير) قبيلته ـ ومن أشياخه فى العلم الفقيه القاضى السيد التهامى المنزلى من ذرية الشيخ سيدى على بن ابرهيم . كان يقطن فى (بنى عمير) وكان يدرس العلم قبل توليته للقضاء . وقد تولى فى عهد سيدى محمد بن عبد الرحمن . ولعله توفى قبل ١٢٩٠ هـ . وله ولد يسمى العلمى كان نائب قاضى (الحمراء) مولاى المصطفى على (بنى عمير) وتوفى نحو ١٣٥٧ هـ وهذا القاضى وحده من يستحضره الحاكى من أشياخ سيدى المعطى . وانما تحقق ان اخذه انما كان فى البادية . كان موثقا يحرر الرسوم ـ ويحكم فى النوازل . بصفة التحكيم .وقدكان ابنالفقيه هذا ناصحا للحكومة ـ وقد وقع فى قبضة الحكومة مرةفسجن فى (السويرة) ما شاء الله . ثم قدم المولى الحسن الى (نادلة) فسأل عنه ـ وكان معروفا بابن الفقيه ـ فقيل له : انه مسجون . فامر باطلاقه فى الحين . فقال للحاضرين انما تذكرته من أجل مقالة كان قالها لى فى بعض المرات . وقد سألته عن (نادلة) فقال لى ان اهل (نادلة) كلهم يابون الانقياد للمخزن . ويستحقون التاديب . فظهر لى الآن صدقه ونصحه للحكومة . وقد كان نوى أن يأوى الى (مراكش) ليقطن فيها مع قلة بضاعته . ولكن الله الرزاق لم يطو عنه لطفه . فبقى فى البادية الى أن توفى ١٣٢٣ هـ . وباعه فى الفقه حسن السمعة وان لم يكن واسعا اتساعا كثيرا . وكان يالف الركوب على الخيل ولبس الشاشية المخزنيه المشهورة .

الثالث : سيدي عبـاس القاضي

اخذ القرءان عن اناس فى (بنى عمير) وعمدته بينهم الاستاذ الفقيه المعطى المسكينى الفارسى . والمعطى الشاوى . والاستاذ الفقيه الحاج الحسن الاكريفى من اولاد سيدى على ابن ابرهيم . ثم افتتح المبادىء العلمية عند الاستاذ المعطى الجرارى فى المدرسة بـ (اولاد جرار) بـ (دكالة) وكـان التلاميذ يرتقون الى المانة احيانا . والغالب ان يكونوا نحو سبعين . وكان تخرج بالفقيه ابن فطومة الجابرى الدكالى . وكـان هذا مدرسا مشهورا . لازمه ثمانية عشر عاما . وكان يحكى لتلاميذه انه كان يعتنى بخدمة شيخه ابن فطومة هذا كثيرا . ثم ما فارقه حتى كان علامة ماهرا . وقد توفى ابن فطومة قبل ١٣١٢ هـ لان الحاكى صاحب الترجمة التحق بشيخه الجرارى المذكور حوالى ١٣١٥ هـ فوجد ابن فطومة مات قبل ذلك بسنوات . وكان حال الاستاذ الجرارى غريبا . زاهدا يقبل على التعليم . ويكب على التدريس يعتنى بالمبتدئين الذين يكتبون المتون فى الالواح . ويشرحها لهم . كما يعتنى باصحاب الدروس العليا . وكان يتعهد التلاميذ . وينادى كل واحد باسمه عند كل درس . وكان الطلبة يسكنون فى الاكواخ . وكان مسكينا لا أبهة له . يجلس على الارض بل ينام عليها ويتفقد الطلبة فى وجبات المآكل . فيسأل عن كل واحد . كما يسأل أيضا عن المساكين الذين ينحاشون الى المدرسة . ومؤونة الطلبة من حرثه فقط . فيستعين بالطلبة حرثا وحصادا ثم لا يبالى بالشرفه . فلا لحم ولا توسع . ان هو الاطعام ساذج يكفى الطلبة البدويين وكان محترما معظما عند رؤساء الناس فيصلونه ولا يصلهم . وان اهدوا اليه لحما او فواكهة اثر به الطلبة . توفى نحو ١٣٢٥ هـ لازمه المترجم ست سنوات . ثم رحل (مراكش) فاخذ عن الاستاذ سيدى محمد بن عمر السرغينى . والاستاذ المعطى السرغينى . والاستاذ محمد بن ابرهيم السباعى التكرورى . والاستاذ الحاج العربى الرحمانى . والفقيه صالح السرغينى . والاستاذ ابن التاودى . فلم يزل فى الاخذ حتى توفى والده ثم تحمل كلفة الاسرة . لانه كان تزوج حياة والده . وقد كان تولى حينا الامامة فى مسجد (سيدى عبد العزيز التباع) وقد كان اماما قبل فى مسجد (درب الدقاق) بحومة (باب دكالة) وقد حكى أن هناك دالية يبكر عنها بالطيب . قال : فملأت منها عشية فقفة فذهبت بها الى الفقيه سيدى محمد العونى الذى كان يدرس فى جامع (باب دكالة) . ويورق فيه اذ ذاك . فقال لى : من اين هذا العنب فى هذا الوقت . فانه لايطيب بعد . فحكيت له أنه من دالية المسجد

فقال : اما تعلم أن ادارة الاحباس تبيعه . فقلت له : اولم يقل فى العمليات

وشجر بمسجد او مقبرة يأكل من شاء بتلك الشجرة

فقال يا فقيه أفتيت لنفسك والله .

ثم انه صار عدلا فى (مراكش) على يد مولاى المصطفى . فبقى كذلك الى سنة ١٣٣٥ هـ فخرج قاضيا الى (دار ولد زيدوح) حيث لايزال قاضيا الى الآن .

حـالـه

كثيرا ما يصرح بانه ليس بذلك العالم الذى يصلح للظهور . وانما عليه فضل الله . فاعانته استكانته وانحياشه الى الخير وأهله . وفيه محبة غريبة لكل من ينحاش الى العبادة والى الصلاح . فتراه يقصد المشاهد المشهورة ينعهد زيارتها . كما ينعهد كذلك زوايا الصالحين الاحياء . وهو ذو أوراد وترفع عن الانغمار فى الدنيا وبين أهلها . وحاله على كل حال عجيب ففيه سذاجة لاتخلو ممن كان منحاشا الى الخير . وربما يرى مرائى عن بعض الطغاة فيحكيها حكاية غريبة . وعليه من مظاهر الزهد . ويكفى دلالة على ذلك انه ولى القضاء اكثر من ربع قرن . ولم يظهر له من المال الا ما هو طبيعى . وقد حمدت الحكومة سيرته . فأبقت عليه الى الآن ١٣٦٨ هـ . وحاله الى أحوال المتصوفة اقرب منه الى أحوال القضاة .

مـلاقاته مع الشيخ الالغي

حكى لى أنه لاقاه فى قدمته التى قدمها سنة ١٣٢٨ هـ الى (مراكش) وقد حضر مجلسا حافلا عقده فى مسجد (باب دكالة) يوم ضيفه اهل الحكومة كلهم هناك وقد افعوعم المسجد باصحابه . ومن ذلك الوقت صار يلهج بذكر الشيخ . ويعد نفسه من أصحابه . ويفتخر بملاقاته . ولذلك سرعان ما فتش عنى فتعرف بى فى (الحمراء) واقترح علىّ مرارا ان اقبل كريمة من كرائم بناته . فكنت أرده بلطف . واقدم له عذرى . والعجب منه انه بقى على هذا حتى بعد تزوجى وقد ارتضى لكريمته بالضرة . وذلك كله من محبته للشيخ الذى أنا ولده . وله صحبة كثيرة للشيخ سيدى ابرهيم ابن البصير خليفة الشيخ فى (تادلة) . بل يعد القاضى نفسه من تلاميذه . وهذا

الحال كله لايزال الى الآن ١٣٦٨ هـ (ثم فى ١٣٧٦ هـ احيل على المعاش ولا يزال حيا الى الآن ١٣٨١ هـ) وقبل ان اختم الترجمة أعلن أن المترجم هو من اسرة الاخ البزيدى الرباطى الشهير . وقد كنت سمعت منه أن اسرته فى دار ولد زيدوح وانه مرت فيها قيادة . والمترجم لايزال فى داره هذه السنة ١٣٨١ هـ .

(أقول) : انما ذكرته لمطلق انتسابه للشيخ . لان المعلوم عند الصوفية كل منسوب محسوب .

القاضي

الحاج ادريس الورزازي

نحو ١٢٩٠ هـ = ليلة ٢٩ - ١١ - ١٣٥٩ هـ

نسبه :

ادريس بن المختار بن عمر

وعمر هذا هو اول من دخل الى (مراكش) من (وارزازات) وقد كان تاجرا ناجحا - وله من الاولاد الحاج محمد والطاهر ومحمد عمى والحاج عبد السلام والعربى والمختار . فاما الحاج محمد فله ابنان : حمودة وعبد الوهاب . وحمودة تاجر الى ان توفى نحو ١٣٤٢ هـ وعبد الوهاب كان مستخدما فى ادارة الاحباس فيكون حينا نائبا فيها عن الناظر . وتوفى حوالى ١٣٥٣ هـ .

واما الطاهر فله من الاولاد محمد وبنات . ولمحمد هذا ولده العلامة سيدى خليل الورزازى الشهير اليوم . وهو من أكابر الاساتذة المنتفع بهم . وقد اخذ من كلية ابن يوسف أخذا تاما حتى حصل . وله عبارة فصيحة وادراك مستقيم . وفهم دقيق . ولما لمح استقدمه مولانا محمد بن يوسف الى قصره لتعليم بعض أهله . وفتح له المجال فى بعض الوظائف الى أن طلبه منه الباشا الاقلاوى فتعين قاضيا فى (مسفيوة) حيث بقى الى أن جاء الاستقلال . فأعفى فلزم داره . وعمر درسا بين العشاءين يكتظ بالمنتفعين بامثاله . وله سمعة طيبة فى أوساط المراكشيين . فتطلبوا اعادة دروسه بكل الحاح . فسمح له بذلك أخيرا . وقد مسته نكبة لم تمس من شرفه الحقيقى الذى هو علمه . وها هو ذا الآن فى بحبوبة ذلك يستمتع به .

واما محمد الملقب عمى فهو ايضا تاجر اولا . ثم كان محتسبا فى (السويرة) وقد توفى بعد رجوعه الى (مراكش) وهو فى دكان فى فندق « لارنجة » سنة ١٣٣٣ هـ وهو والد الرجل الملقب سيدنا الشيخ المشهور المتوفى ١٣٥٧ هـ

واما الحاج عبد السلام فقد كان تاجرا اولا كبيرا الى ان نبه شانه فتولى خلافة قائد (مراكش) ابن داود . ثم استقل بعده بادارة الباشوية وان لم يتسم الا بالخليفة . وهو صالح الاعمال . يخالط اهل الخير . وقد كان للفقراء فى عهده شأن كبير . ويلاقى الشيخ الالفى كلما ورد الى (مراكش) ملاقاة احترام واجلال وتعظيم كما يلاقى بمثل ذلك امثاله . ولذلك ورد هذا الشيخ الى (مراكش) بعد وفاته فختم عليه هو وأصحابه ختمات كثيرة واخرجوا له الفدية المعلومة بين الفقراء لكل ميت منهم . وله اخبار مستملحة فى فصل القضايا . فيستخرج من حقوق العباد بذلك ما يستخرج . ولم يعهد منه ظلم لأحد . ولا حيف ولا جور . وقد بنى رياضه الكبير فى « الكتبية » الذى لايزال تحت يد أولاده الى الآن . ووفاته كانت سنة ١٣٣٥ هـ . وقد رثاه بعض ادباء (مراكش) بقوله من قصيدة ـ ليست هناك الا فى نظر المؤرخ ـ :

ما مات بل ماتت مآثر جمة ... لم يحصها حد ولا تعداد
كل المكارم من يديه وان عصت ... عن غيره من قبله تنقاد
فقد السيادة لا ترى (مراكش) ... شبهاً له وجميعنا اشهاد
عبد السلام مضى فوفى سعدنا ... فمن الذى ياتى به الاسعاد
هيهات تاتى (ورزازات) بمثله ... ابدا وان ابدا الورى واعادوا

وله من الاولاد النابهين عمر وعبد المجيد وحمودة وعزوز ومحمد . فعمر فقيد صوفى ذاكر توفى ١٣٤٣ هـ . وعبد المجيد رجل ملاك غنى توفى١٣٦٨ هـ . وحمودة من كبار الاثرياء البارزين ايضا بالمروءة والمحافظة توفى ١٣٧٠ هـ والسيد عزوز على غرار اخوته فى الاخلاق الحسنة لايزال حيا . ودارهم دار المحافظة على الديانة والاقتصاد والمروءة

واما محمد منهم فهو الفقيه الصوفى الكريم المرموق بين علماء (مراكش) وصوفيتها ونبهائها . أخذ عن السباعى وطبقته . وكان كريما غنيا حسن السمت . معروفا بالنزاهة . فتسند اليه الوصاية على أولاد الاغنياء . توفى ١٧ جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ . وتحت يدى ظهير عزيزى أسند له به الاشراف على ورثة من عال بوستة سنة ١٣١٨ هـ وقد أخذ أذكارا عن الشيخ الالفى . وخالط أصحابه . وعزى فيه برسالة يوم توفى .

واما العربى بن عمر فهو أيضا تاجر كأهله . فمات قبل ١٣٣٠ هـ وله من الاولاد المكى التاجر فى (سوق الحرارين) وقد ترك يوم توفى نحو ١٣٣٣ هـ ولده محمداً الاستاذ فى مدرسة الباشا ولا يزال حيا الآن .

واما المختار بن عمر . فانه من اكابر التجار . وقد فتح متجرا فى

« مانشستر » فيرسل منها السلع الى اخوته من هناك الى (المغرب) فكانت دارهم احدى ديار التجارة مع الخارج اذ ذاك . توفى ١٣٣١ هـ فترك من الاولاد الحاج الطيب . والحاج محمدا الامين . والسيد عبد الرحمن والحاج احمد والحاج الحسن والسيد عباسا . والحاج الحبيب والحاج ادريس .

فأما الحاج الطيب فانه ايضا تاجر كأهله ويقطن أخيرا فى (درب الزاوية) فى (الرميلة) يوم نزع منه بعضهم محله . توفى نحو عام ١٣٦٨ هـ

وأما الحاج محمد الامين . فقد كان على المرسى فى (السويرة) غالب حياته وهو من احبائنا الكبار . هين لين له معارف . وكريم المائدة ككل اهله توفى نحو ١٣٦٦ هـ وولده الحاج عبد الكريم من رجال الجيل من كل ناحيـة . وهو من احبائنا محبة متوارثة .

وأما السيد عبد الرحمن فانه رجل مسكين منطو على نفسه . توفى ١٣٦٣ هـ وولده محمد الخو صاحبنا متوفى ١٣٨١ هـ رحمه الله من شاب لبـــق .

وأما الحاج احمد فتوفى ١٣٤٩ هـ ولم يكن يفارق القاضى الحاج ادريس اخاه . ياكل على مائدته . كعادة الحاج ادريس مع جميع الورزازيين .

واما الحـاج الحسن فقد مات عزبا فى رمضان ١٣٤٨ هـ .

وأما السيد عباس . فانه توفى مفتتح صفر ١٣٥٧ هـ وولده الغثيمى لايزال حيا وفقه الله .

وأما الحاج الحبيب القاضى فولد نحو ١٢٩٨ هـ اخذ عن الاستاذ ابى مدين فى (درب أعرجان) وعن الاستاذ عـلال المـرايتى السوسى الرجل الصالح فى مكتبه فى (المواسين) ثم اخذ عن الفقيه الحسن الشاوى . والحاج العربى الرحمانى ثم عن السباعى . ثم برز فى العدالة بنباهة الى أن تولى القضاء بعد اخيه الآتى . فلم يزل قاضيا الى أن أعفى بعد الاستقلال . ثم بقى تحت أزمة امراض مزمنة يتلو كتاب الله الى أن توفى ١٥ من المحرم ١٣٨٠ هـ ولأولاده نباهة اليوم . فالسيد محمد فى الخارجية وعبد الحى خليفة فى قيادة حوالى (آسفى) وعبد الغنى فى الشبيبة والرياضة والسيد سعيد فلاح . والكل أحسبهم من أولادى لما بينى وبينهم فى صغرهم فى عهد (الرميلة) ولى فى بعضهم قطع منظومة . توجد فى ديوان (الرميليات)

وأما الحاج ادريس القاضى الجليل فولادته نحو ١٢٩٠ هـ . فاخذ القرءان عن الاستاذ محمد السوسى المنقطع الى دارهم . ثم اخذ العلوم عن الاستاذ محمد السويرى . ومولاى الحسن الاسفى . والحاج العربى . ثم

السياسى وطبقته اخيرا . ثم انخرط فى العدالة . ثم فى وكالة الغياب . ووكالة ابى الموارث وتزوج ١٣١٧ هـ . ثم فى نظارة العباسية والجزولية وفى ١٣٣٥ هـ تولى أولا قضاء (زغاط) عامين . ثم الى (السراغنة) عشر سنين . وفى اخر ١٣٤٨ هـ انتقل الى قضاء (مراكش) حيث بقى الى أن انقضى اجله ليلة الاحد ٢٩ ـ ١١ ـ ١٣٥٩ هـ

لهذا السيد الجليل سقت كل ما سقت ـ على عادتى ـ من رجالات هذا البيت الكريم لانه من أصحاب الشيخ الالغى . يعتقده اعتقاد المريد لشيخه . فينادب معه فى حضرته . ويكاتبه فى نجيبته . وهو احد الواقفين حتى بنيت زاوية (الرميلة) . ولكن مع كل هذا الاتصال لم يعد اخذه عنه اخذ تبرك لا اخذ استسلام وانقطاع . وتحت يدى رسائل كثيرة من الشيخ اليه ومنه الى الشيخ لا تعدو هذا . والفقراء يقولون كل منسوب محسوب فأما أنا فقد رأيت منه منذ اتصلت به ـ وقلما اتصل به ـ حسن ظن بالله . ورجاء غفران الذنوب . يطلب دائما أن لا يحاسبه الله كما يحاسب القضاة وما أنس لا أنس ليلة بت عند ولده الحاج عبد السلام فى رمضان . فسمعته طول الليل يتهجد ويقرأ القرءان . ولا ريب أن هذا مقام لايوفق اليه الا المصطفون الاخيار . فانك ان اردت أن تعلم ما للعبد عند الله . فانظر فيما يشغله فيه . واعظم مزية فيه الكرم . فداره دار ضيافة للعلماء وللفقراء ولكل زوار (مراكش) مع اقلاله . بل باع بعض ما ورثه فى هذا السبيل وقد كان حريصا على اخير رحمه الله . الا أنه لم يعد أن كان ابن بيئته . وقاضيا من قضاة وقته . والله وراء ذلك كله رحيم غفور لمن وفقه للاعمال الصالحة . وقد كان يراعينى لأننى ابن شيخه . وهو الذى تسبب حتى تعارفنا . وكتب الى الاوقاف فى أن أعد من علماء (مراكش) من غير أن يكون عندى خبر . وجعل تحت يدى ابناءه وابناء اخوته فى (الرميلة) يوم عمرتها بالتعليم . وله كل الفضل على رحمه الله . أفلا أكون شكورا

وله من الاولاد الحاج عبد السلام المولود نحو ١٣٥٠ هـ . اخذ القرءان عن الاستاذ محمد بن حمادى . وغيره . ثم اخذ المعارف فى زاوية (الرميلة) وفى غيرها . ثم تولى العدالة فكان من افاضل الابناء مروءة وتدينا وسلوك الصراط المستقيم . وقد عمر دار والده بعده خير عمارة . فحج وصادق وبرز بين اقرانه . ولم يعرف منه أى طيش مما يولف أن يمر فيه الشباب . ومعارفه وسطى . كوالده وككل أهله . الا ما كان من سيدى خليل الورزازى فانه فيها السباق الى الغايات . بل كان احد الافراد المحصلين الكبار .

وعبد الهادى الذى يستخدم اليوم فى محكمة التوثيق . قد كان أيضا عندنا فى (الرميلة) وفى (الرميليات) قطعة حواليه . وهو اليوم متزوج تابع لأخيه الحاج عبد السلام .

ومما يتعلق بأحوال القاضى المترجم انه لكرمه ممدح . فقد قال فيه الشاعر ابن ابرهيم المراكشى. والشاعر المطبوع وسيدى الطاهر الايفرانى وغيرهما . ومما حضر عندى الآن ما قاله فيه الاديب الحسن التنانى يعزيه فى اخيه عباس . وذلك فى ١٠ ـ ٢ ـ ١٣٥٧ هـ ـ وهى من أوائل الشاعر ـ :

أجمل الصبر فالعظيم صبور ... لايبالى ان حل رزءٌ كبير
يتلقى الخطوب ليثا اذا ما ... جال رَوْع الخطوب منه زئير
ما لخطب وان ألمّ كبيرا ... فى فؤاد العظيم وقع خطير
قوة الروح فى امرىء ان تجلت ... فهى للسعد لامرء اكسير
توقف الارض ان تدور وتهوى ... بنجوم من السماء تفور
واذا ما الفتى قد احرز منها ... حظه فهو بالكمال جدير
أنت لا غرو أن يرى لك فيها ... مظهر فوق ما يرى التعبير
قد تبوأته سماء وفيه ... أنت بدر من الجلال منير
صدمات الزمان مهما توالت ... فهى أمر لدى العظام يسير
غاية المرء أن تعاظم أن لا ... يختشى ما به الزمان يجور
كتب المجد فى جبينك سطرا ... جل معنى الذى اليه أشير
فهو عنوان ما تسطر مما ... ليس يأتى بكنهه التقدير
فيك للشعر فى الزمان مجال ... واسع فاض فيه هذا الشعور
جانب عزّ فى الورى ومقام ... قد يتسامى شاوا وعلم غزير
شرف المرء ان يرى نال يوما ... ما به يرتقى لديه الضمير
مثل ما نلته فاصبح صيت ... منك فى هذه البلاد يسير
قد ملأت الزمان ذكرا جميلا ... ينجد اليوم كيف شا ويغير
أيها الفرد كم مآثر شادت ... منك أيد تبقى وتفنى الدهور
انت خلدتها مدى الدهر تشدو ... كل جيل بهن تلك العصور
علم المجد طب كما كنت نفسا ... فى فقيد به الملم كبير
واليكم تحية لا تحاكى ... عرفها فى الرياض تلك الزهور

بيني وبين شيخه الالغي

أختار الآن هذه الرسائل . مما بين المترجم ومن معه من المراكشيين

ومع جناب شيخه . فهاكها كما هى :

الاولى

الى من أيده الكريم وحفظه المولى العظيم واقامه لاتباع طريقة الشريعة ولرعاية الناس لمحافظة الوديعة . القطب الاشهر والكبريت الاحمر . شيخ المعالى . ومن بمعرفته تدرك اللئالى . من اظهر الله فى وقته ظهور النجم النير . واستضاء به كل متحير . سيدنا ومولانا الشيخ سيدى الحاج على السوسى . أبد الله عنايتكم . وحفظ بمنه كل من لاذ بكم . وتعلق باذيالكم وسلام تام . بر فخيم عام . يعم سيادتكم الغسقاء ويلوح نوره عليها صباحا وامساء . ما دام نجم سيادتكم طالعا . وبدر جودكم لامعا . (أما بعد) فلا زائد على السؤال عنكم والفحص عن جملة أحوالكم . أدامكم الله بكل خير . وحفظكم من كل ضير . هذا وقد وصل الاخ فى الله . والمحب لأجله . الفقير السيد محمد بن ابرعيم (١) مخبرا بجلالة سيادتكم . ومنبئا لنا عن أحوالكم . ومعه كتاب سعيد مسلما فيه علينا . وداعيا لنا . بما نرجو من الله قبوله . وبينت لنا فيه سيدى ما نكون عليه مع ساداتنا الفقراء . كما دعوت لنا ولهم بخير . بعد سلامهم عليكم واهداء تحياتهم لكم من الاجتماع والذكر والمذاكرة . فاعلم سيدى حفظك الله أننا لازلنا على العهد والموثق الذى عاهدناكم عليه مع رفقائنا . ولا محيد لنا عنه بحول الله . نسأله سبحانه الثبات والتوفيق . ومع بعض الفقراء من الذين أخذوا عن سيادتكم كسيدى الحاج حماد وأخيه الحاج العربى مع بعض فقرا (القصور) ليس الأ فى القيام بالقدوم لزاوية (أزبزط) ليلة الاحد من العشاءين واما الباقون فانهم التزموا بأورادهم فى محلهم من غير قدوم للزاوية . بخلاف الفقيه السيد محمد الملاخ والفقيه السيد رحال فانهما اعتذرا وتخلفا . فالله لنا ولهم . اولامر لله من كان لله دام واتصل ومن كان لغير الله انقطع وانفصل . كما يسلم على مجادتكم جملة الاخوان أصلحهم الله وسيدنا الوالد باتم السلام وأطيبه وابن عمنا سيدى محمد بن عبد السلام باتمه . وقد تكلمت معه فى شأن الاسطرلاب مع الربع فوجدته بحث عليه جدا فلم يلفه اذ تعاطى ذلك قليل بحضرتنا . وها نحن جاعلين النظر على شئ من ذلك ناخذه لكم بحول الله . وكما نحبكم سيدى تدعون لنا بخير ولوالدنا لكونه مريضا فى هذه المدة الله يحفظنا فيه آمين . هذا وقد وجدنى الخادم المذكور فيما تجلّى به المولى سبحانه على عباده اذ ظهرت فتنة عظيمة

١) هو من المتجردين المذكورين فى (منية المتطلعين)

وهو أن بعض الرعاة من (مراكش) قام واتبعه رعاة الناس وأراد أن ياكل دارنا مع عمنا فعمنا الله بلطفه والحمد لله وجعل السكة النحاسية سببا حتى تعكست عنده وقبض على الرئيس المذكور وارتاح العالم منه بحمد الله نطلب الله بجاهكم عنده أن يحفظ الجميع بجاه النبى الشفيع وسلم على سادادنا الفقراء جميعا أطال الله لنا عمركم وجعلنا فى كنفكم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وعلى محبتكم وخالص خدمتكم والسلام .

العبيد ادريس الورزازى لطف الله به عامين

(اقول) اظن اننى ذكرت تفاصيل هذه الفتنة فى كتاب (حول مائدة الغداء) عن مثو .

الثانيـــة

الحمد لله وحده فى ٢٥ من رجب الفاريض عام ١٣٧٧ هـ

الى شيخنا ووسيلتنا الى الله القطب الربـانى والفرد الصمدانى سيدى الحاج على الالغى السلام على سيادتك الحسنى ورحمة الله تعـلى وبركاته . أما بعد سيدى فقد حررنا لسيادتك قبل هذا كتابـا نسأل الله أن يكون وافتى سيادتكم وانتم بخير وعلى خير وانت راض عنا بمنه آمين . وليعلم سيدنا أن امر البقعة المباركة الذى أخذناها بقصد الزاوية السعيدة قد دفعنا لصاحبها من الثمن مائة ريال واحدة وزيادة أربعة وستون ريال هكذا ـ 164 وذلك قدر ما تحصل من الثمن من الفقراء حسبما هو مسطر بورقة بطى هذا وكما بينه سيدى حامل هذا سيدىابرهيم(١) الركيبى وقد حضرنا بحمد الله نحن والاخوان الفقيه الاجل سيدى الحاج ادريس الورزازى والفقيه سيدى محمد الوالى والاجل سيدى ابرهيم المذكور وسيدى موسى حتى وقعت المكاتبة مع صاحب البقعة المباركة ودفع الثمن المذكور حتى بقى له من الثمن مائة ريال وستة وثلاثين ريـال 136 حتى تتيسر بحـول الله وجعلنا معه الاجل شهرين محدودة لنؤدى له ذلك ويحوز لنا المحـل ان شاء الله كما يوافيك نسخة من تقييد البيع المذكور أسأل الله أن يتمم الامر ببركاتك ويمتعنـا جميعـا بوجودك وحضورك معنا فيه بحـول الله وكما نطلب منك صالح الدعـاء وان تستحضرنا معكـم فى الموسم المبارك السعيد فيأله من موسم مبارك أسأل الله سبحانه أن يمنحنا من بركاته .

---

١) هو الشيخ سيـدى ابرهيم ابـن البصير الركائبـى المترجم فـى (الجزء الثانى عشر) .

ويمدنا بعطفه منك ونفحة من نفحاته بمنه عامين وسلم منا على سادتنا الانجال حفظهم الله ورضى عنهم وعلى جميع الاخوان سادتنا الفقراء خصوصا وعموما وكما يسلم عليك أنجالنا وأهلونا واخواننا وجميع الفقراء وعلى محبتكم طالبين منكم صالح الدعاء والسلام أسير ذنبه ج. العربى برادة لطف الله به و عبد ربه حماد برادة (١) لطف الله به عامين

تذييل

الحمد لله وحده

وبعد تقبيل يد سيدنا وسؤال صالح دعواته والتماس بركاته وعطفته فلازائد على ما سطره المحب فى الله الاخ الصالح سيدى الحاج العربى برادة من قضية البقعة السعيدة حسبما يوافيك بتقييده سيدى المقدم المحب سيدى ابرهيم الركيبى وانه التزم لرب البقعة بتمام الباقى عند انتهاء الاجل . بعد خروجه بحول الله وكما نسأله سبحانه أن يسهل فى بنائها كما سهل فى خلاصها وعلى الله الكمال وعلى الخدمة والمحبة الى لقاء الله والسلام . فى تاريخه ادريس الورزازى وعبيد ربه وأسير ذنبه المنسوب عليكم محمد الوفى بن الوالى لطف الله به .

الثالثة

(هذا جواب هذه الرسالة (مع أخرى) بقلم ابن مسعود أولا . ثم بقلم الشيخ أخيرا) :

(أخونا فى الله تعلى . ومحبنا فى ذات الله . الفقيه النبيه . الاعز النزيه . أبو العلاء سيدى الحاج ادريس ابن سيدى المختار الوارزازى . كان الله له . وسلام عليك ورحمته تعلى وبركاته . وعلى كل من انتمى اليه أهلا وقرابة واخية . وجميع من ينضاف الى ساحتكم . ولا زائد بحمد الله الا الخير . وقد بلغ مكتوبكم الاعز . وتصفحناه وفرحنا به . وتنسمنا منه نفحة تذكر معاهد الوداد التى ترتاح لذكرها القلوب . وتنتعش بها الافئدة وتزداد . وغير عجيب أن تحن الى فروعها الاصول . وهو نظير حب الله لعبده

---

١) هذان السيدان من التجار الفاسيين الذين لهما قدم راسخة فى الطريقة الالغية . وقد ظهرت عليهما وعلى بعض أولادهما بركة ذلك . وهما من أودائنا رحمهما الله .

الذى لايرده معقول ولا منقول . وهذا من جملة اسباب حياة القلوب فى الغيبة بل ربما كانت اوحى فى المعنى على الحضور . وتكيف الباطن منها بما لايدرى له مقدمة من الفرح بالله والحبور . فالحمد لله على انبساط فضله . واتساع انعامه وطوله . وذكرتم سددكم الله وأيدكم اشتكاء الولد الابر الميمون سيدى محمد فتح الله (١) وانكم جزعتم لشأنه جزع الشفيق الاواه . فنسأل الله تعلى أن يمتعكم بالبركة فى عمره . وينفعكم فى الدارين بصالح عمله وبره . ويجعل مسرتكم بعافية شاملة تقر بها أعينكم فيه وفى غيره ممن ينضاف اليكم . ويعز أمره عليكم . بجاه النبى وآله . والبخارى ورجاله . وذكرتم ايضا انتهاء أمر الطاغية الكافر الى المدى . وبلوغ السيل فى ذلك الى الزبى . فنسأل الله الكريم . بجاه نبيه العظيم. أن ينفس عن الاسلام والمسلمين . ويرد فى نحره كيد اللعين . وينصر الحق واهله . ويهدى متولى الامور ويغشى هديه وعدله . واضرعوا الى الله واجاروا اليه جؤار المنكسر الاواه فى العفو والعافية (قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم) والفقير مع ذلك يستسلم لامر الحق فى كل حال . فيشهد اللطف فى عين العنف . والبر فى القهر (قلنا ياناز كونى بردا وسلاما على ابرهيم) وذلك لتفويضه . واسلام وجهه الى الله . وهو الاستمساك بالعروة الوثقى وهو التوكل الذى هو ملة أبيكم ابرهيم . فجدوا فى الانقطاع الى الله . واشغلوا النفوس بذكره على طريقة أهل الحقيقة. تسعدوا وترقوا فى المراقى الانيقة . والله تعلى بمنه وفضله يحفظكم وسائر المسلمين . من شر أعمال الطاغين المفسدين . فان هذا ومثله من عقوبة المعاصى التى تشمل الجانى والبرىء . حكمة من الله وعدلا . لاراد لما حكم وقضى . فالزموا التمسك بجنة التسليم والرضا . وسألتم ان لا نغفل عن صالح الدعوات فى حقكم. فذلك بحمد الله مضمون لكم بما اقتضته رابطة المحبة الايمانية . المشار اليها أولا وهى فى الحقيقة محبة كل لجزء .

(احب لى منى شىء عجيب)

كان الله لكم بكل لطف وافضال . ووقاكم من شرور الوقت وما فيه من أسباب الطرد والمقت . بمنه وكرمه آمين . والسلام فى اواسط شعبان الابرك سنة ١٣٢٧ هـ عن اذن شيخنا الامام . القطب العارف الهمام . مولانا الشيخ سيدى الحاج على بن أحمد الجعفرى ثم السوسى الالغى رضى الله عنه وعنا به آمين)

---

١) أحد أولاد المترجم استأثر الله به بعد ذلك .

(وقد (١) كتبت بيدى بعد اذنى للفقيه سيدى محمد بن مسعود بكتب ما فوق . شوقا منك لان تنتظر خطى . لان النائب يشتاق الى المنوب عنه فها الثمن الذى بقى من ثمن شراء الزاوية . وهو مائة وستة وثلاثون ريالا حسنيا . أعطيته ومكنته سيدى موسى وسيدى الحاج محمد أبو الطيبى وسيد الحسين وسيد الحسن (٢) لتخلصوه لصاحبه . فقد عرفنا أنكم تحبون اكمال ذلك . ورجوتم خير ما هنالك . وقد علمت انكم السابقون فى ذلك باموالكم وأنفسكم . كما أخبرنى الفقراء بذلك . فزيدوا فى تلك الخيرات التى تجرى على ابن آدم بعد موته بادخال الماء للزاوية . واكمال حوانيت ازاها فى بر الخارج لمنفعتها ان شاء الله تعلى . ومثلكم لا يعلم فى مثل ذلك . فبمجرد خلاصها تشتغلون ببناء بيت الذكر فيها . من غير تراخ . ولا كلفة فى بنائه . فها سيدى الحاج محمد أبو الطيبى عرف البناء باللوح يبنيه مع الفقراء من غير احتياج الى معلم آخر والحاصل فيكم الكفاية فى كل شىء والسلام .

خديم أهل الله على بن أحمد الالغى السوسى أمنه الله آمين)

(وفى الحديث من بنى لله بيتا ولو كمفحوص القطاة بنى الله له بيتا فى الجنة)

الرابعة

(وهى تعزية فى الشيخ لما توفى ١٣٢٨ هـ)

الحمد لله المنفرد بالبقاء والدوام . الدائم بالعز والكمال على ممر الليالى والايام . القائل كل شىء هالك الا وجهه . ويا ما أحسنه نظام . لتظهر فيه سطوة الملك العلام. والصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام. ومسك الختام . وعلى آله وأصحابه البررة الكرام . القائل ان أعظم ما ابتليت به هذه الامة فراق الاحبة. وبه قهر الانام سبحانه سبحانه ما اعدله فى حكمه وما أجمله احكاما . (أما بعد) فيا اخواننا الفقراء المتجردين لطاعة مولاهم حتى صاروا أمراء . فبعد الهموم والاستغراق . تقبل أيادى الجميع على الشمول والاطلاق . وأخص ساداتنا وموالينا أنجال سيدنا وذخيرتنا ووسيلتنا الى ربنا الشيخ سيدى الحاج على الالغى . الذى بمحبته

---

١) ومن هنا تبتدىء كتابة الشيخ بيده . ومعها طابعه الذى فيه : لا اله الا الله محمد رسول الله .

٢) موسى التاكموتى ومن معه كلهم من المتجردين المذكورين فى كتاب (منية المتطلعين)

ينال كل محب من رضا مولاه ما يبغى . واهل داره ونوابه حاضرا لغائب . والخليفة المكرم سيدى سعيد التنانى الذى كان له اجل مصاحب . فلنهى لمجادتكم الحسنى . ولمقامكم الاسنى . أنه بلغنا بعد التواتر . نعى سيدنا الشيخ وانه اجاب داعى مولاه . وسرع للقيه رغبة فيما أولاه . وادركنا من التحسر والاسف ما لايعلمه الا الله . ولا زالت الحيرة تخيل افكارنا . وتود النفس أن لاتذيقنا مرارة مصيبتنا . فنعللها بالترجى . وتتطاول اعناقنا لناحيتكم لنحظى بكتاب فنرجى . حتى جانا كتاب سيدنا سعيد . محققا مصيبة الوعيد . فلم يبق الا الرجوع لمولانا الكريم . بالتفويض والتسليم . لاغتنام ما فى ذلك من الثواب الجسيم . بتذكرنا قوله تعلى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وان الموت باب عام يدخله كل فاضل ومفضول فرجعنا اقوله تلى (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون) وعليه فاننا على سبيل التفصيل والاجمال . نؤدى واجب التعزية والما فى سائر الاحوال . نعنى فقراء بلدتنا الغراء وان كانوا كلهم ضعفاء وقراء لجادة جمعكم المبارك . ولعلاكم المتدارك . ونثنى بلسان التضرع والابتهال . الى الرب المتعال . بصالح الدعاء لسيدنا الشيخ فى تغمده فى رحمة مولاه . وتعظيم مزيته وقربه من الله . أداء لما يجب علينا ولو كان بفضل الله غنيا عن دعائنا . فنقول اللهم زده عناية ورحمة . وانزله لديك منزلة عظيمة يكون بها خليفة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان هنا يكون ثمة . انا ولى ذلك . وهو المتفضل بما هنالك . ونسال من ساداتنا اجمعين صالح الدعا بحسن الثبات والايمان . حتى نلقى مولانا راضيا عنا غير غضبان بجاه سيدى ولد عدنان . ثم الاعلام منكم بوارث سرنا . وبالمتصرف فى امرنا . وفيمن ظهرت فيه اشارة سيدنا اذ كلهم تبارك الله رابحون . ومن التجا اليكم فهم الناجون . وعلى محبة وطاعة رسوله والسلام . فى ٢٠ محرم عام ١٣٢٩ هـ ادريس الورزازى وسيدنا العربى والحاج حماد واخواننا الفقراء غفر الله لنا ولكم امين

سيـــدي

بلعيد بن الحسين التزكيني الكدميوي

١٢٧٠هـ = ١٣٥٦ هـ

مولده

أخذ القرعان فى مساجد من قبيلته (كدميوة) منها مسجد (تولكين) من جبل (أماس) ثم النحق بمدرسة (شتوكة) بـ (دكالة) المشهورة حول ضريح سيدى ابى يعزى المنصورى . وقد ذكر لى المترجم ان ابا يعزى نفسه هوالذى كان أسس هذه المدرسة. فكان صاحبنا ممن يأخذون عنه منذ ١٢٩٤هـ حتى توفى ١٣٠٣ هـ قال : انه هو تخرج بالفقيه سيدى أحمد المسفيوى فى مدرسة (أكادير نيت حسين) فى (مزوضة) وهذا أحد المتخرجين بسيدى محمد الاكنيضيفى ثم المزوضى تلميذ سيدى أبى العباس التيمكيدشتى . وقد ذكر عن أبى يعزى أنه فقيه متطلع الى التصوف . فاستشار استاذ (أزمور) ابن دحو . فحال بينه وبين ذلك . فقال له : انك متى تذوقت تلك الكاس ؛ ستنسى بها حلاوة التعليم الذى فيه من مثلك نفع كثير للعباد . فوقف عنداشارته . يبث العلم طول حياته . وكان يطعم الطلبة الغرباء من كدّ يده حتى لقى الله .

بقى المترجم هناك ما بقى . ولكن معارفه لم تكن على قدر مكثه هناك. ومنتهى ما عنده أطراف من العربية والفقه . الا أنه ممن حببت اليه المطالعة وتفهم كل ما يسمعه . ثم توجه الله بتاج المعرفة بالله .

أحواله الصوفية

غلبت عليه أحوال الصوفية من الانابة والخشوع . ومحبة الانزواء . واول ما سرى اليه ذلك يوم لاقى الشيخ الالغى . قال : كنت اعرفه من

قديم بـ (دكالة) سنة ١٣٩٩ هـ وقد مر بنا مع طائفة قليلة من الفقراء ، حين توجهوا الى (جبالة) فباتوا عندنا فى مدرسة (سيدى ابى يعزى) الدكالى المذكور . واذ ذاك وضعت البذرة الاولى من محبته فى قلبى بما رايته منه من لوائح الخير . وشواهد الولاية . ثم فى سنة ١٣١١ هـ كان مع الفقيه سيدى محمد الزيكى بزاوية سيدى عبد الله بن محمد الهزميرى الايديرانى فكان منهما تشوف كبير الى لقاء شيخ للتربية . فاذا بهما يلاقيان الشيخ ومعه جمع حافل من الفقراء . فقال : فاول ما لاقيته قلت له : يا سيدى بالله عليك الا مادعوت الله لى لبروض جماحى . ويروى غلتى ؛ قال : فامرنى الشيخ وحضنى على المواظبة على اسم الله العظيم الاعظم (الله) فحين اخبرنى المترجم بذلك قلت له : وهل تداوى القلب بعد ذلك ؟ فقال : الحمد لله والشكر لله . وقد كان يكرر ذلك فى كل فرصة . فيقول : جزى الله عنا شيخنا الذى أزال عنا العطش . وهدانا الى الصراط .

كان من أكبر الناس اعتناء بالنوافل. وفعل الخيرات . قنوعا من الدنيا بما تيسر . الا انه فى ميدان الآخرة ذو شره زائد . لايقنع فى باب الله بقليل . وقد اخبرنى انه كان له قبل لقى الشيخ اوراد كثيرة . وانواع من العبادات ثم لما لاقاه وحصل على المقصود . اطمأن بالله . وسكنت حاله قال : انني كنت اختم ختمة من القرءان فى كل يوم . حتى رأى فى بعض الاحاديث أن ختمه فى الاسبوع هو الاولى . فداوم على ذلك سبع سنوات الى أن اخبرنى . فان أنس لا أنس ساعات كنت أجالسه فيها بزاوية (تيزكين) فى (أيت واكنا) كلما وردت هناك . فكان وهو شيخ هم يلفتى الى منفردين بكل أحواله التى يخفيها عن الناس . فكنت كلما أجلت فيه بصرى . ووقر كلامه فى اذنى . وشاهدت الاخلاص حول كل أعماله كاطار أتذكر ما كنت أعرفه من أحوال الصوفية القدماء من رجال (الحلية) والمترجمين فى (الرسالة القشيرية)

كان يرد على الشيخ فى (الخ) فى صحبة فقراء الحوز مرات . كما ورد ايضا الى الموسم الاخير بعد وفاة الشيخ . ولم ينقطع عن ذلك . حتى عجز عن الركوب . وكان أحيانا يشارط فى مساجد . ويعلم القرءان ؛ غير أن الغالب عليه الاشتغال بخويصة نفسه ؛ الا اذا كان فى مجمع ؛ فانه يعظ ويرشد وكل من رءاه أو سمع كلامه يشهد بانه من الاخيار الافاضل . لانه يحس من جالسه بتدفق شىء يسرى الى قلبه . يحسه الجاهلون وهما متخيلا وما هو الا حقيقة ملموسة عند النقاد البصراء . يشهد لذلك اشراق

يعلو صفحة وجهه . فكانه مرءاة صافية . وقد بلغتنى وفاته فى هـذه السنة التى نفيت فيها الى الخ . (١٣٥٦ هـ)

بعض منشداتـه لى

كنت جالسته يوما فى تلك الزاوية فاخذت عنه بعض ما تقدم . ثم فى اثناء الكلام انشدنى فى معرض التسليم :

اريد عطاه ويريـد منعى واترك ما اريد لما يريـد

وانشدنى ايضا . وقد احس بانه ملأ عينى :

يظن الناس بى خيرا وانى اشر الناس ان لم تعف عنى

فلنجعل ترجمة هذا الرجل الصالح عاخر ما يوكا عليه هذا الجزء . فيصح فيه أن ختامه مسك .

انتهى الجزء الخامس عشر من (المعسول)

ويليـــه ان شاء الله الجزء السادس عشر

الفهارس سبعة

١) فهرس الرجال الذين تأسست عليهم التراجم
٢) الفهرس العام لكل ما في الجزء معنونا وغير معنون
٣) فهرس القـوافي
٤) فهرس المنشورات
٥) فهرس الاسر
٦) فهرس الخطا والصواب
٧) فهرس الكلمات الشلحية التي فيها حرف مشدد

﴿ الفهرس الاول في الذين تأسست عليهم التراجم ﴾

٥ سيدى سعيد التنانى الازيارى
٦٣ سيدى أحمد بن محمد التامارووتى
٦٨ سيدى أحمد بن مبارك التامارووتى
٧١ سيدى الحسن التنانى التامارووتى
٧٢ سيدى عبد الملك التيغانيمينى
١٢٠ سيدى عبد الله الشناح التيغانيمينى
١٢٢ سيدى الحسين التامكونسى التنانى الزيكى
١٢٨ سيدى الحسن الزيكى
١٧٣ سيدى عبد الله القاضى الزيكى
١٧٦ سيدى محمد بن عبد الله الزيكى
١٨٧ سيدى أحمد الايمشيرى الزيكى
١٩١ سيدى الحسين بن العربى الزيكى
١٩٣ سيدى محمد الزيكى القاهرى
١٩٤ سيدى حمو الخطابى
١٩٦ الحاج الحسن الكيلولى الحاحى
٢٣٨ سيدى الحسين الكزميرى الحاحى
٢٤١ سيدى محمد بن عمر التيملى ثم الزمزمى الحاحى
٢٤٤ القائد محمد كحرما الزمزمى الحاحى
٢٤٥ سيدى محمد بن على الصوفى الاديب السويرى
٢٥٣ سيدى مسعود الشياظمى القاضى
٢٦٤ سيدى الهاشم الشياظمى
٢٦٥ سيدى عبد القادر السباعى العلامة
٢٩١ سيدى أحمد الدمناتى ثم البيضاوى
٣٠١ سيدى محمد بن على التادلى نزيل الجديدة
٣١٤ سيدى محمد بن عبد القادر الكدالى الرحمانى
٣١٧ سيدى عياد الكدالى الرحمانى
٣١٨ سيدى عباس التادلى المراكشى القاضى
٣٢٣ سيدى الحاج ادريس الورزازى المراكشى
٣٣٥ سيدى بلعيد التيزكينى

﴿ الفهرس الثاني في كل ما ذكر في الجزء معنونا وغير معنون ﴾

٤ لائحة المذكورين فى الجزء اصالة من أصحاب التراجم الاصلية
٥ سيدى سعيد التنائى
٥ منة هذا السيد على جامع الكتاب وذكر أياديه عليه وشكره
١٠ والده سيدى محمد بن أحمد ـ ترجمته
١٤ مفتتح حياة سيدى سعيد ـ فى المكتب ـ
١٥ فى مدرسة ايسقال
١٥ سيدى ابرهيم بن الحسن الفقيه الايسقالى
١٥ سيدى الحاج الحسن الفقيه الايسقالى الكزوبى
١٦ ملاقاة سيدى سعيد مع الشيخ الالغى . وأسباب ذلك . وما وقع له مع أستاذه الكزوبى
١٧ زيارته لسيدى مَحمد الامغارى الحاحى . وسبب ذلك
١٩ صاحب الترجمة يفقد أسراره التى كان يعدها النهاية قبل لقى الشيخ الالغى
٢٠ يشارط فى مسجد تيديلى
٢١ يلتحق بشيخه فيتجرد ـ فى هيأة الفقراء ـ
٢٢ يأخذ التفسير عن الشيخ . وما وقع له معه فى تفسير عاية
٢٤ يشاهد الروح النبوية سبعين مرة فى ليلة واحدة
٢٥ فى المجاهدات العظيمة ـ وذكر بعض أحوال الفقراء ـ
٢٨ اتساع أخلاقه ـ وذكر بعض أخلاق المؤلف ازاء أخلاق المترجم ـ
٣٠ سعة صدره ازاء الرؤساء
٣١ يخرق العادة فى بلده ـ والتكلم حول معنى خرق العادة فى اصطلاح الفقراء ـ
٣٣ فى النساخة لشيخه
٣٤ ولوعه بالمداول ـ وخطه الجميل ـ
٣٥ الشيخ يريحه بعد عشرين سنة من التجريد ـ وبعض اوصاف الشيخ الشديدة ـ
٣٦ فى تعليم سيدى محمد ولد شيخه

٣٨ يستخلفه الشيخ فى مراكش ـ ويعتكف فى مسجد باب دكالة ـ
٣٩ اعجابه بالضيخ شعيب الدكالى
٣٩ يسقط عن البغلة فى اللحظة التى قبضت فيها روح شيخه
٤٠ يطرقه نعى شيخه
٤١ يلازم زاوية شيخه كرئيس
٤١ اكفهرار الجو بينه وبين بعض اقرانه
٤١ الاشارة الى رسالة من ابن مسعود الى الاخ سيدى محمد
٤٣ فى جيش الهيبة الى مراكش ١٣٣٠ هـ ـ وما وقع له فيه .
٤٦ يتزوج ببنت شيخه السيدة عائشة ربيعة زمنها
٤٦ ينتقل الى أزيار مواطن ءاباءه ـ وتوديعه لاخ ـ وتلقى التنانيين له بالتبجيل
٤٩ ماذا يعمل فى داره بأزيار ـ وأخبار مختلفة عنه هناك ـ
٥٢ يلتحق بالرفيق الاعلى
٥٤ ولده محمد الذى اعتبط بعد ما نجب
٥٥ أدبيات حول سعيد من قواف شتى
٦٣ سيدى أحمد بن محمد التنانى التامارووتى
٦٣ الاول من علماء الاسرة محمد بن على القاضى
٦٣ الثانى محمد بن يلقاسم
٦٣ الثالث سيدى أحمد بن محمد
٦٤ ماخذه للقرءان والعلوم ـ أحواله
٦٥ ملاقاته بالشيخ الالغى
٦٦ سعيد ومحمد أخواه النجيبان
٦٨ سيدى أحمد بن مبارك التامارووتى ـ متعلمه
٦٩ مشارطاته ـ بعض أحواله ـ
٧٠ وفـاته
٧١ سيدى الحسن التنانى التامارووتى
٧٢ سيدى عبد الملك التيغانيمينى التنانى
٧٢ أسرة عال تيغانيمين
٧٢ الاول من رجال الاسرة الشيخ سيدى ابرهيم بن على
٧٤ قولة الحضيكى فيه
٧٥ تراجمه فى كتب أخرى

٧٦ الثانى سيدى مُحمد بن ابرهيم بن على
٧٧ الثالث مُحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابرهيم بن على
٧٧ الرابع اليزيد بن عبد الله من عال اكنى
٧٧ الخامس محمد بن عبد الله من عال اكنى
٧٧ السادس محمد بن محمد بن الحبيب
٧٧ السابع الحاج أحمد بن محمد بن محمد بن الحبيب
٧٨ الثامن ابرهيم بن محمد أخو المذكور قبله
٧٨ التاسع الحسن بن محمد أخوهما
٧٨ العاشر عمر أخوهم
٧٨ الحادى عشر أحمد بن عبد الرحمن
٧٨ الثانى عشر عبد الله بن عمر الشيخ الكبير
٨٠ الثالث عشر عبد الله بن عمر الصغير
٨١ الرابع عشر على بن عبد الله بن عمر
٨١ الخامس عشر محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر
٨١ السادس عشر الحاج عبد الله بن على
٨٢ السابع عشر الحاج عبد الله بن أحمد
٨٢ الثامن عشر الحبيب بن أحمد
٨٢ التاسع عشر محمد بن عبد الرحمن بن محمد
٨٢ العشرون الحاج عبد السميح بن عبد الرحمن
٨٣ الحادى والعشرون محمد بن الطاهر الامين
٨٣ الثانى والعشرون سيدى عبد الرحمن بن الحاج (بوعادرونى)
٨٤ الثالث والعشرون عبد الرحمن بن محمد
٨٤ الرابع والعشرون ابرهيم بن عبد الله بن محمد
٨٤ الخامس والعشرون القاضى سيدى محمد من (سيدى ابى السحاب)
٨٤ السادس والعشرون سيدى محمد بن أحمد بن مُحمد الواوكنارنى
٨٥ السابع والعشرون سيدى عبد الكريم من عال اكرام
٨٨ الثامن والعشرون سيدى محمد بن عبد الله من عال اكرام
٨٨ التاسع والعشرون سيدى محمد بن عبد الكريم من عال القاضى
٨٨ الثلاثون الحاج محمد بن عبد السميح من عال القاضى
٨٨ الحادى والثلاثون سيدى محمد بن ابرهوم السويرى من عال القاضى
٨٩ الثانى والثلاثون سيدى الطيب بن محمد من عال القسطريني

٨٩ الثالث والثلاثون أحمد بن عبد الرحمن من عال 'وولدي
٨٩ الرابع والثلاثون محمد بن عمر بن أحمد من عال 'وولدي
٨٩ الخامس والثلاثون الحاج محمد بن عبد العزيز
٩٠ السادس والثلاثون الحسين الشاعر المشهور
٩٠ شيخه أحمد الكاشطي التنانى العلامة
٩٣ أخبار عن الحسن الشاعر
٩٥ قوافيه الطنانة بحسب بيئته
١١٨ السابع والثلاثون محمد بن أحمد بن عبد العزيز
١١٩ الثامن والثلاثون عبد الملك بن ابرهيم بن أحمد
١٢٠ سيدى عبد الله الشناح . وظهير حواليه
١٢١ اتصاله بالشيخ الالغى ـ كيف مات ـ
١٢٢ سيدى الحسين التامكونسى التنانى ثم الزيكى ـ قول ولده فيه ـ متعلمه
١٢٣ النفحة الصوفية الاولى
١٢٤ سيدى محمد بن على الافتتارى الماسى الصوفى
١٢٥ وقوع المترجم على الشيخ الذى يتطلبه . وسفره اليه ـ وعو سيدى سعيد المعدرى
١٣١ وفاة سيدى ابرهيم بن الحسن أستاذ المدرسة الايسقالية
١٣١ المترجم فى مراكش
١٣٢ عند الفقيه سيدى المحجوب المسفيوى
١٣٣ ابن الفقيه مسمار التيغانيميتى يصلى بلا وضوء
١٣٤ وفاة سيدى سعيد المعدرى وما وقع للمترجم معه
١٣٥ اقتداء المترجم بالشيخ الالغى بعد أستاذه المعدرى
١٣٥ يسيح مع الشيخ الى الحوز
١٣٦ وفاة سيدى أحمد بن محمد المزوضى
١٣٦ وقائع للشيخ الالغى مع أناس فى (مزوضة)
١٣٧ بين الشيخ الالغى والشيخ التامويزغتى
١٣٧ انتقال المترجم من أداوتنان الى بوكودوين ـ وخرقه للعادة هناك ـ
١٣٨ سيدى محمد بن حمو التنانى وملاقاته مع الشيخ
١٣٩ سيدى مبارك من عال مبارك الزيكيين . وأحواله العجيبة
١٤٠ السيدة فاطمة أم هدوز وأحوالها العجيبة

١٤٠ الشيخ وسيدى ابرهيم بن عل ومع عاخرين
١٤١ جلسة بين المترجم وبين الشيخ قرب وفاة الشيخ
١٤٢ اتساع رزق المترجم فى منزله الجديد بعد ضيقه
١٤٢ أحوال منه غريبة
١٤٣ مرجع الشيخ من الحج وما قاله عن المغاربة الحاجين
١٤٣ سياحة للمترجم فى جبل درن
١٤٤ وقائع للمترجم فيها كرامة
١٤٥ حوادث له مع ولده ومع شيخه الالغى
١٤٨ أخرى مع سيدى سعيد التنانى ومع سيدى ابرهيم بن عل التنانى
١٤٩ ظهور قوة غريبة منه مع ضعفه
١٥٠ اعتناؤه بالطالعة ونظرته الخاصة الى بعض الكتب . وما وقع لسيدى سعيد مع الكزويى ومع شيخه الالغى
١٥٢ تحسر سيدى الحاج الحسن الكزويى على عدم ملاقاته للشيخ الحى .
١٥٢ بين القائد عبد الملك المتوفى والشيخ الالغى . وبين القائد الدليمى وغيره .
١٥٣ نزول الملك مولاى الحسن الاول فى تيقى من أدارتنان لم يتجاوز ثلاثة ايام
١٥٤ كلام بين الطرقيين
١٥٥ حوادث من سعيد التنانى ومن سيدى محمد بن حمّو
١٥٧ من الجن أصحاب للشيخ الالغى
١٥٨ الصلاة التى يعنى بها المترجم . وما بينه وبين اولاده .
١٥٩ ذيل من جامع هذا الكتاب
١٦٠ اخبار أخرى عن المترجم وبعض عاداته
١٦١ بينه وبين سيدى سعيد التنانى
١٦١ بينى وبينه
١٦٣ من رسائل شيخه الالغى اليه
١٦٦ اولاده
١٦٧ لول ولده عبد الحميد القضاء
١٦٨ سيدى الحسن الزيكى الفقيه
١٦٨ الفقيه سيدى مبارك من اهله (عال احمد بن بيهى)
١٦٩ متعلم سيدى الحسن الزيكى- اعماله فى قريته - فى لطاق التصوف
١٧٠ فى مسجد الأدير ايداوسوار - صناعته اليدوية -

١٧١ مركزه فى الطريقة الالغية وفى العلوم
١٧١ ولده الفقيه سيدى محمد
١٧٢ قائمة علماء الاسرة
١٧٣ سيدى عبد الله الزيكى القاضى ـ متعلمه ـ يتولى القضاء ـ
١٧٤ فى الطريقة الالغية ـ بعض ما يتعلق بـه ـ
١٧٦ سيدى محمد بن عبد الله الزيكى العارف بالله ـ متعلمه للقرعان وللمعارف ـ
١٧٨ فى بونعمان تحت رعايد ابن مسعود
١٧٩ فى مزاولة النوازل
١٨٠ فى المشارطات ـ فى الديابات من (السويرة)
١٨١ سيدى مكدول الركراكى السويرى
١٨١ مختلف نواح من ترجمته . ومقامه فى التصوف . وما وقع له مع الشيخ الالغى وسيدى سعيد التنانى
١٨٤ بينى وبينه مما تفعنى الله به
١٨٧ سيدى أحمد الايمشيرنى الزيكى
١٨٨ متعلمه ـ اتصاله بالشيخ الالغى ـ
١٨٩ من أحواله ـ من أولاده ـ
١٩١ سيدى الحسين بن العربى الزيكى ـ متعلمه وأحواله ـ اتصالـه بالشيخ الالغى ـ متوفاه ـ
١٩٣ سيدى محمد الزيكى القاهرى ـ فى الطريقة الالغية ـ
١٩٤ سيدى حمو الخطابى ـ متعلمه وأحواله ـ اتصاله بالشيخ الالغى ـ
١٩٦ الحاج الحسن الكيلولى الحاحى
١٩٦ القائد المحجوب الكيلولى
١٩٧ رسائل مخزنية
٢٠٣ ذكر القائد المحجوب فى الرحلة الحجازية للشيخ الالغى
٢٠٥ القائد سعيد الكيلولى
٢٠٦ القائد سعيد الكيلولى فى سوس وما كتبه عنه أبو فارس الادوزى
٢١٨ قواف فى مدحه
٢٢٥ رسائل حول القائد سعيد الكيلولى
٢٣٠ اخبار أخرى عنه
٢٣١ اقلاع القائد سعيد من سوس
٢٣٢ القائد مبارك الكيلولى

٢٣٣ القائد عبد الرحمن الكيلولى
٢٣٤ القائد الحاج الحسن بن محمد
٢٣٥ الحاج الحسن الذى سبق الكلام اليه ـ فى الطريقة الالغية ـ أخباره الاخرى ـ
٢٣٨ سيدى الحسين الكزميرى الحاحى
٢٤١ سيدى محمد بن عمر التيملى ثم الحاحى
٢٤٤ القائد محمد كرما الحاحى
٢٤٥ سيدى محمد بن على الاديب السويرى الصوفى ـ متعلمه ـ فى التجارة ـ
٢٤٦ مع الشيخ الالغى ـ أدبه ـ عاثاره ـ
٢٤٧ قصائده فى شيخه الالغى
٢٥٣ سيدى مسعود الشياظمى القاضى ـ أصل أهله ـ
٢٥٤ متعلمه للقرءان والمعارف ـ فى تازانتوت ـ
٢٥٥ فى الطريقة الالغية
٢٥٦ فى مدرسة سيدى يعقوب بـ (ايلالن) فى مدرسة (املن) فى الساعدات ـ
٢٥٧ تقلباته فى حياته قبل القضاء
٢٥٩ يستقر فى أهله فى (الشياظمة) فى مدرستهم ـ فى خطة العدالة
٢٦٠ فى خطة القضاء ـ نباهة شأنه ـ
٢٦١ نتف أخرى عنه أخرى
٢٦٢ مختتم ترجمته
٢٦٤ سيدى الهاشم الشياظمى الفقيه المتجرد
٢٦٥ سيدى عبد القادر السباعى ـ قبيلة السباعيين ـ
٢٦٥ سيدى المختار السباعى ـ وسيدى الجيلالى حفيده
٢٦٦ سيدى محمد الضوء البكارى المغرارى السباعى
٢٦٧ القائد احمد بن الشيكر
٢٦٧ لالحة عاصاه الساعدات
٢٦٨ الاول سيدى محمد بن على ـ قولة الهوارى المزرخ فيه ـ
٢٦٩ ظهيران يتعلقان به
٢٧٠ عبد الله بن بلعيد القائد السباعى ورسالة منه الى الصحراويين بقلم المترجم
٢٧٢ الثانى سيدى العربى ـ واخباره المذوعة ـ

٢٧٥ الآخذون عنه
٢٧٦ ظهائر اليـه
٢٧٧ الثالث القاضى سيدى لضوء بن العربى ـ محاورة حضر فيها ـ
٢٨٤ الرابع سيدى عبد القادر بن العربى
٢٨٥ ملاقاته بالشيخ الالغى
٢٨٦ نتف أخرى من أخباره
٢٨٧ الآخذون عنه ـ عائار من أدبياته
٢٨٩ ظهير الى المترجم
٢٩٠ الخامس محمد فضل بن العربى
١٩١ سيدى أحمد الدمناتى ثم البيضاوى
١٩١ سعيد بن على والده الحاحى الناصرى من القراء الكبار
٢٩٢ متعلم سيدى أحمد الدمناتى ـ فى الطريقة الالغية مع أخبـــاره فى تقلباته ـ
٢٩٩ فى البيضاء أخيرا ـ حاله وأخـلاقه ـ
٣٠١ سيدى محمد بن على التادلى الصوفى الكبير ـ أولياته ـ
٣٠٣ اتصاله بالشيخ الالغى بارتحاله الى الغ
٣٠٥ أحواله وما رأيته منه
٣٠٨ بعض منشوراته وعائاره
٣١٢ - خاتمة الترجمة
٣٩٣ أولاده
٣١٤ سيدى محمد بن عبد القادر الكدالى الرحمانى ـ مأخذه للقرءان ـ ـ فى الساعدات ـ فى تأسيس المدرسة ـ
٣٩٥ فى الاكباب على التدريس ـ بعض الآخذين عنه ـ متوفاه ـ
٣٩٦ الثانى من علماء الاسرة سيدى عثمان
٣٩٦ الثالث سيدى الدليل
٣١٧ سيدى عياد الكدالى الرحمانى ـ أحواله ومعتنقه للطريقة الالغية ـ
٣١٨ سيدى عباس التادلى القاضى
٣١٨ الاول من أسرة أهله : محمد بن الغزوانى
٣١٩ الثانى المعطى بن محمد
٣٢٠ الثالث سيدى عباس القاضى المتقدم
٣٢٢ الحاج ادريس الورزازى المراكشى القاضى
٣٢٣ رجالات من أهله
٣٢٨ سيدى بلعيد التيزكينى

الفهرس الثالث فى القوافى ويكتفي بالشطر الاول ان صرع والا فيوتي ايضا بالكلمة الاخيرة من الشطر الثاني

الهمزة

٩٧	الحسن التنانى	هل يرتضينى الشعر من شعرائه
١١٠	له أيضا	ما لى وما لمدينة الحمراء
٢٢٠	الطاهر الايفرانى	صيت الخليفة طبق الارجاء

الباء

٦١	المؤلف	قدرت بما تشتهى القلوب
٩٦	الحسن التنانى	الى متى لا افى للعرش من ادبى
٩٩	له أيضا	الا هكذا تعرو خطوب النوائب
١٠١	له أيضا	لم أبك جسما فى الثرى قد غيبا
١٠٥	له أيضا	لمن يشكو الاديب سوى الاديب
١١٤	له أيضا	حنانيك لا توسع فؤادى أنا عتبا
٢٢٢	الحبيب السكيرادى	على قدر سعى المرء تاتى المكاسب
٢٤٩	ابن على السويرى	أمولاى يا على ناداك ضارع ـ المذاهب

التاء

١١٢	الحسن التنانى	أكذا حياتك كلها عايات

الحاء

٢٨٨		هب النسيم وطابت الارواح

الدال

٤٨	محمد بابه	زار الفليه وزوره محمود
٥٨	المؤلف	صابت سحالب دمعى المتبدد
٩٨	الحسن التنانى	باسم العروبة والاخا وبلاد

١٠٦	له أيضا	لا تلمنى فانتى معمـــود
٢١٩	الطاهر الايفرانى	تبين نور الحق واتضح الهدى
٢٢٠	له أيضا	عليك سلام طيب رائح غاد
٢٤٧	ابن على السويرى	قصدت حمى ذى الحياء المديد
٢٥١	له أيضا	أقلبى لذ بالواحد الاحد الصمد
٢٦٢	ابن مسعود	مسعود لاتله عن سر العزيز اذا ـ الابد

الراء

٩٢	أحمد الكشطى	ألا هل لنا قسط بوصل أحبة ـ الشحرى
٩٣	المؤلف	تدوم أيا كشطى للمجد والفخر
١٠٧	الحسن التنانى	فاض فكرى فى الشعر بالاعتذار
١٠٨	له أيضا	ماذا يكون لشاعر عاثارا
١١١	له أيضا	أنا فى سماوات العلا ذلك البدر
١١٧	له أيضا	هويت وما تدرين ما كان من أمرى
٢١٩	سيدى الطاهر	لك العلم المنصور يا علم العصر
٢٢١	له أيضا	دهى حادث فاغتال أنفس ما ذخر
٢٢٤	على الالغى	لك البشر والبشرى يفتح به عنت ـ قهر
٢٢٥	محمد بن مسعود	أسيدنا الخليفة المرتضى البحر
٢٤٨	محمد بن على	لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر
٢٥١	له أيضا	أشيخى يا على يا ملجأ الورى
٣٢٧	الحسن التنانى	أجمل الصبر فالعظيم صبور

السين

١٠٤	الحسن التنانى	لا تنزعج واعدا برغم الاسى

الشين

٢٦١	ابن مسعود	مسعود لازلت فى الخيرات مرتضعا ـ عياش

الطاء

٩١	الطاهر الايفرانى	سلام كنشر الروض أو كشذا القسط

العين

٦١	المؤلف	أيا راحلا لبى نداء مطاع

الكاف

١٠٢ الحسن التنائى — كنت ان ساعة مضت لا ارالك

الفاء

٢٢٣ التاموديزتى — سفر القلوب الى الاله كرامة ـ للمقتفى

اللام

١٠٩ الحسن التنائى — دم كما كنت للوفاء مثالا
١١٢ له ايضا — أكلما سددت لى اسهم العدل

القاف

٥٥ المؤلف — أبارق السفح فى جنح الدجا الذلفا
٢٨٨ له ايضا — لمن موكب من هالة العز يشرق

الميم

١١١ الحسن للتنائى — حنانيك أصليت الفؤاد ملاما
١١٦ له ايضا — لا ينمحى بتتابع الايام

النون

١٠١ الحسن التنائى — لم لا أذوب وقد طفت الشجانى
١١٧ له ايضا — أعلمت أنمى كل حبى
٢٥٠ ابن على السويرى — أحبة خير الخلق أمته التقى ـ عيسا

الياء

١٠٣ الحسن التنائى — بأى لسان امتدى اليوم راليا
١١٤ له ايضا — كذا كلما حاولت دهرى الفوافيا

الرجز

٢٠٣ الشيخ الالفى — ثم الى المحجوب من عمال
٢٦٧ ابن صلبا — قال عبيد ربه الغفور
٣٠٦ محمد التادلى — كافلنى برحمة الودود

الفهرس الرابع في المنشورات من الرسائل والظهائر والمقيدات وامثالها

رسائل مخزنية ـ ٨٩ ـ ١٩٧ ـ ١٩٧ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ١٩٩ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٢ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٧ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٢٩ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ـ ٢٣٠ ـ
ظهائر ـ ٨١ ـ ١٢٠ ـ ٢٦٩ ـ ٢٦٩ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٧
محمد اكنسوس ـ ٨٥ ـ
الطاهر الايفرانى ـ ٩١ ـ
أحمد الكشطى ـ ٩٢ ـ
الشيخ الالفى ـ ١٦٣ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ
محمد بن على السويرى ـ ٢٤٦ ـ
محمد بن على السباعى ـ ٢٧٠ ـ
ابن مسعود ـ ١٧٧ ـ ٢٦١ ـ
محمد بن عبد الله الزيكى ـ ١٨٤ ـ
محمد بن على الهوارى ـ ٢٧٧ ـ
محمد بن على التادلى ٣١٠ ـ ٣١٠ ـ

الفهرس الخامس في الاسر المذكورة في الجزء

٧٢ عال تيفانيمين التنانيون
١٦٨ عال أحمد أوبيهى الزيكيون
١٦٣ عال تاماروت التنانيون
١٩٦ عال المحجوب الكيلوليون
٢٦٥ عال الساعدات السباعيون

الفهرس السادس في الخطا والصواب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٥	١٨	الى السجع	الا السجع
٦	٩	ان ارى	ان راى
٦	٢٠	بينما	فبينما
٧	٥	ووكيف	وكيف
٧	٣	(فى الحاشية) مقتوينا	مقتوينا
١٢	١٤	واورا	ودارورا
١٢	٢٢	نتانة	تنانة
١٢	٢٥	نتانة	تنانة
١٢	٢٨	مواضيع	مواضع
١٨	٢٩	بالتوتر	بالتواتر
٢١	٢١	(فى الحاشية) بشم	بضم
٢٥	١٤	امها بلبابها	امه بلبانها
٣٧	٢٦	تليده	تلميذه
٤٠	١٩	دينك	ذينك
٤٠	٢٩	فى اوخر	فى اواخر
٤٣	١٥	للعالى	للمعالى
٤٧	١٥	ومستبل	ومستقبل
٥٠	١٨	ازيتار	ازيار
٥٦	٦	(فى الحاشية) كفرخ	كفرح
٥٧	١٧	مستفتتحا	مستفتحا
٥٧	٢٣	بحار	فى بحار
٥٨	٢١	ارشدننى	ارشدتنى
٥٨	٢٩	تنكسى	تنسكى
٦٠	١٣	سيدى	سيد
٦٠	١٤	المخريت	الخريت
٦٠	١٤	لم ينفذ	لم ينفذ
٦١	٨	عروسا	عروسا
٦١	١	(فى الحاشية) حيزبون	حيزبون
٦١	٢٦	مسجد	فى مسجد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٢	٩	السبطى	السبط
٧٢	٣	= ١٣٧٣ هـ	١٧ - ٣ - ١٣٧٤ هـ
٧٣	١٤	التنانين	التنانيين
٧٥	١١	على أبا العباس	على ابى العباس
٨٠	٥	علناه	علمناه
٨١	٥	بتقييد	بتنفيد
٨٣	١٦	بـه	بها
٨٤	١٨	الموجودين	الموجودون
٩١	١١	كشد الروض	كنشر
٩٧	١٠	أقواب	الجواب
٩٤	٢٠	اختصر	اختص
٩٨	١٧	بدام	بدوام
٩٨	٣٠	هدبة	هدية
٩٩	١٨	اذا لم	اذا ما لم
١٠٠	٤	معناه	منعاه
١٠٧	٢٧	وربه	ورب الفخار
١٠٧	١	جنانيك	حنانيك
١٠٧	٣	نلتقى	تتلقى
١٠٨	٢٩	دقت	ذقت
١١١	٤	عن مسقبله	عن مستقبله
١١٦	٢٤	الحمرا	الحمراء
١٢٣	٢٣	البوقروانى	البومروانى
١٢٣	٦	نشأ الوالد	الولد
١٢٩	٢١	وقال لعلك	وقالوا
١٣١	٢٢	اذا كنت	ان كنت
١٣٣	٣١	مقالة هو عبد	مقالة عبد
١٤٠	٧	تامر يساتين	تازناغت
١٤٠	١	(فى الحاشية) جنى التصوف	جنى على التصوف
١٤٣	٢٦	نازرت	تيزيرت
١٤٤	٤	اين قبلتم	ابن اقبلتم
١٤٤	٨	ياتوك	ياتونك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٥	٢٨	له هذا	لها
١٤٦	٢	فاستودت	فاسودت
١٤٦	٢١	فتأمر	فتآمر
١٤٦	٣٠	ان أبا	ان ابن
١٤٧	٢٠	أما منتك	امانتك
١٤٨	٢	الى الزاوية	الا الزاوية
١٥٠	١١	كلمة سوء	بكلمة
١٥١	٢٥	الاحمليون	الاحمديين
١٥٣	٢٠	وسبعين	وسبعون
١٥٤	٩	كبير	كثير
١٦١	١٥	الشخ	الشيخ
١٦٤	١٣	يوصله	يوصلها
١٦٨	٢١	وهو اليـوم	وهم اليوم
١٧٣	٧	فى هذه	فى هذا
١٧٦	٨	زوجه	على زوجه
١٧٨	٢٥	بـه	بها
١٨٥	٢٧	غمطمطم	غطمطم
١٨٨	٣٠	يشتغل	يشغل
١٨٩	٣٢	ويرون	ويروون
١٩٤	٩	تانارت	تونارت
٢٠١	٧	قيدهما	قيدها
٢٠٦	٣	الاخيرة	أو الاخيرة
٢١٢	١٥	ايلاغن	ايبلاغن
٢١٤	١٦	حاز	جاز
٢١٧	٢٤	كبير	كبيرا
٢١٨	٢٨	مدحـه	فى مدحه
٢٢٥	١٣	منا	(يسقط)
٢٢٥	٢٥	بدينا	بدنيا
٢٢٦	١٨	ثم صحبتموهم	ثم صبحتموهم
٢٢٦	٢٤	تؤمله	لؤمله
٢٢٩	٢٥	توجب	لوجه

صفحة	سطر	خطـا	صواب
٢٣٥	٧	القائد بن مبارك	القائد مبارك
٢٣٦	١٧	فلقاهما	فلقيهما
٢٤١	٤	نحو ١٣٨٠ هـ	نحو ١٢٨٠ هـ
٢٤٢	٢٠	فكان	فكاد
٢٤٤	١٤	بمطقة	بمنطقة
٢٤٧	٦	ووفيت خيرا	ووفيت ضيرا
٢٤٧	١١	المفتقر	المفتقر
٢٥٠	٢٠	والقبطة	والقبضة
٢٥٢	٣	شمس عصرنا	يا شمس عصرنا
٢٥٣	١٤	فى الغالب	فالغالب
٢٦٢	٨	الرشيد	الرشد
٢٦٧	٣	أمقائد	القائد
٢٦٨	٢٥	ما ينوبه	ما ينوبه
٢٧٢	٤	فكانوها فى	فكانوها ولكن فى
٢٧٦	٢٢	سنة ١٣٢٣ هـ	سنة ١٣٢٢ هـ
٢٧٨	٢١	والحصر	والخضر
٢٧٨	٢٥	من ضم	ممن ضمّ
٢٨٠	١٥	لو يقاس	لو يباع
٢٨١	٢	جائر	حائد
٢٨٢	١٢	الشرور	السرور
٢٨٢	١٥	ومرارا	وقرارا
٢٨٤	٢٩	ويجب	ويحب
٢٨٦	٢٠	مو الاولاد	من الاولاد
٢٨٨	٦	ذلك	ذاك
٢٨٨	١٣	وتنفصت	وتنفصت
٢٨٨	٢٧	وفى الجو فليق	وفى الجو فيلق
٢٨٩	٨	الندب	العذب
٢٩٣	٢٨	منكس	منكسر
٢٩٧	٢٢	من القبائل	مع القبائل
٢٩٨	٢٢	سؤالا	سؤال متفهم
٢٩٨	٢٩	من ماء واحد	بماء واحد

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٩٩	٣٢	ولان نلفظ	وانما نلفظ فى التفضيل
٣٠٢	١٠	ولا تستمليه	ولا تستميله
٣٠٦	١٥	وقد علم هذا	وقد كان هذا
٣١٩	٧	(فى سول	فى (سوق

الفهرس السابع في الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

اضارْوْامانْ	ايسنْنْ	تيغزْاتْ
افكسّورْ	ايدّاوْكازْو	تيزْبرْتْ
استّيفْ	ايفْرى يْتيغيلْ	
ايتْ وّاعلاّ	ايمشّيْنْ	حايدّو
ايتْ وّاعزّونْ	ايكرّومّا	حدّوشْ
اكلّيدْ	ايسكّيوّار	
احدّادّو		دوتْرّكّا
ارّكّو	بّارْزّى	
اوناكّى	بّوشتّى	الكزّلويى
اوناكّا	بّوزّكّارْ	
اوشّانْ	بّوّوشّانْ	
اوّشّنْ	بّوزّاهّور	ويشندّان
اوجدّى	بّوشاكّا	
اوبّوشنشّى		
ابيرّوانْ	تامشّيْرْتْ	
ابمّسكّرْ	تيشكجّى	
ابدّاوْلّيكى	تيمكطّى	
ابدّاوْلّعنصّا	تيزى اوعطّار	
ابمى وّاسيف	تيزى نتغزّا	
ابموزّار	تيمكّيدّسْتْ	

تنبيـــه

ان الاخطاء والتحريفات والاوهام من عادات كل مـؤلف مؤلف فرحم الله من صحح نسخته على هذه التصحيحات التى فى اخر الكتاب . ثم نبهنـا على ما سيقع عليه بعـد ذلك – ولا يكون قليلا – لنستدركه فيما بعد . كما نرجو من كل مطالع أن ينبهنا على الاسماء وعـلى كل ما يراه محرفا عـن أصله . فاننا لانبيع الكتاب على البراءة . وخصوصا امثالنا الذين يعتمدون عـلى النقل من الافـواه غالبا . فالوهم قـد يكون منا أو من المخبرين أو منا معا .

المؤلف

طبـع بمطبعة النجاح = الدار البيضاء
المغرب الاقصى
عـام ١٣٨٢ هـ = الموافـق ١٩٦٢ م

محمد المختار السوسي

المعسول

بقلم

١٥

السويرة تكتب بالسين وهو تصغير السور واما بالصاد فهو لحم بلا ريش ص 181
تعشى خرق العادة ص 31
سان محمد عبده ؟
ما جنى على التصوف الأمس كشواهيه على ما فيه ص 140 تعليق
اسكر ما بين صحيفة رقم 212
الصيد ابراهيم بن علي
التلاغانيميني توفي
15 ص 989
ص 72
نزول سعيد الجيلولي الرسمي
وما كتب في ذلك ابو فارس الادوزي
ص 205
راجع ص 28 والمؤلف
يحكي ما تضمنه سيرة الحلب
الذي يحترفه في بعض الاحيان
كما فعل تواضعا.
مدرسة تافاكوست
اعلان عن بنائها وتفتيح
باب راجع على
ص 76